

ابراهيم خليل احمد

إِسْرَائِيلُ فَنِّئَةُ الْأَجْيَالِ
العصودُ القديمة

ابراهيم خليل احمد

إِسْرَائِيلُ فَنِيَّةُ الْأَجْيَالِ
العصود القديمة

الناشر

مكتبة الوحي العربي

• شارع كامل صدقي بالنجاة

تليفون ٩٩١٩٦٥

١٩٦٩

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم الأستاذ تاز علي عبدالمعظم
مدير الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف

أجمعت الكتب السماوية الباقية بين أيدينا اليوم على أن الشعب اليهودي قد خرج على جميع القيم المثالية ، وأنه حطم جميع القواعد الخلقية ، وأنه شوه كل التعاليم الروحية ، وأنه أعطى أسوأ مثال للانحراف والفساد ، وأنه أصبح شراً نموذجاً للبغى والخسة والانحلال .

ونستطيع أن نسوق بمض الأمثلة من هذه الكتب المقدسة لأن ذكرها جميعها لا يتسع له المجال :

أولاً - في العهد القديم : وهو الكتاب المقدس عند اليهود - يقول لهم نبيهم إرميا في تأنيب شديد : « إنكم تتكلمون على كلام الكذب الذي لا ينفع . أنسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتخرون للبعل^(١) وتسبون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه ، وتقولون قد أخذنا . حتى تعملوا كل هذه الرجاسات ، هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مغارة لصوف في أعينكم ؟ »^(٢) ، وبهذا دمغهم بالكذب والإسراف والقتل والزنا والأقسام الكاذبة وعبادة

(١) بعل مردوخ : صنم عبده الفينيقيون والكنعانيون والبابليون ثم انتقلت عبادته إلى اليهود ، وقد قال لهم إلياس عليه السلام : « أتدعون بعبلا وتذرون أحسن الخالقين ألقه وبكم ورب آباءكم الأولين » سورة الصافات : ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) إرميا ، ٧ : ٨ - ١١ ، 174940

الأصنام وتحويل الهيكل إلى مغارة لصووس . ثم يصفهم في مكان آخر بأنهم ارتدوا إلى الشرك بعد التوحيد ، وانصرفوا إلى عبادة الأوثان حيث يقول معللاً غضب الله عليهم : « من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » (١) ، وتوعدهم بما أوحاه إليه الرب : « وكالتين الردىء الذى لا يؤكل من رداءته — هكذا قال الرب — هكذا جعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقين فى هذه الأرض والساكنة فى أرض مصر وأسلمهم للقتل والشرف فى جميع ممالك الأرض عاراً ومثلاً وهزأة ولعنة فى جميع المواضع التى أطردهم إليها ، وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفتنوا عن وجه الأرض التى أعطيهم وآباءهم إياها » (٢) .

ثانياً - فى العهد الجديد : يقول السيد المسيح عليه السلام : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تفتلقون السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تأكلون بيوت الأرمال . . . (٣) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (٤) . . . أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هايبيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل

(٢) إرمياء ٢٤ : ٨ - ١٠ .

(١) إرمياء ٢٢ : ٩ .

(٤) إنجيل متى ٢٣ : ٢٧ .

(٣) إنجيل متى ٢٣ : ١٤ ، ١٣ .

والمذبح . . .»^(١) ووصفهم بأنهم جعلوا بيت الصلاة مغارة لصوص^(٢).

قالنا - في القرآن الكريم : من الله على بني إسرائيل بإنقاذهم من بطش فرعون مصر وجبروته ، ولكنهم كفروا بأنعم الله وقابلوا حسناته بشر ألوان الإساءات ، فما كادوا يعبرون البحر ويرون مصرع أعدائهم حتى قالوا : « يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون »^(٣) ، وما كاد موسى يذهب لمناجاة ربه حتى ضل قومه : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين »^(٤) . ومن العجيب أن يرددوا عن عبادة الله إلى عبادة العجل ورسولهم حتى بين أيديهم ، وأن يقطعوا شوطاً طويلاً في الفساد والضلال والانحراف حتى أصبحت هذه الصفات فيهم أصيلة لصيقة منذ عهد موسى ومن تلاه من الأنبياء عليهم السلام ، فقد كانوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »^(٥) وزعموا أنهم « أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر من خلق »^(٦) ، « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا : أنؤمن بما أنزل علينا ؟ ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصداقاً لما معهم ، قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟ »^(٧) ، « وترى كثيراً منهم يسارعون في الإنم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون »^(٨) وبهذا استحقوا غضب الله ولعناته : « أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً »^(٩).

وكانت النتيجة المحتومة أنهم « ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس »^(١٠) وبأعوا بغضب من الله . وضربت عليهم المسكنة

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٣ - ٣٥ . (٢) إنجيل متى ٢١ : ١٣ . (٣) الأعراف : ١٣٨ . (٤) الأعراف : ١٤٨ . (٥) البقرة : ٧٥ . (٦) المائدة : ١٨ . (٧) البقرة : ٩١ . (٨) المسائدة : ٦٢ . (٩) النساء : ٥٢ . (١٠) لا يستطيعون أن يكون لهم كيان إلا بأمر الله وتمت حماية خارجية كحماية أمريكا الآن .

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويمقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون « (١) ، « وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » (٢) .

التعصب الأكمه : إذا بالغ الباحثون في وصف التعصب ، وصفوه بأنه تعصب أعمى ، ولكن هذا الوصف يقصر عن تصوير أخلاق اليهود ، والوصف الجدير بهم هو التعصب الأكمه (الذي لا يرى ولا يسمع) . ولا عجب في هذا فقد بلغ بهم التعصب إلى درجة المرض الخطير الذي يسميه علماء النفس بالترجسية وهو أن يعشق المريض نفسه فلا يرى في الدنيا سواه ، فالكون كله مسخر له ، وجميع الكائنات — ماعداه — ما وجدت إلا لخدمته ، وهو بهذا لا يفكر ولا يرى ولا يسمع ولا يحس إلا ذاته وكل ما عداه هباء ، وكما يصاب الأفراد بهذا المرض الخطير تصاب به الجماعات ، وأشد الطوائف إصابة بهذا المرض الخطير طائفة اليهود ، ولقد أصبح هذا المرض فيهم خطيراً مزمناً متوارثاً عبر الأجيال وهو مفتاح شخصيتهم ، وعلة تصرفاتهم ، منذ ظهوروا حتى الآن ، فقد ورد في التلمود (٣) — وهو موضع تقديسهم ، ومصدر عقيدتهم : « إن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، وإن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ، وإن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات » .

ويزعمون أن النعيم مأوى أرواح اليهود ، وأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود .

(١) آل عمران : ١١٢ . (٢) آل عمران : ١١٧ .

(٣) راجع الكنز المرصود في قواعد التلمود ، وسفر حزقيال : ٢٣ : ١٩ — ٢١ ، وإسرائيل والتلمود ص ٩٠ . للاستعاذ صاحب هذا التصنيف .

وأن النار ماوى جميع الشعوب ؛ ولهذا أصبح من مبادئهم المقدسة المدونة في التلمود أنه « يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ، وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا ويقولوا : يا للعار ! ويا للخزى ! وقيل أن تحكم اليهود نهائيا على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ، وأن يهلك ثلثا العالم » (١) .

وهم فى سبيل الظفر بحكم العالم لا يبالون أن يدمروا ثلثى العالم على أن يبقى الثلث الباقى لخدمتهم وكل منهم « معتبر عند الله أكثر من الملائكة » ، فإذا ضرب أمى (٢) إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ، ويستحق الموت ، ولولم يخلق اليهود لانهدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس... والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب... والأجانب كالكلاب ، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب (٣) ولالكلاب ، والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه... وقد خاق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائفاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » (٤) .

ومن هنا نرى كيف استشرى فيهم هذا الداء الخطير ، وكيف قادم إلى حافة الجنون حتى أصبحوا « يساؤون أنفسهم مع العزة الإلهية ، فالدنيا وما فيها ملك لهم ويحق لهم التسلط على كل شئ فيها . والسرقه جائزة من اليهودى ،

(١) راجع الكنزلمر سود وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ - ٢١ . (٢) يزعمون أن جميع الشعوب أمة بالنسبة لإيهم ، وأنهم وحدهم انفردوا بالعلوم والفلسفة والفنون ، وقد نظروا إلى العرب هذه النظرة فقالوا : « ليس علينا الأمين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . (٣) جيم من هدام من الشعوب . (٤) إسرائيل والتلمود ص ٦١ .

ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهود، والسرقه من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى . . . وأموال غير اليهود مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولاً . . .

ومن القواعد الأساسية فى التلمود « أنه مسموح بفش الأجنبى وسرقه ماله بواسطة الربا الفاحش »^(١) ، وأن « حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟؟ » . وقد أوصاهم سفر الخروج بأن « يستعبروا حلى المصريين وثيابهم وأمتعتهم وأموالهم ثم يستولوا عليها »^(٢) .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل معظم نصوص التلمود والمهد القديم فحسبنا ما ذكرناه مثالا لما تركناه .

التدمير والتلويث : امتلأت حياة اليهود عبر القرون بالتطبيق الفعلى للانحلال الخلقى ، ولأحظ ألوان الشر والفساد التى استقوها من التلمود ، ولهذا حرصوا على تدمير جميع القيم المثالية ، وعلى تشويه المقدسات السامية حتى الذات الإلهية فإنهم مع تقديسهم لله وتنزيه اسمه (يهواته) عن أن تنطق به الشفاه يستبدلون به اسم (أدناوى) ، وهم مع هذا يصفونه بالصفات البشرية فهو يقسم أوقاته بين العمل واللعب ، وهو - سبحانه - يقضى الساعات الأخيرة من النهار فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، ويقضى ساعات الليل فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين ، والإله عندهم يخطيء ويصيب ، ويستبد به الندم أحيانا حتى يحمله على البكاء ، بل هو يخصص ثلاثة أرباع

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة بقوله : « وبصدم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » سورة النساء : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ .

للليل للبكاء والندم ، وهو إذا بكى سقطت من عينيه دموعتان في البحر فيسمع دويهما في الآفاق» (١) .

وإذا تساءلنا ما الذي يحمل الرب على الندم والأسف والبكاء ؟ إن الجواب طبعاً يدور حول بني إسرائيل لأنهم شعب الله المختار أو هم أبناء الله وأحباؤه فإذا مسهم ضرر أو حلت بهم كارثة استبد الغضب والحزن بالرب أعنف استبداد، وهتف في ألم مريرقائلاً : « تبارك ! أمرت بخراب بيتي ، وإحراق الهيكل وتشريد أولادى ! ! » ، وإذا مجده الناس أدركه الندم وشعر بوخز الضمير لأنه سمح لأعداء شعبه المختار بهدم الهيكل ، وتشريد أبنائه الأعداء فيقول : « طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك وويل للأب الذي يمجده أبنائه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء» (٢) .

وقد وصف القرآن الكريم تحبطهم الجنوني في تصورهم للخالق المعبود ، فهم لا يستطيعون تصوره إلا في صورة مادية مجسمة : « وإذ قلت يا موسى إن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » (٣) .

وصوره لهم خيالهم المريض في صورة تمثال ذهبي للعجل أيبس : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » (٤) . ثم لج بهم الخيال ففقدوا موازنة بينهم وبين الله ، وفضلوا أنفسهم عليه فقالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » (٥) ، ثم قالوا « يد الله مغلولة » (٦) .

وأما تلويتهم للأنبياء فيعرضه التلمود والتوراة في أقبح صورة وأشنع مثال : فآدم وحواء عليهما السلام عاهران : « فكان آدم يأتي شيطانة مهمة اسمها ليليت مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين ، بسبب نكاحها من ذكور الشياطين » (٧) .

(١) لإسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل صاحب هذا التصنيف : ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٨ . (٣) البقرة : ٥٥ . (٤) البقرة ٩٢ .

(٥) آل عمران : ١٨٠ . (٦) المائدة : ٦٤ .

(٧) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٨ للمؤلف .

ولوط عليه السلام صوره العهد القديم في صورة رجل مخمور يتصل بابنتيه
وينجب منهما: «فتلد الكبرى موآب، وهو أبو الموابيين، وتلد منه ابنته
الصغرى بن عجنى وهو أبو عمون» (١).

وهرون خليفة السلام هو الذى صنع التمثال الذهبى للعجل، ودعا بنى إسرائيل
لمبادنة، وأليس السامرى كما ذكر القرآن الكريم (٢)، فجعلوه داعية للشرك
لا للتوحيد (٣).

ويعقوب عليه السلام استباح لنفسه أن يقاتل ويسرق مال صهره لابان،
وتكرر منه الخديعة والسرقعة عدة مرات (٤).

وداود عليه السلام وقع بصره على امرأة مفرطة فى الجمال وهى تستحم
متجردة من جميع ثيابها فشغف بها حباً وسأل عنها فأخبر أنها زوجة أوريا
الذى أحد جنوده المحاربين المشتركين فى حملة حربية بقيادة يوآب . فبعث
داود فى طلبها فجىء بها إليه ، «واضطجع معها وهى مطهرة من طمئها ثم رجعت
إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلت» (٥) .
وتحايل داود على أن ينسب الحمل إلى زوجها فاستدعاه من الميدان ، وأمره
أن يبيت فى بيته قبل عودته ، فأبت شهامة الجندى الباسل أن يبيت منعماً
فى بيته وإخوانه فى ميدان القتال ، فرفض الذهاب إلى بيته وتكرر الطلب
والرفض ، ولما ضاق داود ذرعاً أرسله إلى ميدان الكفاح وأرسل معه خطاباً إلى
القائد العام ليدير قتله ، ويلقى مصرعه تنفيذاً لأمر داود ، «فلما سمعت امرأة
أوريا أنه مات نذبت بملها ، ولما مضت المفاحة أرسل داود وضمها إلى بيته
وصارت له امرأة وولدت له ابناً» (٦).

(٢) طه : ٨٥ - ٩٧ .

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨ .

(٤) تكوين ٣٠ : ٣٧ - ٤٣ .

(٣) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ - ٤٣ .

(٦) المصدر السابق : ٦ - ١٥ .

(٥) صموئيل الثانى ١١ : ٢ - ٥ .

وسليمان عليه السلام ضم في حريمه ألف امرأة من مختلف الجنسيات ، ولما تقدمت به السن ضعف أمام نساته ، فترك عبادة الله واعتنق عبادة أصنامهم ، فبنى معبداً لمشتورث إلهة الصيدونيين ، وملكوم إلهة العمونيين ، وكوش إلهة الموابيين ، ومولك ضم بنى عمون ومال قلب سليمان عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١) .

والسيد المسيح عليه السلام « موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ، وأمه مريم جاءت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس أشبه بالقاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة » (٢) .

وأما موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عاهدوه ثم نقضوا عهده وانصروا المشركين عليه وانضموا إلى جيوش الأعداء في غزوة الخندق ، ودبروا قتله بإلقاء حجر عليه فأنبأه الله بالوامة ونجاه منها ، وحاولوا مرة أخرى قتله بالسم فدمت إحدى نساءهم السم له في ذراع شاة ، ونجاه منها الله . ومن هذا يتضح أنهم شوها صورة الله ولوثوا أنبياءهم وقتلوا بعضهم وفضلوا أقوال الخاخامات على أقوال الأنبياء : « إن تعاليم الخاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله . . . وقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود في أمر من الأمور ، وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الخاخامات الذي حكم بخطأ الإله مما اضطر سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بالخطأ » (٣) .

أما نظرهم إلى بقية الشعوب فقد ذكرنا أنهم كانوا يعتقدون أن أرواحهم

(١) ملوك أول ١١ : ١ - ١٣ . (٢) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ٦٠ - ٦١ .

(٣) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٧ .

أرواح حيوانات ، وأنهم خلقوا في صورة الأدميين ليكونوا عبيدا وخداما لبني إسرائيل .

إن هذا المرض الخطير الذي نفشى بين اليهود وتوارثوه جيلا بعد جيل (مرض النرجسية) قد أنتج فيهم مرضاً آخر يسميه علماء النفس بالسادية وهو التلذذ بإيقاع الأذى على الآخرين وحب تلويثهم ، وتبلغ النشوة قممها عند هؤلاء المرضى بإراقة الدماء ، وبهذا تبخرت الإنسانية وأمحت من نفوس هؤلاء الأشرار فأصبحوا ممسوخين في آدميتهم مشوهين في طبائعهم كالقردة والحنازير ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » (١) ، والآية الكريمة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والحنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » (٢) .

هذه الطبيعة الإنسانية المشوهة الممسوخة أنتجت آثارا ممسوخة تقوم على أساس الفتك والتدمير عند المقدرة ثم المكر والدس والنفاق والذلة والهوان عند الضعف ، وتاريخ اليهود منذ أربعين قرنا يقوم على هذين الأساسين دون تغيير .

أما الفتك والتخريب والتدمير فمن أصول عقيدتهم المقدسة في صحائف التلمود ، ومن أمثلتها المعبرة في صراحة وقحة : « من العدل أن يقتل اليهودي بيت كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله » ، والكفار في عقيدتهم هم كل من عدا اليهود ، وقد تكررت هذه النصيحة في عشرات المواضع من التلمود مثل : « أقتل الصالح من غير اليهود ، ويحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأجانب من الهلاك أو يخرج من حفرة يقع فيها بل عليه

أن يسدها بحجر » ، ويحدثنا سفر التكوين عن تدمير بنى يعقوب لإحدى مدن أعدائهم وكيف قتلوا كل ذكر وكيف نهبوا كل مافي المدينة ، ومافي الحقل أخذوه ، وسلبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل مافي البيوت (١) .

ومن وصايا التلمود أن اليهودى لا يخطيء إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة ، والعقد لا يوجد بين البهائم .. ولليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات (٢) ... والزنا بغير اليهود ذكورا كانوا أم إناثا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات .

وأما المكبر والنفاق والضعفة والهوان وحبك الدسائس وتدبير المؤامرات فهى مشروعة مع غير اليهود طبقا لستورهم المقدس من وصايا التلمود ، ومن أمثلتها : « ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه أو يرحمهم ، ويحق لليهودى أن يفتش الكفار ، ومحظور عليه أن يحمى الكافر بالسلام مالم يخش ضرره أو عدوانه ، والنفاق جائز فى هذه الحالة ، ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودى أذاه . . . وإذا جاء الأجنبي واليهودى أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى راجحا فافعل ، واستعمل الفس. والخداع فى حق الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودى . . . » .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل جميع فقرات التلمود وحسبنا ما ذكرناه مثلا لما أغفلناه (٣) .

(١) تكوين ٣٤ : ١ - ٧ و ٢٥ - ٢٩ . (٢) غير اليهوديات .

(٣) راجع الكثر المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهانج ، وأيضا لإسرائيل والتلمود

للأستاذ إبراهيم خليل أحمد صاحب الكتاب القيم الذى تقدمه للقراء الآن .

ونتيجة لهذا كله أصبح اليهود منمزلين عن العالم محصورين في نطاق ذواتهم المريضة وعقائدهم الدنسة الحقيرة ، يسرقون وينهبون ويستبيحون المحارم، فإذا كشفت المجتمعات أمرهم طاردتهم في عنف ومزقهم شرتمزيق؛ ليعودوا في مجتمعات أخرى لتمثيل أدوارهم البغيضة في تلويث الكرامة الإنسانية في كل مجال . وهكذا أصبحوا أقليات عديدة تحيا في مختلف الدول وبين شتى الشعوب في انطواء ذاتي وتمسك عصبي بألوان الفساد والانحلال . فإذا آنسوا في أنفسهم القوة أمعنوا في التخريب والتدمير والفساد ، وما أتيحت لهم القوة قط إلا تحت ظل الآخرين .

* * *

وكثير من المسلمين يتلون قوله تعالى : «لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» (١).

كثير من المسلمين يتلون هذا النص القرآني المقدس ، ويقولون : إن الله لا يخلف وعده وإن وعد الله حق . ولكن كيف تم النصر لليهود على المسلمين منذ عام ؟ (عام ١٩٦٧) ، وكيف استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على الأرض المقدسة ، وأن يحتلوا المسجد الأقصى ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومهبط الأنبياء ، وموطن الإسراء والمعراج ؟ ثم يمعن في التساؤل قائلاً : كيف عزوا بعد الذل ؟ وقووا بعد الضعف ، واستطاعوا بعد الهوان ؟

ولهؤلاء نقول : إن الله لا يخلف وعده ، وإنهم من بعد غلبهم سيفلبون ،

وإن الله سبحانه وتعالى يبتلى عباده المخلصين : « وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين » (١) ، وقد ابتلى الله المسلمين في غزوة أحد ، كما ابتلاهم في غزوة الخندق وفي غزوة حنين ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وحتى « زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر » (٢) ، وحتى « ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديدا » (٣) ، ولكن الإيمان والثقة بالله والتضحية والاستشهاد كانت عدة النصر ، وبشير الفوز ، وطمينة الأمان : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » (٤) ، وإذا انطلقت الشائعات ونمت وتفاقلت الألسنة مشفوعة بعبارات الإرهاب والتخويف تكسرت هذه الموجات على شواطئ اليقين والإيمان : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » (٥) . وكانت النتيجة أن الله نصر أوليائه وخذل أولياء الشيطان : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى بالله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » (٦) .

وإذا كان المؤمنون قد أصابهم عنت ومشقة فقد أصاب أعداءهم شتى ألوان العنت ، والمشقات : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » (٧) ، وعلى المؤمنين أن تظل ثقتهم بالله قوية وإيمانهم به فوق منال الريب والشكوك : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » (٨) ، فلا مجال للوهن ولا للتوجس والخوف بأي حال : « ولا تمهتوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » (٩) .

- (١) آل عمران : ١٤١ . (٢) الأحزاب : ١٠ . (٣) الأحزاب : ١١ .
 (٤) الأحزاب : ٢٢ . (٥) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ .
 (٦) الأحزاب : ٢٥ . (٧) آل عمران : ١٤٠ . (٨) المجرات : ١٥ .
 (٩) آل عمران : ١٣٩ .

وعلى كل مسلم أن يعلم علماً يقيناً لا يعتريه شك أو ارتياب أن الذلة التي ضربها الله على اليهود ظلت قائمة وستبقى قائمة إلى أن « تبدل الأرض غير الأرض والسماوات » (١)؛ لأنهم لا يشعرون بالعزة إلا وهم أذلاء، ولا بالقوة إلا وهم ضعفاء، ولا بالاستقلال إلا وهم محتلون، فالذلة مضروبة عليهم: « إلا بحبل من الله وحبل من الناس »، فحبل الله أن يهيبه لليهود فرصة النصر المؤقت لابتلاء المؤمنين ليتوبوا إلى الله وليستمسكوا بحبله المتين، والله ينصر من ينصرونه: « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (٢)، وإذا انتصر اليهود في بعض المارك فسينهزمون أخيراً. فإن العاقبة للمتقين: « يأبى الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم » (٣)، ولقد نبه الله المؤمنين عقب غزوة أحد إلى علة ما أصابهم من هزيمة واندحار: « حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم . . . » (٤)، « وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » (٥)، فالفشل والانقسام وعصيان أوامر القادة كانت من أهم أسباب الانهزام . . . ولكنه درس يلقنه الله لأوليائه لينقى نفوسهم وليلقنهم أن الإيمان والاستعداد والوحدة والطاعة المطلقة هي أساس النصر المبين .

فليس معنى انهزام المسلمين في بعض المواقع استسلامهم للذلة والهوان ،
وليس معنى انتصار اليهود في بعض المواقع أنهم تخلصوا نهائياً من الذل والهوان .
وأما حبل الناس فإن التاريخ يحدثنا أن اليهود كانوا يلوذون دائماً بالدول

(١) سورة إبراهيم : ٤٨ . (٢) سورة الروم : ٤٧ . (٣) سورة محمد : ٧ ، ٨ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٢ . (٥) آل عمران : ١٥٤ .

القوية والحكام الأقوياء يستظلون بحمايتهم، ويعيشون في كنفهم أذلاء .
وإلى هذا أشار التلمود بقوله : « نحن شعب الله في الأرض ، وقد أوجب علينا
أن نفرقنا لمنفعتنا ، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنساني
وهم كل الأمم والأجناس ، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من
الحيوان : نوع أخرس كالذباب والأنعام والطيور ، ونوع ناطق كالسيحيين
والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، فسخرهم ليكونوا
في خدمتنا ، وفرقنا في الأرض لئلا نمتطي ظهورهم ونمسك بعنايتهم ، ونستخرج
فنونهم لمنفعتنا ، لذلك يجب أن نزوج نباتنا الجميلات للملوك والوزراء والعطاء ،
وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا في الدول
وأعمالها فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل الخوف عليهم ليحارب بعضهم بعضا وفي
ذلك كله نجني الفائدة الكبرى » (١).

فهم يلتمسون العزة بتقديم نباتهم الجميلات للملوك والوزراء والعطاء ، وأن
يدوس أبنائهم عقائدهم المقدسة ويعتقدوا الديانات الأخرى ليخدعوا أرباب هذه
الديانات ، وليستمدوا منهم القوة والاستعلاء ، وما كان حكام اليهود — كما
يقرر المؤرخ الكبير ه . ج . ولز (٢) — إلا « قضاة من الكهنة ينتخبهم الشعب
وأصبحوا بعد الوحدة ولايتين صغيرتين بين شقي الرحي تطحنهما على التوالى
سوريا ثم بابل من الشمال ، ومصر من الجنوب .. » هي قصة ملوك همج يحكمون
شعبا من الهمج حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق.م. محت يد الأسر الأشوري مملكة
إسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملكة
يهودا تكافح حتى حل بها سنة ٦٠٤ ق . م . ما حل بإسرائيل .

(١) إسرائيل والتلمود لصاحب هذا المصنف ص ٧٢ .

(٢) موجز تاريخ العالم ص ٩٢ وما بعدها .

ولما كانت شوكة مصر قوية سنة ٦٠٨ ق.م . لجأ إليها اليهود وعاشوا في ظلها أذلاء لها أقوياء - بقوتها - على أعدائهم . فلما ضعفت مصر وقويت شوكة البابليين كاد اليهود لمصر وانضموا إلى القوة الناشئة الجديدة تحت حكم نبوخذ نصر ، ولكن دسائسهم ومكائدهم حملتهم على احترام الجاسوسية واعتقال بعض النابهين من البابليين ، «عندئذ صمم الملك الجديد أن يمزق تلك الدولة الصغيرة كل ممزق بعد أن ظلت أمداً طويلاً تستفيد من تأليب مصر على الإمبراطورية الشمالية فأمر الملك بسبي يهوذا ونهبته مدينة أورشليم ودمر الهيكل وأحرقت القصور وحمل من بقي بها من الناس أسرى إلى بابل » (١) .

ولما بزغت دولة الفرس القوية اتصل بها اليهود وقدموا فئاتهم الجميلة (استير) للملك القوي فلقبت لديه مكانة أئيرة لأنها كانت « جميلة الصورة وحسنة المنظر .. وحسنت الفتاة في عينيه ونالت نعمة بين يديه .. وكانت استير تنال نعمة في عيني كل من رآها .. فأحب الملك استير أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمة وإحساناً قدامه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها » (٢) فاستطاعت أن تشفع لقومها اليهود وترفع عنهم التشريد « وكان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويوم طيب » (٣) .

وقد وصف القرآن الكريم اليهود بالجبن والتمزق : «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » (٤) كما وصفهم بأنهم : «لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (٥) . أما جبنهم فأحداث تاريخهم في

(١) موجز تاريخ العالم للمؤرخ الكبير ه . ج . ولز ص ٨٩ .

(٢) سفر استير الإصحاح الثاني . (٣) استير الإصحاح الثامن .

(٤) سورة الحشر : ٢ . (٥) الحشر : ١٤ .

أربعين قرناً نطق به وتبدل عليه ، وأما أن بأسهم بينهم شديد وأن قلوبهم شتى فهو أمر معروف منذ نشأتهم حتى الآن ، أما في نشأتهم فقد انقسموا إلى ولايتين متدبرتين متناحرتين هما ولاية يهوذا في الجنوب ، وولاية إسرائيل في الشمال ، والمطالع لسفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني في العهد القديم يرى كيف انحرفت الولايتان إلى عبادة الأصنام ، وكيف قامت بينهما الحروب المدمرة . وقد ذكر الإصحاح الثالث عشر من سفر أخبار الأيام الثاني أن الله نصر يهوذا على إسرائيل ، « فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا ودفعهم الله ليدهم وضربهم أيماً وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف » (١) .

واستمر تاريخ اليهود على هذا المنوال حتى العصر الحديث ؛ فبعد قيام إسرائيل انقسم اليهود إلى طائفتين : طائفة ترى في قيام إسرائيل خطراً على اليهودية وجناية على الطوائف اليهودية التي تعيش كرعايا في الدول القوية لأنها تظهرهم في مظهر الأجانب ، وهم بهذا يخضعون للقوانين التي تطبق على الأجانب في هذه الدول ، ففسلبهم ما ظفروا به من نفوذ وثراء وجاه . وطائفة أخرى تهلل وتكبر لقيام إسرائيل وتمدها بالأموال والسلاح والرجال . أما في داخل إسرائيل فالجوع اليهودية منقسمة إلى طائفتين كبيرتين طائفة القرائين وطائفة الربانيين ، والخلاف بينهما شديد في العقيدة الدينية . وهناك انقسام أشد خطراً وهو تعصب اليهود الوافدين من أوروبا على اليهود الوافدين من الشرق واستئثار الأولين بالمناصب والنفوذ ، وحصر الآخرين في نطاق العمال والزراع والخدم ومن في مستواهم من السوق والغواص ، وهو اضطهاد عنصرى عجيب

(١) أخبار الأيام الثاني ١٣ : ١٣ — ١٧ (أييا بن يربعام ملك يهوذا) .

جعل كثيرين من اليهود الشرقيين يقسلون هرباً من إسرائيل .

* * *

وتاريخ اليهود مليء بالعجائب حافل بالمتناقضات ، وقد صدرت عدة كتب بمختلف اللغات تناولت هذا التاريخ من زوايا مختلفة ولكن الكتابة في هذا الموضوع تحتاج إلى مؤرخ عالم دقيق ، درس جميع الأسفار المقدسة دراسة علمية عميقة ، وألم إلاماً كبيراً بالتهود ، وتعمق في الأبحاث التاريخية العامة ، وعرف البواعث والأسباب ، والأهداف ، ولمس ما وراء الظواهر ، وكشف ما خلف الأستار من دسائس ومكائد ومؤامرات ، وبحث أهداف الصهيونية ، وعرف وسائلها الظاهرة والخفية وأدرك أسرار الجمعيات التي أنشأها اليهود في صورة غير يهودية ، وعلم أغراضها العلنية والمستورة ، ودرس إلى هذا كله التاريخ الإسلامي ، وبحث الصراع الديني بين مختلف العقائد وهذا كله يحتاج إلى جمع على يتكون من صفوة الباحثين المنصفين .

ولكن الأستاذ إبراهيم خليل أحمد تقدم لحل هذا العبء وحده في ثقة واطمئنان ويقين ، ومما لاشك فيه أن غيره لا يستطيع النهوض وحده بهذا العمل والقيام به على خير وجه والاستقلال به في أحسن أداء .

فقد تيسرت له وسائل لم تيسر لغيره من الباحثين ومن أهمها :

أولاً - أنه بدأ حياته العلمية مسيحياً ماصبها متخصصاً في الكتاب المقدس :

حيث درس نصوصه وعرف فلسفته ، وقرأ شروحه قراءة مستوعبة وآمن به إيماناً عميقاً سواء بأسفار العهد القديم أم بأسفار العهد الجديد ، كما ألم إلاماً تاماً بالعقائد اللاهوتية وتاريخ اليهود ورجال الكنيسة في شتى العهود .

ثانياً - أهله مواهبه العقلية للحصول على إجازات علمية عديدة ، من أهمها :

١ - دبلوم كلية أسنيوط الأمريكية الثانوية سنة ١٩٤٢ م .

٢ - دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية المشيخية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ .
٣ - تعمق في دراسة اللغة العبرية ، واللغة اليونانية إلى جانب إجادته
للغة الإنجليزية .

٤ - ثم ابتداء حياته العملية ، وكان يحمل لقب (القس إبراهيم خليل فيلبس)
راعياً للكنيسة الإنجيلية بياقور / محافظة أسيوط .

٥ - ولما ظهر نبوغه وتعمقه في الدراسات اللاهوتية والإسلامية من وجهة
نظر المستشرقين تم تعيينه أستاذا للعقائد المسيحية والإسلامية بكلية اللاهوت
الإنجيلية بأسيوط .

٦ - تم اختياره مبشراً وسكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية
بأسوان ، وكان مستشفى الجرمانية في أسوان مركزاً للعمل التبشيري بين
المسلمين في محافظتي أسوان وقنا .

٧ - وكانت طبيعة عمله تحتم عليه أن يدرس الفلسفة الدينية وأن يتعمق في
دراسة علم « مقارنة الأديان ونقدها » وبالتالي أن يدرس الإسلام دراسة علمية
دقيقة في مصادره الأولى الأصيلة ، فدرس القرآن الكريم ، واستظهر
كثيراً من آياته البينات ، كما خاض بحاراً عديدة من كتب التفسير ، ثم درس
الحديث الشريف ، واستوعب منه - ما شاء الله له أن يستوعبه - من النصوص
النبوية الكريمة . ثم قرأ كتب السيرة النبوية ، وصحب الرسول صلى الله
عليه وسلم في أقواله وهديه ، منذ أن هبط عليه الوحي السماوي حتى لقي
الرفيق الأعلى .

وكان شأنه في هذه الدراسات العلمية شأن العلماء الباحثين المنصفين ، يتلمس
الحقائق ، وينشد الإنصاف ، ويستهدف المثل العليا في الحق والخير والجمال بعيداً

عن التعصب سامياً عن التحزب مترفعاً عن الميول الذاتية ، طليقاً من التقاليد الوراثية ، فإذا اقتنع بأمر أعلنه وتمسك به ودافع عنه ، ودعا إليه وجاهد في سبيله بكل ما يملك من طاقات .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا كله أن اقتنع بالإسلام عن بصيرة وأعلن إسلامه مضحياً في سبيل عقيدته الجديدة بمصالح مادية عديدة . وخاض في سبيل إسلامه أهوالاً شديداً ، وتعرض لعداوات وحزازات ، وتحمل مشقات ونكبات .

وحاول المحاولون أن يفتنوه وأن يرهبوه أو يمنوه ، لكنه صبر وصابر ، وطاول وجاهد وبذل من ماله وجهده وصحته ما بذل ، وشرع قلمه ، وأدار لسانه في خدمة الدعوة الإسلامية وإبراز ما تحمله من الحقائق ، وإظهار مامتاز به من القيم المثالية والتعاليم الربانية والومضات الروحانية ، واستطاع أن يخرج في سنوات معدودات كتباً قيمة نفع الله بها الكثيرين وسدت فراغاً كبيراً في المكتبة العربية منها :

١ - محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن .

٢ - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي الإسلامي .

٣ - إسرائيل والتلمود « دراسة تحليلية » .

ها هو ذا اليوم يقدم موسوعته الكبرى في تاريخ اليهود (إسرائيل فتنة

الأجيال) والآن ندع القارئ يستمتع بهذا الكتاب القيم .

وتتمنى لهذا القلم أن يبارك الله فيه وأن يمنحه الخير والبركات ، وأن ينتج

منه أطيب الثمرات .

على عبد العظيم

تمهيد

لفلسطين أهمية بالغة في نظر الفلسطينيين لأنها وطنهم ، وفي نظر العرب لأنها قلب البلاد العربية ، وفي نظر المسيحيين لأن فيها مقدساتهم : من المسجد الأقصى إلى كنيسة القيامة .

كما أنها موضع تقديس أهل الكتاب جميعا من مسيحيين ويهود ، وهي مهد الأنبياء وموطىء قدم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وهي ذات موقع جغرافي له خطورته ، فهي نافذة على البحر الأبيض المتوسط ، وتناخم بلدانا كثيرة في آسيا ، والجسر البحري بين آسيا وإفريقيا . فإذا سيطر عليها شعب من غير جنس أبناء البلاد هدد السلام في المنطقة كلها .

هذه المنطقة التي شهدت مواقع بطولية تاريخية من موقعة اليرموك إلى موقعة حطين إلى موقعة عين جالوت غيرت التاريخ فبدلت العصر الإسلامي بالعصر الروماني وطهرت البلاد من الصليبيين ، وأنقذت العالم بأسره من التتار .

اغتصبها بمؤازة الاستعمار البريطاني شعب قد قضى الله عليه بالذلة ، وسلط عليه بذنوبه من لا يرحمه من دول أوروبا . . . اغتصبها الصهيونيون الذين أراد الغرب أن يتخلص منهم فأغراهم بفلسطين متحدياً لإرادة الشعوب ومبدأ حق تقرير المصير ، وانتزع البلاد بعد أن طرد أصحابها بقوة النار والإرهاب . ووجود إسرائيل في أرض فلسطين وصمة تلتاخ جبين الإنسانية ، ولعلها تهز الشعور والضمير العالميين ، بل إنها فضيحة لاتليق بحضارة هذا العصر

ومدنية القرن العشرين أن تتواطأ بعض حكومات الأمم الحرة على طرد هذا الشعب المتجانس من موطن آبائه وأجداده ، ليحل محله أناس من شذاذ الأرض ، مختلفو المذاهب والأجناس واللغات والثقافة ، والعادات والتقاليد والأمزجة .

ولقد سجل التاريخ هذا الجرم الفاحش الذي يرتد بالجنس البشرى إلى أحط تصرفات الهمج في ظل قانون الغاب .

إن أفظع الجرائم التي يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد ، أو استبداد قبيلة بقبيلة أو إخضاع شعب لشعب ، وإنما هي طرد أمة آمنة من وطنها دفعة واحدة ، ونهب مالها ، وتقتيل أفرادها : رجالا ونساء ، وأطفالا وشيبا ، وتشريد من بق منهم وهو ما وقع على الشعب الفلسطيني اليوم في هذا العصر الذي يلقبونه عصر النور والمدنية .

وكانت نكبة فلسطين سببا لما اجتاحت الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ من عدوان إسرائيلي فرنسي إنجليزي ، ولما اجتاحت سوريا والأردن ومصر من عدوان إسرائيلي سنة ١٩٦٧ الأمر الذي يحملنا بوصفنا أدياء أن نكون من الأزمة في موقف المواجهة الشجاعة تنصدى لها ، بما أوتينا من فكر ووجدان ، وبما يعمر قلوبنا من ثقة وإيمان . . . بأن نتدارس حقائق اغتصاب فلسطين ، ونتدارس كيف حيكت الدسائس ؟ وكيف نفذت المؤامرات ؟ وكيف ضاع هذا البلد العربي ؟ وكيف شرد أهله في الآفاق ؟ حتى يدرك الملل أن بلادنا كلها في خطر ، وأن مأساة فلسطين ستعقبها مأس ونكبات ، ومن ثم فإن من حتمية الأمور تبصير الأمة والأجيال الصاعدة بهذا حتى يدركوا الواجب الذي تحتمه المعركة على كل فرد منا .

إن أمة مثل أمتنا لحرى بها ، بما أوتيت من عمق التاريخ ورحابة الآفاق ، وسعة المساحات ، وكثرة الممكنات ، وتعدد المواهب ، أن تتسع لمأساة أو نكسة مهما تكن هذه العبارات قاسية أليمة ، فستتوسعها لتضيق في مساحاتها الشاسعة ، وتفرق في تاريخها العميق وتقتلها مواهبنا وإمكانياتنا .

ولما كانت قضية فلسطين فذة في أسبابها ونتائجها ، فريدة في تطوراتها وملاساتها ، غريبة في الدسائس التي حيكت حولها ، كان لزاما أن نفهم الصهيونية على حقيقتها ، وأن نتعرف الصلة بينها وبين اليهود ، وأن نقف على الأسباب التي دفعت بعض الحكومات إلى مناصرة أولئك الذين دبروا تلك المؤامرة لاجتياح فلسطين ، وما فتئوا يدبرون ويعملون لتحقيق مآرب أصبحت غير خافية .

مقدمة

ممتزول إسرائيل

إن قيام إسرائيل في فلسطين هو أثر مباشر من آثار الصدام بين حركة القومية العربية ، وبين قوى الاستعمار الغربي . وهي على حد تعبير ونستون تشرشل مفسراً لوعده بلفور: «تحقق فاصلاً على الأرض العربية يحجز مصر بإمكانياتها عن المشرق باحتمالاته ، ومركزاً لحماية المصالح البريطانية إذا ما اضطرت بريطانيا وحلفاؤها إلى الجلاء عن البلاد العربية » .

فإسرائيل رغم هذا كله لا بد لها أن تزول للأسباب الآتية :

١ - لأنها أداة استعمار ، والاستعمار مهما طال في سيطرته على مقدرات الشعوب النامية فإنه لا بد سيحمل عصاه ويرحل .

٢ - ولأنها تقوم على مساندة الغرب لها ، ومن ثم فهي لا تملك في ذاتها مقومات البقاء .

٣ - ولأنها قامت بطريقة استفزازية ضد إرادة الشعوب العربية ، قامت في أرض عربية شاسعة الأوطان فكان قيامها عدواناً صريحاً على الأمة العربية .

٤ - ثم إن هذه الأمة العربية قد عقدت العزم وصممت كل التصميم على الدفاع عن أرضها واسترداد ما اغتصب من وطنها .

٥ - بل إن التاريخ يؤكدها ، والأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد تنبأوا بغضب الله عليهم وأنه بؤم بالدلة والمسكنة ، فتنبأ المسيح عن

خراب الهيكل بقوله: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (١)، وقوله: «أنظروا هذا البناء العظيم . فلا يترك هنا حجر على حجر إلا وينقض» (٢) . وحاولوا إعادة مملكة داود فشقوا عصا الطاعة على الدولة الرومانية وقاموا بثورة دامية ما إن ترامت أنباؤها لسماع الإمبراطور تيطس حتى أسرع إليها سنة ٧٠ م فأخذها ودمر الهيكل تدميراً وخرب مدينة أورشليم .

ولما أعاد اليهود الكرة ثانية بثورة أشد من الأولى دخلت جحافل الجيش الروماني أرض فلسطين سنة ١٣٥ م ، ودمروا القدس تدميراً كاملاً ، وأجلوا اليهود بكاملهم عن أرض فلسطين إلى الأجزاء النائية من الإمبراطورية الرومانية ، وهكذا فإن صلة اليهود الرسمية بفلسطين انتهت في عام ١٣٥ م ولم يعد لها وجود طوال السنوات الألف والثمانمائة وست عشرة التي تلت . ويذكر Will Durant «دول ديورانت» في موسوعته The Story of Civilization «قصة الحضارة» أنه في سنة ٣٦١ م صرح الإمبراطور جوليان لليهود بإعادة بناء الهيكل من مال الإمبراطورية - والهيكل في نظر اليهود إلى جانب الذكرى المقدسة عبر القرون عن أمجاد مملكة سليمان وداود فإنه رمز لرضا الله عنهم وحمايته لهم - وساندهم الإمبراطور جوليان لتشبيد الهيكل الذي سبق تخريبه وتدميره في عهد الإمبراطور تيطس سنة ٧٠ م ، وفي سنة ١٣٥ م ، كما ساندهم كورش ملك فارس من قبل الذي صرح لهم بالعودة إلى فلسطين وشجعهم على إعادة بناء الهيكل الذي خربه الملك نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م .

وما إن بدأوا يحفرون الأرض لوضع حجر الأساس في نشوة وفرح ليوم كانوا يحلمون به ، حتى تبدد فرحهم وتبدل بحزن وأسى ، إذ خرج من باطن الأرض لهيب نار أحرق العمال القاعين بالعمل ، إلا أنهم عادوا إلى العمل من

(٢) مرقس ١٣ : ٢ .

(١) متى ٢٣ : ٢٨ .

جديد فعادت هذه الظاهرة مرة أخرى ، فأوقفت العمل وثبتت همة
القائمين بالمشروع .

وخرج المسيحيون في غبطة وسرور ، إذ بدا لهم أن الله غير راض عن
إعادة بناء الهيكل ، وعجب اليهود من هذا وحزنوا له .

وفي هذا يقول العزيز الحكيم : « ولا يحسبن الذين كفروا إنما على لهم
خير لأنفسهم ، إنما على لهم ليزدادوا إيما ولهم عذاب مهين » (١) .

لكن اليهود في عنجهيتهم وتفاخرهم بعنصرتهم وتساميمهم بتعاليمهم على
الجنس البشري كافة - الأمر الذي يبرأ منه الله ذو الجلال والإكرام -
قد انطوا على أنفسهم في مجتمع له نهجه في الحياة ، وتحاملوا على
البشرية في حقد وكرهية فانقلبوا شراً على المجتمع ، وتحول المجتمع ليدراً عن
نفسه هذا الشر بطردهم أو استئصال شأقتهم من الوجود كما حاول ذلك أدولف
هتلر عاهل ألمانيا السابق . وهؤلاء بنزعتهم هذه صدق فيهم قوله تعالى : « بثما
اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من
يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب » (٢) .

فمارعوا للإنسانية حقوقاً ، ولا للأنبياء والرسل قدسية وعصمة ، حتى
أن نبهم إيليا استغاث بالله قائلاً : « تركوا عهدك ونقضوا ميثابك ، وقتلوا
أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي ، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها » (٣) .

وتؤكد الأناجيل الأربعة على لسان يحيى بن زكريا ، والمسيح عيسى بن
مريم لبدانتهم بالقول : « أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة
جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبه فمنهم تقتلون وتصلبون .

(١) آل عمران : ١٧٨ . (٢) البقرة : ٩٠ . (٣) مل ١٩ : ١٠ .

ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة؛ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هايل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح» (١).

ومات جوليان حاميمهم، وبموته تشقت اليهود في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية وسجل هذه الأحداث المؤرخ «جيروم» Jerome (٢): «إن أهل فلسطين من اليهود كانوا لا يزيدون على عشر ما كانوا عليه من قبل». وهذا تأييد لنبوءة إشعيا: «وتخرب الأرض وتقفّر، ويبعد الرب الإنسان، ويكثر الحراب في وسط البلاد. وإن بقي فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب» (٣).

ولم يأت عام ٤٢٥ م حتى ألغى ثيودسيوس الثاني الحاخامية الفلسطينية، وفي عام ٦١٤ م تخلت فلسطين عن زعامة العالم اليهودي.

منظمة الأمم المتحدة خالقة إسرائيل:

لقد ولدت إسرائيل عام ١٩٤٧ بقرار اتخذته منظمة الأمم المتحدة، وكانت مدة المؤامرة من ١٨٩٧ إلى ١٩٤٧ أي نصف قرن بدأت بالمؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧. الذي حددت فيه الحركة الصهيونية أهدافها بأنها «إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين، يؤمنه القانون العام».

وقد كانت هذه الحركة منذ نشأتها حركة هرمية بدأت من فوق إلى تحت. فقد قام بها نفر من قادة اليهود الغربيين، وعلى رأسهم ثيودور هيرتزل. مؤلف كتاب «الدولة اليهودية» ولا يعدو عمل هؤلاء القادة أن يكون انتهاكاً لأسلوب الحق والعدالة لإيجاد المبررات للاستعمار الغربي لكي يسيطر

(١) متى ٢٣ : ٣٣ - ٣٥، متى ٣ : ٧ - ٩، لوقا ١١ : ٤٧ - ٥٠، يوحنا

٤٤ - ٤٧. (٢) Baron 1, 261.

(٣) لمت ٦ : ١١ - ١٣.

على منطقة الشرق العربي ، ذات الموقع الاستراتيجي الهام ، والثروات الطبيعية الهائلة .

الرحلة الصهيونية تجبو الى اعتبار الدول العظمى :

ونحن نلمس هذا المعنى في الاتصالات التمهيدية التي قام بها ثيودور هيرتزل من أجل كسب المؤيدين لمشروعه :

فقد اتصل ببسمارك ، وبعم قيصر ألمانيا وليم الثاني ، كما قابل في فلسطين سنة ١٨٩٨ القيصر نفسه ، وكان في جميع هذه المقابلات يؤكد أن الدولة المقترحة ستكون دولة نموذجية وجسراً يربط بين الغرب والشرق ، ونقطة إشعاع للحضارة الغربية . ولم تستطع ألمانيا القيصرية أن تستجيب لطلب هيرتزل ، لأنها كانت على يقين من أن تأييد مثل هذا المشروع يجب أن يسبقه انتصارها على بريطانيا المنافسة لها في المنطقة . وهكذا أخذت تعد عدتها لخوض الحرب ضدها ، فكانت الحرب العالمية الأولى .

وأخذ ثيودور هيرتزل يبحث عن دولة أخرى تحتضنه وتحميه فاتجه بأنظاره إلى بريطانيا ، واتصل بوزير المستعمرات تشمبرلن ، ودار الحديث حول إقامة هذه الدولة في صحراء سيناء بالمنطقة المحيطة بالعريش . وقد أكد هيرتزل لتشمبرلن بأن دولتهم ستخدم المصالح البريطانية في المنطقة فقد كتب إليه يقول :

« حينما يجيء الوقت الذي نعيش فيه تحت ظل العلم البريطاني في العريش فإن فلسطين بدورها ستقع في فلكه » .

ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح ، فاتجه زعماء الصهيونية عام ١٩٠٣ إلى روسيا ، وعرضوا خدماتهم عليها ، فلم يجدوا عندها الاستجابة الكافية لمخططهم .

وهكذا كان على زعماء الصهيونية أن ينتظروا حتى الحرب العالمية الأولى، وتهيات لهم الفرصة للتحدث عن مشروعهم الذي لقي من بريطانيا ترحيباً حاراً لأنه يحقق لها ما تريد في المنطقة، فمثل هذه الدولة لن تكون سوى أداة في يدها .

ويؤكد هذا الترابط الوثيق بين الصهيونية والإمبريالية رسالة بعث بها حاييم وايزمن زعيم الصهيونية بعد هيرتزل ، إلى صحفي مقرب من الحكومة البريطانية ورد فيها ما يلي : « نستطيع القول بصدق أنه إذا سقطت فلسطين في فلك النفوذ البريطاني ، وإذا ما شجعت بريطانيا إقامة اليهود فيها ، فإنه سيصبح فيها بعد خمس وعشرين سنة أو ثلاثين سنة مليون يهودي أو أكثر ، وسوف يكون هؤلاء خير دفاع فعلى لقناة السويس » .

وفي الثاني من نوفمبر « تشرين الثاني » عام ١٩١٧ ، صدر بيان الحكومة البريطانية على صورة رسالة موجبة من آرثر بلפור الوزير البريطاني إلى روتشيلد الزعيم الصهيوني وهو بيان يعلن فيه : « أن حكومة جلالاته تنظر بعين المظف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » ، وهو بيان متناقض مع الوعود التي قطعها بريطانيا على نفسها للعرب .

وانتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء على تركيا وألمانيا واقتسام الحلفاء للولايات العثمانية ، وكانت الاتفاقات والمعاهدات فالانتداب البريطاني على فلسطين بعد تفتيت الشام إلى الإسكندرونة ولبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن .

وخلال الفترة الواقعة بين ١٩٢٢ و ١٩٣٩ صدرت أربعة « كتب بيبضاء » عن المسألة الفلسطينية على التوالي سنة ١٩٢٢ ، سنة ١٩٣٠ ، سنة ١٩٣٧ وأخيراً سنة ١٩٣٩ والأخير منها أهمها إذ بدا فيه أن بريطانيا قد غيرت

من سياستها تحت ضغط كفاح الشعب الفلسطيني . فهو يسلم بقيام دولة فلسطينية عربية في المستقبل ، ويتخلى عن فكرة إقامة وطن قومي يهودى فيها .

ولكن بريطانيا إزاء نهجها سياسة الصواب والتعقل إحتقافا للحق لم تمد للصهيونية فارس أحلامها ، وفي هذه الأثناء برزت الولايات المتحدة لتأخذ صولجان السيادة العالمية ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية . وللولايات المتحدة الأمريكية فى منطقتنا مطامع : فالمنطقة العربية تقع جنوب المعسكر الاشتراكي الأوروبي ، بالإضافة إلى أنها تحتوى على ثلثى احتياطي البترول فى العالم .

ويؤكد مطامع الولايات المتحدة فى المنطقة العربية ما كشفته الأيام مما ذكرته صحيفة Daily Express البريطانية فى مقال لها فى أول ديسمبر سنة ١٩٦٧ من أن حكومة الولايات المتحدة تفضل أن تظل قناة السويس مغلقة وأنها أبلغت بلغاريا بهذه الرغبة .

وقالت الصحيفة إن ذلك يرجع إلى سببين رئيسيين :

الأول : أن قناة السويس هى الطريق الطبيعى لمرور السفن السوفيتية التى تحمل الأسلحة إلى فيتنام .

والثانى : أنه طبقا للتفكير الأمريكى فإن إغلاق القناة يسد طريق الاتحاد السوفيتى إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ووضح من هذا أن الولايات المتحدة تريد من وراء تحريضها لإسرائيل وتشجيعها لها بالعدوان على الدول العربية ، السيطرة الاحتكارية على القارة الأوروبية من ناحية وإغلاق قناة السويس فى وجه التجارة مع آسيا وإفريقيا من ناحية أخرى .

وقد أوضحت صحيفة تريبون دى ناسيون الفرنسية ، أن الولايات المتحدة

الأمريكية بالاشتراك مع إسرائيل قد تمسكت لأول مرة في التاريخ من سجن أوروبا في البحر الأبيض المتوسط ، ومنع الطرق المؤدية إلى الشرق الأقصى عنها وقطع مواصلاتها مع جزر الهند والمحيط الهندي خاصة وأن ما يقرب من ٨٠٪ من البترول الذي تستورده أوروبا يأتي عادة عن طريق البحر الأبيض المتوسط .

فإذا كانت وزارة الزراعة الأمريكية قد ذكرت بمد هذا كله أن أزمة الشرق الأوسط أثرت تأثيراً كبيراً على اقتصاد إفريقيا ومنطقة غرب آسيا وأن إغلاق قناة السويس منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ قد غير بصورة خطيرة من طرق التجارة لكثير من دول آسيا وإفريقيا فقد كان واجبا عليها أن تضيف إلى ذلك أن السبب الرئيسي في هذا هو اشتراك الاحتكارات الأمريكية في المؤامرة ضد المصالح الحقيقية للشعوب لخدمة المصالح الإمبريالية العالمية وحليفها إسرائيل .

وكان زعماء الصهيونية يدركون هذا التحول في الزعامة من بريطانيا إلى أمريكا . فقد كتب بن جوريون في عام ١٩٤٠ : « أما أنا فلم أكن أشك في أن مركز الثقل ، بالنسبة لعملنا السياسي ، كان قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة التي كانت قد احتلت المرتبة الأولى في العالم » .

واشنطن تحمي إسرائيل وتؤيدها :

وقد تبنت أمريكا أحلام الصهيونية بحماسة واندفاع لا نظير لهما ؛ فكتب حاييم وايزمن في كتابه « مولد إسرائيل » يصف مقابله للرئيس الأمريكي روزفلت عام ١٩٤٢ ، قائلاً : « كان موقف الرئيس روزفلت إيجابياً للغاية . . . وقد عبر عن اعتقاده بأن أمريكا على استعداد للإسهام في إقامة الوطن القومي اليهودي ... » .

ونشأت المنظمة الصهيونية الأمريكية فأصدرت «برنامج بلتيمور» الذي أصبح برنامج الصهيونية العالمية ، وهو برنامج ينص على إقامة دولة يهودية في فلسطين كلها ، وبناء جيش يهودي ، ورفض الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وتيسير الهجرة إلى فلسطين دون حدود أو قيود .

وهكذا أصبح صهاينة فلسطين وصهاينة أمريكا هم المسيطرين على الحركة الصهيونية ، وقد بدأ هذا واضحا في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ، الذي عقد في عام ١٩٤٧ .

وأخيراً رضخت بريطانيا للضغوط الأمريكية ، وأحالت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة ، التي أقرت في شهر نوفمبر «تشرين الثاني» سنة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وقد اعترف حاييم وايزمن بالدور الهام الذي لعبته أمريكا في قيام إسرائيل ، وذلك في رسالة بعث بها إلى ترومان في ١٣ مايو «أيار» ١٩٤٨ وفيها يقول : «إن الدور القيادي الذي قامت به الحكومة الأمريكية بوحى منكم ، جعل من الممكن إقامة دولة يهودية» .

ومنذ قيام إسرائيل في ١٥ مايو «أيار» ١٩٤٨ ، وهي تعتمد اعتماداً تاماً على الولايات المتحدة الأمريكية ، فيقول جورج فريدمان ، الكاتب المعروف بميوله الصهيونية في كتابه «هل ينتهي الشعب اليهودي ؟» : «يجب على إسرائيل أن تحصل سنوياً على ما يقرب من ٣٥٠ مليون دولار من الإيرادات الخارجية حتى تتمكن من موازنة ميزانيتها في حدودها الرهنة» .

والسؤال كيف استطاعت إسرائيل أن تحمي نفسها وأن تظل قائمة ؟ لم يكن قيام إسرائيل إلا بفضل المساعدات الأمريكية التي تدفقت على إسرائيل منذ ١٩٤٨ أمطاراً غزيرة من الذهب ، وهذه المساعدات أنواع :

١ - فهناك القروض التي تمنحها الحكومة الأمريكية لإسرائيل ...

٢ - وهناك الأموال التي تبرع بها الجاليات اليهودية في أمريكا ونحوها إلى إسرائيل كتبرعات خيرية معفاة من الضرائب .

٣ - وكذلك المساعدات الفنية .

٤ - وقائض المواد الغذائية .

٥ - وما يباع في الولايات المتحدة الأمريكية من سندات القرض الإسرائيلي التي اشترت منها الحكومة الأمريكية وحدها بما قيمته ٦٥ مليون دولار .

٦ - وقد تلقت إسرائيل في السنة الأولى من قيامها مساعدات أمريكية تبلغ ٤٥٠ مليون دولار .

٧ - وبلغ مجموع المساعدات الاقتصادية التي تلقتها إسرائيل ما بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٥ ماقيمته ٦٠٠٠ مليون دولار عدا مساعدات الجاليات اليهودية .

٨ - واشترى الرأسماليون الأمريكيون اثنتي عشرة مؤسسة كبرى في إسرائيل .

٩ - ومنذ شهر يونيو « حزيران » ١٩٦٧ ازدادت المساعدات الأمريكية لإسرائيل ، فجمع مبلغ ٤٧٥ مليون دولار « لتعويض نفقات إسرائيل الناجمة عن العمليات العسكرية في يونيو ١٩٦٧ ضد مصر » .

١٠ - وفي التاسع من شهر أغسطس « آب » ١٩٦٧ عقد أصحاب الملايين من الصهاينة اجتماعاً في القدس ، للبحث في الوسائل الكفيلة بمنع « انهيار الاقتصاد الإسرائيلي » ووضعوا تحت تصرف إسرائيل الملايين من الدولارات .

١١ - وليس المال هو الوسيلة الوحيدة التي تلجأ إليها أمريكا لتأمين بقاء إسرائيل . فهناك المساعدات العسكرية التي بلغت ذروتها عام ١٩٦٧ تمهيداً للقانون : ففي خلال الفترة من شهر مارس إلى شهر مايو سنة ١٩٦٧

حصلت إسرائيل على أكثر من ٤٠٠ دبابة حديثة الصنع ، ٢٥٠ طائرة جديدة ، وصواريخ تطلق من الأرض للجو من طراز « هوك » وكميات ضخمة من العتاد الحربي اللازم للقوات البرية .

١٢ - وتعاونت أجهزة الاستخبارات الأمريكية مع إسرائيل ، وأمدتها بالمعلومات السياسية والعسكرية اللازمة لها .

١٣ - وكذلك فإن الأسطول السادس موجود في البحر الأبيض المتوسط لحماية شواطئ إسرائيل ، وتهديد الشواطئ العربية .

وقد نشرت الصحف الأمريكية تصريحاً لرئيس وزراء إسرائيل ليفي أشكول جاء فيه أن الحكومة الأمريكية قالت له : « لا تنفقوا أموالكم هدرًا ، فنحن موجودون .. والأسطول السادس موجود أيضاً » .

ولم تتدخل الحكومة الأمريكية عن إسرائيل حتى في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن ، بعد عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ على الدول العربية . كل هذا يقودنا إلى حقيقة واضحة وهي أنه لم يكن بالإمكان أن تبقى إسرائيل لولا المساعدات الأمريكية الضخمة .

الاركان الثلاثة التي تقوم عليها اسرائيل :

فإذا تركنا هذا إلى النظر في تركيب إسرائيل الداخلي وجدنا أنها تقوم على ثلاثة أركان :

(١) العنصرية .

(٢) والعنف والإرهاب .

(٣) والتوسع .

١ - والعنصرية العنصرية هي الأساس الذي تقوم عليه المقيدة الصهيونية .

وهذه العنصرية تؤدي إلى القول ببقاء السلالة اليهودية وتفوقها . ويقول هيرتزل في كتابه « الدولة اليهودية » : « إن الفضل الأول والأخير للحفاظ على اليهود كشعب واحد ، وجنس واحد نقي خالص ، يرجع إلى قوانين الزواج التي كانت حجر عثرة في تداخل السلالات » .

ولو عاد هيرتزل إلى التوراة لانقلبت نظريته رأساً على عقب ولفطن إلى أن شعب إسرائيل قد ذاب في الأمم منذ القدم إذ قرر رؤساء إسرائيل أمام عزرا قائلين : « لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين ، والحثيين ، والفرزيين ، واليبوسيين ، والعمونيين ، والموآبيين ، والمصريين ، والأموريين . لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيتهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولاً » (١) .

٢ — ومما يؤسف له أنهم بعدوا عن الحق وعصبوا أعينهم عن الحقيقة ، وهذه العصبية هي التي تدفع وتحفز الصهيونية إلى التخلص من العناصر غير المرغوب فيها بوسائل شرسة وحشية ، تبرأ منها التوراة ، وجاء بها حاخاماتهم في التلمود .

وقد لجأت الصهيونية إلى العنف والإرهاب لطرده العرب من فلسطين فكانت المذابح الكثيرة التي منها مذبح دير ياسين في ٩ أبريل « نيسان » سنة ١٩٤٨ التي سقط فيها ٢٥٠ صريعاً ضحية الإرهاب الصهيوني من

رجال ونساء ، وأطفال وشيب ، من مجموع سكان القرية الذين يبلغ عددهم نحو أربعائة نسمة .

كما حدث مثل هذا في قرية أبو غوش في سبتمبر « أيلول » سنة ١٩٥٣ وقرية كفر قاسم في أكتوبر « تشرين أول » ١٩٥٦ وفي عكا في يونيو « حزيران » ١٩٦٥ .

وما حدث في كفر قاسم يستحق أن يروى ، فبعد أن احتلت القوات الإسرائيلية القرية ، فرضت نظام منع التجول ، ثم تضدت للمزارعين العابدين من حقولهم ، وهؤلاء لا علم لهم بما جرى ، فقتلت منهم في دقائق واحداً وخمسين وجرحت ثلاثة عشر .

واليوم يتعرض العرب في المناطق المحتلة لشتى أنواع القمع والإرهاب ونسف المنازل ، بحجة أنهم يساندون كفاح الفدائيين الفلسطينيين .

٣ - أما الدعامة الثالثة فهي التوسع الدائم منذ قيامها .

فمن خطاب ابن جوريون لطلبة الجامعة العبرية والمعاهد العليا في مسهل العام الدراوى سنة ١٩٥٠ : « إن هذه الخريطة - يعنى خريطة إسرائيل - ليست خريطة دولتنا ، بل إن لنا خريطة أخرى عليكم أنتم مسئولية تصميمها ، وهى خريطة الوطن الإسرائيلى الممتد من النيل إلى الفرات . فليفهم الجميع أن إسرائيل قد قامت بالحرب وأنها لن تقنع بحدودها ، وأن الامبراطورية الإسرائيالية سوف تمتد من النيل إلى الفرات » .

وفي ١٢ ، ١٣ من يونيو ١٩٥١ علقت صحيفة « الجيروزايم بوست » على أهداف الأحزاب ومواقفها السياسية فقالت : « إن حزب الماباى اليسارى يعمل من أجل ضم جميع أراضى فلسطين إلى إسرائيل . . . وكذلك فإن تحالف

حيروت — الإصلاحيين اليميني يعمل من أجل تحرير فلسطين ضمن حدودها التاريخية .

وقال مناحم بيجن في ١٢ أكتوبر ١٩٥٥ : « إنني أومن بشدة بشن حرب ضد الدول العربية دون تردد ، فهذه الحرب نستطيع تحقيق هدفين :

١ — القضاء على القوة العربية .

٢ — توسيع أراضينا » .

وصرح مناحم بيجن رئيس حزب حيروت وهو يخاطب في مؤتمر المحاربين القداماء يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥ : « إن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب ، وإن لم نبادر بمهاجمتهم في عقر دارهم ونحطم قوتهم الحربية سبقونا هم إلى تحطيم إسرائيل . . . فعليكم يقع واجب المحافظة على الوطن وتوسيع حدوده » .

وصرح كذلك في مؤتمر صحفي بواشنطن في ١٩ مايو ١٩٥٧ : « إن الأردن يمكن تمزيقها في يوم واحد ، وإن على إسرائيل أن تضمها كلها بكل الوسائل العسكرية إذا تطلب الأمر ذلك ، وإنها جزء لا يتجزأ من وطن الشعب اليهودي . . . » ، وقال : « إن توحيد إسرائيل هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين العرب وللسلام في الشرق الأوسط » .

ويصرح فلاديمير جابو تنسكي رئيس الحزب الإصلاحي في مؤتمر المحاربين القداماء في ٢ سبتمبر ١٩٥٥ : « سنطرد العرب من فلسطين وشرق الأردن ، وسنقذف بهم إلى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتي الأردن أولاً ثم نمتد بها إلى ما وراء حدود فلسطين » .

الأحزاب الإسرائيلية ووحدة الهدف :

ورغم وجود أربعة عشر تشكيلا سياسياً في إسرائيل ، فإن كل الأحزاب أعضاء في الوكالة اليهودية ، التي تقوم بتنسيق جميع قوى الصهيونية في العالم ، والوكالة اليهودية هي التي تمثل القيادة السياسية الحقيقية في إسرائيل .
وما برمج الأحزاب المتراوحة بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ، سوى دعاوى لا حقيقة لها .

ومن أهم الأحزاب السياسية الإسرائيلية ما يلي :

١ - حزب « مااباي » :

وجميع رؤساء الوزارة في إسرائيل منه .

فقد تولى الرئاسة ثلاثة هم : بن جوريون لمدة ١٣ سنة ، وموسى شاريت لمدة سنتين ، وليفي أشكول منذ سنة ١٩٦٣ وكلهم من الماباي .

ويدعى هذا الحزب أنه يساري اشتراكي ، ومع هذا نجد أنه حليف لكل استعمار : فقد أيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وتعاون مع بريطانيا وفرنسا في الاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ وبناصر أمريكا في حربها ضد فيتنام ، ويحتل هذا الحزب مع منظمة قريبة منه تدعى «أهدوت ها عافودا» ٥٤ مقعداً في البرلمان الإسرائيلي الذي يبلغ مجموع المقاعد فيه ١٢٠ مقعداً .

٢ - حزب « ماابام » :

ويدعى أنه أكثر اشتراكية من حزب مااباي ، وأنه يناصر مبدأ التعايش السلمي بين مختلف الطبقات ، ولكنه في الحقيقة ليس أقل صهيونية من جميع الأحزاب الإسرائيلية الأخرى : فقد أيد بحماسة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر ، ونظم المظاهرات مطالبا بضم قطاع غزة إلى إسرائيل .

٣ - حزب « رافى » :

أما حزب رافى فيستحق أن نقف عنده وقفة أطول ، فهو حزب جديد نجم عن الانشقاق الذى حدث فى صفوف « ماپاي » وقادة هذا الحزب هم بن جوريون ، وموشى ديان ، وسيمون بيرنز ، وهو حزب يمثل الصهيونية الأكثر تصلباً وتشدداً ، ويؤمن بمحتمية الحرب ضد الدول العربية .

ولهذا فهو ينادى دوماً بضرورة شن هجوم عسكري على الدول العربية قبل أن تتقوى ، وبإعطاء الأولوية لشراء الأسلحة الحديثة .

ويعتمد هذا الحزب فى قوته على الجيش الذى له فيه شعبية طاغية ، وعلى الجيل الجديد الذى ولد فى إسرائيل . وفى هذا أدلى موشى ديان بحديث للبرنامج العربى للإذاعة الإسرائيلية فى فبراير ١٩٥٢ ، جاء فيه : « إن مهمة الاستعداد للحرب تقع على عاتق الشعب ، ومهمة القتال لتحقيق إقامة الإمبراطورية الإسرائيلية تقع على عاتق الجيش » .

وقد اكتسب حزب « رافى » فى السنوات الأخيرة تأييداً أكثر من ذى قبل ، بسبب المشاكل الاقتصادية ، والبطالة المتزايدة فى إسرائيل ، مما جعل سياسته الداعية إلى التوسع تبدو هى السياسة الصالحة إذا أريد لإسرائيل البقاء .

وهناك حزبان يمثلان الدوائر الدينية وهما أغودات إسرائيل ، ومزراحي .

٤ - حزب اغودات إسرائيل :

وهو ضد النزعة الصهيونية فى العودة إلى فلسطين تحت أسنة الرماح ، ويقرر « اغودات إسرائيل » أن أية محاولة للقيام بمجهود إنسانى بغية العودة إلى أرض فلسطين لن تكون أكثر من تبحن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ، ولا يقبل به الرب .

٥ - حزب مزراحي :

ويختلف مع أغودات إسرائيل في وجهات النظر فيرى أن الاعتماد عن أى عمل سياسى لإعادة اليهود إلى أرض فلسطين لا وجود لما يسنده سنداً أكيداً فى المعتقد اليهودى .

وبهذا أضحى مزراحي مضاداً للرأى المتأصل فى عقول أتقياء اليهود ومنهم أغودات إسرائيل .

بهذا الاتجاه ظهرت الصهيونية وظهر دعواتها والمتحمسون لها مستندين إلى ما كان يمارسه اليهود بين سنتى ٥٣٨ ق . م ، و ١٣٥ م وهى الفترة التى كان يثور فيها اليهود مراراً وتكراراً عندما يدعوهم إلى ذلك مواطنوهم المتعاقبون من جماعات « تيوداس » و « جوداس » بعد أن رحبوا بالمحرر اللايهودى « كورش ملك فارس » ، وكانت ثوراتهم تهدف إلى تحقيق أمل موعود ، هو إعادة بعث الحياة فى مملكة داود الخاملة ، وعن طريق قوة السلاح اليهودى .

وظل الأمل يراود إسرائيل منذ إخضاع ثورة « بار كوكيبه » سنة ١٣٥ م حتى ابتداء الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧ م . وظلوا فى إصرارهم على أن عودتهم إلى فلسطين وقف على « يهوه القدير » الذى سيقوم بنفسه بهذا العمل دون أن يكون لشعبه المختار أية مبادرة فى ذلك .

اصرار الامة العربية على النضال ضد اسرائيل :

لقد صرح السيد محمود رياض فى مؤتمر صحفى عقده فى كوبنهاجن ٣ يوليو ١٩٦٨ بقوله : « إن الدول العربية المحيطة بإسرائيل سبق أن وقعت اتفاقية هدنة معها عام ١٩٤٩ ، وقد تنكرت إسرائيل لهذه الاتفاقية ، وأعلنت عام ١٩٥٦ انتهاءها لخدمة أهدافها التوسعية . وقامت فعلاً باحتلال منطقة العوجة . وأعلن بن جوربون رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت أن

اتفاقية الهدنة أصبحت لاغية ودفنت ، وأعلن أيضاً ضم سيناء إلى إسرائيل .

« وفي عام ١٩٤٩ وقعت إسرائيل على بروتوكول لوزان الذي يستهدف حل مشكلة اللاجئين ، إلا أن إسرائيل رفضت تنفيذ البروتوكول بعد دخولها الأمم المتحدة .

« إن إسرائيل تعلن على الدوام رفضها لكافة القرارات التي تتخذها الأمم المتحدة ، ويؤكد هذه الحقيقة تصريحات المسؤولين الإسرائيليين الذين أعلنوا ضم الأراضي العربية إليهم متحدين في ذلك القرارات المتتالية التي صدرت في الجمعية العامة وفي مجلس الأمن .

« من كل هذه الحقائق يتضح أن المفاوضات مع إسرائيل أو توقيع اتفاق معها معناها الاستسلام لإرادة إسرائيل وليس معناها السلام الذي نفهمه ، وتريده دول العالم من الشرق الأوسط . ونحن من جانبنا نريد السلام ولكننا نرفض الاستسلام بشدة .

« إن الأمن الذي تريده إسرائيل هو ضمان أمنها للقيام بعدوان جديد ، ونحن لا نقبل بأي حال التنازل عن شبر واحد من الأراضي العربية » .

ثم أضاف رداً على أحد الصحفيين عن مفهوم الحل السياسي فقال : « إنه هو الحل الذي ينبثق من احترام جميع الدول لميثاق الأمم المتحدة ، وقرار مجلس الأمن ، وهو القرار الذي ترفضه إسرائيل » .

وإسرائيل ليست موضع ثقة ، حتى تطمئن إليها الدول ، وقد قال الدكتور فوزي في عام ١٩٥١ أمام مجلس الأمن : « إن بيان المندوب الإسرائيلي عن السلام قد سبق أن علق عليه إذ قال : « إن السلام ليس مجرد أقوال ، وإنما

هو أفعال لا أقوال» ، والسلام لا يكون في مطاردة مليون إنسان ، وإخراجهم من بلادهم ، وحرمانهم من بيوتهم ، وأسباب عيشتهم ، وإنكار أبسط الحقوق الإنسانية عليهم .

« هذه هي التجربة الحقيقية للسلام . ففي الحياة التي يعيشها المليون من اللاجئين العرب أكثر من مليون دليل يظهر بطلان الزعم الذي تدعيه إسرائيل عن السلام » .

الباب الأول

الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الأوسط

١ — شبه جزيرة سيناء

شبه جزيرة سيناء وهجرة الآباء عليهم صلوات الله :

لشبه جزيرة سيناء موقع جغرافي خطير يجعلها بمثابة حلقة الوصل بين أكثر بلاد الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط ، وتزداد قيمتها وتنقص تبعاً لحاجة كل قطر أو علاقته بها .

فمن شعوب تلك الأقاليم من كان يتصل بها قاصداً إليها . ومنها من كان يتصل بها ليعبرها مشرقاً أو مغرباً .

وتقع شبه جزيرة سيناء بين ذراعى البحر الأحمر إلى الشرق من دلتا النيل ، ثم إلى الشمال الغربى من شبه جزيرة العرب ، وإلى الغرب والجنوب الغربى من شرق الأردن وفلسطين وسوريا .

فشبه جزيرة سيناء كانت بذلك معبراً بين الجنوب الغربى لقارة آسيا والشمال الشرقى لقارة إفريقيا وإلى الغرب منها دلتا النيل وهى معروفة بخصبها .

وبهذا فإن شبه الجزيرة تشكل صمام أمن للحدود المصرية فمنها يعبر المغيرون لغزو مصر ، وفيها باب المدخل الشرقى إلى وادى النيل ، ثم محطة تستريح بها قوافل التجار الفينيقيين فى ترددهم بين مدائن الساحل الفينيقي وشمال أفريقيا الغربى . ومصر منذ القديم اشتهرت بغناها وبوفرة الثلال التى كانت تفيض عن حاجة سكانها ، فتحملها القوافل إلى بلاد الشرق وعلى الأخص إلى أرض الكنعانيين . وكان القحط يشتد بأرض كنعان « الشام » فيجئ رجالها إلى مصر يمتارون لأنفسهم وأهلهم . وحوادث مجيئهم إلى مصر قد سجلتها التوراة وسجاتها الآثار المصرية الفرعونية .

(م — ٤ اسرائيل فتنة)

ففي إبان حكم الأسرة الثانية عشرة ٢٠٠٠ ق. م - ١٧٨٥ ق. م .
وفد على مصر الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم صلوات الله
يمتارون لأنفسهم .

وتسجل التوراة وفادة إبراهيم : « وحدث جوع في الأرض فأنحدر
أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً » (١) ، وعن
إسحق : « وكان في الأرض جوع غير الجوع الذي كان في أيام إبراهيم » (٢) .
وعن يعقوب الذي « سكن في أرض غربة أبيه في أرض كنعان » (٣) « لما رأى
يعقوب أنه يوجد قمح في مصر قال يعقوب لبنيه إني سمعت أنه يوجد قمح في
مصر . انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت » (٤) .

وقد سبق أن وفد إلى مصر يوسف الصديق : « وأما يوسف فأنزل
إلى مصر » (٥) فأعطاه الله نعمة في عيني فرعون وجعله وزيراً له يدبر
شئون الدولة . وفي هذه الفترة « أتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين
أتوا لأن الجوع كان في أرض كنعان . وكان يوسف هو المسلط على الأرض
وهو البائع لكل شعب الأرض » (٦) . « وكان الجوع شديداً في
الأرض » (٧) ، فارتحل يعقوب من أرض كنعان « وجاءوا إلى مصر
يعقوب وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر » (٨) ،
« وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان وتملكوا فيها »

(٢) تك ٢٦ : ١ .

(٤) تك ٤٢ : ١ ، ٢ .

(٦) تك ٤٢ : ٥ ، ٦ .

(٨) تك ٤٦ : ٥ - ٧ .

(١) تك ١٢ : ١٠ .

(٣) تك ٣٧ : ١ .

(٥) تك ٣٩ : ١ .

(٧) تك ٤٣ : ١ - ١٥ .

وأتمروا وكثروا جداً» (٢).

وصورت قوافلهم في قبر أمير من حكام الإقليم السادس عشر « بنى حسن » وعبروا منها في ركاب يوسف حينما حملوا جثث يعقوب ليدفنوه في مغارة حقل المكفيلة ، وتسجل التوراة هذا الحدث بقولها : « فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله . وأمر يوسف عبديه الأطباء أن يحنطوا أباه ، فحنط الأطباء إسرائيل ، وكل له أربعون يوماً ، لأنه هكذا تكمل أيام الحنطين ، وبكى عليه المصريون سبعين يوماً . . . حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر في عنرون الحثي أمام ممرا . . . ثم رجع يوسف إلى مصر واخوته وجميع الذين صنعوا معه لدفن أبيه بعد ما دفن أباه . ولما رأى اخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا : لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا الشر الذي صنعناه . . . فقال لهم يوسف : لا تخافوا . لأنه هل أنا مكان الله . أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم ليحيى شعباً كثيراً . فالآن لا تخافوا . أنا أعولكم وأولادكم فعزاهم وطيب قلوبهم . وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه وعاش يوسف مائة وعشر . . . سنين ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضع في تابوت في مصر » (٢).

والقصة تؤكد أن إسرائيل نزل مصر ضيقاً بسبب الجوع الذي كان في الأرض وظلوا بمصر حتى رحلوا منها في ركاب موسى عليه السلام : « فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر » (٣) « وارتحل بنو إسرائيل من رعسيس إلى سكوت » (٤) .

(٢) تك ٥٠ : ١ - ٢٦ .

(٤) خر ١٢ : ٣٧ .

(١) تك ٤٧ : ٢٧ .

(٣) خر ٢ : ١٥ .

وقد ظل بنو إسرائيل في ضيافة مصر حوالي ٤٣٠ سنة « وأما إقامة بنى إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعاً وثلاثين سنة » (١) عاصروا فيها نهاية الأسرة الثالثة عشرة حتى عصر رمسيس الثاني ١٢٩٨ — ١٢٣٢ ق. م. وكان رحيلهم من مصر هروبا « فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم . جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الخيوط أمام بعل صفون » (٢). وبالتالي فإن شبه جزيرة سيناء كانت معمورة منذ فجر التاريخ البعيد بأقوام ألفوا فيها حياة الاستقرار. ومن المرجح أن بنى إسرائيل كانوا يراعون أنعامهم في ذلك المكان من شرق الدلتا المعروف بأرض « جاسان » المنتشرة حول مدينة رمسيس المعروفة .

وتشتهر سيناء بمناجمها الفنية التي استغلها المصريون وطمعت فيها بابل وأشور ، وأشارت البحوث إلى أن التماثيل المصنوعة من الديورنت والتي عثر عليها في جنوب بابل إنما قُدت من صخور سيناء .

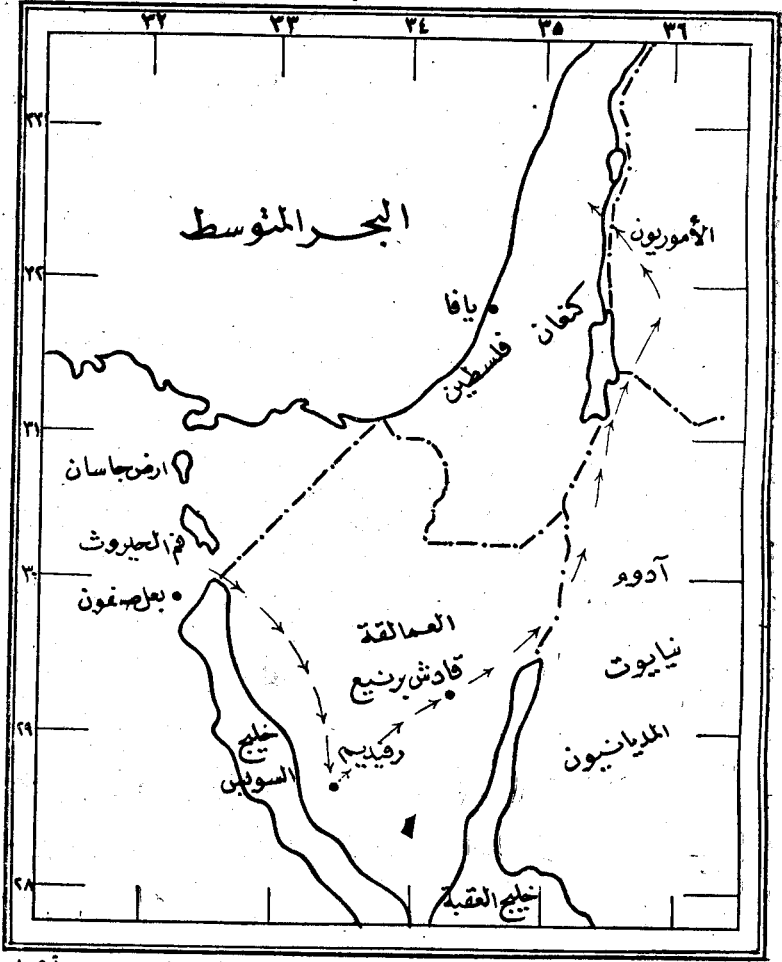
وسيناء كانت ملتقى الحضارة والعرفان فقد كانت مركزاً يلتقى فيه المصريون والبابليون والأشوريون منذ أقدم العصور، ولعل ذلك اللقاء كان له أكبر الأثر في تشابه الحضارات المختلفة التي قامت في كل وادي النيل ووادي ما بين النهرين (الفرات ودجلة) .

شبه جزيرة سيناء والدين :

ولعل في اسم شبه جزيرة سيناء ، ما يشير إلى اتصالها بتلك الشعوب السامية الشرقية ، لأن اسمها في الغالب متصل باسم إله القمر « سين » معبود الساميين

(١) خر ١٢ : ٤٠ . (٢) خر ١٤ : ٩ .

طوره شرق جرينيشك



الجزيرة سنة ١٤٨١ م تقريباً
في عهد محمد بن عبد العزيز
١٤٦٨ - ١٤٩٨

المعروف ، فهو قد عرف وقدس بهذا الاسم في « بابل » وبلاد « ما بين
النهرين » وأخيراً في جنوب بلاد العرب .
وفي شبه جزيرة سيناء قدس المصريون معبودتهم « حاتحور » وجعلوها
ربة للمناجم التي استغلوها في صخور سيناء .

وفيهما قدست الشعوب السامية وفي مقدمتها شعوب ما بين النهرين معبودهم « سين » وكان إله القمر ، وقد كان من المعبودات الشهيرة وكان معبده العظيم في « أور »^(١) وكان الملوك يفاخرون بالانتساب إليه .

ثم لعبت شبه جزيرة سيناء دورها مرة أخرى في الحياة الدينية ، فإليها خرج موسى هارباً من وجه فرعون^(٢) وظهر له الله : « فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه ، وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم ، وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم »^(٣) وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل . وقصة ظهور الله لموسى تستحق وقفة قصيرة ، فإن موسى كان قد عرف « يهوه » ذلك المعبود الذى عرفته كنعان ، وجعلته رمزاً للهواء والبرق والرعد . فظهر له الله « وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تَحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تَحترق العليقة ؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى . فقال : ها أنذا . فقال : لا تقترب إلى هاهنا . اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة »^(٤) .

هنالك في مدين لقي موسى ربه الذى ناداه من جانب الطور الأيمن ثم بعث به إلى فرعون : « وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا العلى آتيتكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاه

(١) أور : هي المدينة التي خرج منها إبراهيم طاعة وإيماناً واحتساباً لله « فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك » تكوين ١١ : ٣١ .

(٢) خروج ٢ : ١١ - ١٥ . (٣) خر ٣ : ١٤ ، ١٥ .

(٤) خر ٣ : ١ - ٥ .

نودى يا موسى . إني أنا ربك فاخضع لتعليمك إنك بالواد المقدس طوى « (١) .
فلما أصفى موسى إلى ربه حملة بالرسالة قائلا : « وأنا اخترتك فاستمع
لما يوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكركى » (٢) .

وعن طريق شبه جزيرة سيناء أخذت المعبودات المصرية طريقها إلى ربوع
الشرق فقدّست « حاتحور » فى « بيلوص » وانتشرت عبادة « آمون » على
ساحل فينيقيا منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة ، ومن قبل اتصلت عبادة
« أوزيريس » بوادى النيل — بوادى الأرز فى غاب لبنان . واتصلت الحياة
الدينية وطقوس الجنائز عند المصريين بمحاصيل لبنان .

وعن طريق شبه جزيرة سيناء عرفت المعبودات السامية طريقها إلى مصر
فدخلها « بعل » فى ركاب الهكسوس فى الفترة التى ضعفت فيها الأسرة
الفرعونية من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة من
١٧٣٠ ق . م . — ١٥٨٠ ق . م .

ودخل بعضها مع أسرى الحرب من الكنعانيين مثل معبودهم « حورون »
وكان يعبد على هيئة الصقر ، فساواوا بينه وبين صاحب صنم « أبى الهول »
القائم فى صحراء الجزيرة .

وتأثر المصريون من أهل العصور المتأخرة فى تسمية معبودهم باسم
« حورون » هذا الذى عكف الكنعانيون على عبادته فى مصر وحرف الاسم
أخيرا إلى « بوصول » ثم إلى « بوهول » حتى وصل إلى التسمية المعروفة
« أبو الهول » .

وكان الفينيقيون الذين يحملون بشبه جزيرة سيناء للراحة والاستجمام

(٢) طه : ١٣ ، ١٤ .

(١) طه : ٩ - ١٢ .

قد رأوا في صخورها من الصور والرسوم الهيروغليفية ما راعهم وأعجبهم فأخذوا بها يهذبونها ويربعون إشاراتها ، حتى خرجوا من ذلك بالحروف الأبجدية التي أذاعوها فيما عرفوا من أقطار الدنيا حتى عمت العالم المعروف يومئذ من حول بحر الروم ، وظهر أثرها الخطير في تقدم العلم وخدمة الإنسانية وستظل كذلك إلى أبد الأبدین .

شبه جزيرة سيناء والشمون السامسية :

تجرى العلاقات بين مصر وأقاليم الشرق في طريق ودي لا تكاد تعدو أمور التجارة ، ولسنا نستبعد أن بعض المصريين كانوا يقيمون في تلك البلاد للتجارة أزمانا تختلف طولا وقصرا ، خصوصا في بعض مدن الساحل الفينيقي مثل « جيبييل » وهي « بيلوص » . وفي حديث « سنوحى » ما يشير إلى كثرة تردد المصريين على البلاد السورية ، وظواهر الأمور كلها تدل على أن العلاقات بين مصر وجيرانها قد كانت على أحسن ما يرام من الود والصفاء ، وتستقر الأمور في أيام سنوسرت الثانى ١٩٠٦ ق . م — ١٨٨٨ ق . م . وتتمتع البلاد في أيامه بقسط وافر من الرخاء وينتشر السلام على ربوع الأرض فتأخذ بعض قبائل الشرق في الهجرة إلى مصر رجاء الإفادة من خيرها والتمتع بما أفاء الله على أهلها من رزق ، بل يمتاز عصر « سنوسرت الثانى » بحسن العلاقات بين مصر والأقاليم الآسيوية ، وليس أدل على ذلك من تسجيل منظر الوافدين من قبائل الكنعانيين إلى مصر على صفحات قبر أمير من أمراء إقليم الوعل « بنى حسن » يدعى « خنوم حتب الثانى » (١) .

(١) سجلت مناظر الوفد الكنعانى على جدران قبر « خنوم حتب » حاكم إقليم الوعل وقد بلغ عدد أفرادها ٣٧ سبعة وثلاثين من ذكر وأنثى بملابسهم المزرکشة ولحى رجالها المرسله يتقدمهم « ايشاى » حاكم البلاد الأجنبية . ولعل في اسم « ايشاى » رنيناً عبرياً مما يدل على أن القبيلة كانت من الكنعانيين ، وقد حاول المؤرخون من علماء الآثار أن يربطوا بين هذه الرسوم وقدم إبراهيم إلى مصر ، أو مقدم يعقوب إلى مصر . ورجح Weigall =

ولعل من الطريف بهذه المناسبة أن نذكر أن بعض علماء الآثار قد ظنوا أن تلك الصور التي سجلها «خنوم حتب» المذكور تمثل مجيء يعقوب من كنعان مع آل بيته إلى مصر، عندما جاءوا إليها في أعقاب النبي يوسف الصديق الذي اشتهرت قصته بين أحاديث التاريخ الإسرائيلي. «وأما يوسف فأنزل إلى مصر» (١)، غير أنه ثبت بعد ذلك أن تلك الصورة لا تكاد تتفق مع ما جاء في التوراة عن وفود الإسماعيليين «وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصرى من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك»، (٢) والإسرائيليين «فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لجمه، وأخذوا مواشيهم ومقتناتهم الذي اقتنوا في أرض كنعان وجاءوا إلى مصر. يعقوب وكل نسله معه. بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر» (٣)، سواء في أيام إبراهيم «وحدث جوع في الأرض. فأنحدر أبرام إلى مصر ليتقرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً» (٤)، أو في أيام يوسف بن يعقوب (٥).

— أن مجيء إبراهيم إلى مصر كان في زمان فرعون مصر امنمحات الأول ٢٠٠٠ ق. م. —
١٩٧٠ ق. م. في عصر الأسرة الثانية عشرة، Weigall, History of The pharaos, Vol. II, p. 40. لكن التاريخ لا يكاد يقدم برهاناً ثابتاً على صحة ما ذهب إليه Weigall حتى يتبين أن «امرافيل» الذي حاربه إبراهيم من أجل ابن أخيه لوط «تكوين ١٤: ١-١٦» قد كان في أيام «حورابي» البابلي الذي عاش حوالي ١٩٤٠ ق. م. مما يحتمل أن مجيء إبراهيم إلى مصر في أيام سنوسرت الأول ١٩٧٠ ق. م. — ١٩٣٦ ق. م. —
Smith Sidney : The Early history of Assyria p.p. 70 — 71 .

(٢) تك ١: ٣٩

(٤) تك ١٠: ١٢

(١) تكوين ١: ٣٩

(٣) تك ٤٦: ٥-٧

(٥) تك ٤٦: ٥-٧

شبه جزيرة سيناء والمعارك الحربية :

ولم تقتصر أهمية سيناء على ما قدمنا ، بل لعبت دورا هاما في تاريخ الحرب في مختلف الأزمنة ، فهي قد شهدت إغارات البدو على حدود مصر الشرقية ، وشهدت بعثات فرعون العسكرية منذ أيام الأسرات الأولى لضرب أولئك البدو من أهل شبه الجزيرة وما حولها . ولما تقدمت الأيام بمصر واتسعت آفاق فرعون السياسية جعل المصريون من شبه جزيرة سيناء مرقبا يحرسون عنده حدود الوادي ويزودون عن حياضه ويدبرون أمر تأمينها من شر المفيرين .

ولم تسكد حرب الاستقلال على يد « أعح موسى » أحسن الأول تنتهى إلى ما انتهت إليه من طرد الهكسوس وزوال سلطانهم من عالم الوجود حتى نهضت مصر نهضتها المعروفة أيام الأسرة « الثامنة عشر » ١٥٨٠ — ١٤٥٠ ق.م . ويمتاز من فراعنة هذه الأسرة « أعح موسى » ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق.م ، « وجحوتى مس » الثالث ١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق.م . ولبعض الملوك من أمثال تحتمس الأول والثالث ، وأمينوفيس الثانى فى ميادين الشرق صولات وجولات .

ولقد وضع الميثاق « أن الجمهورية العربية المتحدة ، بالتاريخ وبالواقع ، هى الدولة العربية الوحيدة فى الظروف الحالية ، التى تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية الصهيونية » .

ففى عهد تحتمس الثالث فرعون مصر — وكان التاريخ يعيد نفسه — يقين لنا أن أحوال الشرق كانت مفسكة وكانت نيران الفتنة يندلع لهيبها فى كل

الأقاليم حتى غمرتها الاضطرابات وزلزلات من حولها الأرض . ولم يكن لأصحابها يومئذ من زعيم تجتمع عليه قلوبهم أو ينتهى إليه أمرهم ، وإنما ابتلاهم الزمن بالانقسام والفرقة حتى اختل ميزان الأمور ، وغمرتهم أمواج الفتن فضلوا الطريق ، وجعلتهم السياسة الهوجاء أحزاباً مختلفة ، فكنت ترى في كل بقعة من بقاع الشرق العربى انقساماً بين أمراء الشرق ، قد شجبت الفتنة زعامتهم وغدا الناس يومئذ لا يبالون بحجة العقل أو وحى الضمير فما يعرفون للتفاهم لغة غير لغة الحرب ، فباتوا يتكلمون باللسنة السيوف والحراب وباتت المنايا ترهبس بالناس .

وإذا تحتمس الثالث ينطلق بين نيران الفتن والحروب فيبلغ زعامته عن طريق الجهاد المتتابع والسهر المتصل ، واستطاع بعد جهود جبارة أن يجعل من أولئك الجفأة المشتتين في أقاليم الشرق ومدائنه وقراه عصابة ووحدة متماسكة الأجزاء متساندة القوى لا ينازعها في حوض البحر من الجنوب منازع .

ومع ذلك فلم يكن تحتمس الثالث قائداً مستبداً برأيه ، وإنما أثبت للتاريخ أنه كان صاحب مشورة ، لم يشأ أن يسلك طريقه إلى « مجدو » إلا بعد أن شاور أمراء جنده ، ولم يبعث بعساكره إلى ميادين الحرب يصلون نارها من دونه أو يقذف بهم في الصحراء ، وشعاب الجبال ، وأوديتها الموحشة الوعرة . ليستمرى وحده ظل النعمة ، ولم يكن همه أن يبعث بجنوده إلى أقاليم الأرض ليكسب النصر ويفنم السلامة ، ويظل وحده في حصنه . وإنما كان يخرج في الطليمة ويطلق باكورة السهام ، ويعرض صدره لنبال العدو ، ويعير القدر حجمته مؤمناً بالفوز ، واثقاً من النصر في إبانته ، ولم تكن المغامرة وحدها هي التي هيأت له كل ذلك ، ومهدت له طريق الزعامة ، ولكنها الرجولة الكاملة والخلق العظيم ، والعبقرية النادرة ، والشخصية القوية . كانت حروبه متصلة

وكان يفامر رغم سنه المتقدمة ، وفي ذلك ما يدل على طبيعة عجيبة قل أن توجد في الرجال وشجاعة فائقة قل أن تحلى بمثلها ملوك الدهر . لكأنما يحرص على الموت فتوهب له الحياة .

ومصر التي أُنجبت تَحْتَمَس الثالث هي هي منذ القدم واليوم وإلى الأبد ستظل رائدة التحرير وأمل الشعوب الآسيوية الأفريقية .

شبه جزيرة سيناء والدول التي تعاقبت عليها :

ولما حكم البطالمة مصر بعد وفاة الإسكندر المقدوني كانت نظرهم إلى الشرق أشبه بنظرة الفراعنة إليه في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

وطوت الأيام دولة البطالمة ثم أكلت من ورائه سلطان الرومان . وفي القرن السابع الميلادي بزغ الإسلام وتلاّأُ بروعته في سماء الوجود فساق المسلمون جيوشهم إلى مصر فدخلوها عبر سيناء عند منتصف القرن السابع الميلادي .

وظلت شبه جزيرة سيناء ، تشهد حركات الجيوش من وراء ذلك ، أيام الحروب الصليبية ، وعلى عهد دولة المماليك ، وفي زمن دولة الأتراك العثمانيين ثم ملحمة الفرنسيين عند أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، حينما حاول نابليون بوناپرت أن يبعث إمبراطورية فرعون تحت راية فرنسا فساق جيوشه إلى الشام عبر سيناء ، وتنسكرت الأيام للفرنسيين في الشرق الأوسط ، إذ تصدى لهم جندي ألباني ، وما استوى على عرش مصر حتى رمى ببصره نحو الشرق ، إنه محمد علي والى مصر الذي نشر الجند فوق رمال سيناء يسوقهم من نصر على الوهابيين في شبه جزيرة العرب إلى نصر على الإمبراطورية العثمانية والاستيلاء على ولاياتها بالشام ، ويظل جيشه المتمرّد على الساطن يتقدم حتى يدرك بلاد الأناضول .

ثم تستقر به الحال ويمنح مصر وراثة لأبنائه بالتتابع ، ويأتي حكام ضعاف ،

وتتحرك المطامع الاستعمارية الفرنسية بكسب حقوق وامتيازات حفر قناة السويس، وتناهب إنجلترا للتربص بالفرنسيين وتطمع في الاستحواذ على مصر، وتجمل من قبرص نقطة انطلاق لوادى النيل حتى كان لها ما أرادت من السيطرة على مصر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

شبه جزيرة سيناء ودير سانت كاترين :

لم يكن هذا الدير يحمل اسم « سانت كاترين » عندما أنشئ ، وإنما كان يعرف باسم « دير السيدة العذراء » ولم يطلق عليه اسمه الحالى إلا فى القرن التاسع الميلادى .

والقديسة كاترين هى شهيدة من شهداء المسيحية (١) .

استراتيجية دير سانت كاترين :

وما أكثر ما اتجهت أنظار العالم إلى جبل سيناء حيث هذا الدير بقاريجه الطويل الذى يرجع إلى ٥٤٥ م ، وآثاره الفنية والمعمارية البيزنطية ، ومكتبته التى تضم إنجيلا من أقدم الأناجيل الأربعة المعروفة ، وكنيسته الكبرى ، والمسجد الصغير المقام فيه .

وما أكثر ما اهتمت جامعات العالم ومنها جامعة الإسكندرية ، وجامعتا ميتشجان وبرنستون الأمريكيتان وجامعة أكسفورد البريطانية ، بدراسة هذا الأثر الحى من آثار المسيحية الأولى .

وترجع أهميته إلى وقوعه فى المكان الذى كلم الله فيه نبيه موسى .

وما أكثر ما زحفت إليه البعثات العلمية ووفود السياح عابرين ما يزيد على ٤٤ كيلو مترا من القاهرة إلى جنوب صحراء سيناء ، عند نقطة تقع شمال

(١) القديسة كاترين لها قصة بطولية فى الإيمان بالله ومدى استمساكها به حتى الاستشهاد قد وردت فى كتاب السنكسار وكتب التاريخ الكنسية .

البحر الأحمر تماما بين خليج العقبة شرقا وخليج السويس غربا ، تحدها سلسلة من الجبال التي يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتتفاوت درجة الحرارة فيها بين ٣٢ ، ٢٧ درجة مئوية .

ويصعد الإنسان إلى الدير بنحو ثلاثة آلاف درجة تحتها الرهبان على مس العصور في الجبل ، ليصل بعد هذا كله إلى منطقة غنية بالماء والزرع .

لقد بنى هذا الدير — على الأرجح — الإمبراطور الروماني جوستنيان ٥٢٧ — ٥٦٥ ليكون ملجأ للرهبان الهاريين بمقيدهم من بطش الأباطرة والحكام ، والراغبين في الانقطاع والوحدة . والإمبراطور جوستنيان من ألمع أباطرة الدولة الرومانية ، ومن أكثرهم جرأة وحباً للفنون المعمارية .

وقد أقيم الدير على شكل قلعة منيعة حصينة ليصد غزو قبائل البدو ، يحيط به سور شبه مربع الشكل إذ تبلغ أطوال أضلعه ١١٧ × ٨٠ × ٧٠ × ٧٦ مترا ويتراوح ارتفاعه بين ١٢ ، ١٥ مترا ويبلغ سمكه مترين وخمسة وعشرين سنتيمترا ، والسور مبني بأحجار الجرانيت المقطوعة من محاجر قريبة ، وفي أعلاه أبراج بها مدافع أثرية قديمة يقال إنها وضعت في عهد السلطان العثماني سليم الأول . وكانت للسور بوابة عريضة لكنها استبدل بها ثلاثة أبواب ضيقة لحماية الدير من الغارات الخارجية .

ويضم الدير كنيسة كبرى هي كنيسة «الخلاص» وهي مبنية بالجرانيت ، وكنيسة صغرى ، وعددا من الكنائس الصغيرة ، وهي ذات نقوش تاريخية — دينية بالقياس .

وفي داخل الدير مسجد صغير يقع غربى الكنيسة وهو مبني بالطوب ومن أهم ما فيه من آثار مقعد ومنبر . وعلى المقعد نقش اسم بانى المسجد وهو على بن الأفضل وزير «الحاكم بأمر الله» الخليفة الفاطمي السابع .

وفي الدير مكتبة تاريخية تضم ما يقرب من ثلاثة آلاف كتاب ، بخلاف المخطوطات التاريخية القيمة التي يرجع تاريخها إلى نحو ١٥٠٠ سنة مضت ، وهي بالعربية والصينية والقبطية واللاتينية ، كما تضم الكثير من الكتب الدينية الموشاة بالذهب والفضة .

وفي الدير عدد كبير من الأيقونات يقدر بنحو ٥ آلاف أيقونة ، وهي أكبر مجموعة من الأيقونات الموجودة حتى الآن . ومعظمها أيقونات من رسم فنانيين من الروس .

ويتجلى فيها فن المدرسة البيزنطية وتطوره ، كما لا يتجلى في أية آثار أخرى . وقد نجت هذه الأيقونات من التدمير بما يشبه المعجزة . ففي نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع تقريبا وقع نزاع حول مسألة الأيقونات في المسيحية ، فأصدر الإمبراطور أمرا بتدمير جميع هذه الآثار الدينية .

وبالصدفة الجغرافية كان دير سانت كاترين يقع في أرض إسلامية لا تمتد سلطة الإمبراطور إليها . وكان الرهبان في الدير على علاقة طيبة بالحكام المسلمين ، ومن هنا استطاعوا أن يتجاهلوا الأمر المتعلق بتدمير مجموعتهم من الأيقونات ، التي هي اليوم موضع الدراسة العلمية في جامعة الإسكندرية وجامعات العالم الأخرى .

القيمة السياسية لدير سانت كاترين بالنسبة لجمهورية العربية المتحدة :

هذه هي ثروتنا الدينية لأبناء الأمة المسيحيين الذين قال الله عنهم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (١) .

(١) المائدة : ٨٢ .

بل إن هذا التراث الديني الخالد قد يأتي بالمعجزات إذا استطعنا تقويمه
تقويمياً علمياً فتتوثق عرى المودة بين الشرق والغرب. وفي الفترة من ٢٤ سبتمبر
«أيلول» ١٩٦٦ احتفل دير سانت كاترين، في جبل سيناء، بمرور ١٤ قرناً
على إنشائه، وأقيم قداس ديني كبير برئاسة الأسقف مكاريوس، رئيس
جمهورية قبرص، حضره الملك قسطنطين، ملك اليونان، والمطارنة والأساقفة
الذين جاءوا للمشاركة في هذه الاحتفالات ممثلين لكنائس الروم الأرثوذكس
في جميع أنحاء العالم. وقام الملك قسطنطين والأسقف مكاريوس بزيارة معالم
الدير الأثرية ومنها المذبح الذي أقامته الملكة هيلانة والكنيسة المسماة كنيسة
العليقة المشتعلة - أو كما تسمى معبد العليقة المشتعلة - وهذا المعبد بنفته الملكة
هيلانة سنة ٣٣٢ ميلادية في المكان نفسه الذي سمع فيه النبي موسى صوت
ربه يكلمه، يوم رأى شجرة ملتهبة تصعد منها النار.. أي أن المعبد بنى قبل
دير سانت كاترين بـ ٢١٣ سنة. وشجرة العليقة الملهبة التي رآها موسى
فوق الجبل والتي نقلها الرهبان على بعد ثلاثة أمتار خلف المعبد حتى لا تموت
من شجر التوت، وهي لا تنمر أبداً ولم يصل بعد خبراء النبات إلى معرفة
أصلها رغم الأبحاث التي أجريت عنها. ولا تزال الشجرة موجودة حتى اليوم
وبجوارها شجرة النبي هارون التي نبتت في عصاه التي زرعتها في هذه المنطقة
فتحولت إلى شجرة وارفة الظل. ويقول الرهبان إن شجرة موسى كلما مالت
إلى السكبر أخذنا منها فرعاً وزرعناه في المكان نفسه... وهكذا أمكن
الإبقاء عليها أكثر من ثلاثة آلاف سنة منذ أن رأى النبي موسى هذه الشجرة
والنيران المشتعلة فيها.

وأمام معبد العليقة لا تزال بئر موسى التي شرب منها يوم وصل إلى
سيناء ويستعملها الدير في كافة لوازمه. والقصة وردت في التوراة ويحكىها

الرهبان أنه عندما وصل النبي موسى إلى البئرهاربا من مطاردة فرعون وجد جماعة من الشبان يعاكسون فتاتين ترعيان الغنم فطرد موسى الشبان ومكن الفتاتين من أن تسقيا الغنم وتعودا بسرعة إلى دارهما . . وفي الدار حكى « صفورة » لأبيها - وكان كاهن المنطقة - ما حدث فطلب إليها أن تدعو الغريب إلى الدار فذهب وتزوج موسى « صفورة » وعاش هناك ٤٠ عاما مع زوجته قبل أن يكلمه ربه ويطلب إليه العودة إلى مصر (١) .

شبه جزيرة سيناء وقناة السويس :

ترجع فكرة اتصال البحرين المتوسط والأحمر إلى أيام قدماء المصريين ، إذ قام بعض ملوكهم بحفر قناة توصل النيل بالبحر الأحمر ، فكانت السفن تسير أولا من البحر المتوسط في فرع النيل حتى تصل إلى مدينة منف ، ثم تسير في تلك القناة حتى البحر الأحمر ، وبالعكس ، وكثيرا ما ردمت الرمال تلك القناة ، فكان الفراغة يحدون حفرها وتطهيرها .

وقد جدها البطالمة ، واستخدمها العرب وأطلقوا عليها اسم خليج أمير المؤمنين ، ثم ردمت بعد ذلك .

ولما غزا الفرنسيون مصر سنة ١٧٩٨ م اهتموا بدراسة مشروع حفر قناة توصل بين البحرين المتوسط والأحمر ، ولكن البحوث التي أجريت يومئذ انتهت إلى أن مستوى مياه البحر الأبيض المتوسط أعلى من مستوى البحر الأحمر .

(١) انظر ما جاء في سفر الخروج ٢ : ١١ - ٢٥ . كذلك وردت القصة في القرآن الكريم انظر سورة القصص الآيات ٢٣ - ٢٥ .
(م - ه اسرائيل فتنة)

ولم يثن مهندسو الفرنسيين عن دراسة المشروع حتى أثبتت بحوث جديدة إمكان حفر القناة ، وعرضوا المشروع على محمد علي الوالي العثماني على مصر وقتئذ ، إلا أنه خشى أن تكون القناة سببا من أسباب مطامع الاستعمار في مصر التي يعتبرها ملكا له وميراثا لأولاده من بعده ، وبناء على هذه الهواجس رفض تنفيذ المشروع .

وظل مهندسو الفرنسيين يترصدون للوقت المناسب حتى كان حكم سعيد سنة ١٨٥٤ فانتهز « فرديناند ديلبس » صداقته لسعيد باشا وعرض عليه المشروع عرضا فيه إغراء ، مبينا له الفوائد التي ستعود على مصر منه . فوافق سعيد وأعطاه إذنا بالحفر بشروط مجحفة للحقوق المصرية منها :

١ - أن تكون مدة استغلال الشركة للقناة ٩٩ سنة تصير بعدها القناة ملكا للحكومة المصرية .

٢ - أن تلتزم مصر بتقديم ٣ العمال الإلزامين للحفر بالسخرة .

٣ - أن يكون نصيب مصر ١٥٪ من صافي الأرباح .

٤ - أن يعفى ما تستورده الشركة من معدات وأدوات من الرسوم الجركية .

٥ - أن تحفر ترعة عذبة تروى ما تمر به من أراض نظير أجر معين . ويتضح وضوحا بينا من هذه الشروط مدى الظلم الفادح الذي وقع على مصر بسبب غفلة وبلاهة سعيد باشا الوالي العثماني على مصر وضياع حقوق مصر منها :

١ - طول المدة حوالى قرن من الزمان فى استغلال القناة .

٢ - استخدام السخرة لتقديم ٣ العمال المطلوبين للحفر .

- ٣ - ضالة نصيب مصر من الأرباح نظير استغلال القناة للملاحة .
- ٤ - ضياع رسوم جمركية على ما تستورده الشركة على الدولة .
- ٥ - التحكم في أصحاب الأراضي التي تمر بها التربة العذبة .

تنفيذ مشروع قناة السويس وتحريك المطامع الامبريالية :

عارضت إنجلترا مشروع القناة ، إذ وجدت فيه خطراً يهدد مصالحها في الهند والشرق ، ولذا طلبت من السلطان التركي عدم الموافقة ، ولكن ديلبس تغلب على كافة الصعوبات ، بفضل مساعدة فرنسا ، ووافق السلطان التركي ، وتم حفر القناة بأيدي المصريين الذين سخروا لتنفيذ هذا المشروع بالقوة بدون أجر ، ومات عدد كبير منهم .

ثم فتح باب المساهمة في شركة قناة السويس فأقبل الفرنسيون على شراء أسهمها ، واشترى سعيد باشا ما تبقى دون بيع .

ولما مات سعيد باشا سنة ١٨٦٣ ، وتولى إسماعيل ، عادت إنجلترا فأوعزت لتركيا بإثارة الموضوع وبيان ما أصاب مصر من ظلم ، ولذلك اعترض إسماعيل على الشروط القديمة وطلب تعديلها فمدلت مقابل دفع مصر مبلغ ٣٦٠٠٠٠ ر ٣٦٠٠٠ جنيه تعويضا للشركة ، وواصلت الشركة عملها ، وفي نوفمبر سنة ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس للملاحة ، في احتفال عظيم حضره ملوك أوروبا وعظماؤها ، وأنفق فيه الخديو إسماعيل ما يزيد عن مليون جنيه . ولما ساءت الحالة المالية ، بسبب الإسراف ، باع إسماعيل نصيب مصر في الأسهم لإنجلترا ، وبذلك أصبحت لإنجلترا مصلحة مباشرة في القناة فأخذت تتدخل في شؤون مصر حتى احتلتها سنة ١٨٨٢ .

وظلت الشركة تستغل القناة دون أن تفيد مصر منها فائدة تذكر، وكانت إنجلترا تتخذ منها سببا لاستمرار احتلالها لمصر، ولم تتنازل عن وضع قوات لحمايتها إلا بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وعقد معاهدة الجلاء سنة ١٩٥٤ .

التدخل الأجنبي :

حكم خلفاء محمد علي مصر حكما استبداديا ، وأنفقوا أموالها فيما لم يعد على البلاد فائدة تذكر ، واستدانوا من الأجانب عشرات الملايين من الجنيهات ، مما أدى إلى التدخل الأجنبي في مصر بحجة المحافظة على أموالهم ، وسرعان ما تحول هذا التدخل المالى إلى تدخل سياسى فى شؤون البلاد .

القناة . . والثورة . . والعدوان الثلاثى :

أدرك الرئيس جمال عبد الناصر أهمية قناة السويس وما سيعود على مصر من الناحية المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية إذا صارت القناة لمصر وحدها . ولذلك أعلن فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ تأميم قناة السويس وكانت الإرادة القوية والتصميم على استرداد أملاك الدولة للدولة ، مما مكن هيئة قناة السويس المنبثقة من الثورة من إدخال تحسينات بالقناة من توسيع ضفتيها وتعميق قاعها حتى كان ذلك من أسباب زيادة الدخل . ومصر التى تقف من الحقوق الإنسانية موقف العدالة والرحمة قد تعهدت للدول المساهمة فى شركة قناة السويس المنحلة بأن تدفع لهم ثمن أسهمهم . وبشرت مصر سيادتها واستقلالها للمرفق كمورد مالى يغذى المشروعات الصناعية الكبرى كالسد العالى جنوبي أسوان .

لكن تأميم القناة أغضب الاستعمار مما جعل إنجلترا وفرنسا تخططان مع إسرائيل لعدوان انتقامى على مصر . وخلال سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥٦ قامت إسرائيل بعملية تمويه هدفت من ورأها إلى تحويل الأنظار عن استعداداتها للقيام بهجوم كبير فشنت أربع غارات « انتقامية » عبر الحدود ،

ووقعت أكبر غارة من هذه الغارات المسلحة في العاشر من أكتوبر على ق
في المملكة الأردنية ، حيث أحصى مراقبو هيئة الأمم فيما بعد ٤٨ قتيلا عربيا

وكانت تعبئة إسرائيل العسكرية قد أمست على نطاق واسع إلى درجة لم
يعد في الإمكان إبقاؤها على السكمان فما كان من الرئيس أيزنهاور إلا أن
وجه تحذيرا قويا إلى رئيس وزراء إسرائيل ، بن جوريون ، ووعد بتقديم
المساعدة إلى ضحية العدوان في الشرق الأوسط كأننا ما كان الضحية .

وأجاب أبا إيبان على هذا التحذير بقوله : « إن إسرائيل لن تبدأ أية
حرب » ، وفي اليوم التالي (١) لتصريح سفير إسرائيل في الولايات المتحدة قامت
إسرائيل بفرز شبه جزيرة سيناء بحجة أنها حرب وقائية لصد هجوم منتظر
تقوم به مصر .

لقد قذفت إسرائيل بقوات تتألف من ٣٠ ألف رجل مزودين بالمصفحات ،
وسيارات الجيب ، يحميهم غطاء جوي من قاذفات القنابل ميستير ، فعبرت هذه
القوات شبه جزيرة سيناء كلها وأخذت سبيلها إلى قناة السويس مباشرة .

انجلترا وفرنسا تدخلان المعركة لمساندة إسرائيل :

وفي ٣١ أكتوبر عند الفجر ، بدأت إنجلترا وفرنسا بحيش يبلغ عدد
أفراده خمسين ألف رجل (٢) غزو مصر جوا وبحرا : بالطائرات ورجال
المظلات ، والأساطيل البحرية والقوات البرية التي كانت قد حشدت سرا على
قدم الاستعداد في جزيرة قبرص .

وفي فترة قصيرة استولت إسرائيل على قطاع غزة ، وعلى شبه جزيرة

(١) ١٩٥٦/١٠/٢٩ . (٢) نقلا عن مجلة تايم الصادرة في ١٩٥٦/١١/٢٠

سيناء بكاملها . وكعادتها بعد كل هجوم صاعق كانت تقوم به على ناحية من نواحي خط الهدنة واستيلائها على كسب إقليمي ما ، وافقت إسرائيل على طلب هيئة الأمم المتحدة القاضي بوقف إطلاق النار ، متجنبة بذلك انتقام المصريين . وبعد أن أتمت بريطانيا وفرنسا تحطيمهما للمطارات المصرية واستيلاءهما على الجزء الشمالي من قناة السويس وافقتا أيضا على وقف إطلاق النار .

وكان وضع مصر الدال على عدم الاستعداد قد كشف أوضح ما يكون الكشف أنها لم تكن تدبر أى هجوم وشيك أو منتظر ضد إسرائيل .

صلافة إسرائيل ووقاحتها والانسجام التام بين الجلفاء :

وأعلن رئيس وزراء إسرائيل « بن جوريون » أن خطوط الهدنة المرسومة عام ١٩٤٩ قد أمست « ميتة » وادعى ملكية إسرائيل لشبه جزيرة سيناء كلها البالغة مساحتها الواسعة ٢٣ ألف ميل مربع .

وطلب رئيس الوزارة البريطانية « إيدن » — لكيلا تتفوق عليه دولة صغيرة مثل إسرائيل — أن تراجع مصر مائة ميل عن حدودها المصرية — الإسرائيلية ، وأن تترك حماية قناة السويس لبريطانيا وفرنسا .

أمريكا وروسيا في المعركة :

ولكن سرعان ما تلقى ذلك الانسجام — في تعاقب سريع — ضربتين قاضيتين ، وكانت الضربة الأولى مروعة حقا فقد وجهت روسيا إنذارا صريحا إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بضرورة الانسحاب في الحال من مصر وإفائها سترسل جيشا متطوعا لنجدة مصر^(١) ، وأيدت الصين الشعبية روسيا في موقفها بأنها ستسمح لـ ٢٥٠ ألف متطوع لنجدة مصر .

(١) نقلا عن مجلة تايم في ١٢/١١/١٩٥٦ .

أما الضربة الثانية فعلى الرغم من أنها كانت أخف ، فقد كانت أحفل
بالخزي والعار .

لقد كان موعد الهجوم قد اختير في براعة ، بحيث يقع قبيل انتخابات
الرئاسة الأمريكية مباشرة في نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

وكانت نظرة إيدن تذهب إلى أن الرئيس أيزنهاور سوف يلتزم الصمت
تجاه عدوان إسرائيل ، خشية أن يخسر أصوات اليهود الأمريكيين في
الانتخابات ، وأنه سوف يواصل التزام الصمت تجاه العدوان البريطاني الفرنسي
خشية أن يخسر حلفاءه في حلف الأطلسي « الناتو » .

ولسكن إيدن أخطأ في تقديره هذا ، ذلك أن الرئيس أيزنهاور لم يسارع
في غير ما تردد ، وقبل الانتخابات ، إلى إدانة إسرائيل فحسب ، بل سارع إلى
إدانة بريطانيا وفرنسا أيضا وأوضح بما لا يحتمل اللبس أن تزويد الولايات
المتحدة لدول حلف الأطلسي بالأسلحة والبتترول لم يكن يقصد به المساعدة على
العدوان في الشرق الأوسط .

وكان أيزنهاور صريحا إلى أبعد الحدود أيضا ، في تحذير روسيا من
التدخل . وإنما كان ذلك وليد الخوف الذي سيطر على أمريكا وعلى تفكير
كل من أعضاء الوفود الدولية من تدخل روسيا في الشرق الأوسط ، حتى أن
هيئة الأمم المتحدة أصدرت أوامرها إلى المعتدين الثلاثة بالانسحاب من مصر
في الحال .

وهناك عامل ثالث لم يحسب له المتآمرون حسابا ذلك هو قوة العرب
بقيادة الرئيس المفدى جمال عبد الناصر ، فقد وقفوا جميعا وقفة قوية أجبرت إيدن

على التخاذل والانسحاب، وحين أصرت الولايات المتحدة في طلبها إلى إسرائيل أن تنسحب من سيناء، وعندما اضطرت إسرائيل آخر الأمر، على كره منها إلى قبول ذلك، طلبت جولدا ماير وزيرة خارجية إسرائيل أن تنتزع سيناء من مصر، وأن تجعل منطقة محايدة.

العدو يلتزم بمخططاته ويتابعها :

إن إسرائيل تستند على زعم روحى في حقها في منطقة من نهر الفرات إلى نهر النيل قد وعد الله بها إبراهيم عليه السلام إذ جاء في التوراة « أن الله قطع مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (١).

ومن هذا الميثاق نظموا نشيداً وطنياً تتناقله الأجيال وهو :

نعود للوطن
وطننا إسرائيل
إنه الآن صغير
ولسكنه سيكبر ويتوسع
وسنبنيه بأيدينا هذه
من النيل إلى الفرات

ولهذا فإن تعبئة إسرائيل للعدوان على الدول العربية إنما هي تعبئة روحية دينية وعلمية ذات مخطط على مستوى دولي .

ونحن العرب المعتدى علينا والمفتري علينا ، وبلادنا فلسطين السليبية ، معنا البرهان الساطع والدليل القاطع أن وعد الله لإبراهيم إنما هو لنا والأرض

الموعودة هي لنا : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (١). ويؤكد ذلك تنابع الرسالات السماوية تحقيماً لقوله: « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، فأتبعته اليهودية بالنصرانية ، وانتهى المطاف بالإسلام دين الله الخنيف ، وساد الإسلام سيادة روحية وسياسية على الشرق من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي . وتكفل الله الأمة الإسلامية — مهما عانت من هزيمة — بالنصر « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » فصبراً والنصر قريب للأمة العربية . وجاءت سنة ١٩٦٧ لتكشف أن أمريكا تقف وراء إسرائيل على طول الخط ولا ترى غير وجهة النظر الإسرائيلية حتى وإن كانت بالعدوان على الدول العربية .

فقد قدمت واشنطن عن طريق سفيرها في مصر « ريتشارد فولتي » ظهر يوم الثلاثاء ٢٣/٥/١٩٦٧ إلى وزارة الخارجية رأيتها في المواقف العدوانية لإسرائيل على العرب ، متمثلاً في خمس نقط على النحو التالي وبالحرَف :

« ١ - أن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن تظل قوات الطوارئ الدولية في غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة .

٢ - ألا تتوجه أية قوات مسلحة إلى شرم الشيخ إلا بعد أن تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة إعلاناً رسمياً بتأكيد حرية الملاحة في مضائق تيران - مدخل خليج العقبة - بدون أية قيود ، مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن أي قيد على حرية الملاحة في الخليج أمر له عواقبه البعيدة وهو يشكل عملاً عدوانياً .

٣ - ألا تدخل إلى قطاع غزة أية قوات مسلحة مصرية .

٤ - أن تظل الأمم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الإدارة في قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .

٥ - أن الحشد العسكرى المصرى الذى يجرى فى سيناء الآن خطير وأن حل الموقف هو أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الإسرائيلية المحتشدة أمامها فى النقب إلى مواقعها الأصلية» (١) .

* * *

ورفضت مصر هذه المذكرة الشفوية بالرد التالى :

١ - أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر أن الولايات المتحدة منجازه انحيازاً كاملاً لإسرائيل وضد العرب .

٢ - أن الجمهورية العربية المتحدة تقرر لنفسها سياستها وتنفذ خطاها دون أى اعتبار إلا لمبادئها .

٣ - أن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بالسلام وتمتقد أن السلام لا يقوم إلا على الحقوق الثابتة ، وأما السلام الذى تتحدث عنه الولايات المتحدة فهو مجرد ضمان أمن لإسرائيل ، والأمر الواقع الذى تحاول فرضه بالعدوان» (٢) .

عدوان إسرائيل على مصر بسبب ممارسة مصر لسيادتها :

ما إن اتخذت الجمهورية العربية المتحدة قرارها بإغلاق خليج العقبة فى ٢٣/٥/١٩٦٧ وفقاً لحقوق السيادة حتى جن جنون إسرائيل تساندها مساندة سفارة .

(١) الأهرام ٢٦/٥/١٩٦٧ .

(٢) الأهرام ٢٤/٥/١٩٦٧ .

الولايات المتحدة وبدأ العدو الإسرائيلي هجومه الشامل صباح ١٩٦٧/٦/٥ .
وقد أثبتت التقارير العسكرية أن الطيارين كانوا يحتفظون بخراطع من مواقعنا
في غاية الدقة صورت بالقمر الصناعي وصورت عليها كافة الأهداف والإمكانيات
الدفاعية من قواعد الصواريخ ومداهها ، ولعل في إدراك إسرائيل للأسرار
العسكرية العربية السبب في توقيت الهجوم ، حتى أن الطائرات الإسرائيلية قد
نجحت في تحطيم ثمانى محطات للقيادة العربية ، وبذلك أصبح الطيران المصرى
بدون مراكز للتوجيه ، فالطائرات المقاتلة تأخذ خط سيرها وهدفها من
غرفة العمليات حول الهدف الذى تقصده ومن خلالها يمكن توجيه
الضربة القاضية .

وفي ساعات قليلة رجحت الكفة لإسرائيل وأخذت وحدات الاتصال
الإسرائيلية ، والتي قدفت بالمظلات خلف الخطوط المصرية ، في شل حركة
القوات العربية وأخذت تصدر الأوامر منتحلة صوت القيادة المصرية .

مجلس الامن وقرار وقف اطلاق النار :

وفي ١٩٦٧/٦/٦ أصدر مجلس الأمن قراراً بدعوة جميع دول الشرق
الأوسط المشتبكة في الحرب أن توقف إطلاق النار فوراً .

موقف روسيا من الاعتداء الاسرائيل :

وتحدث نيكولاى فيدرونكو مندوب الاتحاد السوفيتى أمام مجلس
الأمن في ١٩٦٧/٦/٨ فطالب بإدانة إسرائيل لاعتداءاتها العسكرية المتكررة ،
ودعا إلى أن يصاحب وقف القتال انسحاب القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة
التي أنشئت سنة ١٩٤٩ .

التواطؤ الأمريكى البريطانى مع اسرائيل :

« صرح السناتور الأمريكى كليفورد كيس عضو لجنة العلاقات الخارجية
أمام مجلس النواب الأمريكى في ١٩٦٧/٦/٨ بعد أن حضر الاجتماع السرى

الذي عقده دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية مع أعضاء الكونجرس ، أنه فهم من تقرير راسك في ذلك الاجتماع أن الولايات المتحدة لم تتوقف إطلاقاً عن إرسال شحنات أسلحة أمريكية إلى إسرائيل .

« وفي لندن أعلن جورج براون وزير الخارجية البريطاني في مجلس العموم أن بريطانيا قررت رفع الحظر — الذي فرضته لمدة ٢٤ ساعة — على إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، وستعود إلى تصدير الأسلحة إلى إسرائيل » (١) .

هل تعتبر الأمم المتحدة عن الراى العام العالمى (٢) :

إن الأمم المتحدة بتشكيلها الحالى وبالواقع والأدلة الناصعة أداة فى أيدي الإمبريالية العالمية لتنفيذ مخططاتها وهى بهذا قد رفعت راية قانون الغاب وشرعية العدوان . لقد أصبح لأى بلد حق الاعتداء على جيرانه واغتصاب أرضهم وتشريد سكانها بضمان من الأمم المتحدة التى تتدخل لحمايته وتفرض شروطه .

لقد انتهكت الأمم المتحدة تحت ضغط أمريكى ميثاق المنظمة الدولية بتخاذها عن إدانة العدوان أو حتى سحب القوات المعتدية دون شرط ، ومع هذا فإن جبهة الشعوب أقوى وأكثر فاعلية ، وهى العامل الحاسم فى تحديده مسار التاريخ والعنصر الأساسى لتصفية الاستعمار وإلى الأبد .

ومن ثم فإننا لا نفتقد الثقة فى الراى العام العالمى وفى الحركة النضالية الواسعة العملاقة المعادية للاستعمار والتى أدانت العدوان وتصدت له ومازالت .

(١) الأهرام فى ١٩٦٧/٦/٩ .

(٢) انظر إلى رأى للأهرام فى ١٩٦٧/٧/٦ عن موقفنا من منظمة الدول ومن شعوب العالم المحبة للسلام .

إن قوانا الذاتية العربية بمساعدة شعوب العالم المحبة للسلام ، المناضلة من أجل خلاص الإنسانية من عبودية الاستعمار بكافة صورة .. هذه القوى كفيلة بتصفية آثار العدوان وقطع الطريق على جميع المؤامرات الاستعمارية الإسرائيلية الأمريكية .

إن المعركة مستمرة وسوف نقاتل دفاعاً عن كل شبر من أرضنا المقدسة والنصر لنا والعزة للعرب .

حقائق هامة يؤكدها عبد الناصر (١) :

إن الدول المناضلة من أجل حقوق سيادتها ومصيرها لن تستسلم للنفكسات . فتركيا وألمانيا بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الأولى سرعان ما خرجتا من الهزيمة إلى النصر وسرعان ما تبوأتا مركزها بين الدول العظمى .

وعن هذا يعبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر بقوله : « إن أولئك الذين يقصرون تفكيرهم في نطاق الهزيمة العسكرية التي لحقت بنا في العام الماضي ، ويعتقدون أنها الصفحة الأخيرة في الكتاب إنما يرتكبون خطأ كبيرا سيكلفهم غالبا . » وهذه النظرة التي ترفض الاستسلام للنكسة ، وتتحرك بما تحتزنه الطاقات العربية من قوة معنوية ومادية قادرة على ضمان خاتمة مظفرة ، لاتستند فقط إلى تقدير واقعي لموازن القوى في المنطقة وعلى نطاق العالم ، وإنما تكشف في الوقت ذاته عن زيادة حشد وترص القوى القادرة بتضافر حركتها على أن تفسد مشروعات إسرائيل التوسعية وأن تلزمها بالتخلي عما اغتصبته بقرة العدوان .

وأثناء مثل الكتاب للطبع وبينما العالم كله يتحدث عن السلام في ،

(١) انظر رأى للأهمام في ١٢/١٧/١٩٦٧ .

منطقة الشرق الأوسط وبحث عن وسائل تحقيقه وتدعيمه تخرج أمريكا من هذا الاجتماع وتعلن - على أثر رفض جروميكو (١) «عقد تفاهم» مع دين راسك إلا بعد الوصول إلى حل للأزمة - تزويد إسرائيل بطائرات الفانتوم ... وقد أبرزت الوفود العربية - في تعليقها على القرار الأمريكي - عدة نقاط هامة :

- ١ - أن الولايات المتحدة أصبحت طرفاً عسكرياً في الأزمة إلى جانب إسرائيل .
 - ٢ - أن هذا القرار نفسه مهمة يارنج في وقت وصلت فيه الأزمة إلى موقف بالغ الأهمية .
 - ٣ - أن واشنطن تبرر قرارها بتميز قدرة إسرائيل الدفاعية مما يجعل في متناولها كل هدف (٢) رئيسي في مصر من الإسكندرية إلى السد العالي .
- شبه جزيرة سيناء والمؤتمر الصهيوني الأول في بال :
- كان مؤتمر بال الصهيوني بسويسرا المنطلق للوثبة الصهيونية الكبرى ، ويعتبر نقطة تحول هامة للدعوة الصهيونية .

ذلك أنه بعد أن اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود خاصة في دول أوروبا الشرقية - روسيا وبولندا ورومانيا - وبعد أن هاجر كثير منهم من تلك البلاد ، دعا تيودور هيرتزل إخوانه اليهود في العالم كله إلى التضامن والكفاح ليتسنى إقامة دولة صهيونية لها كيانها واستقلالها . ثم انعقد مؤتمر في مدينة « بال » بسويسرا وتكرر انعقاد المؤتمرات الصهيونية في سويسرا

(١) مساء الثلاثاء ١٠/٨/١٩٦٨ .

(٢) انظر الأهرام في ١١/١٠/٦٨ الصفحة الأولى والتاسعة .

وغيرها من بلدان أوروبا ، وانتشرت أخبارها في الصحف ، ثم خطا هيرتزل وأعوانه خطوات جديدة لتحقيق مآرب اليهود ، ومما قام به أن عرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، وتملك الأراضي فيها مع استعدادهم لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك ، فأبى السلطان عبد الحميد السماح لهم بماطلبوه .

فولوا وجوههم نحو إنجلترا ، وكان لهم نفوذ كبير فيها ، إذ كان فيها من اليهود كبار رجال المال ، وأخصهم اللورد روتشيلد عميد اليهود هناك ، وكثير غيره من الوزراء والكتاب والصحفيين والنواب . وكان من أثر ذلك أن أرسل وزير خارجية إنجلترا في سنة ١٩٠٣ إلى اللورد كرومر عميدها في مصر أن يساعد اليهود على استعمار شبه جزيرة سيناء ، وبمعنى آخر أراد وزير خارجية بريطانيا الأمين على مصر اقتطاع جزء كبير من أرضها ومنحه لليهود دون التفات إلى « مصر » صاحبة البلاد .

ولم يكن الإنجليز وقتئذ سوى محتلين أتوا إليها بحجة تأييد عرش الخديو وأعلنوا أنهم سيفادرونها بعد استتباب الأمن فيها . نفذ « كرومر » أمر وزارة الخارجية البريطانية ، ورضى أن يقطع هذا الجزء الكبير من الأرض ويهبه لليهود ، كي يتمكنوا من إقامة مستعمرة يهودية فيه . وقام الخبراء من إنجليز ويهود بمعاينة سيناء ، واختيار المواقع التي تصلح لاستعمار اليهود لكنهم رأوا صعوبة استقلالها للزراعة ، واستثمارها للإنتاج الزراعي فرفض اليهود امتلاكها . .

وهنا يقول حاييم وايزمان في مذكراته ، وهو خليفة هيرتزل في زعامة اليهود ، وأول رئيس لجمهورية إسرائيل ، إنه يأسف لرفض اليهود استعمار سيناء ، وكان من رأيه قبول استعمارها وتوطنها لتكون نقطة يركز عليها اليهود في الوثوب مستقبلا إلى جارتها فلسطين .

وبعد هذا الرفض ، عرض الإنجليز سنة ١٩٠٤ على اليهود استيطان جزء من شرق إفريقيا « أوغندا » ، مع أن هذه المنطقة كانت تحت حماية مصر في عهد الخديو إسماعيل بمقتضى معاهدة أخفاها الإنجليز كما يشهد التاريخ .

وهكذا كان حظ المصريين مع الإنجليز إبان الاحتلال النهب والاعتصاب ، فإنهم أرادوا أن يعطوا اليهود « سيناء »^(١) وهى من أرض مصر ، ثم « أوغندا » وكانت وقتئذ تابعة لمصر .

ثم انتهوا أخيرا إلى أن وهبوا فلسطين العربية التى لا يمتلكونها ، وتمكنت الصهيونية من اغتصابها وطردها أهلها وتشريدهم .

٢ — مصر

الهكموس وعلاقتهم بالأبواب :

هم الملوك الذين كان مؤرخو اليونان يسمونهم « هيكسوس »^(٢) والعرب الأقدمون يطلقون عليهم « العمالة » أو العرب « البادية » . ويقول يوسفوس إن معنى كلمة هيكسوس — الملوك الرعاة — لأنها مؤلفة من كلمتين هما « هيك » ومعناها الملك ، و « سوس » ومعناها الراعى . وأما بروكسن فيقول إنها مؤلفة من « هيك » ومعناها الملك ، و « شاسو »^(٣) ومعناها البادية أو البدو .

(١) مساحة شبه جزيرة سيناء تبلغ ٥٢ ألف كيلو متر مربع . . وهى أكبر من مساحة « سوريا » وتزيد على ثلاثة أمثال مساحة « فلسطين » وعلى ثمانية أمثال مساحة « لبنان » .

(٢) السير فلندرس بترى History of Egypt .

(٣) يستنتج السير فلندرس بترى من الآثار التى عثر عليها أنهم حكموا مصر من ٢٠٩٨ إلى ١٥٨٧ ق . م . بينما يرجح بريتند أنهم حكموا مصر فى زمن الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة ١٧٨٥ — ١٥٨٠ ق . م .

وهؤلاء المؤرخون كلهم اتفقوا على أن العاقلة عرب ، وأنهم هم الذين جاء ذكرهم في تاريخ مصر القديم .

كان الشاسو يفتقلون في بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر كما ينتقل البدو فيها هذه الأيام ، ولم يكونوا ليقترضوا على تلك الصحراء ، بل كانوا يرحلون بينها وبين شبه جزيرة سيناء وما وراءها أيضا ، وربما اتصلوا بإخوانهم بدو العراق ، لأنهم جميعا من أصل واحد كما أنهم نزلوا ديار فلسطين « بئر سبع » واستوطنوها مدة قبل أن يغزوا مصر ، وكثيرا ما كانوا يسطون على المصريين في مدنهم .

من أجل ذلك كان المصريون يخافون بأسهم ، وكانوا يستعينون بهم لما اشتروا به من شدة وشجاعة وبأس في حروبهم بعضهم مع بعض في كثير من الأحيان .

وقد ساروا على هذه الخطة حينما من الدهر إلى أن سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر ، ويقال إن ذلك كان في زمن إبراهيم الخليل ، فلكوها وظلوا فيها حكاما وملوكا مدة خمسة قرون ، وكونوا فيها ملكا عربية تعرف قوته من أن يوسف الصديق عليه السلام كان مستوزرا فيه .

وجاء في أخبار مؤرخنا الوطني « مانيثون » أن الهكسوس قد استولوا على مصر في سهولة ، وملكوها دون أن يشعلوا نار حرب ، لأن أمور المصريين يومئذ كانت مضطربة أشد الاضطراب ، والفوضى قد عمت البلاد منذ عام ١٧٥٧ ق . م .

وبين آثار المصريين ما يؤيد حديث مانيثون فهذه بردية ساليه Sallier تؤكد ذلك ، وكأنما إرادة الله وإرادة الغزاة على موعد واتفاق ، فبلغ (م - ٦ إسرائيل فتنة)

الهكسوس دلتا الوادى وسيطروا على شمالها ، جاءوها بخيلهم وعجلاتهم -
الحرية التي لم يكن للمصريين عهد بها من قبل .

وجعل الهكسوس حاضرة ملكهم « أواريس » - صان الحجر شرق
الدلتا - ثم أخذوا يمدون سلطانهم على أقاليم الوادى فتركوا غرب الدلتا تحت
إمارة حكام من الوطنيين يسميهم ماينثون حكام الأسرة الرابعة عشرة واتخذ
الملك « نحسى » من ملوك هذه الأسرة « سخا » قاعدة لملكه السلوب ،
وهكذا كان الحال فى شمال الوادى وبعض أقاليمه الوسطى ، فأما صعيده
الأعلى فقد كان تحت إمرة حكام من الوطنيين أسماهم هيرودوت ملوك الأسرة
السابعة عشرة ، وقد ظل أولئك يجاهدون فى سبيل تحرير البلاد من يد العدو
حتى لاحت بوادر النصر فى أواخر عهدهم .

وكما أنهم نزلوا ديار بئر سبع واستوطنوها مدة قبل غزو مصر فإنهم لم
يجدوا ملجأ سواها يوم غلبوا على أمرهم هناك ، وحالفوا المصريين على أن
يخرجوا من مصر إلى حيث يشاءون . ويقول السير فلندرس ترى إنهم أموا
سوريا عن طريق الصحراء إلا فئة قليلة منهم تخلفت خوفا من بطش الآشوريين
وسيطرتهم ، ولهم فى « تل الفارعة » و « تل جمة » و « تل العجول » من
الآثار ما ينطق بذلك .

زوال ملك الهكسوس :

اندلعت الثورة فى الجنوب فى أيام ملك من الهكسوس يقال له « أبوفيس »
وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم . وقد أخذ يتحدى الملك المصرى

الحاكم يومئذ في طيبة ويتحرش به^(١)، ولقد كان الحاكم المصري يدعى «سقين رع» وكان هو الآخر ثالث ثلاثة^(٢).

وتحدثنا بردية سالييه Sallier عن «أبوفيس» ملك الهكسوس وكيف أنه أرق الملك المصري الحاكم في طيبة بمطالب لا قبل له باحتمالها، وكيف أنه ظل يتحداه ويحرج كرامته حتى أثاره. وأكبر الظن أن «أبوفيس» قد رأى لأميرنا المصري من القوة والسلطان ما يجوز أن يصبح أمره خطراً على ملك الهكسوس ونفوذه السياسي، فأخبار الثورة في البردية المذكورة تشير إلى قوة الحكومة الوطنية واتساع نفوذها، وانتشار سلطانها بين أقاليم مصر، حين تزعم أن مصر كانت تؤدي خراجها إلى بيت طيبة، فلن يكون غريباً بعد ذلك أن يتحرش ملك الهكسوس بأميرنا المصري من أجل الثراء المادى واتساع السلطان السياسي، وأن يثور بيت طيبة، ويثور معه أعوانه من بيوت الصعيد للعزة الوطنية والكرامة القومية ثم لشيء آخر أجل خطراً. وأبعد أثراً في حياة الناس وفي تاريخهم السياسي من كل ما ذكرنا أعنى من أجل تنازع البقاء.

وبين أخبار الثورة ما يشير إلى أنها قامت تحت راية الدين، ولن يبدو ذلك غريباً في عيون أولئك الذين درسوا الحياة المصرية وتاريخها وحياة الشرق وتاريخه، بل وحياة الدنيا كلها فيما مضى من أيامها البعيدة والقريبة، فقصص الحروب المصرية كلها قد صورت تلك الحروب في صور دينية، وأجرت حوادثها تحت راية الدين وفي ركاب الآلهة، وقصص الإسرائيليين عند خروجهم من

(١) توجد أخبار ذلك الاحتكاك في البردية المعروفة باسم بردية Sallier وقد ترجمها العالم الألماني Erman في كتابه المعروف عن الأدب المصري.

Ed. Meyer; Gesch, d. Al tertums I, 310.

(٢)

مصر قد لبست كلها أثواباً دينية براقية (١).

فلا عجب بعد ذلك أن تشير الرواية بحجاج هذه الحروب المصرية تحت راية الدين، وأن تندفع في ركاب « آمون » وهو يومئذ صاحب طيبة ومعبود الأسرة الحاكمة فيها، ثم تصور لنا « أبوفيس » ملك الهكسوس وقد جعل من معبوده « ست بعل » إله الآلهة ورب الأرباب يعكف على عبادته ويحرم على الناس عبادة ما عداه ثم يدعو الملك المصري إلى عبادة « ست بعل » والانصراف عن آمون، بينما يستمسك الأخير بعبادة ربه « آمون » رب الأرباب وإله الآلهة، وهكذا يتنافس الملكان تنافسا دينيا خالصا، فما يكاد أحدهما يظفر بصاحبه وما كاد أحدهما يبلغ بمعبوده ما يريد، ثم ينتهي الأمر إلى تلك الحروب التي أدت إلى مصرع أمير طيبة.

وبين أسانيد التاريخ المصري ما يؤيد بعض رواية « ما نيتون » ويشير إلى بلوغهم ذلك المدى من حدود الأقاليم الوسطى.

وجاء في أخبار الملكة « حاتشيسوت » أنها أصابحت داراً للمعبودة « حاتحور » بجهة القوصية في شمال أسموط، وأنها عمرت الخراب وأتمت الناقص من معابد الوادي وعمائره بعد الذي أصابها على أيدي الهكسوس .
Breasted, A. R, II, 296 .

(١) لقد انفردت التوراة بأخبار الجدل الذي بين موسى وكهنة المصريين مما استحوذ على اثني عشر إصحاحاً من سفر الخروج، ثم إن موسى وهو ما زال في حدود مصر في سيناء رسم لهم العريضة فاستعوذت على اثني عشر إصحاحاً أخرى، ومع هذا فإنهم عبدوا العجل الذهبي في سيناء « خروج ٣٢ : ١ — ١٠ » .

وفي حديث الملك « كاموس » أحد أبطال ثورة الحرية مع أمراء جنده
ورجال يلاطه ما يؤيد احتلال الهكسوس لإقليم الأشمونين بعد « منف »
وبلوغهم بلدة القوصية شمال أسيوط (١) .

وكانت حرب الاستقلال على يد « اعح موسى » التي انتهت بطرد
الهكسوس وزوال سلطانهم .

٣ - فلسطين

فلسطين الوطن العربي السليبي من أقدم ممالك التمدن الشرقي القديم ،
تقع في الغرب من قارة آسيا بين خطي عرض ٣٠° ٢٩ و ٣٣° ١٥ شمالاً ، وبين
خطي طول ١٥° ٣٤ و ٤٠° ٣٥ شرقي جرينتش ، وهي القسم الجنوبي الغربي
من بلاد الشام .

ويحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط على ساحل طوله نحو
٢٣٠ كيلو مترا ، ومن الشرق سوريا - ويبلغ طول الحدود بين القطرين
٧٠ كيلو مترا - والأردن على حدود طولها نحو ٣٦٠ كيلو مترا ، ومن الشمال
الجمهورية اللبنانية - على حدود طولها ٧٩ كيلو مترا - ومن الجنوب سيناء

(١) كانت القوصية تعتبر الحد الفاصل بين أقاليم الجنوب وأقاليم الشمال . ويتجلى ذلك
بوضوح عند النظر في التقسيم الإداري الذي استقر في أيام الامبراطورية المصرية منذ عهد
الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، حيث جعلت إدارة الإقليم المصري من مطلم الوادي عند
أسوان إلى شمال أسيوط تحت إشراف كيدوزراء الصعيد ، وتركت لإدارة الأقاليم شمال أسيوط إلى
أقصى الشمال حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط تحت إشراف كبير وزراء الشمال . هذا وقد
سمى المصريون معبود أسيوط « فاتح الطارق » وصوروه على هيئة كلب من بنات آوى .
وأكبر الظن أنهم كانوا يتخذون منه علما في زحفهم نحو أقاليم الشمال ، ففي اسمه ما يشير
إلى عقيدتهم فيه ، وجموله حارساً للكمهم في الصعيد . ومن المرجح أن المصريين كانوا يتخذون
من « أسيوط » حصناً يدرون به إغارة الطامعين في ملكهم .

وخليج العقبة ، ويبلغ طول الحدود المصرية — الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠ كيلو مترا. هذا وطول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلو مترات ونصف الكيلو متر .

تعينت الحدود بين فلسطين من جهة ، ولبنان وسوريا من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي — البريطاني المنعقد في ١٩٢٠/١٢/٢٣ . وبموجب هذا الاتفاق تسير الحدود من « رأس الفاورة » الواقع على البحر المتوسط باتجاه الشرق إلى قرية « يارون » في لبنان . ومن ثم باتجاه الشمال الشرقي إلى « قدس » و« المطلة » في فلسطين ، وعبر وادي الأردن إلى « تل القاضي » في فلسطين وإلى « بانياس » في سورية .

وبعد ذلك يسير خط الحدود باتجاه الجنوب الغربي إلى « جسر بنات يعقوب » ، ومن ثم يسير باتجاه الجنوب على طول نهر الأردن حتى بحيرة طبرية وساحلها الشرقي إلى نقطة تكاد تكون إلى الشرق من مدينة طبرية ، حيث يفحرف خط الحدود في اتجاه الجنوب الشرقي إلى أن يصل محطة « الحمة » الواقعة على سكة حديد درعا — سمخ .

وحسب هذا التحديد تقع جميع « بحيرة الحولة » وحوضها ، و« بحيرة طبرية » بأكملها في فلسطين .

ويتألف القسم الفلسطيني الواقع شرقي البحيرتين من قطاع ضيق يمتد على طول ساحل بحيرة الحولة الشرقي ، وشريط ضيق يقع شرقي بحيرة طبرية تراوح عرضه بين ١٠ و ٢٠٠٠ متر على أكثر تقدير .

وأما الحدود مع شرقي الأردن فقد حددها المندوب السامي البريطاني

لفلسطين وشرقي الأردن في ١٩/٩/١٩٢٢، وهي تبدأ من نقطة اتصال اليرموك بالأردن فنسير جنوبا من منتصف مجرى نهر الأردن وبحيرة لوط ووادي العربية حيث تنتهي في ساحل خليج العقبة على بعد ميلين غربي مدينة العقبة .

وكانت الحدود بين فلسطين ومصر قد حددت بموجب الاتفاقية المعقودة في ١٢ شعبان ١٣٢٤ هـ الموافق أول أكتوبر ١٩٠٦ بين خديوية مصر والحكومة العثمانية . وتمتد الحدود من « تل الخرائب » في « رفح » على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتنتهي في « رأس طابا » على خليج العقبة . وخط الحدود هذا يكاد يكون في امتداده مستقيما .

وكان العثمانيون يعتبرون هذه الحدود حدودا إدارية تفصل بين « خديوية مصر » - وكانت لهم عليها سيادة اسمية - وبين ولاية سورية ومتصرفية القدس .

ومما هو جدير بالذكر أن طول الحدود الإدارية البرية بين « فلسطين المقتضية » والأقطار العربية المجاورة اليوم يبلغ نحو ٩٥١ كيلو مترا توزع كما يلي، وذلك قبل العدوان الإسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ :

القسم المقتضب - سوريا ٧٦ كيلو مترا

القسم المقتضب - لبنان ٧٩ كيلو مترا

القسم المقتضب - الأردن ٥٣١ كيلو مترا

القسم المقتضب - الجمهورية العربية المتحدة ٢٦٥ كيلو مترا

٩٥١ كيلو مترا

فيصبح المجموع

مع ملاحظة إضافة ٥٦ كم إلى الحدود الأردنية للقسم المقتضب وهي

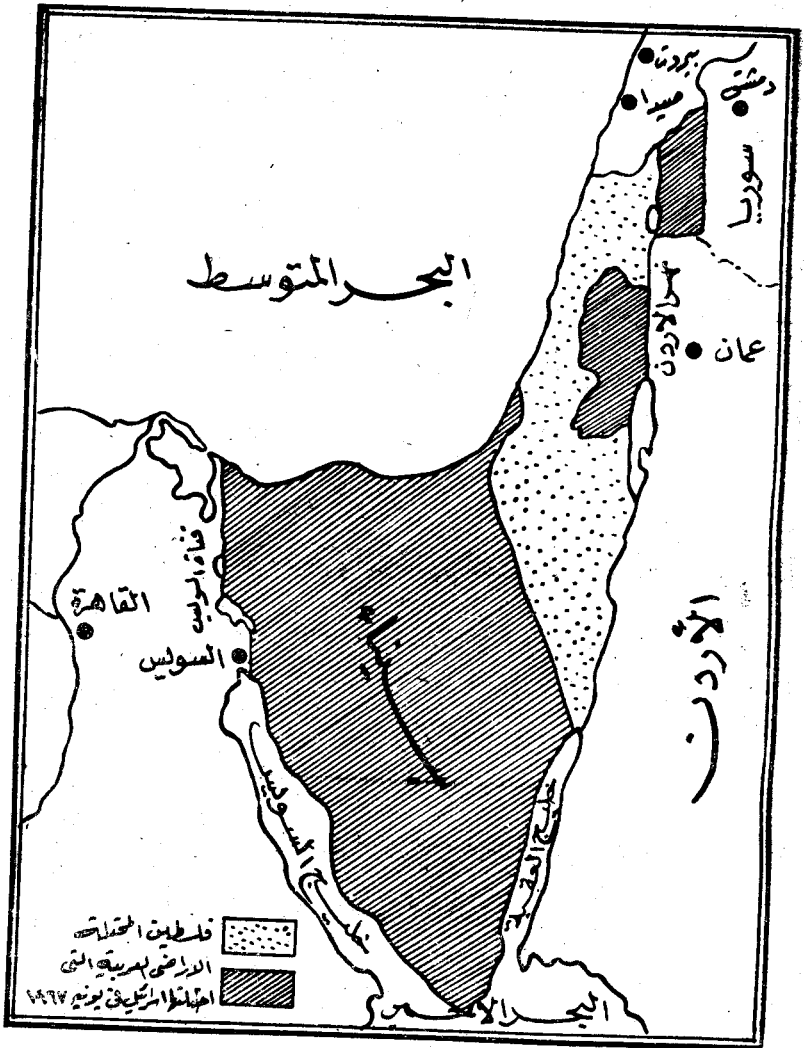
الحدود البحرية الواقعة على ساحل البحر الميت ، وأن حدود قطاع غزة ضمن حدود ج . ع . م .

وفلسطين مستطيلة الشكل ، فطولها من الشمال إلى الجنوب وهو يوازي حدها الشرقي نحو ٤٣٠ كم . وأما عرضها ففي الشمال يتراوح بين ٢٠،٥١ كم ، أما التواء الأرضي الفلسطيني الواقع بين سوريا من الشرق ولبنان من الغرب فلا يزيد طوله عن ٢٢ كم وعرضه عن ١٤ كم .

وفي الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ ، ٩٥ كم . هذا وطول الخط المستقيم بين الساحل ونهر الأردن ، والمار بمدينة نابلس هو ٧٢ كم ، وطوله المتدبين البحر الميت والساحل والمار بالقدس هو ٨٢ كم . وأما في الجنوب فإن العرض يتسع حتى يصل إلى نحو ١١٧ كم . أما أقل عرض في القسم المنقصب فلا يزيد عن ١٤ كم وهي المسافة الواقعة بين طولكرم وناثانيا على ساحل البحر . وأما في شمالي القسم المنقصب فإن أعظم عرض لا يزيد عن ٦٦ كم ، وفي الجنوب لا يزيد العرض عن ١٠٨ كم .

مساحة فلسطين المنطوية :

تبلغ مساحة فلسطين حوالي ٢٧٠٠٩ كم ٢ من هذه المساحة ٧٠٤ كم ٢ هي مساحة بحيرة الحولة ، وبحيرة طبرية ونصف مساحة البحر الميت ، ولا يمكن اعتبار أرقام مساحة البلاد صحيحة ونهائية ، وذلك لعدم تعيين الحدود في « وادي العربة » بين فلسطين وشرقي الأردن ، فقد جعل الحد في وسط الوادي ، ولكنه لم يعين حتى نهاية الحكم البريطاني البغيض ، فضلا عن أن مجرى نهر الأردن الذي يفصل بين البلدين عرضة للتغيرات الكثيرة الأمر الذي يؤثر في خط الحدود ، وبالتالي في مساحة البلاد .



وقد احتل اليهود حتى قبل نكسة يوم ١٩٦٧/٦/٥ ما مساحته ٧٧ ٪
من مساحة فلسطين السليبية أي ٢٠٧٠٠ كم ٢ أي ما يوازي ٧٩٩٣ ميلا مربعا .
وتذكر الوكالة اليهودية في صفحة ٤٣٥ من إحصاءاتها المطبوعة في عام
١٩٤٧ أن ما يملكه اليهود من أراض في فلسطين ، في نهاية شهر سبتمبر من
عام ١٩٤٦ بلغ ١٨٠٧٠٠٠ دونم أي ما يعادل ٦٨ ٪ من جميع أراضي
البلاد .

سكان فلسطين :

في ٢١ مارس من عام ١٩٤٧ قدر عدد سكان البلاد بنحو «١٩٣٣٦٧٣» نسمة على حساب أن عدد بدو بئر السبع « هو ٤٧٩٨١ » كما جاء في إحصاء عام ١٩٣١ .

ولما كان عدد البدو قد بلغ في إحصاء في سري دقيق ، أجرته الحكومة عام ١٩٤٦ «٩١٩٣٤» نسمة فيكون عدد سكان فلسطين هو ١٩٧٧٦٢٦ بينهم ٦١٤٢٣٩ يهوديا . وهذا ما يعادل نحو ٣١ ٪ من مجموع السكان .

إلا أن معظم هؤلاء اليهود كانوا من المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة وخلافا لرغبات سكانها الأصليين واعتراضهم المستمر على دخولهم ، ولذلك فلا يمكن اعتبارهم -- كلسكان العرب المواطنين -- فلسطينيين شرعيين بأي حال من الأحوال .

وعليه فإن النسبة المذكورة أكثر من الواقع بكثير .

والباقى من السكان عرب يوزعون حسب دياناتهم كما يلي :

مسلمون ١٢٠١٣٧٦ ، مسيحيون ١٤٦٢١٦٢ ، طوائف أخرى (الدروز وقليل من البهاثيين) ١٥٨٤٩ .

وهكذا تصبح كثافة السكان في الكيلومتر المربع الواحد ٧٣ شخصاً .

وفي الميل المربع الواحد ١٩٦ شخصاً .

وبهذه المناسبة نذكر أن إحصاءات المغتصبين قدرت سكان القسم الذي

اغتصبوه في نهاية عام ١٩٤٨ بـ ٨٧٩٠٠٠ بينهم ٧٥٨٧٠٢ يهود ، وفي نهاية

عام ١٩٦٣ بلغوا ٢٠٤٢٩٥٠٠ بينهم ٢١٥٥٠٠٠ يهود .

وفي مطلع عام ١٩٦٥ بلغوا ٢٠٥٣٦٦٠٠ من بينهم ٢٠٢٥١٠٠٠ يهود .

الكنعانيون

وهكذا فإن هذه البلاد « فلسطين » كما يعرفها التاريخ كانت أهلة بالكنعانيين ، وكانت تدعى أرض كنعان .

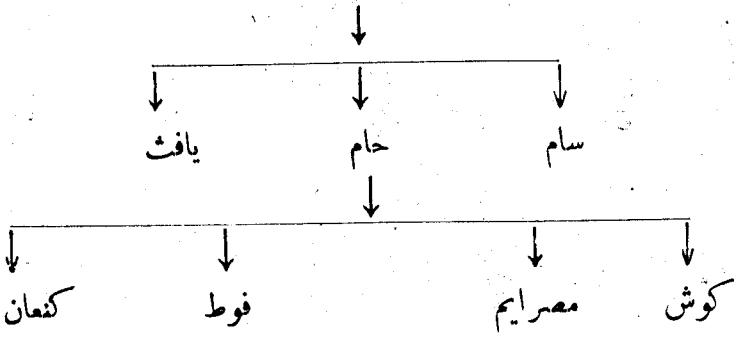
وفي استطاعتنا في الواقع أن نفخر بهؤلاء القوم وبمئسرى الحضارة الآخرين الذين جاورهم ، إذ أنهم اكتشفوا - من غير معرفة سابقة تهديهم سوا السبيل - النحاس اللين في حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م . وتعلموا خلال الألف سنة التالية كيف يجمعون ما بين النحاس والصفىح لينتجوا البرونز الجميل ، وهو اكتشاف قد يكون أهم بالنسبة إلى العالم ، فى ذلك الوقت ، من انفلاق الذرة بالنسبة إلينا اليوم ، ذلك أنه أدخل علم التعدين ، وأعطى الشعوب البدائية أدوات وأسلحة قاسية حادة لا تكاد تبلى .

والتوراة هى المصدر الذى يمدنا بتاريخ الكنعانيين :

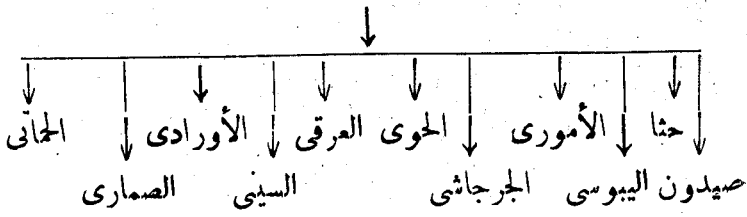
فمن هو كنعان ؟ حسب التدرج الهرمى من القمة نجد أن « مواليد بنى » نوح سام وحام ويافت « (١) ، « وبنو حام كوش ومصررايم وفوط وكنعان » (٢) ، « وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسى والأمورى والجرجاشى والحوى والعرقى والسبنى والأورادى والصمارى والحامى ، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى » (٣) .

(١) تك ١٠ : ١ . (٢) تك ١٠ : ٦ . (٣) تك ١٠ : ١٥ - ١٨ .

نوح



كنعان



« وكانت تخوم الكنعانى من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبويم إلى لاشع . هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كألستهم بأراضيمهم وأممهم » (١).

لكن إسرائيل تأبى إلا أن ترث أرض كنعان وتقنن لذلك في صورة حكم إلهى ينسبونه لله تعالى في القول : « وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم » (٢) ، وفي صورة ميثاق يمنح لإبراهيم وورثته : « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القيمين والقنزين والقدمونيين والحثيين

والفرزيين والرفائين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين» (١)،
وتقنن أيضا حافزا ليحفز إسرائيل على امتلاك أرض كنعان في القول: « فقال
الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل
مسخريهم . إني علمت أوجاعهم فنزلت لأتقدم من أيدي المصريين
وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . إلى أرض تفيض لبنا
وعسلا . إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين
واليبوسيين » (٢) .

وإذا سلمنا بما يزعمونه في صالحهم، فماذا يكون موقفهم من الإنذار الصريح :
« ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم
وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم . فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود
يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فضا وشركا وسوطا على جوانبكم
وشوكا في أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها
الرب إلهكم . وها أنا اليوم ذاهب في طريق الأرض كلها . وتعلمون بكل
قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي
تكلم به الرب عنكم . الكل صار لكم . لم تسقط منه كلمة واحدة . ويكون
كما أنه أتى عليكم كل الكلام الصالح الذي تكلم به الرب إلهكم عنكم
كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الرديء حتى يبببكم عن هذه الأرض
الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم . حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذي أمركم
به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمي غضب الرب عليكم
فتبببون سريعا عن الأرض الصالحة التي أعطاكم » (٣) .

ويعتقد بعض الثقات من المؤرخين أن الإسرائيليين خرجوا من مصر

(١) تك ١٥: ١٨ - ٢١ . (٢) خر ٣: ٧، ٨ . (٣) يش ٢٣: ١٢ - ١٦ .

حوالى عام ١٢٢٤ ق . م . وأنهم بعد أن هاموا على وجوههم فى الصحراء طوال أربعين سنة غزوا أرض كنعان حوالى عام ١١٨٤ ق . م . فى تلك اللحظة السيكولوجية المناسبة التى كان فيها كل شىء قد تداعى وانهار ، وكان ذلك هو ، بالضبط ، التاريخ عينه الذى يعتقد أن طروادة قد سقطت فيه ، وهى مصادفة غريبة قلما يلاحظها المؤرخون .

وعلى أى حال ، فلا الفلسطينيين الذين جاءوا من كريت وسكنوا الساحل ، ولا الإسرائيليون استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على السكان الوطنيين « الكنعانيين » فى مدنهم المسورة . ومعظم المؤرخين يعتبرون أن مصر قد حكمت أرض كنعان حتى نهاية عهد رمسيس الثالث حوالى عام ١١٥٤ ق . م . وأن الحكم المصرى بعد هذا التاريخ بدأ وكأنه أصبح حكما اسميا لا غير .

وظلت أرض كنعان موضع شد وجذب بين الفريقين اللذين أغارا عليها من خارج — الفلسطينيين والإسرائيليين — حتى عام ١٠٠٠ ق . م . على وجه التقريب ، وهذا هو التاريخ الذى يعينونه لاستيلاء الملك الإسرائيلى داود على بيت المقدس ، لقد هزم الفلسطينيين وفتح أرض كنعان ، وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشرق من فلسطين «أدوم» ومثاب ، وعمود ، وجلعاد .

لكن يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة للتأمل والتبصر ، هل يظلم الله أحدا ؟ لقد أراد الله أن يورث الأرض الصالحين من عباده ، ولهذا كان اختياره إبراهيم عليه السلام وكان عهده وميثاقه قائما له ولنسله ما داموا يتهجون سبيل الله .

من هنا ندرك الحكمة من قيادة الله لإسرائيل من نصر إلى نصر ، لغاية أن يكونوا صورة الله المقروءة بين الناس فى البر والتقوى والتعفف والعدل

والحق والرحمة ، وبالتالي يكونون نورا للأمم حوالئهم ، لكنهم كانوا كما قال عنهم المسيح : « ويل لكم أيها الفاموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ، مما دخلتم أنتم والداخلون منعتوهم » (١) .

سكان الساحل الفينيقي

وإلى الشمال من « عكا » تبدأ تلك البقاع الساحلية التي سماها المصريون « زاحى » ثم أطلق عليها الإغريق اسم « فينيقيا » (٢) . هنالك امتدت منازل الفينيقيين ، ولم تكن دولة بالمعنى المعروف وإنما الواقع أن نظام حياتهم كان أشبه بنظام « البندقية » في شبه جزيرة إيطاليا أو نظام « هنزا » في ألمانيا ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر الميلادى .

ولم يكن يهمهم مطلقا أن تكون لهم حكومة مستقلة ، وإنما يهمهم الكسب أيضا وجدوا السبيل إليه ، وقد وقموا تحت حكم المصريين وتحت سلطان الأشوريين زمنا آخر .

(١) لوقا ١١ : ٥٢ .

(٢) لقد حاول العالم الألماني « كورت زينه » في بحث من أبحاثه القيمة نشره في مجلة Der Name der Phoenizier bei den Griechen und aegyptier, in der Mitteilungen der Vorderasiatisches Geullshaft 21. 1916 . 305 ff. إنا يرجع أصلها إلى اللفظ المصرى القديم « فتحو » وكان المصريون يطلقونه على البقاع السهلة من أرض آسيا التي تشمل المروج من حول « شرونة » ، و « البقاع » ، « ووادى الأردن » ، « وسبيل الساحل الفينيقي » غير أن ذلك لم يرض المؤرخ العظيم « إدوارد ماير » الذى يؤكد أن اسم الفينيقيين إغريقي الأصل ، وأن معناه « الأحمر الدموى » وأن اسمهم لم يكن مصريا ، ولا ساميا . أما هم فكانوا يسمون الصيدوايين نسبة إلى صيدا وكانوا يسكنون في أرض كنعان .

Ed . Meyer, Getch 111 ; 96 .

وظاهر من النصوص المحفورة على جدران المعابد المصرية منذ أيام البطالمة أن الفينيقيين قد كانوا خاضعين لراية السلطان المصرى. وتشير النصوص فى صراحة إلى أن « بطليموس فيلادلفيوس » قد بسط سلطانه على أرض الفينيقيين ، وثبت تاريخيا أن الساحل الفينيقى من أرض فلسطين قد ظل فى حوزة السلطان المصرى أيام البطالمة منذ عام ٢٨٧ ق . م . حتى كان ملك مصر فى العهد البطلمى يلقب « بملك مصر وحاكم فينيقيا » ، والغالب أن الفينيقيين قد كانوا يحملون الأنيذة والبخور إلى المعابد المصرية فى تلك العصور المتأخرة وما قبلها أيضا (١) ، ومن أشهر مدائن الفينيقيين التى لعبت دورا خطيرا فى تاريخهم وتاريخ من جاورهم من الأمم يومئذ تلك المدائن الساحلية مثل صيدا وبيروت وبلوص (٢) وصور (٣) .

وارتاد الكنعانيون تلك المرافىء يتصيدون السمك فى مياهها ، ولعل نسبتهم إلى « صيدا » (٤) قد جاءت عن هذا الطريق . على أن أكثر مدائن الفينيقيين كانت ذات صلة بمصر ، خاصة « بلوص » ، والغالب أنها اتصلت بمصر منذ أبعد العصور (٥) .

(١) لم تخل النصوص المصرية من الكلام عن تلك الأنيذة وذكرها وذكر ربها « بوتو » التى كانت تقدر عند « تل نيشة » حيث البقاع الغنية بالكروم والأنيذة المصنوعة منها .
(٢) بلوص أحد الموانئ الشهيرة التى لعبت دورا عظيما فى حياة المصريين الاقتصادية والدينية ، فمنها حمل المصريون أكثر الخشب اللازم لعمايرهم الدينية والمدنية وتعرف باسم « جبيل » وتقع ما بين بيروت وطرابلس .
(٣) صور : ومعناها الصخرة وهى تسمية تتفق مع طبيعتها .

(٤) صيدا : الغالب أنه كان لتلك المدينة معبود يدعى « سيد » ومن رأى بعض المؤرخين أن الكنعانيين قد كانوا يزاولون فى مياهها صيد السمك ، وأن اسمهم يتصل بهذه الحرفة ، ومن الجائز أن يكون معبودهم هذا قد كان من آلهة الصيد ولعل فى اسمه ما يشير إلى تلك الحقيقة .

(٥) Gressman Bublos, Zeiting der alttestamentlichen Wissen chaft 1925, 225 ff.

ولم يبلغ التاريخ بمصر أيام الأسرة الثانية عشرة «٢٠٠٠ - ١٧٨٥ ق. م.» حتى غدا حكام المدينة من ولاة فرعون. ولم ير الناس فرقا بين معبودتها «بعلة» وبين معبودة المصريين «حاتحور» أو «إيزيس»، واتصلت الحياة الدينية بين مصر وبين تلك المدينة اتصالا تستطيع أن ترى أثره في تلك الأسطورة الخالدة التي تدور حول حياة «أوزيريس» وزوجه «إيزيس». وإلى الجنوب من ذلك يقع هذا الوادي المنخفض المعروف «بمنخفض النهر الكبير» الذي يحد من الشمال «لبنان» ويجرى فيه الطريق من الشاطئ، مخترقا «وادي العاصي» إلى شمال سوريا ثم يمتد إلى الفرات وتنتشر على جنباته مداثر حصينة تسكنها قبائل سامية.

وفي شمال «لبنان» والبقاع نزل قوم من الساميين يقال لهم «العموريون» وهم أقرب القبائل السامية إلى السكنعانية وقد جاء ذكرهم في الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين حيث يقول: «وحدث في أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك الآسار وكدر لعومر ملك عيلام، وتدعال ملك جوييم أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة، وشمثير ملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر. جميع هؤلاء اجتمعوا متماهدين إلى عمق السديم الذي هو بحر الملح. اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدر لعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه، وفي السنة الرابعة عشرة آتى كدر لعومر والملوك الذين معه وضرخوا الرافثيين في عشتاروث قرنايم والزوزيين في هام والإيميين في شوى قرنتايم والخوريين في جبلهم سعير إلى بطمة فاران التي عند البرية. ثم رجعوا وجاءوا إلى عين مشفاط التي هي قادش. وضرخوا كل بلاد العالقة وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامار»^(١).

(١) تك ١٤ : ١ - ٧.

(م - ٧ امراثيل فتنة)

والعموريون كانوا يسكنون حصون تامار ، وذلك عندما ضربهم « كدلر لومر » والملوك الذين كانوا معه ، ضربوهم مع كل بلاد العمالة في عين مشفاط التي هي قاش .

والظاهر أن العبرانيين ، لم يكونوا قد سيطروا على تلك البقاع أيام أن أخذ المصريون يحملون عليها ، وخصوصا أيام « تحتمس الثالث » ، وإنما كانت فلسطين ومدائن الساحل الفينيقي وقراه معمورة بقبائل أخرى ومن بينهم الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغة العبرانيين ، والغالب أن المكسوس قد لجأوا إلى تلك البقاع بعد خروجهم من مصر .

وإلى الشمال من ذلك انتشرت منازل « الآراميين » في وادي العاصي ، ممتدة إلى دمشق ، وهم من الساميين وأكثرهم من قبائل الرحل كانوا يتنقلون في الصحراء السورية ، وكان لسانهم لا يختلف في كثير عن لسان العبرانيين .

ومنذ مطلع الألف الثالثة ق . م . وبعثات التجارة البابلية تركب ذلك الطريق العظيم من طرق القوافل ، الذي يجري من بابل على متن الفرات مصعدا إلى « قرقيش » ثم يمتد إلى « حلب » ، و « حماه » في وادي العاصي لإحضار الخشب من غاب لبنان ، وكانت قوافل التجارة تسير في حراسة الفيالق المسلحة من جنود بابل .

ولما كان عام ٢٨٥٠ ق . م . فتج « سرجون الأول » ملك بابل شمال سوريا ولبنان وطوروس . وظلت تلك الأقاليم خاضعة لبابل حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، تظهر الولاء لملوكها وتبعث إليهم بالخراج .

وأقبلت سوريا على التراث البابلي لانتشار اللغة « البابلية الآكادية » بين الأقاليم السورية ، وأخذ الناس يكتبون بخط « بابل المسماري » ، وأضحت

اللغة البابلية وخط « بابل المعروف بالمسماري » من الأمور التي عرفت في كافة أقطار الشرق القريب . . . وغدا شأنها كشأن « اللغة الآرامية » أيام أكاسرة الفرس .

وعلى حين كانت الصلة بين بابل والأقطار الشمالية من سوريا على نحو ما تقدمنا ، كانت أقاليمها الجنوبية والساحل الفينيقي وعلى الأخص « بيلوص » وثيقة الاتصال بمصر منذ مطلع حياتها السياسية .

فلسطين وسوريا

وقعت أقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس أيام قيام دولتهم . فلما نهضت مصر على أيدي الفراعنة « فراعنة طيبة » وانكسرت شوكة الهكسوس في « أواريس » بعد واقعة « شاروهين » انقسمت البقاع السورية وأقاليم فلسطين إلى إمارات صغيرة يقوم على حكمها مزيج من الأمراء ، منهم من يمتد أصله إلى الآريين ، ومنهم من ينتسب إلى بطون القبائل السامية .

ورسائل تل العمارنة تعد لنا أكثر من ستين إمارة من تلك الإمارات الآسيوية التي اتصلت حياتها السياسية بالمصريين ، والغالب أنها كانت أكثر من ذلك . ومن وثائق « تحتمس الثالث » تعداد لست وعشرين ومائة بقعة من تلك البقاع التي تألف أمراؤها مع أمير قادش ، ثم رابطهم في « مجدو » فسار إليه فرعون وهزمه هزيمة منكرة (١) .

(١) « ولكن الرب لم يرجع عن جو غضبه العظيم لأن غضبه حي على يهوذا من أجل جميع الإغاثات التي أغاظه إياها منسى . فقال الرب إن أنزع يهوذا أيضاً من أمامي كما نزع إسرائيل ، =

وأكبر الظن أن أهل معظم تلك البقاع كانوا يتكلمون بلسان عبري ،
ورسائل « تل العمارنة » لم تفصل الحديث عن تلك القبائل وإنما اكتفت
بأن تسميهم « السكثانيين » وشمل ذلك الاسم كل سكان الشام يومئذ .
على أن تلك التسمية لم ترد في النصوص المصرية منذ قبل أيام « أمينوفيس
الثاني » الذي أسر منهم ٦٤٠ في طريق عودته إلى الوطن من حملته الأولى (١) .

غمر بدو الصحراء أكثر تلك الأقاليم من سوريا وفلسطين ، وكان
المصريون يطلقون عليهم اسم « الشاسو » وهو اسم نعت به المصريون عرب
آسيا جميعاً ولم تكن لهم جيوش منظمة يستطيعون أن يهبطوا بها إغاراتهم ، ولم
يكن لهم كذلك من سلاح الحرب ما يمكنهم من ملاقاته الجيوش المنظمة ، ولم
يتح لهم مطلقاً أن يعيثوا جيوشاً يلقون بها العدو على تلك الصحراء الواسعة ،
وما كانوا بقادرين على تعبيد الطرق التي تسلكها الجيوش في مجاهل صحراء
آسيا . ولعلمهم لم يروا مثل هذه الطرق إلا بعد أن سلكتها جيوش مصر تحت
إمارة بطل استقلالها « اعح موسى الأول » ١٥٨٠ - ١٥٥٨ ق . م . وهو

== وأرض هذه المدينة التي اخترتها أورشليم والبيت الذي قلت يكون اسمي فيه... في أيامه صعد
فرعون نحو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله في
« مجدو » حين رآه « ٢ مل ٢٣ : ٢٦ - ٢٩ .

« أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الحيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا
بيت الرب الذي قدسه في أورشليم . . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختارهم بالسيف
في بيت مقدسهم . . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم . . وسي الذين بقوا من السيف
إلى بابل « ٢ خب ٣٦ : ١٤ - ٢٠ .

(١) كان المعتقد قبل ذلك أن اسم السكثانيين لم يرد في النصوص المصرية أيام الأسرة
الثامنة عشرة ١٥٨٠ - ١٠٩٠ ق . م . ثم كشفت الأبحاث بعد ذلك عن لوح تاريخي كبير سجل
عليه « أمينوفيس الثاني » أخبار حملتين حربيتين قام بهما على الأقاليم الآسيوية في العامين
السابع والتاسع من أيام حكمه ، والسجل ثانياً اثنتين ، وجد حطام أولهما بين أنقاض الكرنك
وعثر على الثاني كاملاً في الأعوام الأخيرة بين أنقاض منف . « مجلة مصلحة الآثار عدد ٤٤٢ -
والنشرة تؤكد وجود السكثانيين حتى بعد العودة من سبي بابل . عزرا ٩ : ١٥ - ٣ .

يطارد المكسوس إلى شرق الأرض ، وبعد أن عبد سبتي الأول ذلك الطريق الحربي العظيم الذي يبدأ من « سيلة » « شاروا » عند القنطرة بين بحيرتي « البلح والمنزلة » مارا بالعريش ثم رفق إلى غزة . وسوف نرى كيف أن « سبتي » قد أعد هذا الطريق ونظمه وجهزه بآبار السقاية للجيش ، بحيث تستطيع الجيوش المصرية وقوافل التجارة أن تعبر الصحراء من مصر إلى فلسطين في سهولة ويسر (١) .

الآشوريون

عاصر الآشوريون ملوك بني إسرائيل لفترة طويلة ، وقد اجتاحت جيوشهم فلسطين ، فأخضعوا ملوكها وأرغموهم على دفع الجزية . وما استطاع بنو إسرائيل أن يرفعوا رؤسهم ويتنسموا نسيم الحرية إلا في الفترات التي كان الآشوريون يعدلون فيها عن مهاجمتهم بسبب موت أحد ملوكهم مثلا ، أو مقاومة ملوك سوريا لهم كما حدث في أيام داود وسليمان حينما ألقى السوربون هام ١٠٥٠ ق . م . عن ظهورهم عبء الآشوريين ، فتنفس بنو إسرائيل الصعداء ، وساروا بمملكتهم نحو المجد « وكان قمة مجد إسرائيل في عصر مملكة سليمان لحكمة ربانية أرادها الله من الإعلان عن ذاته للأمم أنه واحد أحد خالق السموات والأرض المعز المذل » .

ولم يسترد الآشوريون سطوتهم إلا بعد موت سليمان عليه السلام إذ تغلب « تيفلات بيلازر » على بني إسرائيل ، واستولى على بلادهم عام ٧٣٤ ق . م . ومن هناك سار نحو منازل الفلسطينيين ، فافتتح عسقلان وغزة ، ثم أخضع فريقا من أمراء العرب وملوكهم .

وفي سنة ٧٢٢ ق. م. سار « سرجون » بجيشه إلى جنوب فلسطين فأخضع الفلسطينيين ، وبنى يهوذا ، كما أنه أسر حانون ملك غزة في موقعة « رفح » . « فرجع ربشاقى ووجد ملك أشور يحارب لبنة » (١) .

وفي عام ٧١٥ ق. م. أخذ الجزية من بلاد العرب ، ونقل فريقا من بنى نمود وغيرهم من القبائل العربية النائرة إلى السامرة .

ولما مات سرجون سنة ٧٠٥ ق. م. وأعقبه ولده سنحاريب عصى اليهود عليه (٢) وعلى رأسهم « حزقيا » فجاءهم بجيش عرمرم وأخضعهم وفرض عليهم الجزية : « في ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه للملك أشور » (٣) .

وأخضع فلسطين كلها ، كما أنه انتصر على ملوك مصر والحبشة الذين أرسلوا إليه جيشا ليحاربه فانتصر عليهم في موقعتين إحداهما تمنة ، واستولى على ٤٦ مدينة من مدن بنى يهوذا المحصنة ودكها دكا .

وقبل أن يموت قاد غزوة أخرى على فلسطين سنة ٦٨٨ ق. م. وفي هذه المرة وصل إلى بلاد العرب ، وهاجم عاصمة « آدوم » وأسر ملكة العرب وإلهة البلاد ثم قفل راجعا إلى بلاده منصوراً .

(١) ٢ مل ١٩ : ٨ .

(٢) مصادر من التوراة :

سنحاريب ملك أشور } ٢ مل ١٨ : ١٣ - ١٦
شلمنأسر ملك أشور : ٣ مل ١٧ : ١ - ٢٤
ضد الملك حزقياملك يهوذا
ضد الملك حزقياملك يهوذا
ضد الملك آحاز ملك إسرائيل

(٣) ٢ مل ١٨ : ١٦ .

وفي زمن ولده « آسر حدون » ٦٨٠ ق. م. اجتاح الآشوريون فلسطين مرة أخرى ، ولكنهم لم يأتوا في هذه المرة بعمل يذكر . ولقد أقام « آسر حدون » ولده « آشور بانيبال » على الملك قبل وفاته فغزا هذا مصر ، وأخذ الجزية من ملوك فلسطين .

وفيما كان الآشوريون مشغولين بإطفاء ثورة بابل عام ٦٥١-٦٤٨ ق. م. قام العرب بغزو فلسطين فاجتاحوا بلاد آدوم ، وعمان ، وهوران ، وموآب وغيرها من البلاد . لكن « آشور بانيبال » عاد فغلب عليهم وظلت فلسطين تحت حكمه زمنا طويلا .

العرب

إن المؤرخين (١) يقصدون بالعرب على عهد الفراعنة والآشوريين والفينيقيين أهل البادية في القسم الشمالي من جزيرة العرب وشرقي وادي النيل في البقعة الممتدة من الفرات في الشرق إلى النيل في الغرب .

وفي دراستنا للهكسوس الذين جاء ذكرهم في فتوحات الفراعنة تبين أنهم البدو ، وأن هؤلاء هم الملوك الرعاة « الشاسو » الذين سيطروا على مصر وكونوا فيها ملكا عربيا مدة قرنين من الزمان « ١٧٨٥-١٥٨٠ » ق. م. وبمقارنة تاريخ الأنباط الذي سيأتي دوره بعدئذ ، نعلم أن هؤلاء ألنوا دولة عربية عاصمتها « البتراء » ، وقد امتد سلطان هذه الدولة من خليج العقبة حتى حدود مصر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط ، ثم شملت سيناء وامتدت

(١) العرب قبل الإسلام ، لجرجي زيدان تقلا عن هيروودس المؤرخ اليوناني الذي توفي

إلى حوران والعراق . وكان ذلك قبل القرن الرابع قبل الميلاد وظلت هذه الدولة قائمة حتى أوائل القرن الثاني الميلادي .

والعرب (١) لم ينفسكوا عن ارتياد هذه البلاد بعد هذا التاريخ أيضا وقبل ظهور الإسلام . اذكر قوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

ولقد ثبت أن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن ، ورحلة الصيف كانت إلى غزة ومشارف الشام . وكانت قريش تقصد غزة في فصل الصيف بقصد التجارة ، وكانوا يسمونها « حمراء اليمن » ويألقون ضواحيها لسعتها وخصبها حتى توطنها قبائل كثيرة منهم قبل الإسلام .

ولا بد لنا أن نذكر من من قبائل العرب نزل ديار الشام .

وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون : إن غزة من مواطن جرم ، وجرم أحد بطون قضاة . ولجرم أفخاذ كثيرة وفروع متعددة كلها كانت مساكنها ببلاد الشام « غزة » .

وذهب القاضي ولي الدين بن خلدون إلى أن « جرم قضاة » هم الذين يسكنون ببلاد غزة .

وأما القلقشندي فإنه يقول إن أولئك هم « جرم طيء » لا « جرم قضاة » وسواء كانوا جرم طيء أم جرم قضاة فإنهم لاشك من القبائل القحطانية لأن جرم طيء من بني كهلان ، وجرم قضاة من بني حمير . وكهلان وحمير ولدا يعرب . وهل يعرب وجرم سوى شعبيين من بني قحطان !

(١) إتحاف الأعزة في تاريخ غزة لمؤلفه الشيخ عثمان الطباع .

وقد أيد الحمداني رواية القلقشندي فقال: « جرم طيء » أحد الأحياء
الأحد عشر^(١) التي تنتمي إلى كهلان . وقد أخذوا هذا الاسم نسبة إلى أمهم
« جرم بنت الغوث بن طيء » وهم الذين ببلاد غزة من الديار الشامية . وقد
كانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على دفع الفرنج عن المسلمين . فلما فتح السلطان
صلاح الدين البلاد دخلت طائفة منهم مصر وبقيت بقاياهم بمكانهم ببلاد غزة .

وفي إحدى الخرائط التي أثبتها الأستاذ سميث G. A. Smith ذكر عن
قوم قال عنهم إنهم احتلوا غربي فلسطين من يافا إلى غزة فجار « تل حمة »
قبل مجيء بني إسرائيل « ١٥٠٠ - ١٢٥٠ » ق. م . وأسماهم Kena Kenahhi .

وفي عصر القضاة لبني إسرائيل « ١٠٥٠ ق. م . » عاش في البقعة الواقعة
شمالى النقب وغربى البحر الميت « أى حيث توجد الآن قبائل الظلام
والقديرات » قوم يدعون Jerahmeelites وهؤلاء هم « جرم » من
بني قحطان .

ومن القبائل التي كانت هناك في ذلك العهد بنو كنانة ، وكلاب ،
وقد جاء ذكر بني كنانة Kenites في عهد شاول ١٠٢٠ ق. م . وفي
عهد داود وسليمان « ١٠١٥ - ٩٣٠ ق. م . » كان يقطن البقعة الواقعة بين
« تل الملح » وعرعر قوم أسماهم سميث Calebites وهم بنو كلب^(٢) .

وما سميت غزة « حمراء اليمن » إلا لكثرة العرب « الحميريين » فيها .

(١) الأزدي ، وطيء ، ومنحج ، وهمدان ، وكندة ، ومراد ، وأنتار ، وجذام ،
ولحم ، وعاملة ، والأشعريون .
(٢) وهذا يوافق ما ذكره القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » نقلا عن صاحب حماة
عن منازل بني كلب .

ولما جاء الإسكندر إلى غزة وحاصرها سنة ٣٣٢ ق . م . كانت حاميتها من العرب ، فقاومته أشد المقاومة .

وفي الخطط أن العرب سكنوا بلاد الشام قبل الإسلام بنحو ألفين وخمسة مائة من السنوات .

وما كاد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يجاهر بالدعوة الإسلامية لاعتراف الدين الإسلامي حتى انضوى قسم كبير من العرب تحت رايته ، ثم دبت الحياة في نفوسهم فتأقوا للخروج من الجزيرة ، وخرجوا ولكن كفأحيم في هذه المرة ، وما هي إلا سنوات معدودات حتى أخذت رايتهم تحفق في سماء فلسطين والشام والعراق وفارس ، ولأول مرة بعد زوال حكم « الملوك الرعاة » والأنباط دخلت فلسطين تحت حكم عربي صميم ، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب يوم فتح عمرو بن العاص هذه البلاد ومصر وتم له الفتح والاستيلاء عام ٦٤٠ م .

وقد ظلت هذه البلاد تحت حكم الخلفاء الراشدين في الحجاز حتى قتل الإمام على كرم الله وجهه سنة ٤٠ هـ - ٦٦٠ م ، وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام عام ٤١ هـ الموافق ٦٦١ م .

وسواء أديرت حكومة فلسطين من الحجاز أم من الشام فقد هبط خلال هذه الفترة من الزمن التي انقضت بين خلافة عمر بن الخطاب وتأسيس الدولة الأموية في الشام فوج جديد من العرب إلى أرض فلسطين وكونوا فيها بالامتزاج والمصاهرة مع الطلائع الأولى الذين سبقوهم من العرب قبل الإسلام كيئاناً

عربياً هو الذي نراه فيها في الوقت الحاضر قبل اغتصاب الصهيونيين لأرض فلسطين .

وكان أن مصر وسوريا كانتا في الأزمنة الغابرة في حالة جزر ومد ، فقد ظلتا كذلك بعد الإسلام أيضاً . وعلى هذا المنوال تكون هذه البلاد قد انتقلت تباعاً من حكم الخلفاء الراشدين في خلافة عمر بن الخطاب « ١٣ ٦٣٤ م » إلى حكم الأمويين في زمن معاوية بن أبي سفيان « ٤١ ٦٦١ م » ، ومروان ابن الحكم « ٦٥ ٦٨٤ م » ومروان بن محمد « ١٢٧ ٧٤٤ م » ، إلى حكم العباسيين في زمن أبي العباس الملقب بالسفاح « ١٣٢ ٨٤٧ م » ، والمهدي بن الواثق « ٢٥٥ ٨٦٩ م » وللمعتمد على الله « ٢٥٦ ٨٧٠ م » ، إلى الدولة الطولونية في زمن أحمد بن طولون « ٢٥٧ ٨٧٠ م » ، وخارويه ابن أحمد « ٢٧٠ ٨٨٤ م » ، إلى الدولة الإخشيدية في زمن محمد بن طفج الإخشيد « ٣٢٣ ٩٣٤ م » ، وأنوجور بن الأخشيد « ٣٣٤ ٩٤٦ م » ، وكافور الإخشيدى « ٣٥٥ ٩٦٦ م » إلى الدولة الفاطمية « ٣٥٨ ٩٦٩ م » إلى دولة الأرتقين في زمن أرتق بن أكسك « ٤٨٤ ١٠٩٥ م » فالدولة الأيوبية في زمن صلاح الدين الأيوبي « ٥٦٧ ١١٧١ م » ، فدولة المماليك « ٦٤٩ ١٢٥١ م » إلى أن دخلت في حكم الأتراك العثمانيين وكان ذلك في أيام السلطان سليم الذي حارب المماليك وغلبهم في موقعة جرت بينه وبينهم بالقرب من غزة « مرج دابق » « ٩٢٢ ١٥١٦ م » .

الأنباط ، الآدوميون ، العمالقة ، العموريون

الأنباط :

الأنباط هم خلفاء الآدوميين في شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين قهروهم

سواحتلوا بلادهم ، ثم أنشأوا دولة الأنباط العربية (١) التي امتد سلطانها من خليج العقبة حتى حدود مصر وشواطئ البحر المتوسط ، وقد شمل أيضاً سيناء وامتد إلى حوران والعراق ، وكان ذلك حوالي القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد ظلت دولتهم قائمة حتى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد إذ دخلت بلادهم في حوزة الرومان وكان ذلك عام ١٠٦ م . والأنباط عرب ولفتهم آرامية ، وعاصمتهم البتراء ، وكانوا مسيحيين على طرق التجارة من الشام إلى البحر الأحمر فبلاد العرب ومدائن صالح .

ويرى السير « جورج آدم سميث » أن الأنباط كانوا منذ عام ٧٢٠ ق.م. حتى سبى يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م . يعيشون فيما وراء النقب المطلة على بوادي العربية .

وفي زمن الفرس ٥٣٨ — ٥٣٢ ق . م . امتدوا نحو الغرب حتى اجتازوا النقب واستولوا على القسم الجنوبي من دير السبع الحالية حيث تنزل قبيلة العزازمة في يومنا هذا . وقد كانوا في هذا العهد مجاورين للآدوميين في الشمال ولما احتل الإسكندر فلسطين سيطر على جميع الأراضي التي تؤلف دير سبع في الوقت الحاضر إلا الأنباط فقد ظلوا في منازلهم بوادي العربية .

وقد ظل الأنباط محتفظين باستقلالهم ومجدهم (٢) حتى سنة ٦٠١ م حين غزاهم تراجان ، ولم يجد الأنباط بداً من الاختلاط بأهل البلاد الأصليين من سريان وآرام فانتشروا على حدود سوريا وفلسطين مما يلي البادية بين سيناء والفرات .

(١) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان .

(٢) أنثى الأنباط حضارة باهرة وقطعوا شوطاً واسعاً في مبادي الفن والرقى .

هم أولاد عمومة لإسرائيل ويرجع نسبهم إلى عيسو أخى يعقوب بكبر إسحق (١). أما لماذا سمي آدم فلا نه تاقت نفسه لأكلة عدس كان يطبخها أخوه يعقوب ، « فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأنى قد عييت لذلك دعى اسمه آدم » (٢). ويعقوب فى دهائه ومكره لم يعط أخاه أكلة عدس باطلا بل بأعلى ثمن بأن يثنازل عيسو عن البكورية له .

ومن ثم تولد الاحتقار فى قلب عيسو ، وولد الجبن والخوف فى قلب يعقوب حتى أن يعقوب تضرع إلى الله قائلاً : « نجنى من يد أخى من يد عيسو لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين وأنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد » (٣).

أما عيسو فهاجر تاركا البلاد لأخيه يعقوب : « ثم أخذ عيسو نساءه وبنياه وبناته وجميع نفوس بيته ومواشيه وبهائمهم وكل مقتنائه الذى اقتنى فى أرض كنعان ومضى إلى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه » (٤).

ومن التنافر بين الأخوين توارث الأبناء العداوة والكراهية . وزاد الطين بلة أن عيسو لم يحظ برضا والديه لاقترانه ببنت إسماعيل عمه وبنات

(١) انظر إلى تكوين ٢٥ : ٢١ - ٢٦ .

(٢) انظر إلى تكوين ٢٥ : ٢٩ - ٣٤ .

(٣) تكوين ٣٢ : ١١ ، ١٢ .

(٤) تك ٣٦ : ٦ .

الحنينين « فكانت هذه النساء مرارة نفس لإسحق ورققة » (١). وعلى التقيض استحوذ يعقوب على حب والديه بطاعته لهما واقترانه بمن تهواها نفسهما (٢). ومن عيسو خرج ملوك وأمراء « ملسكوا في أرض آدوم قبلما ملك ملك لبني إسرائيل » (٣)، « فسكن عيسو في جبل سعير وعيسو هو آدوم » (٤). وكانت منازلهم بادية. ذى بدء جنوبي البحر الميت، ثم اتسعت حتى شملت جزءاً كبيراً من الأراضي التي تؤلف دير السبع في الوقت الحاضر، وكانوا قبائل وفرقا، وقد حاول شاول أن يتغلب عليهم في القرن العاشر قبل الميلاد فلم يفلح بطائل (٥)، فلما تولى داود الأمر أخضعهم (٦) فحقدوا عليه ومالئوا أعداءه وأعانوهم على حربه، وقد ساعدوا نبوخذ نصر يوم نهب أورشليم وذبح أهلها (٧) فجزاهم خير الجزاء، وأيد سلطتهم في آدوم ووسع نطاقها من تخوم مصر حتى البحر المتوسط. وقد ظلوا في سعة من العيش حتى داهمهم الأنباط واحتلوا بلادهم وبذلك انتهى ملكهم وسلطانهم.

العمالة :

وهم من أبناء عيسو (٨) وجاء ذكرهم عند التحام بني إسرائيل بهم بعد خروجهم من مصر « وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم » (٩)، وتروى التوراة أن الله ناصر لموسى وقومه - لأنهم صورته على الأرض ونموذج حي للتوحيد - على عماليق « فإني سوف أمحو ذكر عماليق » (١٠).

- (١) تك ٢٨ : ٩ ؛ تك ٢٦ : ٣٤ ، ٣٥ ؛ تك ٢٧ : ٤٦ .
 (٢) تك ٢٨ : ١ - ٨ . (٣) تك ٣٦ : ٣١ .
 (٤) تك ٣٦ : ٨ . (٥) ١ صم ١٤ : ٤٧ - ٥٢ . (٦) ٢ صم ٨ : ١٤ .
 (٧) ٢ مل ٢٤ : ٢ ؛ ٢ مل ٢٥ : ٨ - ١٢ ؛ ٢ مل ٢٥ : ٢٢ .
 (٨) انظر تك ٣٦ : ١٥ . (٩) خر ١٧ : ٨ . (١٠) خر ١٧ : ١٤ ، ١٥ .

ولا ريب أن كتبة التوراة سيطرت على أذهانهم العنصرية الاستعمارية فجعلوا الله تعالى وفقاً لنزعاتهم يحارب عنهم وينصرهم ويقهر أعداءهم .
كما نسبوا لموسى نبي الله التجسس والحث عليه لاستطلاع أرض كنعان (١) ،
فعاد الجواسيس وأذاعوا أن الأرض التي مروا فيها هي أرض تأكل سكانها
وهناك الجبابرة بنى عناق (٢) : « فكنا في أعيننا كالجراد ، وهكذا
كننا في أعينهم » . لكن الشعب فضح نفسه بنفسه فصرخت كل الجماعة وبكى
الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وتناولوا على الله بقولهم : لماذا أتى بنا الرب
إلى هذه الأرض فنسقط بالسيف (٣) .

واندلعت الحرب بين إسرائيل وعماليق ، وعلم موسى أن إسرائيل لن تقوى
عليهم فحذرهم وظل وتابوت عهد الرب في مكانهما ، فنزل العاقبة
والكنعانيون وضربوا إسرائيل وقهروهم وكسروهم إلى حرمة (٤) .

وبنو إسرائيل جبلوا على الجبن والخوف واشتهروا بالسكر والدهاء وأرادوا
أن يقيموا لهم كياناً يرهبون به أعداءهم فنسبوا إلى الله أنه اصطفى يعقوب وحرّم
عيسو (٥) وجعل الأرض ميراثاً ليعقوب ولبنيه من بعده حتى ولو كان على حساب
انتزاع أرض الآدوميين .

العموريون :

ومن الأمم التي عاشت في دير السبع في الأزمنة الغابرة وكان لها ذكر جليل
فيها « العموريون » ، فقد كان لهؤلاء في فلسطين خمس مدن هي :

(١) انظر عدد ١٣ : ١٧ - ٣٣ . (٢) ولقد استغل هذه المادة استغلالاً طيباً كاتب
رواية Gulliver المقررة على المدارس الإعدادية .
(٣) انظر عدد ١٤ : ١ - ٣ . (٤) انظر عدد ١٤ : ٤٢ - ٤٤ .
(٥) انظر تك ٢٨ : ١٣ - ١٥ .

أورشليم « ييوس » ، وحبرون « الخليل » ، ولاخيش « تل الحسي » ،
وعجلون « خربة عجلان » ، ويرموث « عراق المنشية » .

وتذكر التوراة حسن تصرف إبراهيم مع ابن أخيه لوط يوم أن تنازع
رعاهما على الأرض بأن اعتزل ابن أخيه لوط ، وسكن لوط أرض عمورة ،
وقد كانت كجنة الرب كأرض مصر (١) ، وسكن إبراهيم في أرض كنعان (٢) .
وتذكر التوراة الملوك الذين ملكوا الأرض وكان إبراهيم وإسحق
ويعقوب وبنوه غرباء في تلك الأرض (٣) .

وتسجل التوراة الأرض لسكانها الأصليين في حادث نجدة إبراهيم لابن أخيه
لوط عندما وقع أسيراً في حرب بين ملوك الأرض (٤) .

كما تسجل التوراة أن عبادة الله الواحد الأحد كانت معروفة قبل إبراهيم
عليه السلام : « وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخبزاً وكان كاهناً لله العلي
وباركه وقال : مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ، ومبارك الله
العلي الذي أسلم أعدائك في يدك » (٥) .

وملكى صادق هذا من نسل كنعان كان ملكاً على مدينة وولاية ييوس ،
ويبدو أن ملكى صادق وإبراهيم كانا ابني عم مثل يعقوب وقيدار ، ذلك بأن
نسلهما قد بدأ بولدى نوح وها حام وسام وقد سار النسلان جنباً إلى جنب
فولد حام كنعان وأقام في أرض الشام « سوريا ولبنان وفلسطين والأردن »
وولد سام أرفكشاد الذي أقام في العراق والجزيرة العربية (٦) .

وقد شمل سلطان العموريين تل الملاح ، وتل عواد ، والبحر الميت ، واتسع

(١) انظر تك ١٣ : ١١ ، ١٠ ، ١١ .

(٢) انظر تك ١٤ : ١٠ — ١٤ .

(٣) انظر تك ١٤ : ١٠ — ١٤ .

(٤) انظر تك ١٤ : ١٠ — ١٤ .

(٥) انظر تك ١٤ : ١٠ — ١٤ .

(٦) انظر تك ١٤ : ١٠ — ١٤ .

حتى شمل جزءاً كبيراً من شرق الأردن . ويقول السر « فلندرس بترى »
إنهم استولوا على مصر في عهد مرن رع من فرعون مصر سنة ٣٢٣٥ ق . م .
ولقد كان العموريون من ألد أعداء بني إسرائيل ، وليس لهذا العداء من
سبب سوى أن هؤلاء أرادوا أن يخرجوهم من أوطانهم ، وقد اتحدت مدنهم
الخمسة وحاربت بني إسرائيل زمناً طويلاً .

العبرانيون

حوالي عام ١٨٠٥ ق . م . هاجر إبراهيم وجماعته من مدينة « أور »
الكلدانية في العراق إلى أرض كنعان بعد أن عبروا نهر الفرات فنهر الأردن ،
ولذلك سماها بالعبرانيين^(١) . وأتوا إلى حاران وسكنوا هناك وفيها ولد لإبراهيم
إسحق وإسحق ولد عيسو ويعقوب .

ومن عجب أن يعقوب ولد له الأسباط الاثنا عشر في أرض فدان آرام
موطن خاله لابان بل موطن جده إبراهيم^(٢) وانتسبوا إليه وحملوا اسم إسرائيل
الذي دعى به يعقوب عند منازلته لله وانتصاره عليه^(٣) ، وعندما ظهر الله له
وباركه بميراث الأرض له ولبنيه من بعده^(٤) .

سكن إبراهيم أرض كنعان وتاقت نفسه إلى ولد يكون امتداداً له ، فناجى
ربه قائلاً : « ماذا تعطيني وأنا ماض حقياً؟ »^(٥) فوعده الله بأرض تمتد من نهر
مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات^(٦) .

وآمن إبراهيم وزوجه سارة بوعد الله وأدخلته على هاجر جاريته لتلد له
ولداً يحمل اسمه ويتحقق فيه وعد الميراث^(٧) « فولدت هاجر لأبرام ابناً .

- | | |
|----------------------------|----------------------------------|
| (١) انظر تك ١١ : ٣١ . | (٢) انظر تك ٢٨ : ١ - ٥ ، تك ٣١ : |
| (٣) انظر تك ٣٢ : ٢٤ - ٢٩ . | (٤) انظر تك ٣٥ : ٩ - ١٥ . |
| (٥) تك ١٥ : ٢ . | (٦) انظر تك ١٥ : ١٨ . |
| (٧) انظر تك ١٦ : ٣ : ٤ . | |

(م -- ٨ إسرائيل فتنة)

ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل» (١) .

وعندما بلغ إبراهيم من العمر مائة عام ولد له ولد آخر هو إسحق من زوجته الأولى سارة (٢) ، لتأكيد قدرة الله على العطاء . لكن الاحتكاك العائلي والتكالب على الدنيا دفعا سارة إلى أن تضغط على زوجها إبراهيم ليطرد زوجته هاجر وابنها إسماعيل حتى تضمن الوعد في ابنها إسحق (٣) . وحزن قلب إبراهيم على ابنه إسماعيل فأكد الله القدير الوعد له بقوله : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يولد وأجمعه أمة كبيرة» (٤) . كما أكد الله وعده لهاجر بقوله : « إني سأجمعه أمة عظيمة» (٥) .

بئر سبع :

وتاريخ بئر سبع حافل بالوقائع التي لها صلة بالعبرانيين (٦) ، وسميت كذلك لوجود سبع آبار في المنطقة وتدل التوراة بذكرى ميثاق بين إبراهيم وأبيمالك ملك الفلسطينيين لاستتباب الأمن والسلام بينهما (٧) .

وإسرائيل في فترة إقامتهم ومناوشتهم لسكان الأرض أرض كنعان لم يقووا على سكان البلاد (٨) .

أما حادثة ميثاق إبراهيم مع أبيمالك فيرجح أنها وقعت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . في عصر الأسرة الثانية عشرة لفرعون مصر .

(١) تك ١٦ : ١٥ .

(٢) انظر تك ١٧ : ١٥ - ١٧ ، تك ٢١ : ١ - ٨ .

(٣) انظر تك ٩ : ٢١ - ٢١ .

(٤) تك ١٧ : ٢٠ . (٥) تك ٢١ : ١٨ .

(٦)

The Encycloepadia Britanica .

(٧) انظر تك ٢١ : ٣١ ، ٣٢ .

(٨) انظر يشوع ١٥ : ٦٣ ، ١٩ : ١ ، ٢٠ : ٢٠ .

ويتحول بنو إسرائيل إلى عصابات لاغتصاب البلاد وطردها، ويبررون أعمالهم العدوانية بالتقنين بقانون سماوى فزعموا أن الله قد استأثر بالوعد لإسحق دون إسماعيل (١) وأن الله فدى إسحق لإسماعيل (٢)، ومعنى هذا أن الميراث محصور فى إسحق دون إسماعيل، وهذا زعم باطل نفاه الله فى محكم آياته (٣).

ومن قبل زعموا أن الله سبحانه وتعالى هدى نوحا أن يبارك ابنه سام مقابل لعنه حام وصيرورته عبداً لسام (٤).

ومن بعد زعموا أن الله بارك يعقوب دون عيسو، ومعنى هذا أن ممتلكات كنعان وآدوم حلت لإسرائيل ومن ثم كان الزعم بأن الله قد وعدهم بميراث الأرض قائلاً: « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » (٥).

وهنا تندافع المطالبة بالحقوق الشرعية:

- ١ - حقوق إسماعيل فى أبيه إبراهيم التى انتزعتها سارة والدة إسحق .
- ٢ - حقوق عيسو فى أبيه إسحق التى انتزعتها رفقة أمه لحبها ليعقوب .

(١) انظر تك ١٧ : ١٨ - ٢١ ، تك ٢١ : ٩ ، ١٠ .

(٢) انظر تك ٢٢ : ١ - ١٩ .

(٣) انظر سورة الصافات : ١٠١ - ١١٢ .

(٤) انظر تك ٩ : ٢٠ - ٢٧ .

(٥) انظر تك ١٥ : ١٨ - ٢٠ ، يشوع ٧ : ١ - ١١ .

٣ - حقوق حام في أبيه نوح الذي زعموا أنه لعنه وصيره عبداً لابنه سام .

إنهم ضيقوا حلقة الميثاق من إبراهيم وخلعوها في يعقوب فحسب ، وزعموا أن الله جعل الوعد والميراث للأرض ليعقوب دون سواه (١) .

هذه مزاعمهم بينما الحقائق تؤكد الوفاق بين إسحق وإسماعيل عندما مات إبراهيم « دفنه إسحق وإسماعيل في مغارة المكفيلة » (٢) .

والوفاق بين يعقوب وعيسو عندما مات إسحق « دفنه عيسو ويعقوب ابناه » (٣) .

هجرة اسرائيل الى مصر :

نزع يعقوب وأولاده إلى مصر عام ١٧٢٠ ق . م . بسبب القحط في فلسطين (٤) . وفي مصر تكاثروا وتنكروا الأولياء نعمتهم المصريين وتواطؤوا مع أعداء مصر مما دفع فراعنة مصر إلى التخلص منهم بعد أن أقاموا بمصر حوالي ٤٣٠ سنة كما تذكر التوراة (٥) .

وكان خروجهم في زمن نبي الله موسى معاصراً لعهد رمسيس الثاني ١٢٩٨ - ١٢٣٢ ق . م . حيث هرب موسى بقومه من وجه فرعون حوالي سنة ١٢٩٠ ق . م . (٦) .

-
- (١) انظر تك ٣٥ : ٩ - ١٢ .
(٢) انظر تك ٢٥ : ٩ - ١٠ .
(٣) انظر تك ٣٥ : ٢٩ .
(٤) انظر تك ٤٦ : ١ - ٧ .
(٥) انظر خروج ١٢ : ٤٠ .
(٦) انظر خروج ١٣ : ١٧ - ٢٢ : ١٤ : ١ - ٣١ .

موسى نبي الله وشعب اسرائيل :

حاول موسى أن يقود بني إسرائيل إلى أرض كنعان (١) لكنه عانى من بني إسرائيل تمرداً وعصياناً لله وإشراكاً به حتى أن الله أتهمهم في البرية أربعين سنة وفي جبل موسى عداه وهرون وكالب بن يفته في البرية قصاصاً لعصيانهم وتمردهم (٢) .

ويعال هانتنغتون E. Huntington انكسارهم أمام العاقلة بأن العاقلة كانوا متحصنين في النقب وليس من السهل على أى جيش في العالم أن يجتاز هذا النقب من غير أن يتكبد خسائر فادحة .

وموسى عليه السلام كان في تحركاته يهتدى بالله ولهذا فإن الله أيده بنصره ويمكن بني إسرائيل تحت قيادته ووجود تابوت عهد الله في وسطهم من النصر على الأمم حوالهم .

وكاد بنو إسرائيل أن يشرفوا على الهلاك في المرة الأولى (٣) لولا أنهم ارتدوا على أعقابهم ثم حاولوا مرة ثانية اجتياز منطقة النقب « بئر السبع » وإخضاع العاقلة (٤) .

ويدفع موسى بني إسرائيل لامتلاك أرض كنعان فيخطبهم بقوله: « كفاكم قعوداً في هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين » (٥) . ويتحول

(١) انظر خروج ٣ : ٨ .

(٢) انظر عدد ١٤ : ١ - ٤٥ ، خروج ٣٢ : ٧ - ١٤ .

(٣) انظر عدد ١٤ : ٤١ - ٤٥ « لاتصعدوا. لأن الرب ليس في وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم » .

(٤) انظر خروج ١٧ : ٨ - ١٣ « وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا

خفض يده أن عماليق يغلب » .

(٥) تثنية ١ : ٦ ، ٧ .

الشعب الرعديد (١) الجبان بطاقة جبارة بعثها فيهم نبيهم موسى بوعوده أنهم يمتلكون الأرض وأن الله يحارب عنهم ، وأن الله يطرد كل سكان الأرض (٢) ، ولكنه عاد فجعل مناصرة الله لهم مشروطة بطاعتهم لله (٣) . وتنتهى مهمة موسى عند البرية حيث يدفنه الرب فى الجواء فى أرض موآب (٤) . ويتولى الخلافة بعده يشوع بن نون (٥) فيقود شعب إسرائيل ويعبرون نهر الأردن سنة ١١٨٦ ق م . وقد دفعهم للحرب بكل وحشية قائلاً لهم : « حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وأحرقوا المدينة » (٦) . إن منطق يشوع هذا هو منطق عصابات الهاجاناه والاشتيرن الذين بعثوا الرعب فى المواطنين الفلسطينيين أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين . بل إن الأسلوب الذى اتبع فى مذبحه دير ياسين هو الأسلوب نفسه الذى اتبعه يشوع فى حربه مع الكنعانيين وإرغامهم على الهجرة من البلاد ، على عكس ما قضت به الشريعة الموسوية بالوصية : « حين تقرب من مدينة لكى تجارها استدعها إلى الصلح .. » (٧) . ولم يترك الله البشرية تقاتل باسم الدين بغير حق فأنزل آياته البينات بقوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا » (٨) .

(١) لاويون ٢٦ : ٣٦ - ٣٩ .

(٢) انظر عدد ٣٣ : ٥٠ - ٥٣ .

(٣) خروج ٣٤ : ١١ - ١٦ .

(٥) انظر يشوع : ١ - ٩ .

(٤) تثنية ٣٤ : ١ - ٦ .

(٧) تث ٢٠ : ١٠ - ٢٠ .

(٦) انظر يشوع ٦ : ٢١ - ٢٤ .

(٨) المائدة : ٣٢ .

ومن حكمة الله في قوله: «مانسخ من آية أو نفسها نأت بخير منها أو مثلها». وكانت شرعة الله في القتال واضحة بيّنة في الآيات الواردة في سورة الممتحنة آيات ٧ - ٩، الأنفال آية ٣٩، ٤٠.

بنو اسرائيل لم يستطيعوا طرد سكان الارض ولا ان يحافظوا على شرعة الله:

غزا يشوع أرض كنعان ، وتذكر التوراة الآيات والمعجزات التي صنعها له الله لتأييد وجوده بينهم قائدا لجند إسرائيل منها وقف مياه الأردن: «ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت الرب سيد الأرض كلها في مياه الأردن أن مياه الأردن المياه المنحدرة من فوق تنفلق وتقف ندا واحدا» (١)، وذلك على غرار ما صنعه الله مع موسى عند مواجهته للبحر عند فم الخيروث أمام بعل صفون، «إذ مد موسى يده على البحر فأجرى الرب بريح شرقية كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء» (٢).

ولعل هذه الآيات والمعجزات التي رآوها رأى العين كانت كفيّلة بتثبيتهم على الإيمان ، لكنهم سرعان ما اندمجوا بسكان البلاد وامتزجوا بهم بالمصاهرة وتأثروا بأخلاقهم وعاداتهم (٣) وبهذا انحرفوا عن الصراط المستقيم . وبعد وفاة يشوع تولى قضاة تتابعوا على حكم إسرائيل والدفاع عنهم وظلوا طيلة عهد القضاة في قن وحرب مع سكان البلاد فلم يقووا على الماكلة والفلسطينيين والكنعانيين حيث استعبدتهم تكررأ ومرارأ يابيين ملك كنعان ، وكذلك مديان وأيضا زعماء الفلسطينيين ، وقد زاد في بلواهم تفرق كلمتهم .

(١) انظر يشوع ٣ : ٩ - ١٧ .

(٢) انظر خروج ١٤ : ١ - ٣٠ .

(٣) قضاة ٣ : ٥ - ٦ .

تتويج شاول ملكاً لإسرائيل :

ظل بنو إسرائيل متنازعين فيما بينهم مستعبدين مستذلين من شعوب الأرض وسكانها، وتاقت نفوسهم إلى الكيان السياسي شأنهم شأن الأمم حوالهم، فنظموا أنفسهم وطلبوا من نبيهم صموئيل قائلين له : « اجعل لنا ملكاً يقضى لنا كسائر الشعوب »^(١). وجعل شاول عليهم ملكاً. ثم تذكر التوراة أن الله ندم على تتويج شاول وأن الله يؤثر داود عليه وتتولد مناوذة بينهما تنتهي بأن يسيطر داود على زمام الأمة الإسرائيلية^(٢) سنة ١٠٠٧ ق . م على أثر موت أشبال بن شاول البنياميني^(٣)، ثم يدخل في حرب مع الفلسطينيين حتى يتم له النصر عليهم سنة ١٠٠٠ ق . م ، واستولى على ييوس « القدس » بعد أن انتصر على الكنعانيين وجعلها قاعدة للملكة كما أخضع العمالقة في الجنوب والآدوميين في وادي الملح وجعلهم يدفعون له الجزية كما أخضع جرار من قبل عام ٩٩٥ ق . م ، حيث أقام في صقلغ سنة وأربعة شهور^(٤) لاجئاً سياسياً عندما هرب من وجه شاول الملك . وكان وجوده بها نكبة على البلاد إذ أحرقها العمالقة انتقاماً من داود^(٥) .

مملكة سليمان .. هيكل سليمان .. مدينة اورشليم :

ازداد هذا الملك اتساعاً في عهد سليمان ، ومن ثم فقد تحقق ميثاق الله لإبراهيم في ميراث الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات^(٦) ، وازدهرت مدينة ييوس التي أطلق عليها بعدئذ « اورشليم » ، وبنى سليمان

(١) انظر ١ صم ٨ : ٥ ، ١ صم ١٢ : ١ . (٢) انظر ١ صم ١٥ : ١٠ ، ١١ ، ١ صم ١٦ : ١ — ١٤ ، ١ صم ١٩ : ١ ، ٢ ، ١ صم ٢٣ : ١٥ — ١٨ ، ١ صم ٢٧ : ١ — ٤ ، ٢ صم ٣ : ١ ، ٢ صم ٥ : ١ — ٥ .
(٣) ٢ صم ٢ : ١٠ ، ١١ . (٤) ١ صم ٢٧ : ٥ — ٧ .
(٥) انظر ١ صم ٣٠ : ١ — ٦ . (٦) تك ١٥ : ١٨ .

هيكلًا جميلًا في البقعة نفسها ، والمعتمد أن مذبح سليمان أمام الهيكل قد وضع فوق الصخرة التي بنى داود (١) عليها مذبحًا أيضًا حيث كان جده الأعلى قد بنى مذبحًا من قرون عديدة خلت (٢) ودعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراه حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى .

صخرة المريا :

إن هذه الصخرة العظيمة في مكانتها القدسية تفاظر الحجر الأسود في الكعبة فهي تبعث الخيرة والجزع حتى في نفوس علماء اليوم المحدثين . فبالرغم من أن فناء الهيكل في القدس هو القمة المستوية لحافة من حجر السكاس زبدية اللون ، فإن صخرة المريا ذات سواد متلألئ ، كبيرة سائبة ومستديرة في حجم البيت ، مدفونة إلى نصفها في الوسط الغربي من فناء الهيكل ، في ظلام القبّة الهائلة من المسجد المدعو بمسجد قبّة الصخرة المبني فوقها .

فهل اختار الله ييوس « أو شليم » التي تسمى اليوم « القدس » لأنها كانت مدينة سلام ؟ أو أنها توصلت إلى تلك الصفة بعد أن أقيمت عبادة لله ومنزلها البيت الحرام . فلما بعث فيهم عيسى طهر الهيكل مندداً ببني إسرائيل قائلاً : « بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوف » (٣) . كما توصلت مكة المكرمة ببيت الله الحرام فيها إلى إقامة عبادة لله فلما بعث سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم طهر البيت للعاكفين (٤) .

(٢) انظر تارك ١: ٢٢٢ — ٩٠٢ — ١٤ .

(٤) البقرة : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(١) ص ٢٤٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ .

(٣) مرقس ١١ : ١٥ — ١٨ .

زوال مملكة سليمان :

إن هذا النصر الذي أيد الله به عبديه داود وسليمان كان بمثابة إشراقة نورانية لشعوب الأرض عن المجتمع الذي يسير مع الله وفي طريق الله ، إلا أن بني إسرائيل تبدلوا وتغيروا وألهتهم دنياهم عن آخرتهم ، فواجهت صخرة المريا مصيرا مؤلما ذلك أن الإسرائيليين بدلا من أن يبقوا هناك على صفاء عبادة الإله الأعلى حقروها وحطوا من قدرها (١) .

وتزعم التوراة أن سليمان ذاته انحرف وأشرك بالله بعد « أن أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات أدوميات وصيدونيات وحشيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالحبة وكانت له سبعائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه » (٢) ، والناس ينهجون على نهج ملوكهم ، ومن ثم أعلن الله انقسام المملكة بعده (٣) .

مملكة اسرائيل ويهوذا :

خلف رحبعام أباه وورث تركة مثقلة بالآثام والخطيئة مما أضعف شوكة اليهود . وسار شيشنق فرعون مصر — في عهد الأسرة الفرعونية الثانية والعشرين ٩٥٠ ق . م . — ٧٣٠ ق . م . — وغزاها وتوج عميله « يربعام » ملكا على إسرائيل وأبقى رحبعام ملكا على يهوذا (٤) .

ومن ثم انقسمت المملكة التي اتسعت في عهد سليمان بعد أن بلغت

(١) انظر ١ مل ١١ : ٧ - ٨ . (٢) انظر ١ مل ١١ : ١ - ٣ .

(٣) ١ مل ١١ : ٢١ - ١٣ . (٤) انظر ٢ خب ١٢ : ١ - ١٢ .

الذروة في الشهرة حتى أن ملكة سبأ (١) تجسّمت الأسفار ترى بعينيهما
الأعجاب التي بلغها سليمان .

ولم تقو المملكتان على الاحتفاظ بالسيادة والسلطان حتى داهت آشور
مملكة إسرائيل وأزالتها من الوجود نهائياً سنة ٧٢٢ ق . م ، ودمر نبوخذ
نصر ملك بابل أورشليم وخرب هيكل سليمان وسبى يهوذا إلى بابل سنة
٥٨٦ ق . م .

وفي هذا تأكيد للإنداز الإلهي على لسان موسى عليه السلام (٢) :

« إذا ولدتكم أولاداً وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتكم
وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شيء ما وفعلمتم الشر في عيني الرب إليكم
لإغابته أشهد عليكم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي
أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها . لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون
لا محالة » .

وبدلاً من أن يهجر نصفاً الملكة ، أو المملكتان اللتان انقسمت إليهما
مملكة سليمان خطاياهما استمرتتا في إثمهما وفي الانهماك في جميع ضروب الخطيئة
وعبادة الأوثان ، وهذه الشرور اقتحمت الهيكل أخيراً وتبدت في طقوس دينية
سرية خبيثة ، كل هذا في البقعة نفسها التي كان إبراهيم فيها قد استمع إلى كلمات
الله ، وحيث كان داود قد رأى الملك المنتقم مصلاً سيفه فوق القدس .

(١) انظر ١ مل ١٠ : ١٠ — ١٠ .

(٢) تث ٤ : ٢٥ — ٢٨ .

« وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبروا بنبيهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عىن الرب لإغاظته فغضب الرب جدا على إسرائيل ونحاهم من أمامه » (١) .

أصبحت مملكة يهوذا نهبا مقسما بين حكومتى مصر وبابل ، كلما انحازوا لجهة غضبت عليهم الجهة الأخرى وأسرت تصب جام غضبها عليهم ، فإن آحاز انحاز لأشور مستعمينا بملكها « تغلث فلاسر » (٢) ، ثم ندم وعصاه ، واتجه يحتفى بالمصريين الأمر الذى سبب غضب سنحاريب وأدى إلى حروب طاحنة بين الفريقين .

وفى عهد صدقيا أيضا انحازت مملكة يهوذا إلى ملوك مصر ، ولما صارت كلمة بابل هى العليا انسلخت هذه عن مصر ودخلت تحت طاعة بابل ، فجاء نبوخذ نصر ونفى اليهود إلى بابل وأصبحت هذه البلاد مستعمرة بابلية .

وفى الفترة ما بين سبى إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م ، وسبى يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م ، جاء أنبياء يندرون بالشدة نفسها ولكن دون جدوى ، فأنذرهم نبيهم إرمياء بقوله : « ويعبر أمم كثيرة فى هذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » (٣) .

فإذا كان الصهبونيون يستمسكون بميثاق الله لإبراهيم « لنسلك أعطى هذه

(١) ٢ مل ١٧ : ١٦ ، ١٧ .

(٢) ٢ مل الأصحاح ١٦ ، والأصحاح ١٧ .

(٣) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ .

الأرض» (١) فإنه يلزم أن نقر كذلك بأن هذه الإنذارات على لسان موسى وداود وسليمان (٢) والمسيح عيسى بن مريم كانت أيضا عهدا من الله .

وهكذا ضاعت الأرض الموعودة !!

لكن الله سبحانه وتعالى مع أنه قطع عن بني إسرائيل الأنبياء منذ سبى بابل حتى مولد عيسى بن مريم إلا أنه قد وعد ببعث المسيح برسالة السلام والمحبة التي تنبأ بها إشعيا بقوله : « ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتا في رأس الجبال . . . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » (٣) .

وكيف يتأتى أن يأتي المسيح وشعب يهوذا مسبي في بابل . فهل كذب الله في وعده عندما قال : « وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل » (٤) ؟ !

كورش ملك فارس مسخر لارادة الله :

ولما احتل الفرس فلسطين في زمن كبيرهم « كورش » سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٦ ق . م (٥) ، كما امتد سلطان الفرس في عهد قميز حتى مصر ، وظلت مصر خاضعة للإمبراطورية الفارسية من سنة ٥٢٥ ق . م . حتى سنة ٤٠٤ ق . م . وبالتالي كانت فلسطين ولاية فارسية ، ولعل

(١) تك ١٥ : ١٨ .

(٢) امل ٦ : ٩ — ٩ ،

(٣) إشعيا ٢ : ٢ — ٤ ، ميخا ٤ : ١ — ٤ .

(٤) متى ٢ : ٦ .

(٥) ٢ خب ٣٦ : ٢٢ ، ٢٣ ، عزرا ١ : ١ — ٤ .

ملوك فارس قد سمحوا ليهودا بالعودة إلى فلسطين ليصبحوا عملاء للإمبراطورية الفارسية لحماية مصالحها في مصر وليكونوا صمام أمان لفنجان السيادة الفارسية على مصر .

ومن التاريخ القديم أن يهوذا عميلة للاستعمار ضد مصر .

ومن التاريخ الحديث أن إسرائيل عميلة للاستعمار ضد مصر وضد العرب .

وكان التاريخ يعيد نفسه وإن اختلفت مواقع القوى الاستعمارية .

وتتم إرادة الله السرمدية فيولد المسيح عليه السلام في أيام هيروودس الملك (١) ، وتتفق أحداث مولده وأحداث مولد موسى إذ في كليهما تعرض لمؤامرة القتل بأمر من الملك (٢) ، وكلاهما امتاز بالذروة ، فعلى جبل سيناء تلقى موسى الشريعة (٣) ، وعلى جبل صهيون أذاع المسيح موعظته (٤) الخالدة التي نادى فيها بالإيمان والمحبة والسلام ، وبهذا تحققت نبوءة إشعيا في هذه الموعظة : « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب » .

وهكذا دالت دولة إسرائيل بعد أن عاشت أربعة قرون فحسب من سنة ١٠٠٠ ق م إلى ٥٨٦ ق م . وهذه مدة أقل من المدة التي قضوها غترين في أرض مصر حسب توقيت الكتاب المقدس وتبلغ ٤٣٠ سنة (٥) .

(١) متى اصحاح ٢ .

(٢) متى ٢ : ١٣ ، خروج ١ : ١٥ - ٢٢ ، خروج ٢ : ١ - ١٠ .

(٣) خروج ٣ : ١ - ٢٢ . (٤) متى اصحاحات من ٥ - ٧ .

(٥) خر ١٢ : ٤٠ .

وعادت فلسطين بعد ذلك كعناية عربية تستقبل هجرات العرب من سوريا ومن الجزيرة العربية . وأصبحت البقية الباقية من إسرائيل وهم يهوذا ولاية فارسية بعد أن سمح لهم كورش بإعادة بناء الهيكل (١) ، ثم غزاها الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق . م ، وأتبعها لدولة الإغريق ، ثم غزاها العرب الأنباط عام ٩٠ ق . م . وظلت تابعة لعاصمتهم «البتراء» ، ثم غزاها الرومان واحتلوها في أوائل القرن الأول الميلادي في عهد القائد «بومبي» ، وأصبحت فلسطين ولاية رومانية تحت السيادة الرومانية ، وقد منحت استقلالاً داخلياً فولوا عليها بادئ ذي بدء أحد أفراد الأسرة المسكابية (٢) الشهيرة «هركانوس» ثم «أنتيباس» ثم «هيرودس» .

وبعد وفاة «هيرودس» ألحقت فلسطين بروما مباشرة ، وأخذ الأباطرة يعينون عليها ولاية رومانيين ، وفي عهد أغسطس قيصر وقبل وفاة «هيرودس» ظهر السيد المسيح .

وفي ذلك العهد وقعت لليهود أحداث هامة وحاسمة في تاريخهم . ففي سنة ٢٧ م تأمر رؤساء اليهود والكهنة على المسيح وإتهموه بالكفر ثم بالخيانة (٣) .

وفي عام ٧٠ م حاولوا استقلال المركز الديني الممنوح لهم في القدس بعد عودتهم من الأسر البابلي لأغراض قومية وسياسية ، فزحف الإمبراطور تيطس وأخذ ثورتهم ودمر الهيكل مركز تجمعهم تحقيقاً لنبوءة المسيح ضدّهم بخراب أورشليم ودمار الهيكل (٤) .

(١) انظر عزرا ١ : ٣ ، ٧ - ١١ .

(٢) انظر سفر المسكابين وهو من الأسفار المحذوفة المعروفة بالابوكريفا وتوجد مضمنة في الكتاب المقدس في العهد القديم منه في الطبعة الكاثوليكية لليسوعيين .

(٣) يوحنا ١١ : ٥٣ ، لوقا ٢٣ : ١ ، ٢ ، يوحنا ١٩ : ٧ .

(٤) انظر متى ٢٣ : ٣٧ - ٣٩ ، ٢٤ : ١ - ٢ .

عهد المسيح عليه السلام :

جاء المسيح عليه السلام وكان أشجع من أولئك الذين سبقوه والذين اكتنفوا بحرب كلامية على الشر وهذا أضعف الإيمان ، جاء في فترة طغت فيها المصالح المادية وأخذ رؤساء الكهنة وبطانهم يستغلون عبادة الله تجارياً ، فحياة المشور في الهيكل دفعوا أنصارهم المتنافسين إلى أن يقاتل بعضهم بعضا في الشوارع كما يفعل اللصوص وقطاع الطرق ، والصرافون الذين كانوا يجلسون إلى موائدهم في الهيكل نفسه كانوا يتخذون صفة السماسرة للكهنة الكبار ، ويبتزون الأموال من الحجاج البائسين دون رحمة أو شفقة ، والكهنة لا يمارسون الشعائر الدينية إلا إذ جنوا أرباحاً وفيرة : « إنكم تأكلون بيوت الأرملة ، ولعلة تطيلون صلواتكم » (١) . فندد بالكهنة والفرسيسين بالنقد المرير (٢) وغار غيرة الرب على بيت الرب وأخذ يطهر البيت للعا كفين (٣) ، فكانت نتيجة هذا الموقف الجريء بالحق على الباطل أن جعل رؤساء الكهنة يتأمرون عليه (٤) ويعللون مؤامرتهم بقول رئيس الكهنة : « إنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (٥) . لكن المسيح وجد من الشعب قبولا طيبا ووقفوا معه ، ذلك لأنه نادى بالسلام وقد كانوا يعيشون في قلق واضطراب ، ونادى بالحبية بعد أن أكلت العداوة قلوبهم ، ونادى بالطهارة بعد أن استشرى الفساد .

(١) متى ٣٢ : ١٤ .

(٢) متى أصحاح ٢٣ .

(٣) مرقس ١١ : ١٥ - ١٧ ، لوقا ١٩ : ٤٥ - ٤٦ .

(٤) مر ١١ : ١٨ ، لوقا ١٩ : ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) يوحنا ١١ : ٥٠ - ٥٣ .

ولكن مثل هذه المبادئ التي يتولد عنها أخوة تفترض الجودة مسبقاً .
وكيف يكون ذلك والسكينة على فساد الخلق والزيفان عن الله حتى أنهم
أزاعوا الشعب وجعلوه « يتجاوز عن الحق ومحبة الله » (١) .

وتنبأ المسيح فاضحاً مؤامرات رؤساء السكينة ضده قائلاً: « تطلبون أن
تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله » (٢) . وتنهى المؤامرة
بالمأساة الكبرى بمحادث الصليب ، وإن كان الله جل شأنه قد رفعه إليه إلا أن
الحادث نسب إلى ما كانوا عليه من سبق الإصرار وما عزموا عليه بهلاك
المسيح عيسى بن مريم ، وتحملوا مسئولية هذا الجرم الكبير باعترافهم
قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا » (٣) .

فلسطين عربية :

لقد تحققت نبوءات المسيح بخراب أورشليم ودمار الهيكل . لكن إرادة
الله في هيمنة الحق والرحمة على الأرض لا بد أن تتم ، وقد تتابعت الأنبياء من
موسى إلى عيسى يبشرون بالأمة التي يصير إليها الصولجان الروحي والزمني ،
وأقرب النبوءات هي نبوءة المسيح عليه السلام في قوله : « الحجر الذي رفضه
البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب
في أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل
أثماره » (٤) .

ويفتح المسلمون فلسطين عام ٦٣٦ م ويحررونها من الاستعباد الروماني ،
ويزعم اليهود أن الانتصارات التي أحرزها العرب على الإمبراطورية الرومانية

(١) لو ١١ : ٤٢ . (٢) يوحنا ٨ : ٤٠ . (٣) متى ٢٧ : ٢٥ .

(٤) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ . انظر ماجاه في كتابي « محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة

والإنجيل والقرآن » .

في فلسطين إنما ترجع إلى الخدمات التي قدمها اليهود للمسلمين إذ ساعدوا
الغزاة على فتح فلسطين ودلوهم على مداخلها ، انتماء من نصارى فلسطين
بصفة خاصة ، ونصارى أوروبا الذين اعتنقوا المسيحية بمذهبيهم أو وثنيهم
منذ عهد قسطنطين . وهذه المزاعم باطلة فإنهم لم تقم لهم قائمة في هذه البلاد
منذ نفاهم الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م وشتت شملهم في كل أنحاء
الإمبراطورية .

وتدفقت على فلسطين القبائل العربية من كل مكان ، وظلت منذ الفتح
العربي الإسلامي بلاداً عربية خالصة شعبا ولغة وديانة حتى الاعتصام
الصهيوني عام ١٩٤٨ .

وظلت فلسطين خلال هذه الفترة وهي جزء من الدول العربية الإسلامية
المتعاقبة . تتبع المدينة أو دمشق تارة ، أو تتبع القاهرة أو إستانبول مركز الخلافة
تارة أخرى .

الصليبيون في فلسطين :

كانت القدس في حكم الخليفة الفاطمي « المستعلي » منذ أن استخلصها
من الأرتقيين محاصرة بالصليبيين الذين فتحوها عنوة عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م
ثم تجهز الصليبيون لفتح مصر ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم عند أسوار
عسقلان تجاه الجند الذين أرسلهم أمير الجيش تحت قيادة « سعد الدولة » .

ثم عادوا فجهزوا حملة أخرى لافتتاحها أواخر عام ٥١١ هـ - ١١١٨ م
إذ خرج برودويل ملك الصليبيين من بيت المقدس واستولى على الفرما
وذبح أهلها ، ولكنه مات قبل أن يدرك العريش ، وبموته نجت مصر من
غزو الصليبيين لها .

ثم عادوا لمخاصروا عسقلان عام ٥٤٨ هـ - ١١٥٥ م وكانت آتخذ من أعمال الفاطميين ، وتم لهم النصر عليها وعلى جميع الشواطئ ، وذلك بسبب انهماك الخليفة الفاطمي « الظافر بن الحافظ » في شهواته .

وعلى حساب الدنيا وملذاتها انتكست مصر أمام بلدوين الثالث Balduin وضاعت أرض الإسراء والمعراج في قبضة الصليبيين .

ووصلت مصر في عهد الخليفة « الفائز بنصر الله » إلى منتهى الضعف عام ٥٥٥ هـ - ١١٦٣ م حتى أنه كان يؤدي الأموال الطائلة ترضية للصليبيين في بيت المقدس ، ليتوقفوا عن الغزو من جهة عسقلان وغزة .

لكن الصليبيين تجبروا وازدادوا صلافة وغطرسة فاجتازوا الحدود ودخلوا مصر وكان لهم فيها شئون لاجل لذكراها هنا ، فأرسل الخليفة « العاضد » يستنجد بنور الدين فأنجده هذا وأنقذه من شرورهم .

صلاح الدين الأيوبي يرد اعتبار الامة الاسلامية :

وفي عام ٥٦٦ هـ - ١١٧٣ م جرد صلاح الدين الأيوبي حملة على سوريا فدخل فلسطين ، وافتتح غزة ، ثم رجع إلى مصر ، وبعدئذ سمع أن الصليبيين فتحوا « أيلة » العقبة ، فنشط إليها عن طريق سيناء ، والقصيمة عام ١١٨٢ م ، وحاصرها برا وبحرا حتى فتحها ، ثم رجع إلى القاهرة . واكتسب صلاح الدين نفوذا كبيرا في مصر حتى لم يبق للخليفة العاضد سوى السلطة الدينية ، وبعد حين مات الخليفة العاضد ، وبموته انتهت الخلافة والدولة الفاطمية .

وأخذ الخطباء يذكرون الخليفة العباسي « المستضيء بالله » على المنابر ، وأول عمل قام به صلاح الدين الأيوبي بعد أن تم له النصر على الصليبيين في غزة وفي أيلة أن أمر بذكر الخليفة « المستضيء بالله » في خطبة النعت من

فوق منابر المساجد ، وعمله هذا كان نهاية رسمية للدولة الفاطمية .

ولما اتصل الأمر ببغداد أصبح خليفتهما منفردا بالخلافة على سائر المشرق ، وتحولت الأنظار كلها إلى بغداد ، وتولى « أتاك نور الدين » أمر سوريا ومصر معا بإشراف الخليفة العباسي في بغداد ، وظل صلاح الدين في مصر . وبموت « نور الدين » تولى الحكم ابنه الملك الصالح إسماعيل ، ثم استولى صلاح الدين على الملك في مصر وسوريا ، فأصبح أمام أعدائه مباشرة . ورجع صلاح الدين إلى مصر ، وأبقى أخاه « طوران شاه » على دمشق . عام ٥٧٢ هـ — ١١٧٩ م وفي عام ٥٨٣ هـ — ١١٩١ م التقى بالصلبيين في موقعة « حطين » بالقرب من طبرية وهزمهم ثم سيطر على طبرية وعكا واستولى على نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرية وصيدا وبيروت وجيبيل ، ثم توجه فسيطر على الرملة والدارون وعسقلان وغزة وبيت جبرين والبترون وبيت المقدس ، وقد حاصر بيت المقدس حصاراً شديداً . ثم سار شمالاً ففتح صور ، وحصن كوكب ودمشق وجيلة واللاذقية وأنطاكية وحلب وحمات ، ولم تضع الحرب أوزارها إلا وقد تم لصلاح الدين توحيد سوريا وفلسطين وشرق الأردن ومصر كلها ، وبهذا انتصر انتصاراً رائعاً .

فلسطين والتتار :

تعرضت فلسطين خلال هذه الفترة العربية لكثير من الغزوات فبعد أن غزاها الصليبيون الذين قهرهم صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين عام ١١٧٩ م غزا البلاد التتار والمنغول وحكموها مدة من الزمن ولكنهم رحلوا عنها بعد هزيمتهم أمام « الظاهر بيبرس » في معركة « عين جالوت » عام ١٢٦٠ م حيث شهدت أرض فلسطين معارك حربية فاصلة ونقط تحول في التاريخ السياسي والاجتماعي .

الأتراك يقزون فلسطين :

تغلب السلطان سليم الملقب « بياووز » على المماليك في معركة مرج دابق وقهر سلطانهم قنصوه الغورى عام ١٥٠١ م الذى مات تحت سبابك الخليل . ولم تجد محاولة طومان باى الذى تسلم قيادة المماليك بعدئذ في مصر نفعا ، إذ انكسرت حملته التى جهزها لمقاومة العثمانيين ، فسار العثمانيون من مرج دابق إلى غزة ففتحوها عنوة ، ثم إلى العريش ، ثم إلى مصر عام ١٥١٧ ، ودانت لهم البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

فلسطين والحملة الفرنسية :

وفى عام ١٧٩٩ م دخلت هذه البلاد في حكم نابليون بونابرت يوم أن احتل هذا مصر وسار بحملته لغزو فلسطين . لكنها لم تبق في حكمه أكثر من أسنة فاستردها الأتراك في زمن السلطان سليم الثالث وإليك نبذة من تاريخ ذلك العهد :

عندما احتل بونابرت مصر عام ١٧٩٨ واغتصبها من أيدي سلاطين آل عثمان أرسل سلطان تركيا إلى والى عكا أحمد باشا الجزائر أن يرسل جيشا لاحتلال العريش ، ففعل ، وأذره بونابرت بالتخلي عنها لأنها من حدود مصر فأبى .

وقام بونابرت على أثر ذلك لا ليدافع عن مصر فحسب بل ليفتح سوريا أيضا . وأعد حملة من اثني عشر ألف مقاتل دخل بها العريش عام ١٧٩٩ م ثم سار إلى غزة واستولى عليها بغير قتال . ثم فتح الرملة واللد ويافا وصفد وصور وطبرية .

ولكن مساعيه في فتح عكا حبطت وبجوبطها فشلت حملته السورية

فارتد إلى مصر بكل رجاله وفيهم الجرحى حتى وصل تحت الأهوال إلى العريش .

محمد علي والى مصر وفلسطين :

وفي عهد السلطان محمود الثانى شق محمد علي والى مصر وقتئذ عصا الطاعة ، واتخذ خلفه مع عبد الله باشا والى عكا حجة ليسير جيشاً للغزو . فأرسل جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم ، فسار هذا عام ١٨٣١ م من طريق العريش والسبع وغزة ، وظل يتوغل فى البلاد إلى أن فتح عكا ، ودان له قسم غير قليل من بر الأناضول وكاد يهدد الآستانة ، فتدخلت الدول ، وجرت وقائع لا محل لذكرها هنا انتهت بانسحابه ، واكتفى بصرله ولذريته من بعده .

وظلت هذه البلاد تحت سيطرة الأتراك حتى عام ١٩١٧ ولسكنها كانت سيطرة اسمية لا فعلية ، إذ أن نفوذهم على العربان كان ضئيلاً .

مواقع فاصلة ونقط تحول تاريخي

اليرموك عام ٦٣٦ م انتصار الإسلام على الرومان

حطين عام ١١٧٩ م انتصار العرب على الصليبيين

عين جالوت عام ١٢٦٠ م انتصار المماليك على التتار

وفي عام ١٥٤٢ م دخلت فلسطين فى نطاق الخلافة العثمانية حتى احتلها

الحلفاء عام ١٩١٨ م بالاشتراك مع القوات العربية تحت زعامة الشريف حسين

لتحريرها من الحكم التركي ، ودخلت البلاد في عهد بغيض تحت سيطرة الإمبريالية باسم الانتداب الإنجليزي المتآمر مع الصهيونية العالمية على اغتصاب البلاد وطرد أهلها حتى عام ١٩٤٨ م حيث مكنت العصابات الصهيونية من السيطرة على مقاليد البلاد وحركت البلاد العربية للشأن من اليهود الذين اغتصبوا فلسطين وكانت الفرصة مواتية للعصابات الصهيونية أن تحقق كسبا حربيا باسم الدفاع عن النفس تحت تأييد المنظمة الدولية . وهكذا ضاعت فلسطين بسبب قصر نظر السياسة العربية في التخطيط السياسي على المستوى الدولي .

العبرة من واقعة حطين والأمل في تحرير فلسطين :

وإذ تحدثت عن الحروب الصليبية وعن صلاح الدين الأيوبي لابد أن نذكر العبرة من تلك الحروب ، العبرة التي يجب على كل عربي وكل مسلم بصفة خاصة أن يعيها ويعتبر بها ، وهي أن فلسطين لم تعد إلى حوزة المسلمين إلا بتوحدهم وانضوائهم تحت راية واحدة :

لقد سجل أعداؤنا هذه العبرة في دائرة المعارف البريطانية إذ جاء تحت كلمة Crusade (١) :

« ورغم أن قادة الحملة الصليبية الأولى لم يستثمروا خلافت المسلمين كما ينبغي فإن الحقيقة تدل على أن تلك الخلافت قد خدمت الصليبيين إلى حد كبير .

« فإن وضع أمراء سوريا غير المتحدين ، والفرقة والانقسام بين العباسيين والفاطميين جعلنا من الممكن الاستيلاء على المدينة المقدسة وتأسيس مملكة بيت المقدس . وحينما قامت قوة في الموصل حوالى عام ١٣٣٠ م . وكان في مقدورها توحيد سوريا مع مصر إلا أنه على يد صلاح الدين قضى على قضية المسيحية اللاتينية في الشرق ، وذلك بنجاحه في توحيد سوريا ومصر .

« لقد حدث هذا عام ١١٨٧ م . وحرر المسلمون بعد أن أزالوا بينهم من تبن وخلافات ووجدوا صفوفهم وقيادتهم » .

وإن تحرير فلسطين واسترداد الأراضى العربية موقوف بوحدة العرب ووحدة النضال الفكرى ووحدة التخطيط العسكرى ، وإزالة ما بين العرب من فرقة ومنازعات والاستمسك بقوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

أما اليهود فإنهم — منذ الفتح الإسلامى بل وما قبله منذ خراب بيت المقدس سنة ٧٠ م ، ١٣٥ م — لم يكونوا طرفاً فى النزاع على مقدسات فلسطين طوال مدة الوجود الإسلامى ، ذلك لأنهم لم يكونوا موجودين فى البلاد بشكل يجعل منهم أمة تخضع لنظام الأقلية فى البلاد .

وقد اشترطت العهدة العمرية — بناء على طلب صفرونيوس الذى كان يحرم على اليهود السكن فى بيت المقدس — اشترطت ألا يسكن اليهود القدس ، وعليه فإن تطور الوجود اليهودى فى فلسطين طوال الحكم العربى الإسلامى الذى دام أكثر من ثلاثة عشر قرناً إنما يعود إلى سماحة الإسلام ، وتساهل المسلمين الذين تفاضوا عن تسلل اليهود وسمحوا لهم بالوجود وبإقامة الشعائر الدينية من نذب وبكاء عند حائط المبكى .

وإن الحق السياسي في أي إقليم إنما تقرره مبادئ أساسية منها الغزو الحربي ، وطول مدة الاحتلال واستمرارها ، والصفة العرقية للسكان الحاليين . فبعد دول المدن « الكنعانية » الأصلية ظلت فلسطين خاضعة خضوعاً يكاد يكون متواصلاً للغزاة الأجانب . وسوف يكون في إمكاننا أن نفهم حقائق التاريخ فهما أفضل إذا ما حولنا هذه الحقائق إلى أرقام (١) :

مدة حكمهم	تاريخ حكمهم ق.م.	حكام فلسطين
حتى سنة ١٠٠٠ ق.م.	أول المستقرين	الكنعانيون
غير محدود	غير محدود	فراعنة مصر
٢٣٠ سنة	١٧١٠ — ١٤٨٠	المكسوس
١٣٠ سنة	١٤٨٠ — ١٣٥٠	فراعنة مصر
٦٠ سنة	١٣٥٠ — ١٢٩٠	الحيثيون
» ١٣٦	١٢٩٠ — ١١٥٤	فراعنة مصر
» ١٥٤	١١٥٤ — ١٠٠٠	كنعانيون ، فلسطينيون ، يهود «قضاة»
» ٧٣	١٠٠٠ — ٩٢٧	مملكة داود وسليمان
» ٢٠٥	٩٢٧ — ٧٢٢	مملكة إسرائيل في الشمال
» ٣٤١	٩٢٧ — ٥٨٦	مملكة يهوذا في الجنوب
» ٤١٤	١٠٠٠ — ٥٨٦	اليهود في أوسع مدى تاريخي
» ٤٨	٥٨٦ — ٥٣٨	مملكة بابل
» ٢٠٨	٥٣٨ — ٣٣٠	مملكة فارس
» ٧	٣٣٠ — ٣٢٣	اليونان
» ١٢٣	٣٢٣ — ٢٠٠	البطالمة « مصر »
» ٥٨	٢٠٠ — ١٤٢	السلوقيون « سوريا »

(١) نقلا عن « أزيلاوا . . إسرائيل » لإيلين بيتي ١٣/٣/١٩٦٠.

مدة حكمهم	تاريخ حكمهم	حكام فلسطين
١٨٨ سنة	١٤٢ - ٣٣٠	اليونان في أوسع مدى تاريخي
٧٢ سنة	٧٠ - ١٤٢	السلوقيون ، مكابيون جزئياً
٦٧٧ سنة	٦١٤ ق.م. - ٦٣٣ م	روما
١٥ سنة	٦٢٨ - ٦١٣	فارس - الدولة الساسانية
١٠ سنوات	٦٣٨ - ٦٢٨	روما البيزنطية
٤٤٧ سنة	٦٣٨ - ١٠٨٥	العرب - مسلمون
١٤ سنة	١٠٩٩ - ١٠٨٥	الأتراك - مسلمون سلاجقة
١٩٢ سنة	١٢٩١ - ١٠٩٩	الصلبيون جزئياً
١٩٢ سنة	١٢٩١ - ١٠٩٩	الأتراك - سلاجقة جزئياً
٢٢٦ سنة	١٢٩١ - ١٥١٧	مصر - مسلمون
٤٠١ سنة	١٥١٧ - ١٩١٨	الأتراك العثمانيون - مسلمون
١٢٨٠ سنة	٦٣٨ - ١٩١٨	المسلمون على أوسع مدى
٣٠ سنة	١٩١٨ - ١٩٤٨	بريطانيا - انتداب
٢٠ سنة	١٩٤٨ - ١٩٦٨	إسرائيل جزئياً - الاغتصاب
٢٠ سنة	١٩٤٨ - ١٩٦٨	المملكة الأردنية الهاشمية جزئياً

فبعملية إسقاط سريعة نفجى جانباً الممالك البائدة التي لم تخلف ورثة
أومدنية وهي : الهكسوس ، والحيتيون ، والفلسطينيون ، والسوقيون .

وإسقاط الممالك التي حكمت مدة وجيزة : بابل ، واليونان ، وبريطانيا...

وإسقاط الممالك التي حكمت جزئياً : الصليبيين ، المكابيين ، إسرائيل...

وإسقاط المحاولات الثانية القصيرة الأمد : فارس وروما...

يبقى لدينا من حكموا آجالاً طويلة وهم :

١ -	السامون	ومدة حكمهم	١٢٨٠ سنة بعد الميلاد
٢ -	روما	ومدة حكمها	٦١٧ » » »
٣ -	اليهود	ومدة حكمهم	٤١٤ » قبل الميلاد
٤ -	مصر	ومدة حكمها	٢٦٦ » »
٥ -	فارس	»	٢٠٨ » »

ويحسب اليهود عادة طول مدة حكمهم الأول في فلسطين من شاول
إلى الأسر البابلي . ولكن حكم شاول الباكر لم يكن ذا سيادة حقيقية على
البلاد التي كان معظمها تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين ، كما كان
إبان السنوات السبع من حكم داود في حبرون (١) قبل أن يهزم الفلسطينيين
ويقهر الكنعانيين ، ويستولى على القدس .

(١) كان داود مقبلاً في أورشليم « اقتاد يوباب قوة الجيش وأخرب أرض بني عمون وأتى
وحاصر ربة . فضرب يوباب ربة وهدمها وأخذ داود تاج ملكهم عن رأسه فوجد وزنه
وزنه من الذهب وفيه حجر كريم فكان على رأس داود » ١ خب ٢٠ : ٢٠١ .

أما مملكة داود وسليمان الموسعة التي يستند إليها الصيونيون في مطالبهم الإقليمية فلم تدم إلا ٧٣ سنة مما يضعها في الفئة القصيرة الأمد (١) .

وبعد ذلك لم تنعم إسرائيل ولا يهوذا بالاستقلال الحقيقي ، ذلك أن كلا منهما كانت تدفع الجزية إلى دولة عظمى خارجية ، كما أن كلا منهما كانت تدين باستمرار وجودها لحماية تلك الدول العظمى وهي « مصر وأشور وبابل وفارس » .

وبعد غزو قبائل إسرائيل العشر على أيدي ملك أشور سنة ٧٢٢ ق. م . كانت مملكة يهوذا تحتل فعلاً مساحة من الأرض تبلغ ٥٠ ميلاً عرضاً ، ٧٥ ميلاً طولاً ، أى قطعة من الأرض أصغر بكثير من تلك التي تحتلها إسرائيل الصهيونية الحديثة الآن .

ولكننا إذا سلمنا بأن الممالك اليهودية القديمة كانت مستقلة طيلة حياتها من غزو داود لسكنعان عام ١٠٠٠ ق. م . إلى محو يهوذا عام ٥٦٨ ق. م . فإننا نتوصل إلى حكم يهودى دام ٤١٤ سنة قبل الميلاد ، وهذه الفترة أيضاً تضعها في المرتبة الرابعة إذا أخذنا في الاعتبار الأجل الطويلة حسب البيان التالي :

١ — المسلمون : وحكمهم امتد بعد للميلاد فقط ١٢٨٠ سنة .

٢ — مصر الفرعونية ، ومصر العربية وحكمهما امتد قبل الميلاد وبعد

الميلاد ٨٤٥ سنة .

(١) لأن إسرائيل عاشوا بمصر ٤٣٠ سنة فهل مدة الإقامة تحول لهم حق الامتلاك والسيطرة ؟ وهذه المدة أطول من المدة التي أقاموا فيها في فلسطين على أوسع مدى (٤١٤ سنة) .

٣ — روما وحكمها امتد قبل الميلاد ٦٣ سنة ، وبعد الميلاد ٦١٤ سنة
فيصبح إجمالى الحكم قبل الميلاد وبعده ٦٧٧ سنة .

٤ — اليهود على أوسع مدى تاريخى وحكمهم قبل الميلاد فقط ٤١٤ سنة .

وكان حكم المسلمين سواء كانوا عربا أم سلاجقة أم عثمانين أم مماليك
نسيج وحده ، ذلك أنهم بخلاف جميع الغزاة الأجانب الآخرين لم يمسا في
عزلة بل امتزجوا بأهالى البلاد وتأثر الأهالى بهم طواعية واختياراً في اعتناقهم
الإسلام ديناً ، وتزاوجوا وتناسلوا حتى أضحت أهالى البلاد أمة عربية واحدة .
لا يستطاع معها القول متى انتهى الكنعانيون كجنس ومتى بدأ العرب
كجنس .

الباب الثاني

الوجهة الشعبية والاجتماعية

العرب يميزون بين الصهيونية واليهودية :

لم يعرف التاريخ كله أمة تؤمن حق الإيمان بالتسامح الديني وتمارسه مثل إيمان الأمة العربية بذلك وممارستها له ممارسة نابعة عن عقيدة دينية سليمة . فالأمة الإسلامية من مبادئها : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، والأمة المسيحية شعارها : « أكرموا الجميع ، أحبوا الإخوة ، خافوا الله ، أكرموا الملك »^(١) . ومن ائتلاف الأمة الإسلامية بالأمة المسيحية لأجيال طويلة منذ سنة ١٣٥ م بعد تشتت اليهود في أرجاء الإمبراطورية الرومانية تتكون الأمة العربية ويتألف الكيان الفلسطيني .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الأصيل في التراث العربي اتخذت الأمة العربية منذ البداية موقفاً يميز بين اليهودية كدين سماوي جدير بالاحترام وبين الصهيونية كحركة استعمارية فاشستية خليقة بالمقاومة والمناهضة والحاربة ، وهذا الموقف الذي ظهر بصورة واضحة بارزة نتيجة للمطامع الصهيونية في فلسطين ، وفي أرجاء أخرى من الوطن العربي ، لم يتغير حتى بعد قيام إسرائيل ، وحتى بعد أن اتضح أن الكثيرين من اليهود الذين لا ينتمون رسمياً للحركة الصهيونية يقفون مؤيدين لإسرائيل ويستجيبون للضغط الصهيوني والمطالب الصهيونية .

فاليهودية دين سماوي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام مجملًا عقيدة وعبادة وشريعة في الوصايا العشر^(٢) نذكرها للتأمل فيها :

- ١ - أنا الرب إلهك . . لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .
 - ٢ - لا تصنع لك تمثالا منحوتا . . لا تسجد لمن ولا تعبد من عقيدة التوحيد
 - ٣ - لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبريء
- من نطق باسمه باطلا .

(٢) خروج ٢٠ : ١ - ١٧ .

(١) م - ١٠ إسرائيل فتنة)

(١) بط ٢ : ١٧ .

- ٤ — اذكر يوم السبت لتقدسه .
- عبادة {
- ٥ — أكرم أبناك وأمك .
- ٦ — لا تقتل .
- ٧ — لا تزني .
- شرعية {
- ٨ — لا تسرق .
- ٩ — لا تشهد على قريبك شهادة زور .
- ١٠ — لا تشته بيت قريبك .

ومن هذا يتبين أن الله أمره أن يبلغ تعاليمه إلى بني إسرائيل ويدعوهم إلى عبادة الله ، ونبذ ما عداه من الآلهة والأصنام ، والظواهر الطبيعية التي انتشرت عبادتها في ذلك الوقت البعيد .

لكن ضلال الصهيونية والعنصرية السامية بدا واضحا فيما تدعيه التوراة من أن الله عز وجل قد خص ذاته لإسرائيل فحسب وعرف ذاته بأن اسمه بينهم « يَهُوَه » (١) وأيضاً اسمه « أهييه » (٢) وذلك عندما أرسل نبيه موسى إلى بني إسرائيل ليحجرهم من استعباد المصريين لهم قائلا له : « هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم » (٣) . ونسبوا إلى الله صفات بشرية : « فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر . . . فنزلت لأتقدم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . . . إلى مكان الكنعانيين والحيثيين . . . » (٤) .

(٢) خروج ٣ : ١٤ .

(٤) خروج ٣ : ٧ ، ٨ .

(١) خروج ٣ : ١٥ .

(٣) خروج ٣ : ١٥ .

وخرج موسى من مصر مع بنى إسرائيل وبدأ ينظم العلاقات بين هذا المجتمع الهارب من مصر في وصايا ألمه بها الله تليخص في أن الله عز وجل ينصرهم إذا ما نصروا الله ونهجوا الصراط المستقيم (١).

لكنهم بعد أن ازدهرت الدنيا لهم تحولوا عن الله فسلط الله عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم فتعرضوا لغزوات الكلدانيين الذين دمروا هيكل سليمان تدميراً، والحكمة الإلهية أن الله عز وجل يقهر الشر بالأشرار (٢). ولما كانت دعوة التوحيد تقوم على أسس من سمو الإنسانى فلقد لقيت ميداناً واسعاً لانتشارها، لا بين اليهود فحسب، وإنما في كثير من دول العالم وشعوبه وأجناسه المختلفة، واستطاعت هذه الدعوة أن تغزو كثيراً من القلوب التي كانت تخضع كارهة لجبروت الإنسان، وترغم على عبادة الملوك دون الله عز وجل. ولا أدل على ذلك من يهود أتقياء كانوا في صحبة دانيال النبي في أرض السبي في مملكة بابل، إذ أمرهم الملك نبوخذ نصر بالسجود لتمثاله الذهبى، فأبوا إلا أن يعبدوا الله الإله الواحد الأحد، مؤمنين أنه قادر على أن ينجيهم من أتون النار المتقدة (٣). إن هؤلاء الفتية يصدق فيهم قوله تعالى: «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» (٤). وقد بدت آثار الله وحكمته في كثير من المواقف على بنى إسرائيل فانتزع إجلال الملوك والأباطرة حتى أن نبوخذ نصر قال: «تبارك الله... الذى أرسل ملاكه وأتخذ عبيده...» (٥).

(١) ٢ خب ٢٣ : ٨ ، ثنية ٤ : ١ - ٤٠ ، ثنية ٦ : ١ - ٢٥ .

(٢) ٢ خب ٣٦ : ١٥ - ١٩ .

(٣) انظر : دانيال ٣ : ١ - ٢٩ .

(٤) الكهف : ١٣ . (٥) دانيال : ٢٨ .

أما الصهيونية فهي دعوة حديثة من نوع آخر ، ومن طراز جديد ، بعيدة كل البعد عن الدين ، ولئن حاول أصحابها والقائمون بها أن يتخذوا من الدين ستارا يخفون به حقيقة دعوتهم ، ويحجبون بهذه الأستار سوء نياتهم وأغراضهم الشخصية ونزعاتهم القائمة على التعصب : « مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم »^(١) ، « ولكن عهدي أقيم مع إسحق الذي تلد له لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية »^(٢) ، « اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق »^(٣) ، واتجاهاتهم المبينة على الانتهازية ، إلا أن الحق سريعا ما يظهر ، والأباطيل سرعان ما تندحر وتبدو الحقيقة لكل ذى عقل .

فشتان ما بين دعوتين : إحداهما من عند الله طبيعتها السلام والمحبة ، والثانية ابتدعها شياطين الإنس وطريدو البشرية ، عضوا الله فرذلهم وأذلهم فانقلبوا أعداء للإنسانية والربانية ، كما انقلب إبليس عدواً لأدم وذريته من بعده .

مولد الصهيونية :

يقول ألفريد ليلينثال في كتابه « ثمن إسرائيل » : « في قبر مجهول . . . يرقد الآن منشىء دولة إسرائيل الجديدة ، ولولا الشاعر المجهول الذى كتب المزمور السابع والثلاثين بعد المائة لما كان هناك من دولة يهودية اليوم » .

فبعد أن قوض الأشوريون بنيان مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢٢ ق.م. وبعد أن سبى نبوخذ نصر ملك بابل مملكة يهوذا فى الجنوب عام

(١) تك ٩ : ٢٦ . (٢) تك ١٧ : ٢١ . (٣) تك ٢١ : ١٠ .

٥٨٦ ق . م . إلى أرض بابل ، وبعد أن دمر الإمبراطور تيطس الهيكل عام ٧٠ م وبعد أن دمر الإمبراطور هادريان مدينة أورشليم عام ١٣٥ م ، بقيت فكرة دولة إسرائيل حية في كلمات هذا الزمور :

« على أنهار بابل هناك جلسنا »

« بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون ... » (١)

من هذه الكلمات نبقت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية ، على الرغم من الدعوة السمحة التي تشبعت بها نفوس أتباع « يهوه » الذين يعتقدون « ان اية محاولة للقيام بمجهود انساني بغية محاولة العودة لن تكون اكثر من تجن وانحطاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب » .

إن الدعوة الربانية السمحة التي كان يدعو بها أنبياؤهم حتي وهم منفيون تحت غضبة الله عليهم في أرض بابل إنما تدل على الأصالة في المعتقد الديني فيخطبهم نبيهم إرميا ب قوله :

« ابنوا بيوتنا ، واسكنوا واغرسوا جنات واكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات ، وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات ، واكثروا هناك ولا تقلوا ، واطلبوا سلام للمدينة التي سببتكم إليها ، وصلوا لأجلها إلى الرب ، لأنه بسلامها يكون لكم سلام » (٢) . هذه هي الدعوة الربانية السمحة التي بنيت عليها أسس المعتقد اليهودي .

ولم يوجه الأنبياء العبرانيون : عاموس ، وإرميا ، وميخا ، وإشعيا ، وإيليا ، اهتمامهم أبدا لاستعادة السلطة الزمنية ، وإنما حصروا هذا الاهتمام في دفع الظلم عن بني قومهم ، وحثهم على عبادة الله إله الرحمة ، والتمسك بأهداب الحق والفضيلة .

(٢) إرميا ٣٩ : ٥ - ٧ .

(١) زمور ١٣٧ : ١ - ٥ .

إن اليهودية - كدين - كانت وما زالت غير مقيدة باعتبارات جغرافية بحتة ، أو جنس ، أو لغة ، ولهذا استطاعت أن تكافح من أجل بقائها .

فالدولة كيان زائل ، أما المعتقد الديني فيبقى إلى الأبد .
إن الدولة عرضة لتقلبات الدهر ، أما المعتقد الديني فمعه تنحسر كل انتيارات المضادة ويبقى شامخاً .

إن اليهودية إيمان ديني شامل ، يمكن لأي مواطن أن يعتنقها ، على العكس من الصهيونية ، فهي حركة قومية عنصرية متطرفة غايتها جمع يهود العالم كافة في وطن قومي مستقل . ولقد أعلن بن جوريون في ١٤ مايو ١٩٤٨ :

« إن الصهيونية قد حققت هدفها في ١٤ أيار « مايو » ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقاً عليه ، وبفضل قوات المهجانه . ليست هذه نهاية كفاحنا ، بل إننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات » .

إن الصهيونية سرعان ما تجد لها آذاناً صاغية لأنها تخاطب العاطفة ، وتستغل الطاقات الروحية في الإنسان لتحقيق أهدافها وآمربها . وإذا كان هرتزل باعث القومية الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر فإن نحميا في القرن السادس قبل الميلاد في عودته من سبي بابل إلى أرض كنعان خاطب بني إسرائيل بقوله :
« هلم فنبنى سور أورشليم ولا نكون بعد عازا » (١) . ووقف موقفاً يناقض موقف إرمياء النبي فدعا إلى اعتزال الشعوب حوالهم : « لاتعطوا بناتكم لبنينهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنينكم ولا لأنفسكم » (٢) ، كما دعا إلى مناهضة جيرانهم

(٢) نحميا ١٣ : ٢٥ .

(١) نحميا ٢ : ١٧ .

من شعوب الأرض : « ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد » (١).

ويعلل نحميا دعوته للعنصرية الاستعمارية بأن الامتزاج بالشعوب ومصاهرتهم يدفع إسرائيل إلى الخطأ : « أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن في الأمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوباً إلى إلهه فعمله الله ملكاً على كل إسرائيل » (٢).

وإننا كمسلمين نؤمن بعصمة الأنبياء ، وأنهم صفوة البشرية ، وأنهم مكرمون عند الله .

لكنني في صدد علة المصاهرة بالشعوب كسبب للخطيئة أستطيع أن أقول إن كل إنسان ميسر لما خلق له ، وإن الخطيئة لا تولد من الخارج بل من داخل الإنسان من أعماق فكره وقلبه ، وفي هذا يقول بولس رسول المسيحية : « ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحاربه ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي » (٣).

فلا عجب أن يخطيء إسرائيل ويبريء نفسه من الخطيئة ويلقى بتبعاتها على الآخرين ، وهذا شأنهم في كل جيل من الأجيال ، ومن ثم فإن روح السلام والاندماج لاترضى الصهيونية ، فظهرت طائفة « مزراحي » التي تناقض رأى أعودات إسرائيل وتعتبر أن الابتعاد عن اتخاذ أى عمل سياسي لإعادة اليهود إلى أرض الميعاد لاسند له في المعتقد اليهودي نفسه .

وكانت مزراحي تقف ضد رأى أعودات إسرائيل المتحمس طوال ١٧٦٢ سنة من سنة ١٣٥ م إلى سنة ١٨٩٧ م . وبهذا اعتنقت « مزراحي » الصهيونية مستندة في ذلك إلى ما كان يمارسه اليهود بين سنة ٥٣٩ ق.م. وسنة ١٣٥ م

(١) عزرا ٩ : ١٢ . (٢) نحميا ١٣ : ٢٦ .

(٣) انظر الرسالة الأولى إلى أهل رومية ٧ : ٢٣ .

أى العصر الذى كان يثور فيه الثوار اليهود مراراً وتكراراً عندما يدعومهم إلى ذلك مواطنوهم المتعاقبون من جماعات « تيوداس » و « جوداس » بعد أن رحبوا بقدم المحرر اللايهودى « كورش ». وكانت ثوراتهم تهدف إلى تحقيق أمل موعود هو إعادة بعث الحياة فى مملكة داود الخالدة عن طريق قوة السلاح اليهودى .

وفى عام ١٨٨٢ م على أثر الاضطهادات التى نزلت باليهود فى رومانيا وروسيا وبولندا أصدر « ليوبينسكى » أحد زعماء اليهود كتاباً اسمه « التحرر الذاتى » أكد فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة ولأنهم أجنبى فى كل بلد يعيشون فيه ، وليس من علاج لهذا الداء إلا بإيجاد قومية يهودية لشعب يعيش فى أرض الوطن . إن هذه الحركة المتطرفة وما رافقها من ملابس لم تجد لها صدى مستحياً عند غالبية يهود أمريكا .

ورغم ذلك فما زال غلاة الصهيونيين فى إسرائيل وفى أمريكا يتحدثون باسم الشعب اليهودى ، لا يفرقون بين اليهودى الصميم وبين الصهيونى المارق عن تعاليم اليهودية الصحيحة ، حتى غدت لفظة يهودى تعبر عن « معتقد الشخص الدينى » كما تعنى جنسية معينة ، وهذا التشابك بين المعنيين ، الدينى والسياسى ، هو الذى خلق البلبلة والفوضى .

المطامع الصهيونية :

وليس ثمة سند واقعى يؤيد مطامع الصهيونية وادعاءاتها الملحة لتكوين دولة يهودية قوامها الرابطة الدينى فحسب ، فلقد ذكرت رويتر فى ٢٠/٧/١٩٦٧ أن أشكول طالب فى المؤتمر الصهيونى الأمريكى بزيادة الهجرة إلى إسرائيل للمساهمة فى بناء ما أسماه بالدولة اليهودية .

وكما قال بن جوربون : « لقد جاءت لحظة الامتحان الحاسم لسكل يهودى

على وجه الأرض ، فمن لا يعود اليوم فليس صهيونيا ، ثم هو يهودى يعرض نفسه للذوبان فى مجتمعات أخرى غير يهودية ، ويعرض اليهود أيضاً للانقراض .

هذه أقوالهم ، أما الواقع فاليهود الأمريكيون مثلاً يتمسكون بالقومية الأمريكية ولا يريدون بها بديلاً ، وهم يكونون ثلث يهود العالم على الأقل ، ويقرب عددهم من خمسة ملايين نسمة .

وينطبق مثل هذا القول أيضاً على ثلاثة ملايين من اليهود يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ، وعلى ملايين غيرهم من اليهود المقيمين فى دول أوروبا الغربية ويدينون بقومية الدول التى يعيشون فيها .

«ومن العبث أن تقحم فى تلك الحقائق دوافع نفسية وعاطفية فيقال إن لسكل يهودى وطنين أحدهما فى فلسطين والآخر حيث مسقط رأسه .

« وإن اليهود الذين قبلوا الدعوة الصهيونية وأقاموا لأنفسهم وطناً قومياً فى فلسطين لا يزيدون فى مجموعهم عن جزء صغير من مجموع يهود العالم فى أوطانهم المختلفة »^(١) .

ويفترض ألفريد ليلينثال أن إسرائيل — وهذا محتمل وقوعه — انضمت إلى الكتلة السوفياتية ، فليس من العسير أن نتصور عندئذ ماذا سيكون عليه يهود أمريكا من وضع حرج ! !

ومثل واضح على ذلك ما حدث أثناء توتر العلاقات السياسية بين الكرملين وإسرائيل ، فقد ظهر رد فعل هذا التوتر واضعاً فى أمريكا ، حيث اعتبرت الأزمة الإسرائيلية أزمة الشعب اليهودى بأسره .

والشئ الثابت، أنه إذا ظل الشعب اليهودى على اختلاف نزعاته يتحمل نتيجة أخطاء إسرائيل السياسية فإن ذلك سيودى به إلى الدمار ، لأن سياسة إسرائيل الارتجالية من شأنها أن تؤلب الأعداء عليها ، وتقودها إلى الهاوية عندما يأتى اليوم الذى تتخلى فيه أميركا عن مساعدتها .

ولقد تضرع ألبرت أينشتاين مؤيداً موقف الدكتور ماغنز قائلاً :

« إننا نتوجه إلى اليهود فى أميركا وفلسطين بالابتزاع أنفسهم تتردى فى يأس قاتل أو بطولة زائفة قد تودى بهم إلى مهاوى الدمار » . وحرى بالذكر أن الصهيونيين الذين استغلوا اسم أينشتاين وشهرته الواسعة من أجل الدعاية لفضيتهم ، تجاهلوا كلمته الحكيمة هذه .

المنصرية السامية :

جاء القرن التاسع عشر بالنهضة الأوروبية ، ومع هذا لم يكن لتطور المجتمع الإنسانى أى أثر على العقيدة اليهودية أو تعاليمها ، بل على العكس كانت مبادئ المنصرية والاستغلال والعدوان وسفك الدماء تنمو فى نفوس اليهود ، وتقوى بتعاليم جديدة أكثر تطرفاً فى الانعزالية « الجيتو » وأشد قسوة فى الاستغلال والعدوان .

واتضح من مذكرات « وايزمن » كيف أن اليهود رفضوا الاندماج فى الديمقراطية التى عارضها « هرتزل » لأنه يسعى مسبقاً إلى التمييز الذاتى لليهود ، كما رفضوا أيضاً الاندماج فى الاشتراكية ، بل حذر « سلوبارون » أستاذ التاريخ اليهودى من منطق الذوبان والاندماج بقوله : « لن تبقى كنيسة عبرية واحدة فى العالم ، ولكن ستصبح هناك كنيسة عبرية كاثوليكية ، وكنيسة عبرية بروتستانتية ، وكنيسة عبرية إسلامية . باختصار إنها دولة « التوراة » يشارك فى تشييدها الاستعمار » .

وفي القرن التاسع عشر نشرت اليهودية العالمية « كتاب التلمود »^(١) وكانت قد أخفته أربعة عشر قرناً منذ وضعه حاخامات اليهود في القرن الخامس الميلادي ، خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضد اليهود .
وقد حدث ما حقق هواجسهم هذه عندما أمرت الحكومة الملكية الفرنسية بإحراق التلمود علناً سنة ١٢٤٢ م في مدينة باريس .
والتلمود كتاب يؤكد المبادئ اليهودية في الاستعلاء والانعزالية والعدوان . وهو شريعة إسرائيل الكاملة الشفمية على اعتبار أن التوراة شريعة إسرائيل الكاملة الموحى بها من الله لفظاً ومعنى (٢) .
والتلمود هو سجل تعاليم اليهودية وآدابها ، انتقل باليهود منذ نشره من مرحلة اليهودية إلى مرحلة الصهيونية مع احتفاظهم بكافة الصفات المادية والمبادئ الروحية اليهودية الموروثة .

وأخبار اليهود يأخذون من النص حرفيته دون الجوهر، ومن هذا يجعلون من موسى الذي شهدوا له بقولهم : « لم يبق بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه »^(٣) الرائد الأول للصهيونية عندما أوصى نبي إسرائيل بقوله : « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين ، والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك ، بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريتهم . فإنك لا تسجد لإله آخر ، لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو . احترز من أن

(١) راجع كتاب « إسرائيل والتلمود » للمؤلف .

(٢) « فمتدما كمل موسى كتابة كلات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حامل تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا وضموه بجانب تابوت عهد الرب -
للحكم ليكون هناك شاهداً عليكم » تثنية ٣١ : ٢٤ - ٢٦ .

(٣) تثنية ٣٤ : ١٠ .

تقطع عهداً مع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ، ويذبحون لآلهتهم فتدعى
وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك ، فتزني بناتهم وراء آلهتهن ،
ويجمعان بنيك يزنون وراء آلهتهن « (١) .

على هذا النص بنوا السياسة الصهيونية ، سياسة الاستعلاء والانعرالية
والعدوان .

فقد عرفت الصهيونية بأنها الامتداد الطبيعي والتطور التاريخي لليهودية ..
ومنذ وقوع هذا التطور في منتصف القرن التاسع عشر بدأت مشاكل اليهود
في العالم تتجسد كأخطبوط يريد أن يبتلع كل شيء ولا يبقى على شيء ، وبدأت
معها مؤامراتهم على أرض فلسطين .

تقد كان من الممكن أن يندمج اليهود في قوميات البلاد التي كانوا يعيشون
فيها ، غير أن تطور اليهودية المعكوس وظهورها بمظهر جديد يحمل نزعات
استعلائية .. انعرالية .. عدوانية .. عنصرية في كل بلد يعيشون فيه أدت
في النهاية إلى مقاومتهم واضطهادهم للتخلص من شرورهم .

فمع تكون القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر نشطت اليهودية
على أنها « دين وقومية » وأخذت تبحث عن اليهود في كل العالم تسكتلهم
وتنظمهم وتبعث فيهم روح إسرائيل ومجدها وملك سليمان وداود وسيادتهما .

وهكذا أخذت تنفخ بوعده الله لإبراهيم ، ناسية أن الوعد تحقق في سيادة
مملكة داود وسليمان ، وأنه تحقق أيضاً في سيادة الإسلام على الأرض حسب
وعد الله لإبراهيم : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك » (٢) .

(١) خروج ٣٤ : ١١ - ١٦ .

(٢) تكوين ٢١ : ٣١ .

وما زالوا يتشدقون بحرفية النص : « دعوتك باسمك أنت لى » (١) . ومثل يعقوب عليه السلام كمثل أنبياء الله ورسله اجتهابهم واصطفاهم وحملهم برسالة السماء ليبلغوها بنى قومهم . وإذا كان فى الألقاب من دليل على شىء فإن الله فى قدرته أن يجعل من عبده الذى يقترب إليه بالصلاة والاعتكاف بالطاعة والإذعان عبداً ربانياً ، ومن ثم كان لقب إسرائيل الذى خلعه الله على يعقوب إنما هو الدليل على أنه تحول إلى إنسان آخر ، وهذا ما أشارت إليه التوراة عندما مسح شاول ملكاً على إسرائيل : « فيجعل عليك روح الرب فتنتبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر » (٢) .

لكن الصهيونية تأبى إلا أن تجعل من يعقوب مصارعاً صارعاً الله فانتصر عليه ، وأمام سياسة الواقع باركه الله بأن منحه لقب إسرائيل : « لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » (٣) .

وإن سلمنا جدلاً بهذا ونظرنا إلى الصهيونية المنصرية الاستعمالية العدوانية أدركنا على الفور أنها تتناقض مع إسرائيل الإنسان الربانى الوثيق الصلة بالله . ويتمين على هذا أن تسميتهم إسرائيل بوضعهم الراهن تسمية باطلة هم غير جديرين بها على الإطلاق .

وقد قرر موسى حقيقة حالهم قائلاً : « أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب ، فكم بالحرى بعد موتى » (٤) ، وفى هذا دليل ما بعده دليل على صلف بنى إسرائيل ولهذا كانت الوصايا العشر التى أوصاهم بها ، ولسكنهم انصرفوا عنها وعن حقيقة الدعوة الموسوية .

(١) انظر إشعياء ٤٣ : ١٠ - ٤ .

(٢) انظر ص ١٠ : ١١ - ٤ .

(٣) تك ٣٢ : ٢٨ .

(٤) تث ٣١ : ٢٧ .

واتبعوا كل ما يتفق ونزغاتهم الشريرة ، فزعموا أن التوراة توصيهم بإبادة سكان الأرض «خشية أن يعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلتهم فيخطئون إلى الرب إلههم»^(١) . هذه مزاعمهم ونسوا أن الله يأمرهم بالعدل والإحسان وبنهاهم عن المنكر والفجور^(٢) .

إن الصهيونيين يتفنون بصهيون ونسوا أن صهيون رمز وليس جوهرأ ، فقد جاءت امرأة سامرية تقول للمسيح : « آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في اورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه »^(٣) ، فقال المسيح : « يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون لله .. الله روح والذين يسجدون له فيالروح والحق ينبغي أن يسجدوا »^(٤) .

وإذا شاءوا أن يتفنوا فليتنفوا بجبل سيناء ، جبل الله حوريب حيث ظهر لموسى « ملاك الرب بلهب نار وسط عليقة .. وناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى .. موسى .. اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة »^(٥) . وقد تنبأ إشعيا النبي بعصر المسيح الذي سيأتي ويقدم للإنسانية موعظته الخالدة على جبل صهيون فقال : « ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم . . . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن اورشليم كلمة الرب »^(٦) . وجاء المسيح عليه السلام واهتدى به من اهتدى من بني إسرائيل ، وأمن به أعداد من الأميين من دائرة الإمبراطورية

(١) انظر تث ٢٠ : ١٦ - ١٨ .

(٢) انظر تث ٢٣ : ٧ ؛ تث ١٠ : ١٩ - ٢٠ ؛ تث ٢٤ : ١٦ .

(٣) يوحنا ٤ : ٢٠ . (٤) يوحنا ٤ : ٢٢ - ٢٤ .

(٥) خر ٣ : ٢ - ٦ . (٦) إش ٢ : ٢ - ٣ .

الرومانية ، وامتد صيته من أورشليم إلى روما منذ ولادته حتى تأمر عليه الكهنة والفريسيون ليقتلوه ، لكن الله رفعه إليه ، وسيظل الصهيونيون بلا هدى ولا كتاب منير ... إن الله رفضهم وشتت شملهم فبأى حق يستغنون إلى من هو براء منهم كل البراءة .

ونشر الصحفي النمساوي تيودور هرتزل كتابه عام ١٨٩٥ م عن « الدولة اليهودية » وأعلن فيه أن الحل لجميع مشاكل اليهود المضطهدين في العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة من الأرض متسعة تكفي أمة محترمة .

وفي المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد عام ١٨٩٧ أجمعت الصهيونية العالمية على أن تكون فلسطين هي البقعة المحترمة ، وهي المكان المقرر لقيام دولة إسرائيل .

إنهم خططوا وأعدوا مخططاتهم بأسلوب علمي ، وبمستويات دولية ، وبدراسة جدية ، واتخذوا لهذا كل المبررات .

ويقف المسيحي المؤمن بإنجيله ويقساءل أين الله ؟ وأين إنذرات المسيح لليهود ؟ ويقف المسلم المؤمن بقرآنه ويقساءل : كيف سمح الله لإسرائيل بهذا ؟

خرافة العنصرية اليهودية :

نظرية الاستعلاء العنصري

لايسعنى في هذا الباب إلا أن أسير في البحث على نهج الكاتب اليهودي ألفريد ليلينثال مع التدليل الكتابي لتأييد الحقائق وتفنيد المزاعم الصهيونية .

عندما شرعت النازية في وضع أسس العنصرية الآرية ، رجعت إلى أجيال

غابرة عديدة تنقب وتبحث عن الدم الجرمانى النقي، وكانت لاتعترف للمواطن الألمانى بمنصره الآرى، إلا بعد هذا البحث وذاك التنقيب، وهكذا كانت النازية واقعية عندما اعتمدت على التنقيب والبحث قبل تحديد عنصرها ونسلها، ولم تسكن كالصهيونية التى منحت حق الانتساب لليهودية إلى كل من كان يهوديا، وشاء أن يبقى يهوديا، بل نادى السفير الإسرائيلى فى لندن فى ١٢/٦/١٩٦٧ بأنه ينبغى على المجتمعات اليهودية العالمية أن ترسل إلى إسرائيل مليون مهاجر جديد.

فإذا تجاوزنا هذا واعتبرنا أن عزرا الكاهن والكاتب يعتبر من باكورة الدعاة للصهيونية فإنه سار على نهج هتتر فى التنقيب عن نقاوة النسل، حتى أن « من بنى الكهنة بنوحبايا بنوهقوص . . هؤلاء فتشوا على كتابة أنسابهم فلم توجد فرؤلوا من الكهنوت » (١).

ومع ذلك فليس هناك عالم واحد من علماء « الجنس البشرى » يقر حقيقة العنصرية اليهودية أو الآرية.

فى عام ١٩٣٧، وخلال المؤتمر السنوى لجمعية علماء « الجنس البشرى الأمريكية »، وصفت العنصرية الآرية بأنها عنصرية لا وجود لها، وتقرر أن الآرية كالسامية لاتعنيان إلا لفظين دون أن يكون لهما مدلول عنصرى محدد.

والعنصرية لها مميزات واضحة، تنتقل إلى أبنائها بالوراثة، وتظهر جلية فى لون الشعر، والبشرة والعينين، وشكل الرأس والأنف والقامة.

ولذلك كان من الطبيعى أن يلجأ وايزمن، وغيره من مؤسسى العنصرية اليهودية، إلى ابتداع الوسائل للتفجير بعقول السذج من اليهود حول

(١) عزرا ٢ : ٦١ - ٦٢ .

العنصرية ، مع اقتناع هؤلاء المؤسسين التام بأن ليس هناك من عنصرية يهودية أو سامية بالمعنى الصحيح ، والجدير بالذكر أن اللغات السامية الرئيسية هي العبرية والسريانية وموطنهما أرض الشام وشبه جزيرة العرب (١) ، والحبشية وموطنها إفريقيا ، كما أن شبه جزيرة العرب تتكلم اللغة العربية ، كما كان الأشوريون والبابليون المنقرضون يتكلمون لغة تمت إلى السامية بصلة وثيقة « وكانت الأرض كلها لسانا واحداً ولغة واحدة » (٢) ، وجميع هذه الشعوب التي تتكلم السامية إنما تعود بأصلها إلى العنصر القوقازي .

وكلمة سامية في حد ذاتها ، مشتقة من سام أحد أبناء نوح ، الذي انحدر منه العرب والebraيون ، وهما أبناء عمومة لأنهما من نسل إسماعيل وإسحق ، وكلاهما من صلب رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام .

إلا أن العبرانيين اتخذوا العنصرية السامية للاستعلاء والمفاضلة على بقية شعوب الأرض ، وزعموا أن الله اصطفاهم دون سواهم ، وأنه جعل الناس عبيداً لهم (٣) ، وجعلوا من اللغة العبرية أساس تفاهمهم وتعارفهم ، مع أن معظم هؤلاء الأتباع لا يفهمون اللغة العبرية القديمة أو الحديثة . والواقع والتاريخ ينفيان صفاء السلالات العبرانية ، فاختلاط الشعوب بعضها ببعض عن طريق التزاوج (٤) ، واعتناق بعض شعوب الأرض للديانة الموسوية واعتناق اليهود منذ زمن المسيح عليه السلام إلى أيامنا هذه للديانة المسيحية ، ودخول اليهود والمسيحيين في دين الله أفواجا منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . كل هذه العوامل أفقدت اليهودية على مر الزمان طابعها الخاص ، وعنصريتها التي كانت تفاخر بها ، حتى أن العنصر الأنكلوساكنوني نفسه - على

(١) انظر تك ١٠: ٣٠ . (٢) تك ١١: ١ . (٣) انظر تكوين ٩: ٢٥ - ٢٧ .
(٤) انظر نمحيا ١٠: ٢٨ - ٣٠ ؛ نمحيا ١٣: ٢٣ - ٢٧ ؛ عزرا ١: ١٠ ، ٢ ، ١٢ .
(م - ١١ إسرائيل فتنة)

سبيل المثال - قد فقد خصائصه ، وقليلون من الإنكليز من يمكنهم الادعاء أن الدم الأنكلوسا كسونى النقى ، ما يزال يجرى فى عروقهم .

وهذه النظرية أثبتت منذ القدم فى عهد المسيح عليه السلام إذ جاءه رئيس من الفريسيين اسمه نيقوديموس (١) يستفسره عن ملكوت الله فيوجهه المسيح بأن ملكوت الله فى داخل قلب الإنسان ، وهو حالة الصفاء الروحى والذهنى والسلام الكامل رغم الأحداث التى يتمتع بها الإنسان الموصول الصلة بالله وليس من خارج الإنسان كاعتماد اليهود على عنصرتهم . وجاء بولس رسول المسيحية ينفى هذا الزعم ويؤكد أن البر (٢) بالإيمان لا بالانتساب إلى العنصرية .

وهذه القاعدة تنطبق على اليهود أكثر مما تنطبق على غيرهم ، فقد كانوا أكثر شعوب العالم اختلاطاً بغيرهم بحكم انتشارهم فى جميع بقاع الأرض منذ القدم ، ولذا كان من الطبيعى أن يفقد اليهود الطابع الذى ورثوه عن أسلافهم الأقدمين من بنى إسرائيل . والدلائل الكتابية من توراتهم ركيزة إيمانهم ومعتقداتهم واضحة جلية فيما يلى :

١ - أن بنى إسرائيل سكنوا مصر حوالى ٤٣٠ سنة (٣) شملت عصر الأسرة الثانية عشرة وامتدت إلى الأسرة الثامنة عشرة ، وعاصروا حكم الأجنبي للبلاد « عصر المكسوس » .

٢ - فقد الله فيهم قضاءه المبرم بشتات مملكة إسرائيل بسبب آثامها التى تجاوزت الحدود وذوبانهم فى شعوب الأرض سنة ٧٢٢ ق . م (٤) .

(١) انظر إنجيل يوحنا ٣ : ١ - ١٣ .

(٢) انظر رسالة رومية ٤ : ١ - ٢٢ .

(٣) انظر خروج ١٢ : ٤٠ .

(٤) ٢ مل ١٧ : ١ - ٢٤ .

٣ - ومع قضاء الله هذا بنفى مملكة إسرائيل لم تعتبر مملكة يهوذا
فتستقيم مع الله، بل فسدت وازدادت آثاماً جعلت الله يسلط عليهم نبوخذ نصر
فيخرجهم من أرضهم ويدمر هيكلهم ويحرق مدينة أورشليم سنة
٥٨٦ ق. م (١) .

اذن من هم اسرائيل هؤلاء ؟

تقول التوراة إن بنى إسرائيل لما خالفوا وأمر شريعتهم ، وعبدوا آلهة
غير الله ، مزق الله ملكهم ، وسلط عليهم من أذلهم ، ولم يبق تابعاً لبيت
داود غير سبط يهوذا وحده (٢) ، بل إن هذا السبط تعرض للغزو وسبي من
أرضه عام ٥٨٦ ق. م ؛ لأنه أخطأ إلى الله ، وظل هذا السبط في أرض السبي
من ٥٨٦ ق. م حتى ٥٣٨ ق. م ، حيث عاد بعضهم وليس جميعهم إلى أرض
فلسطين عندما صرح كورش ملك فارس لهم بالعودة .

وفي فترة السبي هذه دعا أنبياء بنى إسرائيل شعبيهم إلى الامتزاج والمصاهرة
ليزدادوا عدداً (٣) ، كما شجعوهم على المسالمة وحسن المعاشرة حتى يعيشوا
في رفاهية وأمن (٤) .

وإذا تتبعنا يعقوب منذ رحيله إلى مصر فإننا نكتين أن ابنه يوسف
قد تزوج بمصرية (٥) ، وأن يعقوب نفسه قد بارك هذا الامتزاج
وارتضاه (٦) .

كذلك تزوج موسى بمدينة (٧) ، كما تزوج داود بجميلية (٨) ، وكان نتاج
هذا الزواج ولده سليمان عليه السلام الذى تولى الملك بعد أبيه (٩) ، وتحكى

-
- (١) انظر ١ مل ١١ : ٣١-٣٩ ، ١ مل ١٢ : ٢٠ ، ٢ مل ٢٥ : ١-١٧ ،
٢ حب ٣٦ : ١-٢٠ . (٢) انظر الهامش السابق . (٣) لإرميا ٢٩ : ٤-٦ .
(٤) لإرميا ٢٩ : ٧ . (٥) تك ٤١ : ٤٥ ، ٥٠-٥٢ . (٦) تك ٤٨ : ١-١٦ .
(٧) خروج ٢ : ١٦-٢٢ ، خروج ١٨ : ١-٧ ، سورة القصص : ٢٣-٢٨ .
(٨) ٢ ص ١١ : ٢٦ ، ٢٧ . (٩) ١ مل ١٥ : ١٨-١٩ ، ٢٩-٣١ .

التوراة أنه قد تمت مصاهرة بين سليمان وفرعون مصر ، كما تزوج نساء أخريات غريبات إلى جانب بنت فرعون (١) .

وفي زمن القضاة تزوج شمشون بفلستينية رغم اعتراض أبيه ، ثم أحب بعد ذلك امرأة في وادي سورك اسمها دليلة (٢) .

والناس على دين ملوكهم ، وتسجل التوراة هذه الأحداث من مصاهرة وامتزاج بالشعوب بأن بنى إسرائيل سكنوا «في وسط الكنعانيين ... وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم» (٣) ، وأنهم في زمان سبيهم بأرض بابل امتزجوا بالبابليين حتى أن عزرا الكاهن مزق ثيابه ورداءه لما علم أن بنى إسرائيل اتخذوا من بنات البابليين لأنفسهم ولبنيتهم ، وأن الزرع المقدس اختلط بشعوب الأرض (٤) .

ونحميا أيضاً رأى اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيتهم باللسان الأشدودي ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي ، بل بلسان شعب وشعب (٥) . والتاريخ يعيد نفسه فإن هؤلاء الأشتات الذين تجمعوا من يهود الأرض من بلادهم الأصلية ليعيشوا تحت سماء أرض فلسطين إنما يتكلمون بلسان شعب وشعب ، وكان أرض فلسطين أصبحت مسرحاً لمختلف اللغات واللهجات أو كأنها أصبحت برج بابل (٦) .

والثابت تاريخياً أن عشرة أسباط من اثني عشر سبطاً قد اندثروا نهائياً سنة ٧٢٢ ق.م (٧) ، وأن سبطين منهما سبط يهوذا قد امتزجا بالشعوب ، وأن قسماً كبيراً منهم استوطن منفاه في بابل ولم يعد إلى أرض فلسطين .

(١) مل ١ : ٣ ، ١ مل ١١ : ٩ — (٢) قضاة ١٤ : ١ — ٣ ، ١٦ : ٤ .

(٣) قضاة ٣ : ٥ ، ٦ — (٤) عزرا ٩ : ١ — ٣ .

(٥) نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٦ . (٦) تك ١١ : ١ — ٩ ، ٢٤ : ١٧ — ٢٤ .

(٧) تك ١٤ : ١٣ — ١٤ .

والآن كيف يمكن لأى يهودى الادعاء بأنه ينحدر مباشرة من أولئك اليهود الأقدمين ، الذين سكنوا يوماً من الأيام الأرض المقدسة ؟

إن خرافة العنصرية اليهودية تركز على القاعدة القائلة : « إن كلمات : عبرى ، وإسرائيلى ، ويهودى ، واليهودية ، والشعب اليهودى ، إنما استعملت للدلول واحد » .

ولكن الواقع هو غير ذلك ، فهذه الكلمات إنما تعنى أجيالاً مختلفة عاشت في عصور مختلفة . فكلمة عبرانى أطلقت على الشعب الذى استوطن أرض كنعان « فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرانى ... (١) » وهى مشتقة إما من كنية إبراهيم لجدته عابر (٢) ، أو من عبور إبراهيم من أرض العراق إلى أرض كنعان لنهرى الفرات والأردن (٣) .

وكلمة إسرائيلى كنية لسلالة يعقوب عليه السلام (٤) وهو اللقب الذى خلعه الملاك على يعقوب (٥) ، وباركه الله به (٦) ، حتى أن يعقوب دعا اسم ذلك المكان الذى باركه فيه الله « بيت إيل » .

وأما كلمة يهودى فهى التعبير الذى كنىته به البقية الباقية من بنى إسرائيل بعد اندثار عشرة أسباط منهم فى سبي آشور سنة ٧٢٢ ق . م ، ولم يبق إلا سبط يهوذا فخرف الاسم من يهوذا إلى يهود ، وأول إعلام لهؤلاء بهذه الكنية فى أرض بابل (٧) كان فى عهد النبي إرمياء ، أما لفظة اليهودية Judaism فلم يستعملها العبرانيون أو الإسرائيليون مطلقاً ، بل ظهرت لأول مرة إثر ظهور الديانة

(١) تكوين ١٤ : ١٣ ، ١٤ . (٢) انظر تك ١١ : ١٦ - ٢٦ .
(٣) تك ١١ : ٣١ ، ٣٢ ، تكوين ١٢ : ١ - ٩ .
(٤) تك ٣٢ : ٢٢ - ٢٩ . (٥) تك ٣٥ : ٩ - ١٥ .
(٦) تكوين ٤٤ : ٥ . (٧) استير ٢ : ٤٥ ، استير ٨ : ١٦ .

المسيحية: «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فقتلت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل» (١).

وعندما أصبحت كلمة اليهودية شائعة ، لم يكن هناك من دولة عبرانية أو إسرائيلية في عالم الوجود ، إذ أن الشعب اليهودي كان منتشرًا في أنحاء العالم المعروف آنذاك ، وقد اختلط أفرادُه بسائر الشعوب .

وقد كانت الموجة الكبرى التي اعتنقت الديانة اليهودية في القرن الثالث عشر أكبر هذه الموجات ، وقصة « مملكة الخازار » (٢) التي اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها ، مازالت عالقة بأذهان جميع اليهود المؤمنين .

فقد قامت هذه المملكة في القسم الجنوبي من روسيا بين نهري الفولجا والدون ، وامتدت حتى شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين ، وعرفت بالمملكة الخازارية Kingdom of Khazaria وكان يحكمها ولادة حملوا لقب خاقان Khagan .

وفي عام ٤٤٨ غزا القائد المغولي أتيللا ، في زحفه نحو الشرق ، هذه المملكة ، ثم غزاها المسلمون بعد ذلك في عام ٧٣٧ .

والرسائل المتبادلة بين حاكم المملكة والطبيب اليهودي حسدى بن شابروت أحد مستشاري الخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن ، تلتقي نوراً على أوضاع هذه المملكة التي اتخذت اليهودية ديناً رسمياً لها .

واستناداً إلى هذه الحقائق التاريخية ، فإن وايزمن وسيلفر بنحدران بأصلهما من سلالة الخازاريين ، الذين كانوا وثنيين قبل أن يعتنقوا اليهودية .

(١) أعمال الرسل ٨ : ١ .

(٢) الخازار : شعب خليط من العنصر التركي الفنلندي Turko - Finnish

ولا نفالي إذا قلنا إن عدداً كبيراً من المسيحيين يجرى في عروقه الدم العبراني الإسرائيلي القديم، أكثر مما يجرى في عروق فريق كبير من اليهود المفاخرين بعنصرتهم اليهودية .

والطريف في الأمر أن العنصرية تلعب دوراً عجبياً في مصائر البشرية ، فإن قادة الصهيونية يقولون إن الشعب اليهودي ينتمي إلى العنصر العبراني السامي .

والجدير بالذكر ، أن أكثر الشعوب العربية في الشرق الأوسط تنتمي إلى هذا العنصر نفسه ، ولكنها لا تعتنق الديانة اليهودية .

وهؤلاء العرب سكان الجزيرة العربية وسكان الشام هم ساميو الجنس ويعتبرون أشد أعداء الإسرائيليين الذين ادعوا باغتصابهم أرض فلسطين أنهم عادوا إلى «وطنهم العنصري» وإن عداوة العرب للإسرائيليين هي رد فعل لتجنس الإسرائيليين على حقوق العرب :

فمنذ القدم ادعى الإسرائيليون لأنفسهم ما ليس لهم فأورثوا أنفسهم ميراث جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام ، وحرموا منه إسماعيل جد العرب (١) ، وسارت المسيحية في هذا الفلك فنادت بعنصرية أنهم ينتمون إلى سارة زوجة إبراهيم لا إلى الجارية هاجر أم إسماعيل (٢) .

هذا بالرغم من أن المسيح عليه السلام دحض هذا الافتراء وأعاد الحق إلى نصابه فتنبأ بانتزاع الملك والنبوة والكتاب من إسرائيل إلى أمة إسماعيل عليه السلام (٣) ، وفي هذا يقول الله تعالى : «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه

(١) تك ٢١ : ١٠ . (٢) غلاطية ٤ : ٣٠ . (٣) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ .

وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين» (١)، ويؤيد المسيح في نبوءته يوحنا صاحب الإنجيل والرسائل وسفر الرؤيا المنسوبة إليه ، فيقول : « هأنذا أجمل الذين من جمع الشيطان من القائلين إنهم يهود، بل يكذبون ، هأنذا أصيرهم يأتون ويسجدون أمام رجلك ويعرفون أني أنا أحببتك» (٢) .

ومن هو حبيب الرب هذا؟ ويجب المسيح متنبئاً عنه بقوله : « وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق .. » (٣) تأييداً لما سبق أن تنبأ به سلفه موسى عليه السلام بقوله : « أقيم لهم نبيا في وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فم فيكلهم بكل ما أوصيه به » (٤) .

ومن ثم فإن العداوة بين العرب وإسرائيل تمتد إلى أصول بعيدة عبر التاريخ والأحداث ، وتجرى أحداثها على أرض فلسطين وحدها . واستناداً إلى دراسات علماء الجنس البشري ، يمكننا أن نؤكد أن اليهود حينما وجدوا فإنهم يشابهون الأشخاص الذين يعيشون وإياهم في بيئة واحدة .

وإسرائيل بوضعها الراهن تجمع أشتاتاً من الشعوب ، ويمكن في سهولة التمييز بين يهود « الاشكنازي » البولونيين ويهود شمالي إفريقيا وألمانيا ، لأن الاختلاف لا يقتصر على الجنس ولون البشرة فحسب ، بل يتعداه إلى الزي واللغة والمعادن وأسلوب التفكير .

ويؤلف يهود العراق حوالي عشر سكان إسرائيل الآن ، ولا يفوقهم في العدد إلا يهود بولونيا ورومانيا . ومنذ أن استقر بهم الحال هناك ، وهم

(١) آل عمران : ٦٨ . (٢) رؤيا ٣ : ٩ .
(٣) إنجيل يوحنا ١٦ : ١٣ . (٤) تثنية ١٨ : ١٨ .

يشكون ويتذمرون من التدابير الشاذة التي اتخذت بحقهم ، ومن تفضيل
يهود أوروبا ويهود أمريكا عليهم .

وفي يوليو عام ١٩٥١ ، قام يهود العراق بمظاهرة كبيرة في تل
أبيب ، احتجاجاً على التدابير العنصرية في إسرائيل التي تعتبر فريدة في نوعها ،
وكذلك الحال مع يهود شمال أفريقيا واليمن .

وعلى الرغم من كل هذا التفاوت ، والتناقض الظاهر في الأجناس والعناصر
التي تتألف منها إسرائيل ، فما زالت تكافح في سبيل بقائها ، مستندة بوحدتها
إلى بدعة « السامية » وخرافة العنصرية اليهودية .

والواقع أن إسرائيل ليست للمستعمرة لخدمة الأغراض الأنجلو أمريكية (١) ،
ففي تكوينها ٣٧ ٪ من سكانها مولودون في إسرائيل ، ٣٥ ٪ مهاجرون
من بلاد صناعية في أمريكا وأوروبا وسلوكهم وتصرفاتهم تحمل طابع كل
المستعمرات التي يعمرها المهاجرون حتى إزاء المهاجرين من المناطق النامية
في آسيا ١٦ ٪ ، وفي أفريقيا ١٢ ٪ ، وهكذا يتضح أن توزيع الشعب
مخالف للمجتمع المتوازن .

وأهم عوامل عدم التوازن في التجربة الإسرائيلية أن تمويل دولة إسرائيل
هو من الخارج ، ويزيد مقدار العون الخارجي الذي تتلقاه إسرائيل عن مائة
دولار للشخص الواحد في العام .

وقد بلغ مجموع ما تلقتة من العون خلال السنوات العشر الأخيرة ٧ بلايين
دولار ، مصدرها الولايات المتحدة وتبرعات اليهود والتعويضات الألمانية .

(١) إسرائيل أداة الاستعمار في أفريقيا ، للزعيم بن بركة .

نظرية الحق التاريخي

الميثاق وادواره :

« قال أبرام : ماذا تعطيني وأنا ماض عقيماً ؟ » (١) هذا سؤال من إبراهيم إلى ربه وليس له وريث الا ابن بيته اليعازر الدمشقي، ويحدد سؤاله إلى الله : « وقال أبرام أيضاً : إنك لم تعطيني نسلاً ، وهوذا ابن بيتي وارث لي » (٢) .
« في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٣) .

وتنجز سارة الوعد بأن تزوج إبراهيم من هاجر ويعطى إبراهيم نسلاً من هاجر : « فولدت هاجر لأبرام ابناً ، ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل » (٤) .

ويزيد الله إبراهيم بركة ثانية فيعطى له إسحق من سارة : « فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته . . . وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله » (٥) .

العهد والعلامة :

وشاء الله أن يجعل إبراهيم أمة مؤمنة صادقة صابرة، وأن يجعل لهذه الأمة مميزات عن باقي شعوب الأرض فأقام عهداً وميزه بعلامة :

« هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم » (٦) .

(٢) تك ١٥ : ٣ .

(٤) تك ١٥ : ١٥ .

(٦) تك ١٧ : ١٠ ، ١٢ .

(١) تك ١٥ : ٢ .

(٣) تك ١٥ : ٢١ .

(٥) تك ٢١ : ٤ ، ٢١ .

وإنجازاً لهذا العهد « أخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المتعاقين بفضته . كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته . وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته . في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه » (١) .

النوازع البشرية :

وتأبى سارة بعد أن تلد إسحق أن يشارك ابنها شريك في الميراث فتدفع إبراهيم إلى أن يطرد هاجر وابنها إسماعيل في الصحراء العربية بغية أن تفنك بهما وحوش الصحراء السكاسرة فتعلمن إرادتها بقولها : « اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحق » (٢) .

فيأسف إبراهيم ، ولكن العناية الربانية لن تترك الأمور تجري كما يخطط لها البشر ، فيؤكد الله لإبراهيم : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك » (٣) . كما تحوط العناية الربانية هاجر زوجة إبراهيم ويعزيها الله سبحانه بوعده لها : « قومي احملي الفلام وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة عظيمة » (٤) . ويقول بولس رسول المسيحية : « فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم » (٥) .

هذه هي القصة عبر التاريخ من أعماق الأجيال المougلة في القدم ، وتسرى هذه القصة وتتجدد ذكرها بعد موسى عليه السلام يوم أن جمع شمل بنى إسرائيل ليخلق منهم أمة « دينا ودنيا » : « اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم : إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لى قائلاً : إني قد

(٢) تك ٢١ : ١٠ .

(٤) تك ٢١ : ١٨ .

(١) تك ١٧ : ٢٣ - ٢٦ .

(٣) تك ٢١ : ١٣ .

(٥) رومية ٤ : ١٣ .

افتقدنكم وما صنع بكم في مصر» (١)، ثم تتجدد الذكريات بمهد عيسى ابن مريم يوم أن أعلن ملكوت الله الروحي وأراد أن يجمع إسرائيل الروح إلى معرفة الله، أراد أن يدعو إلى الملكوت الروحي لا الدنيوي لأن السكيات السياسي قد زال منذ أمد بعيد تحقيقاً للإنذارات الإلهية لبني إسرائيل على أيدي أنبياء الله العديدين. وأعلن المسيح عن مجيئه بقوله: «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة» (٢)، ونادى بالملكوت قائلاً: «إن ملكوت الله يشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع» (٣)، وهو تشبيه اختيار الله لشعب إسرائيل كرسالة لله بين شعوب الأرض، لكن إسرائيل فسدت وتمت فيهم نبوءة إشعيا: «ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر وأولاد مفسدين. تركوا الرب. استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى الورا» (٤). فكان لا بد من أمة طاهرة صالحة تحمل لواء الربانية والصلاح، فإن المسيح ندد بإسرائيل قائلاً: «أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلوني» (٥). يقول تقرير الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ عن فلسطين في الصفحة ١٤٦: «أن تحتل فلسطين، كأرض مقدسة، وضعا فريداً في العالم، إنها مقدسة في أنظار المسيحيين واليهود والمسلمين على السواء...».

والمصالح الروحية لمئات الملايين من معتنقي الأديان الموحدة العظمى ذات صلة وثقى بمسارحها وأحداثها التاريخية، ولذا فإن أي حل للمشكلة الفلسطينية يجب أن يراعى هذه المصالح الدينية.

أولاً: في فلسطين أماكن لها القداسة في أنظار اليهود، ويشترك

(٢) متى ١٥ : ٢٤

(٤) إشعيا ١ : ٤

(١) خروج ٣ : ١٦

(٣) لوقا ١٣ : ٢٠

(٥) يوحنا ٧ : ١٩

المسلمون في تقديسهم لها: « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله » (١).

فبيت لحم هو المكان الذي ولد فيه داود .

وبلوطه ممرا هي المكان الذي احتفى فيه إبراهيم بالملائكة على حين غرة .

ونبع أريحا هو المكان الذي ارتوى منه الإسرائيليون ، ومدينة أريحا لها

مكانتها وشهرتها نشيداً وقصة .

وجبل جلبوع هو المكان الذي لقي فيه شاول الملك وأبناؤه مصرعهم

بانتصار الفلسطينيين على الإسرائيليين (٢) .

وفي فلسطين خرائب أبنية الهيكل ما تزال قائمة « بجدار المبكى » وخرائب

سليمان ما تزال قائمة في مجدو .

وفي شكيم انتقم الإسرائيليون لشرف أختهم دينة التي اغتصبها شكيم .

« وتكلم حمور معهم قائلاً : شكيم ابني قد تعلق نفسه بابتئكم . أعطوه إياها »

زوجة ، وصاهرونا : تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا ، وتسكنون معنا ،

وتكون الأرض قدامكم » (٣) .

وفي دوثنان باع إخوة يوسف أخاهم يوسف (٤) .

وصخرة المريا تلك البقعة المقدسة التي عندها رأى داود عليه السلام الملاك

منتظياً سيفه المضطرم .

وأرض فلسطين على أديمها مشت أقدام الأنبياء عبر الأجيال المتعاقبة

وقد أرعدت أصواتهم بنى إسرائيل باتباع المعروف والنهي عن المنكر

والضلال .

(٢) ١ ص ٣١ : ١ - ٨ .

(١) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) انظر تك ٣٤ : ١ - ٢٩ .

(٤) تك ٣٧ : ١٢ - ٣٥ ، انظر سورة يوسف : ٧ - ٢١ .

كل هذه الذكريات بما فيها من مأس وغدر وتجليات ربانية جعلت برنار يعبر عنها بقوله: «إن اليهودى يحمل في صدره عاطفة دينية خطيرة الشأن وهي الإيمان « بيهوه »^(١)، وهو على زعمهم إله الإسرائيليين شعب الله المختار دون الشعوب الأخرى ، ومن ثم نستطيع أن نفهم كنهه العصبية اليهودية فإنها دينية في المقام الأول » .

وقال سبينوزا اليهودى - وهو من أكبر فلاسفة التاريخ : «لم يكن حب اليهود لوطنهم حباً بسيطاً ، بل كان أشبه شئ بالورع ، فهذا الورع - مع ما رافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى استعلاء - كان ينمو يوماً فيوماً مع ممارسة اليهود لديانتهم حتى أصبح متأصلاً في نفوسهم » .

ثانياً : وهل نسينا أن هذه الأرض ذات البلاد المحببة إلى نفوس المسيحيين مقدسة أيضاً في أنظار العالم المسيحي ؟

فالتلال التي بشر فوقها المسيح ، والآبار التي توقف عندها وشرب^(٢) ، والجبل الذي اعتلاه ليذيع موعظته الخالدة^(٣) ، والطرق التي قطعها^(٤) وهو يلقى أمثولات الإحسان والوداعة ، والقرى التي آوى إليها^(٥) وتقبل جميع الناس حتى السكيرين والخطاة إخواناً له يهديهم إلى الحق ، والبحر الذي جلس عند شاطئه يعظ الجموع^(٦) .

وفي بيت لحم طفولته ، وفي الناصرة مسقط رأسه ، والطريق من بيت لحم إلى مصر هجرته^(٧) .

إن هذه ذكريات للمسيحيين ذات مكانة قدسية في نفوسهم .

(١) خروج ٣ : ١٥ . (٢) يوحنا ٤ : ٦ - ٢٦ . (٣) متى ٥ : ١ .
(٤) متى ١٢ : ١ - ٨ . (٥) متى ١٥ : ٢١ . (٦) متى ١٣ : ١ .
(٧) متى ٢ : ١٣ - ١٥ .

ثالثا : إن هذه الأرض مقدسة كذلك في أعيننا ، إبراهيم عليه السلام له غنى أرض فلسطين مواقف عزيزة : « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين » (١) ، وهو الجسد الأعلى للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو مدفون في حبرون ، والمسلمون يحرسون ذلك القبر بأكبر قدر من العناية والحيطة . وإلى فلسطين أُسرى بالمصطفى صلى الله عليه وسلم : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » (٢) .

رابعا : وإن هناك أيضا لتاريخا عظيما ، كانت مجدو الساحة الشهيرة للمعركة للدعوة بـ « أرمجدون » . ومن مدينة صور ، حيث كان الشعب الصوري ذا شأن ، كان التجار يتاجرون مع عالم البحر الأبيض المتوسط . وإن خرائب عظيمة ما تزال ترى حيث كانت المدن الرومانية الساحلية ، وقد شهدت حطين هزيمة الصليبيين وفقدان الصليب الحقيقي .

مؤكد أنه لا ينبغي أن ننسى هذه المعاني الدينية والتاريخية . ففي فلسطين كل هذه الأماكن وغيرها مما لا يحصى من المواطن التي تكاد تضاهيها أهمية .

لننقذ إذن هذه الأرض المقدسة ، ولنعددها إلى أصحابها الشرعيين . إن فلسطين تبدو مليئة بالقوة كأنما اختزنت الطاقة منذ أن خلق العالم ، ولعلها امتصت ، كأنما على صفحة مصورة خالدة ، موكبا من أحداث عظيمة كانت

(٢) الإسراء : ١ .

(١) البقرة : ٢٥٨ .

قد ظهرت هناك واندثرت ممالك وإمبراطوريات وأمم ، وسجلت كإسطوانة «فونوغرافية» جميع الأصوات والطقوس القديمة والبركات عبر المصور، فتحتاج بها بصمت وتكاد تكون على أهبة المهمة بها . إن المرء ليدرك أن فلسطين تريد أن تتكلم وتتحدث بشيء تشعر بأن من واجبها أن تتحدث به .

أما إسرائيل فإنها من ناحية تعتبر ادعاءاتها قائمة على أساس أن الوعد لا نزاع ولا جدال فيه ، وتطالب بإسرائيل موسعة « تشمل النقب وأدوم ومؤاب وعمون وجملة » ، أي ما يعادل مملكة داود وسليمان التي تحقق بها الوعد : « وكان سليمان مطلقا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى نخوم مصر » (١) .

ولكن مملكة داود وسليمان لم تدم أكثر من ٧٣ سنة كما رأينا من قبل ، مما يجعلها من الفئة القصيرة الأمد وينقض حجة إسرائيل .

إن أرض الميعاد الحقيقية لم تمتد إلا من دان إلى بر سبع طولاً ، ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط عرضاً . وعندما قاد موسى الإسرائيليين القدامى حتى قادش برنيع كان في النقب ، وكان ما يزال خارج أرض الميعاد ، ذلك أنه بعث برجاله عبر الحدود « لاستطلاع البلاد » ، وعندما استدار موسى بأتباعه حول الحدود الشرقية ووقف على الأعلى وراء الأردن كان ما يزال خارج أرض الميعاد التي منع موسى من الدخول إليها : « وصعد موسى من عربات مؤاب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جملة إلى دان... وقال له الرب : هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب

فأثلاً انسلك أعطيها . قد أربتك إياها بعينيك، ولسكنك إلى هناك لاتعبر . فات موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» (١) .

وهكذا فليس من شك في أن مؤاب وعمون وجلعاد وانقب لم تكن مشمولة بالوعد قط . وإذن فإذا كانت إسرائيل الصهيونية لاتتبدل ، فإن عليها أن تسلم النقب ومستعمراتها إلى الشرق من بحيرة الحولة والجليل ، وأن تنسحب إلى داخل حدود الأرض الموعودة .

ولكن ماشرعية الوعد بالنسبة إلى فلسطين الأصلية ، داخل حدودها المعترف بها من دان إلى بئر سبع ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ؟ وهي «مملكة يهوذا التي ظهرت سنة ٩٢٧ ق.م . وضاعت سنة ٥٨٦ ق.م» . لاشك في أن الوعد ، في تلك المنطقة ، قد أتاح أكثر الادعاءات شرعية ، ولكن الحقيقة الكبرى التي تنغاضى عنها إسرائيل الصهيونية هي أن الوعد قد انجز . لقد أنجز منذ زمن طويل ، وأكثر من ذلك ، لأن مملكة داود وسليمان — كما سبق أن رأينا — قد شملت من الأراضي أكثر مما اشتمل عليه الوعد .

والحقيقة الأخرى هي أنهم يستمسكون بالوعد ونسوا العهد ، ويقول الله تعالى : «إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدى الظالمين» (٢) . وفي هذا يقول الله تعالى : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً » (٣) .

عندما فتح البابليون القدامى يهوذا ، البقية الباقية من المملكة اليهودية ، زال وجودها السياسي كدولة إلى الأبد . وعودة اليهود إلى فلسطين ، وبنائهم

(١) تثنية ٣٤ : ١ - ٦ . (٢) سورة البقرة : ١٢٤ (٣) سورة الإسراء : ٤٤

(٢ - ١٢ إسرائيل تبتة)

لهيكلهم من جديد بقيادة عزرا ونحميا لم يما على يدي شعب حر ، بل على يدي شعب كان خاضعاً للفرس ، ومن هنا تتضح الحقيقة وهي أن العودة كانت عودة روحية ، لا سياسية .

وتلك العودة الروحية التي فاز بها رجال ذوو استقامة وعدل والتي تمثلت في إعادة بناء الهيكل ، قد تعرضت للخطر مراراً في الأجيال التالية عن طريق الحروب الأهلية اليهودية ، وتقوضت أركانها نهائياً بانهدام الهيكل على يدي الإمبراطور تيطس سنة ٧٠ م ، وحصول النشقة في سنة ١٣٥ م .

وهكذا فنحن نعرف أن الوعد قد أنجز في الأزمنة الغابرة وأضيع ... وعلى هذا فإن أى ادعاء حديث قائم على أساس ذلك الوعد لاصحة له ، ذلك أنه كان عقداً أنجز وانتهى أجله منذ أمد طويل ، وأنه كان مشروطاً بالاستمسك بالعهد (١) ، لكنهم نقضوا العهد (٢) .

وإذا طبقنا طريقة المقارنة التي اتبعناها في القسم التاريخي ، فإن علينا أن نقر بأن الوضع الديني للعرب هو الوضع الأفضل ، فهم قد التحموا بالكنعانيين الوطنيين ، وبطريقة ما أصبحوا ورثتهم الروحيين ، فقد كان الكنعانيون أول من أقاموا عبادة الإله الأسمى مما يعطيهم الأسبقية ، ولقد حرس المسلمون طيلة ألف وثلثمائة وسبعين سنة مدينة القدس المقدسة ، وهي مدة من الزمن تؤكد رقماً قياسيياً في الاستمرار لم يفقه أى من أتباع الأمم الآخرين ، مما يعطى المسلمين الآن الملكية الراهنة .

(١) انظر تك ١٧ : ٩ - ١٤ ، خروج ٣٤ : ١١ - ١٦ ، تث ٧ : ١ - ١١ ، تث ٤ : ٢٥ - ٣١ . (٢) « ان بنى اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا ميثاقك وقتلوا أنبياءك بالسيف » . ١ مل ١٩ : ١٠ ، ٢ مل ٢١ : ١٢ - ١٥ .

والعرب يشعرون في الأزمة الحاضرة بأن اليهودى ليس له قدم يقف عليها .
فإذا كان الله قد اختاره .. فإنه قد تخلى عن الله واتبع آلهة أخرى ، وعن طريق
الارتشاء والطمع في الربح خسر اليهود الأرض المقدسة .

وبعد أن خسروها لأول مرة وعدم الله وأعطاهم فرصة ثانية لإرجاع
مركزهم الروحي : القدس ، ولكنهم أضعوا هذا أيضا ، ومن ثم غاب اليهود
وابتعدوا عن فلسطين طيلة ألف وثمانمائة سنة منذ شتاتهم في سنة ١٣٥ م .

وعلى الرغم من هذا الغياب الطويل ، ومع أن الله لم يكن قد وعد برجع
ثان بعد أن شردهم الرومان ، فإن اليهود الصهيونيين غزوا فلسطين بطرق
مختلفة وأنشأوا دولة إسرائيل ، وفي عدوانهم التوسعى على العرب سنة ١٩٦٧
استولوا على القدس نفسها كما استولوا على قطاع غزة وشبه جزيرة
سيناء .

وإننا نحن العرب نشعر بأن وضعنا من ناحية فلسطين لا تمكن مهاجمته
من الناحيتين التاريخية والروحية .

فن الناحية التاريخية كانت صالتنا بها عبر الأجيال من الكنعانيين فالأنباط
فالعرب .

ومن الناحية الروحية يبدو ذلك خلال التوراة والأنبياء والإنجيل والقرآن
الكريم مصدقا لما سلف من الكتب السماوية ومهمنا عليها ، وخلال السلالة
النبوية الممتدة في أعماق التاريخ في إبراهيم أن الوعد مشروط بالعهد ، وأن العهد
صريح في قوله تعالى : « لا ينال عهدى الظالمين » (١) .

إذا هذا هو التاريخ الزمني والديني لمدينة القدس .

إن مصير القدس المثالي ، والنتيجة الملائمة لتاريخها الديني العظيم هي أن تكون مزاراً عالمياً لله ، مباحاً لجميع المؤمنين بالله ، من يهود ومسيحيين ومسلمين .

والأمم المتحدة نفسها قد اعترفت بوضع القدس كمدينة مقدسة . إن الظروف والأوضاع يجب أن تتبدل ، فكيف يقسنى تحقيق ذلك ؟

على الدول الكبرى أن تبذل من تفكيرها ، وأن تتباعد عن الحلين المعروفين الآن وهما : الوصاية ، أو الاستقلال بعد معاهدة صلح بين الدولتين .

والحل الوحيد الذي يراه الساسة الدوليون هو إقامة حاجز أدبي من القوة بحيث يكون بمثابة سور ، مثل الحاجز الذي يصون الفاتيكان في أيامنا هذه ، ولكن الحاجز الأدبي الذي يصون الفاتيكان لم توجده عوامل خارجية ، بل أوجدته صفة المؤسسة نفسها .

وإذن فإن حاجزاً أدبياً لفلسطين يمكن إيجاده لا بفعل أى شيء من الخارج ، بل بتبديل في صفة فلسطين ذاتها ، فقط برفعها إلى حالة سامية جداً بحيث يعترف الرأي العام العالمي بطهرها وحرمتها ، ولا يسمح بأى عدوان على هذه الحرمة .

المطامع الصهيونية التوسعية :

يلعب العامل الديني في المشكلة الإسرائيلية دوراً خطيراً ، بل إنه لعب دوراً هاماً في إقرار التقسيم لدى الطائفة البروتستانتية التي تستمد تعاليمها من

التوراة ، وكان هذا العامل من جملة العوامل التي حملت إيرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن قومي يهودى فى الأراضى المقدسة .

فقد كان للعبارة التالية الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين :
«العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » أثرها الكبير فى معركة التقسيم ونجاحها . فى الخطاب الذى ألقاه الحاخام سيلفر أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة ، واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى .

التوفيق بين التسلسل الدينى والمخطط الصهيونى :

اتخذت إسرائيل قراراً بضم الأراضى العربية المحتلة إلى الأراضى المنتصبة من فلسطين ، وهذا القرار التوسعى يمثل خطوة جديدة فى تنفيذها ، قديمة فى أعماق مؤامرة قديمة يرجع تاريخها إلى سبعين سنة حاولت خلالها الصهيونية أن تنفذ هذه المؤامرة على مراحل كل عشر سنوات :

١ - فى عام ١٨٩٧ عقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال السويسرية ، ومنذ ذلك العام والدبلوماسية الصهيونية تحقق كل عشر سنوات جزءاً من أطماعها التوسعية فى المنطقة .

٢ - فى العقد الأول (١٨٩٧ - ١٩٠٧) انصرفت المنظمة الصهيونية نحو خلق مؤسساتها الرئيسية : المالية ، والإدارية ، والدعائية .

٣ - فى العقد الثانى عام ١٩٠٧ تحقق الاندماج بين (الجناح السياسى) و (الجناح العلمى) فى الحركة الصهيونية ، فجاءت الخطة الجديدة التى دعاها وايزمن (بالصهيونية التوفيقية) والتى أقرها المؤتمر الصهيونى الثامن عام ١٩٠٧ وتدعو إلى استئناف التسلسل البطيء وتنظيمه ورعايته ، وكانت مقدمة للحلقة التالية ..

٤ - ثم جاء العقد الثالث عام ١٩١٧ حاملا معه رخصة السياسة الرسمية باستيطان فلسطين بعد صدور وعد آرثر بلفور المعروف .

٥ - وفي عام ١٩٢٧ دخلت الحركة الصهيونية العقد الرابع من عمرها وقد حصلت من الحكومة المنتدبة على اعتراف رسمي بتنظيماتها المحلية في فلسطين .

٦ - وفي عام ١٩٣٧ حاولت بريطانيا أن تحول « شبه الدولة » إلى دولة تامة ، فأوصت لجنة ملكية بريطانية بتأسيس « دولة يهودية » في جزء من فلسطين .

٧ - وفي عام ١٩٤٧ انتهى العقد الخامس وأطل العقد السادس من عمر الحركة الصهيونية لتحقيق أكبر انتصار لها .. فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في خريف ذلك العام توصيتها الشهيرة بتقسيم فلسطين وإقامة « دولة يهودية » في جزء من أجزائها ..

٨ - وفي عام ١٩٥٧ استقبلت الحركة الصهيونية عقدها السابع وهي تبذل جهد المستميت لإنقاذه ما يمكن إنقاذه من حطام مطامها التوسعية ، وكان ذلك نتيجة للعدوان الثلاثي المعروف « إسرائيل ، فرنسا ، بريطانيا » .

٩ - وفي عام ١٩٦٧ وقع عدوان ٥ يونيو المعروف ، وتحاول الصهيونية أن تحتفظ بثمار هذا العدوان ..

وماذا تريد إسرائيل الآن من مكاسبها التوسعية ؟

صرح أبا إيبان في جريدة هآرتس في ١٩٦٧/٩/٢٨ أن إسرائيل تريد أن تبحث جميع المشكلات المتنازع عليها ضمن اتفاقية سلام بينها وبين الدول العربية .

وقرر إسرائيل جاليلي لصحيفة هايوم في ٢٢/١٠/١٩٦٧ « أن إسرائيل لن تزحزح قواتها عن الأراضي التي تحتلها قبل التوقيع على اتفاقية للسلام . إن نداءاتهم بالسلام إنما تنطوي على أبعاد جذرية وفق خطط عشرية (كل عشر سنوات) يكشفها تصريح مناحم بيجين في خطابه ١٩٥٠/٤/٧ : « لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ، حتى ولا للعرب ، مادما لم نحرر وطننا بأجمعه بعد .. ولو وقعنا معاهدة صلح . » وبؤكد هاتصريح موسى ديان لصحيفة صنداى تايمز في ١٠/٩/١٩٦٧ : « إن هناك مليون يهودى جاءوا محل العرب ، سواء اعتبر هذا العمل أخلاقيا أم لا ، فالحقيقة أنه لا يوجد مكان في إسرائيل للعرب . »

ويقول ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل في خطاب له أمام أعضاء جمعية « بناي بريث (١) » الأمريكية الصهيونية في مدينة القدس يوم ٢٨/١٠/١٩٦٧ حدث فيه يهود العالم على القيام بهجرة جماعية من البلدان الغربية لزيادة عدد سكان ما أسماه « إسرائيل الكبرى » التي تشمل الأراضي العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وفي ١١ نوفمبر « تشرين الثانى » سنة ١٩٦٧ نشرت جريدة ديلي ميل اللندنية أن زعماء إسرائيل يقومون بوضع مخطط سريع لاجتذاب مهاجرين جدد من الدول الغربية إلى إسرائيل يقدر عددهم بحوالى خمسمائة ألف مهاجر سنوياً معظمهم من الشباب الذين لديهم خبرات فنية وعلمية معينة . وتعتمزم الحكومة الإسرائيلية إيفاد أربعين مبعوثاً لهذا الغرض إلى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وألمانيا الغربية، وتنوى حكومة

(١) راجع كتابي: « إسرائيل والتلمود » .

إسرائيل إصدار قانون في وقت قريب يعطى المهاجرين الجدد كافة التسهيلات الممكنة .

إن إسرائيل لم تسكتف بما أعطتها إياها هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ بعد سلبه من العرب ، بل أخذت في سلب المزيد وبطرق مختلفة أقلها الإرهاب للسكان العرب، وتحولت النسبة من ٥٥٪ من مساحة فلسطين البالغة ٢٦ ألف كيلومتر أيام حكومة الانتداب . تحولت هذه النسبة بالسلب والاعتصاب إلى ٨٠٪ من هذه المساحة بعد تشريد مئات الآلاف من العرب وطردهم خارج فلسطين .

إن ماسلبوه منا وطن عربي يعيش أهله فيه آمنين ، ولم يكونوا في يوم من الأيام في حالة حرب مع إسرائيل على الإطلاق ، وكان المتسلط على فلسطين هو حكومة الانتداب البريطانية وهذه مع عصبة الأمم المتحدة تأخذان مالا تملك كان وتعطيان من لا يستحق بتدبير محكم وبتخطيط واع .

لقد عمدت العصابات اليهودية الإرهابية من أمثال الهجاناه وأشتيرن وأرجون زفاى لثومى إلى ترويع السكان بغية حملهم على مغادرة دورهم وبلادهم .

وقد كانوا يتخبرون القرى الصغيرة الآمنة غير المسلحة فيقتحمونها ويقتلون كل من فيها يعد أن يمثلوا بهم ، ثم ينسفون القرى ويحولونها أنقاضا ، ويبقون على مشاهدى المأساة من سكان القرية ليذهبوا ويتحدثوا بما رأوا ، كما كان الصهيونيون يطلقون أبواق دعايتهم بين القرويين البسطاء توازرهم في ذلك إمكانيات الدولة المنتدبة لبث الرعب بين السكان وحثهم على مغادرة البلاد نجاة بأنفسهم وإنقاذاً لنسائهم وأطفالهم مما حقق لهم أهدافهم .

ويقدر عدد الفلسطينيين الذين اضطروا لمغادرة بلادهم بأكثر من

مليون شخص .

واليوم وفي عام ١٩٦٨ تغير الحال ، وأصبحت فلسطين كلها تحت الحكم الصهيوني بعد أن أضيف إليها شبه جزيرة سيناء وأراض من الأردن ومن سوريا ما زالت تحتلها وتساوم عليها .

هل يفكر المسلمون والمسيحيون في انقاذ انفسهم :

لا ريب أن اليهود في عهد المسيح عليه السلام ناوأوه وطاردوه وارتكبوا من البشاعات الشيء الكثير ، وقام الحواريون من بعده بنشر دعوته ، واعتنقت المسيحية أمم كثيرة على الرغم من الاضطهاد الذي سببه اليهود (١) .

ثم أشرق الإسلام بنور الهدى ، يقيم عبادة الله الواحد الأحد ، ويمحو ويستأصل جميع العبادات الوثنية ويعيد أجداد ملة إبراهيم (٢) ، ويخلص الأديان السماوية السالفة من الشبهات والزيف ، كما حرم عبادة الأجرام السماوية التي كانت منتشرة انتشاراً واسعاً في بعض أجزاء الشرق الأوسط: « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » (٣) ، واعترف الإسلام بالأنبياء ورسل الله لا يفرق بين أحد منهم (٤) .

ووقف اليهود من الإسلام موقفهم من النصرانية : عدااء مرير حتى نزل فيهم قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (٥) ، مع أن القرآن ينعت النصراني بالتقوى والمودة : « ولتجدن أقربهم مودة

(١) أع ٨ : ١ - ٣ . (٢) سورة الأنعام : ١٦١ - ١٦٣ . (٣) سورة فصلت : ٣٧ .

(٤) سورة العنكبوت : ٤٦ ، سورة آل عمران : ٨٤ ، سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٥) سورة المائدة : ٨٢ .

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون» (١) .

وقام الغرب المسيحي بنهضته المعروفة ، تلك النهضة التي أثمرت حفيظة اليهود فازدادوا المسيحيين حسداً وحقداً ظهرت آثارها في سيطرتهم على اقتصاديات البلاد بممارستهم للتجارة ولأعمال الصيارف وللبا الذي حرمة الكنيسة ، فازدادوا ثراءً ، بينما عانى الشعب شظف الحياة ، ولما أفاقت شعوب أوروبا لهول ما هي فيه انقضت عليهم تشريداً وطردها للتخلص منهم ومن مكائدهم .

وكان لناوأة اليهود في كل مكان ما وحد كلمتهم وصفوفهم بهدف حماية أنفسهم من الانقراض فشكوا الجمعيات السرية الخطيرة على البلاد حتى يحطموا الدول الأوربية فرادى ثم يسهل عليهم بعد ذلك تحطيم قوى العالم والسيطرة على مقدراته جميعاً .

الماسونية اليهودية :

إن اعتقاد اليهود بسمو عنصرهم وسمو دينهم جعلهم يحتقرون شعوب الأرض قاطبة : فأنكروا المسيح عليه السلام ورسالته ، وتنكروا لمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى والفرقان ، وشقوا عصا الطاعة على موسى ونبوته ، وحقدوا على المسيحيين زعماء منهم أنهم كانوا سبب شتاتهم في الأرض ، وناهضوا المسلمين وحاربوهم إيقاناً بأن الله انتزع منهم النبوة والكتاب والملك وخلعها على المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمه تلك الأمة التي قال عنها : « خير أمة أخرجت للناس » .

والواقع أن غضبة الله تعالى تلاحقهم أنى كانوا وعوض أن يطهروا أنفسهم ويتوبوا إلى الله يزدادون زيغاً وتمرداً فانقلبوا إلى أعداء لأنفسهم وللإنسانية

وصبوا طاقاتهم وغرائزهم الشريرة في السيطرة على مقدرات الشعوب واقتصاديات البلاد فاختزوا الذهب وكونوا الجمعيات الماسونية التي تتسلل خلال المجتمعات ، وتضمن أصدقاء لإسرائيل وعملاء لها . وقد نجحوا في أغراضهم تحت ستار هذه الجمعيات وأهدافها البراقة : الإخاء الإنساني لا الديني ولا الوطني ، ويهدفون من ورائها إلى فناء واستئصال العقيدة الدينية ، وهدم الشعور الوطني ولا يبقى إلا عبادة « يهوه القدير » .

فالماسونية تقضى على العقائد الدينية بادعائها أن الأديان سبب تأخر الأمم ، وقد وصلت بمساعيها إلى بذر بذور الإلحاد في أوربا ، ووصلت بتشكيلاتها السرية إلى تقويض القيصرية الروسية وإلى ظهور كارل ماركس بمبادئه تحت عنوان « الدين أفيون الشعوب » ، واندلعت ثورة سنة ١٩١٧ وانتقم اليهود من الحكومة القيصرية أعنف انتقام .

والماسونية تسعى إلى هدم الشعور الوطني وبالتالي إلى تفتيت القوميات ، ومتى تم لهؤلاء الوصول إلى غايتهم تمكنوا على حد تعبيرهم من ترويض المسيحيين والمسلمين على السواء على هذا المذهب — مذهب الإنسانية العالمية — كما يدعون بعيداً عن الدين والوطنية .

وقد بلغت الماسونية غايتها في تزكية الكاردينال بيبا لمطالبتهم بتبرئتهم من دم المسيح ، مما يدل على مدى التغافل الماسوني حتى في الكنيسة .

تبرئتهم من دم المسيح :

إن الإحساس بالصهيونية كما يقول ألفريد أيلينثال في كتابه The Other side of The Coin لم يقتصر على اليهود فحسب ، فالصهيونية في الولايات المتحدة — وقد شجعها ما صنعه حاييم وايزمن من مزج العناصر المسيحية باليهودية للفوز بوعد بلفور من الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ — اعتمدت على المسيحيين الأمريكيين في خدمات لا غنى عنها .

ويعمى ليلينثال إلى القول بأن الحماس الدينى لدى «المسيحيين الصهيونيين» كان كبيراً ما يفوق التدين لدى اليهود الصهيونيين ، فهؤلاء المسيحيون كان يسيطر عليهم الإحساس القومى لا الدينى الصهيونى .

يضاف إلى ما سبق أن البروتستانتية قد دعت إلى الحرية الفردية فى العقيدة وبهذا أفسخت المجال أمام الاجتهاد الفردى وأمام الظهور الواضح للعديد من الطوائف البروتستانتية التى أخذت كل منها اتجاهاً خاصاً ، وفقدت بهذا عنصر التماسك الذى نلاحظه فى الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا الوضع أفسح المجال أمام الحركة الصهيونية للتعامل مع كل طائفة على حدة ، فضلاً عن تعاملها مع الأفراد فى حرية كاملة .

كنيسة شهود يهوه (١) :

ولما كان تمويل هذه الطوائف البروتستانتية من تبرعات الأفراد فقد استطاعت الصهيونية بما لها من سيطرة المال أن تحتضن بعض هذه الطوائف احتضاناً مباشراً أو غير مباشر بطريق الإسهام معها فى أعمال النشر والدعاية ، ومن ثم ظهرت الجمعيات المشتركة التى لا حصر لها بين رجال الكنيسة فى الطوائف البروتستانتية المختلفة وبين ممثلى وأتباع الحركة الصهيونية وكلها تقبلى البرنامج الصهيونى .

ولا شك فى أن الحركة الصهيونية تغذى هذه الجمعيات بالأموال والرجال فضلاً عن الجمعيات والمؤسسات المسيحية فى ظاهرها والصهيونية فى باطنها وفى برامجها وأنصارها ومنها كنيسة الأدفنتست التى تتسامح مع اليهود وتركهم لآمالهم فى إيمانهم بمجىء المسيح عليه السلام الذى يحقق لهم سيادة على الأرض وملكوها عريضاً مادامت القاعدة المسيحية القائلة بعودة المسيح مرة ثانية إلى الأرض .

(١) راجع كتابى «المتشركون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى» .

فالاتفاق إذن في العودة والاختلاف في القصد من العودة : إن إسرائيل تعتقد أن المسيح المبشر به سيأتي ، ولا تقيم وزناً للمسيح الذي جاء ؛ وإن الكنيسة تؤمن بعودة المسيح العودة الثانية وتكون بعدئذ القيامة .

أما كنيسة « شهود يهوه » فتقيم الأركان القديمة للتوراة ، وتحيي عقيدة بائدة بأن الله خص ذاته لشعبه ولقب نفسه « يهوه القدير » ، وهذه العقيدة يضرها ويؤججها الصهيونيون بأساليبهم وأموالهم . والكنيسة البروتستانتية تتمثل في بريطانيا والولايات الأمريكية المتحدة وألمانيا .

الكنيسة الكاثوليكية :

هذا هو الحال مع الكنيسة البروتستانتية ، وهو غير الحال مع الكنيسة الكاثوليكية . فالكنيسة الكاثوليكية تمتد جذورها إلى أيام المسيح عليه السلام ، وتمول الكنيسة الكاثوليكية من أوقافها العريضة بل في قدرتها تمويل دول وإعانتها . وهي تعتبر نفسها جسم المسيحية بعبادتها وتراثها الديني وتقاليدها الكنسية وتعاليمها وطقوسها وعبادتها .

وكجزء من هذا التراث فإن الكنيسة الكاثوليكية لم تنس دور اليهود في محاربة المسيحية في أيامها الأولى (١) ، ولن تنسى محاربة اليهود للمسيح لدرجة التآمر على حياته وإدانته ، وتحريض السلطان عليه ، والاستهزاء به (٢) .

(١) انظر أع ٨ : ١ - ٣ : ٩ ؛ ١٤ : ٢٠ .

(٢) متى ٢٧ : ١ ، ٢ ؛ مرقس ١٥ : ١ ؛ لوقا ٢٣ : ٦ ، ٢ ؛ يوحنا ١٨ : ١٢ -

١٤ ؛ يوحنا ١١ : ٤٧ - ٥٣ .

أما وثيقة الاتهام التي زعموا أنها تدين المسيح إلى الموت فهي قولهم :

١ - إنه جعل نفسه ابن الله (١) .

٢ - وإثمه فتنه للإمبراطورية الرومانية (٢) .

وأما بيلاطس فعلم تأمرهم على المسيح وأنه بريء مما نسبوه إليه فأعلن براءته ، فازداد رؤساء السكينة سخطا وغضبا ، وحاول أن يثنيهم عن إصرارهم لكنهم أبوا إلا أن يصلب ، فأبرأ نفسه من هذا الظلم وتحملوه هم قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا » (٣) .

ولن تنسى الكنيسة الكاثوليكية مطاردة اليهود لأتباع المسيح قبل أن تتحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية .

لقد تمتع اليهود في عصر الإمبراطور جوليانوس سنة ٣٦١ م بمثل ماتمتعوا به في عصر الملك كورث ملك فارس سنة ٥٣٨ ق . م ، ومثلوا بالشعب المسيحي مثلما مثلوا من قبل بالشعب الفارسي : « ضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعلوا بمفضيهم ما أرادوا » (٤) ، ولم ينبج من مذبح الفرس النساء والأطفال (٥) .

وفي ازدهار اليهود في عصر جوليانوس - كازدهارهم في عصر ليندون جونسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية - أرادوا إعادة بناء هيكل سليمان في تحد لإرادة الله المعلنة لهم بخراب أورشليم (٦) ، وأذن لهم الإمبراطور

(١) يوحنا ٩ : ٧ . (٢) لوقا ٢٣ : ٤ .

(٣) انظر لوقا ٢٣ : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) استير ٩ : ٥ . (٥) استير ٨ : ١١ . (٦) متى ٢٣ : ٢٤ .

جوليانونوس ببناء هيكل سليمان ، وأقبلوا على ذلك بهمة عديمة النظير ، وأخذ أكثر من ١٨ ألف عامل في بنائه ، وما كاد الهيكل يأخذ صورته حتى « قامت زلازل قوية . . وانبعثت النيران من جوف الأرض وابتلعت كل شيء » ، وفرح المسيحيون بهذه الحادثة ، وازدادوا إيماناً بأن الله لن يخلف وعده وأنه يجزى الأشرار بشرهم .

قد يقال إن عدااء اليهود للمسيح وللمسيحية كان معروفا لهذه الكنائس :

١ - إنكار اليهود للمسيح ، الذي لم يتغير ولم يقبل حتى اليوم .

٢ - تحقير اليهود للمسيح في موضوع ولادته أو رسالته وكفى بالتلمود

شاهدا عليهم .

وتجمع كل الكنائس على هذا ، لكن الفرق بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية أن الكاثوليكية استمرار للماضي لا انقطاع فيه ، وأنها تسلمت الخلافة من المسيح مباشرة حينما أعلن المسيح لبطرس قائلاً : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيسة . وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحمله على الأرض يكون محلولاً في السموات » (١) .

والكنيسة الكاثوليكية استمرار للعتيدة الأولى لا ثغرة فيه . فقد أبت للبابا عصمته ، واستمرت وحدة الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، واستمر البابا وحده المرجع الأول والأخير في أمور الدين واللاهوت ، ومع هذا فإن

(١) متى ١٦ : ١٨ - ١٩ .

التعديل في العقيدة قد يؤثر في البنيان المتماك للكنيسة الكاثوليكية ، ولا يملك أحد كائنا من كان أن يجرى تعديلا لشيء إلا بقرار بابوي ، فهو وحده الذي يملك لأنه - حسب المعتقد المسيحي - خليفة الله على الأرض .

بينما الكنيسة البروتستانتية مستحدثة نسبيا ، وقد شقت عصا الطاعة على الكنيسة الأم ، وبدأت تستحدث لنفسها تراثا لاهوتيا ونظريات خاصة بها .

إن الكنيسة البروتستانتية في نظر نفسها قد حررت نفسها من الماضي . وبدأت حياتها على تعاليم الإنجيل ، ومن ثم شجعت باب الاجتهاد الفردي . وفتحت الباب لجميع التيارات ، بما فيها التيارات اليهودية لتؤثر في التفكير الديني المسيحي .

وقد كان الأمل المسيحي أن يكون اليهود أسرع الناس استجابة للدعوة . المسيح ، فنشمل الديانة المسيحية أعدادهم محل الديانة اليهودية ، ويصبح اليهود بالتالي مسيحيين .

ولا غرابة في الأساليب الصهيونية التي وعت وأدركت كل هذه المعوقات . وكل هذه الآمال وأيقنت أن الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية تبذلان رجاها وأموالهما في نشر الدعوة المسيحية وتبذلان رعاية جدية للوافدين من الملل الأخرى على المسيحية .

من هذه الزاوية استطاع هرتزل أن يحتال على بابا روما كما جاء في مذكراته (١) :
« منذ حوالي عامين أردت أن أجد حلا للمسألة اليهودية بمساعدة الكنيسة .

(١) مذكرات هرتزل الجزء الأول - برلين ١٩٣٤ .

الكاثوليكية على الأقل في النمسا . أردت التوصل لمقابلة البابا ، بالطبع بعد التأكد من تأييد رؤساء الكنيسة النمساويين ، ومخاطبته بما يلي : «ساعدونا ضد المعادين للسامية ، وأنا أقود حركة كبيرة لدخول اليهود الحر المستقيم في المسيحية » .

لقد داعب الأمل قلب البابا ، وظن إمكانية دخول اليهود المسيحية على نمط مملكة الخازار التي اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها وشعبها في القرن الثالث عشر .

وهكذا ترتفع هذه المبادرة إلى مستوى الصدق والأمانة ، ولكنها في الواقع تنطوي على تحفظات تعنيها عبارة « الحر المستقيم » ، وإن هذه المحاولة هي بمثابة القليل من الكثير مما يفصح ويفضح أساليب الصهيونية وبيزرها على حقيقتها .

ولا شك في إمكانية إقناع البابا فإن المسيح قرر لبني إسرائيل أنه ما جاء لينقض بل ليكمل^(١) ، وأعلنهم بنجوة إشعياء القائلة: «يقترب إلى هذا الشعب بفرح ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً ، وباطلا يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس»^(٢) .

فكان لزاماً على أئمة الكنيسة أن يدعوهم إلى الديانة المسيحية التي تدعو إلى التوحيد المسيحي العام الشامل ومن ثم تمييز عن التوحيد اليهودي المنصري الذي استأثر بالله وحده لهم ، دعوه أو كما يزعمون أنه دعا نفسه «يهوه»^(٣) .

(٢) متى ١٥ : ٦ - ٩ .

(١) متى ٥ : ١٧ .

(٣) خروج ٣ : ١٥ .

(م - ١٣ إسرائيل فتنة)

إن الأمل المسيحي في اعتناق اليهود الديانة المسيحية كأمل إبليس في الجنة، فاليهود هم كما نعمتهم المسيح بقوله : « عميان قادة عميان » (١) .

وإن وقاحتهم وصلفهم قد بلغا المدى ، فلهم من المسيح مواقف يندى لها الجبين ، وفي أيامنا هذه تدأب دار «سيمون وشوستر» في نيويورك على إعلان حرب خسيصة على المسيح في كتاب بعنوان «التجربة الأخيرة للمسيح» (٢) جاء في صفحة ٨٦ منه مانصه :

« كانت مريم المجدلية مستلقية على ظهرها في الفراش عارية تملأ . . . مبللة بالعرق ، وشعرها الأسود الفاحم منشور على وسادتها ويدها متشابكتان تحت رأسها . لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر ، فكانت منهوكة القوى وكان شعرها وكل جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الأمم . . . وخفض ابن مريم نظره ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة » .

وجاء في صفحة ٤٥٠ ما نصه :

« أمسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة ، وامتنع لونها ، واصطكت ركبهما ، فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة وبدأ يتدحرجان على الأرض . . . طلعت الشمس ووقفت فوقهما وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين ، وضمت المجدلية يسوع إليها وأصقت جسده بجسدها الملتهب » .

(١) متى ١٥ : ١٤ .

(٢) نقلا عن كتاب «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» مؤلفه عبد الله التل

هكذا يقف اليهود أمام دعوة المسيح : يحاربونها مستخدمين في ذلك شتى الأساليب دون رعاية لقدسية الأنبياء ولا لمكانة مريم العذراء من المسيحيين والمسلمين على السواء . . إذ اتهموها في عفتها وعصمتها .

وهذا الموقف اليهودى لا مبرر له سوى العنصرية التي تأتي على الناس من غير اليهود أن يدخلوا في دين الله ، وتؤثر أن يظلوا كما كان الرومان المعاصرون لليهود في فلسطين عبدة للأوثان والأصنام لا يؤمنون بإله واحد ، ولا يجمعهم هذا الإيمان في تعبد واحد يتوجهون به جميعاً إلى إله واحد . وهذا الموقف الدينى لم يتغير حتى اليوم ، وهذا يرجع إلى زعمهم أنهم الطبقة الممتازة حتى أنه جاء في التلمود أن الإسرائيلى يعتبر عنا الله أفضل من الملائكة فإذا ضرب أسمى إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية .

والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب .

ويعتبر التلمود أيضاً الأجانب كالكلاب ، لأنه مذكور في سفر الخروج أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب .

لماذا يطالب اليهود بتبرئتهم من دم المسيح ؟

كان من بين المسائل التي أثبتت في المجمع المسكونى في دورته الثانية موضوع المركزية ، وجرت المطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة في أماكن وجودهم ، أى اتباع اللامركزية . وهذه هى الخطوة الأولى في منح سلطة تقديرية لممارسة بعض اختصاصات البابا في الشئون الدينية والكنسية والنتائج لوضع كهذا ليست خافية .

وقد استجاب البابا بولس السادس لهذه الدعوة ، فأعلن في خطابه الذي ألقاه في المجمع في ٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٣ أنه لا يعارض في إشراك ممثلين عن الكنيسة معه في ممارسة السلطة العليا .

وتنفيذاً لذلك فقد أعلن قداسة البابا في الدورة الرابعة والأخيرة للمجمع المسكوني في ١٤ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٥ أنه استجاب لرغبة المجمع ، وأنه قرر إنشاء مجلس من البطارقة يساعد قداسته في شئون الكنيسة ويستشيرها فيما يرى قداسته من أمور .

وحتماً سيكون من بين هؤلاء أمريكيون ، وسيكون الأمريكيون كما هم دائماً دعاة مخلصين للأهداف الصهيونية .

وتحت وطأة الاسترحام والمعطف ، وبأسلوب الصهيونيين للوصول إلى أهدافهم استطاعوا أن يناووا ما يبتغون ، فقد قرر المجمع المسكوني الفاتيكاني تبرئة اليهود من دم المسيح ، وتناسى المجمع البابوي في قراره هذا حكم السيد المسيح على اليهود إذ أنزل عليهم الويل في أربع عشرة آية وردت في الأناجيل ، ثم دمغهم بفضبته بقوله : « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (١) .

النصوص بانتهام اليهود من الاناجيل :

١ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس .
(مت ٢٣ : ١٣)

٢ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرمال .
(مت ٢٣ : ١٤)

(١) متى ٢٣ : ٨ .

٣ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا . (مت ٢٣ : ١٥)

٤ — ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف باللهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . (مت ٢٣ : ١٦)

٥ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تمشرون النمنع . . وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة . (مت ٢٣ : ٢٣)

٦ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل ، ملوآن اختطافا ودعارة . (مت ٢٣ : ٢٥)

٧ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . (مت ٢٣ : ٢٧)

٨ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء... وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . (مت ٢٣ : ٢٩ ، ٣٠)

٩ — ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجمع والتحيات في الأسواق . (لوقا ١١ : ٤٣)

١٠ — ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تمشرون النمنع... وتتجاوزون عن الحق والرحمة . (لوقا ١١ : ٤٢)

١١ — ويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا
عسرة الحمل وأنتم لا تلمسون الأحمال بإحدى أصابعكم . (لوقا ١١ : ٤٦)

١٢ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم مثل القبور
الختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون . (لوقا ١١ : ٤٤)

١٣ — ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآبائكم قتلوهم .
(لوقا ١١ : ٤٧)

١٤ — ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة .
ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم . (لوقا ١١ : ٥٢)

النصوص بتامر اليهود على المسيح :

١ — فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه ففعل يسوع
وانصرف من هناك . (مت ١٢ : ١٤)

٢ — ابن الإنسان يسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه
بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه .
(مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩)

٣ — حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة فأرسلوا
إليه تلاميذهم من الهيرودسيين قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله
بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن ؟
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟ ففعل يسوع خبثهم وقال : لماذا
تجربونني يا مرءون ؟ أروني معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً .

فقال لهم : لن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر ، فقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا .

(مت ٢٢ : ١٥ - ٢٢)

(لوقا ٢٠ : ٢٠ - ٢٦)

٤ - حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا ، وتشاوروا الكهنة يسوع بمكر ويقتلوه .
(مت ٢٦ : ٣ ، ٤)

٥ - ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه . فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس .
(مت ٢٧ : ١ ، ٢)

٦ - قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب . فقال الوالي : وأي شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً ، بل بالجرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً : إني بريء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . (مت ٢٧ : ٢٢ - ٢٥)

٧ - والوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس . (مرقس ١٥ : ١)

٨ - فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة .
(لوقا ٢٢ : ٥٤)

٩ - وابتدأوا يشتمون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً : إنه هو مسيح ملك .
(لوقا ٢٣ : ٢)

١٠ — فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد علة في هذا الإنسان .
(لوقا ٢٣ : ٤)

١١ — فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب : وقال لهم قد قدمتم إليّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب وهأنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودس أيضاً لأنني أرسلتكم إليه ، وهالاشيء يستحق الموت صنع منه ... فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه .
(لوقا ٢٣ : ١٣ - ١٥ ، ٢١)

١٢ — فخرج بيلاطس أيضاً خارجاً وقال لهم : هأنا أخرج به إليكم لتعلموا أني لست أجد فيه علة واحدة.. فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه لأنني لست أجد فيه علة . أجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله .. كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : إن أطلقت هذا فلست محبباً لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر .
(يوحنا ١٩ : ٤ - ٧ ، ١٢)

ويقول برنار لازار - وهو من أوثق الباحثين تعليقا على نزعة المناوأة لليهود التي تسمى عند الغربيين Antisemitism أي معاداة الساميين في حين أنها موجّهة إلى اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية :

« يتراءى لي أن شعوراً عاماً كالمناوأة لليهود ظهر في كل مكان وكل زمان — قبل المسيح وبعده — في الإسكندرية ، ورومية ، وأنطاكية ، وبلاد

العرب وفارس ، وفي أوروبا في مختلف العصور ، ولا سيما في القرون الوسطى ،
وفي كل قطر قطنه اليهود . يتراءى لي أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن
يكون طارئاً عرضياً أو نزوعاً وقتياً ، بل يجب أن يرجع إلى أسباب جديدة
وأصول بعيدة .

أما الأصول البعيدة فأشير إليها فيما يلي :

١ — وقف استفانوس يواجه رئيس الكهنة عن تاريخ إسرائيل من
إبراهيم إلى المسيح . (أع ٧)

٢ — جاء في سفر التثنية عن دواعي اختيار الله لإسرائيل .
(تثنية ١٠ : ١٢ — ٢٢)

٣ — وجاء » » عن أسباب رفض الله لإسرائيل .
(تثنية ٢٩ : ٢٤ — ٢٩)

٤ — وجاء » » عن حثييات الاختيار والرفض .
(تثنية ٣٠ : ١٥ — ٢٠)

٥ — موسى يكشف عن طبيعة إسرائيل .
(تثنية ٣١ : ٢٧ — ٣٠)
(تثنية ٣٣ : ١ — ٣)

٦ — قضاء الله على إسرائيل بالنفي .
(أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١ — ١١)

(سفر الملوك الثاني ٢١ : ١ — ١٦)

٧ — وجاء المسيح وكان لهم بمثابة الفرصة الأخيرة للاستقامة وميراث
ملكوت الله لكنهم رفضوا ورفضوا . (متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٨)

(لوقا ١٩ : ٤١ — ٤٨)

(متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣)

ثم تنبأ عن وارث الميثاق

وقال الله تعالى في محكم آياته وفي مواضع متعددة عن أعمال إسرائيل الرديئة التي انتهت بقضائه عليهم : « ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وبأوا بفضب من الله وضربت عليهم المسكنة . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا مبغضون » (١) .

الفرق اليهودية

قبل الحديث عن الفرق اليهودية ينبغي مناقشة كتابين لكاتبين صهيونيين أولهما : This is my God ; by Herman Wouk « هذا إلهي » مؤلفه هيرمان ووك أعيدت طباعته عام ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٥ .

وثانيهما : The Teaching of Contempt ; by Jules Isaac

« تعليم الاحتقار » للكاتب الفرنسي جول إسحق .

أما الكتاب الأول فإنه يبحث في النواحي المتعددة للعقيدة اليهودية ، وقد أفرد المؤلف فصلاً خاصاً للحديث عن إسرائيل استعمله بالعبارات التالية : « القمة المعاصرة » :

« لقد ذكرنا أن إسرائيل بلد ديني ، بالمعنى المقبول ، ومع ذلك فإن قيام إسرائيل يجب أن يكون القمة المعاصرة في عرض الديانة اليهودية ، وإذا تجرأ المرء على التخمين حول طرق الله وسبله ، فإنه يستطيع القول بأن النهضة قد حدثت بكل ما أثارته وكل ما سببته من مأس لتسكن إسرائيل من الظهور .

« وذلك لأن النهضة هي التي أوجدت إسرائيل ، إسرائيل التي هي الانتصار الحديث للروح العبرية ، التي نمت سنة سنة في قوتها وفي تقدير العالم لها ، إسرائيل التي هي الحلم الذي تحقق لستين جيلا من المنفيين ، إسرائيل أرض اليهود .

« إن القرون المتعاقبة لم تستطع أن تسحق هذا الحلم الغريب بجزء من أمة مشردة بحيث أنها تعود في يوم من الأيام للأرض التي حدها الله لها ، « في القدس في السنة التالية » كان الشعار الذي أبقى على الشعب المشرد آماله .

« والآن وقد حدثت المعجزة فإنها تبدو حدثا عاديا ، ما لم يقف المرء ليتأمل . . . » .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الحركة الصهيونية التي عملت على قيام إسرائيل فيقول : « وهكذا فإن أرض إسرائيل ، التحقق الجديد لأقدم حلم ديني في الأرض ، قد وضعها مؤسس لا ديني (يعني : هرتزل) وأوجدها رجال هم في غالبيتهم لا يراعون أحكام العقيدة . ومع ذلك فإن الصهيونية في ازدهارها الحالي في إسرائيل ، تقع بسهولة ضمن مجال النظر البعيد للديانة اليهودية ، ذلك أنه لم تقم في إسرائيل القديمة دولة دينية بالكامل ، فقد كان فيها ملوك أتقياء ساروا مع القانون اليهودي واحترموه ، وكان فيها كذلك ملوك كالصهيونيين لم يسيروا مع القانون اليهودي ولم يطبقوه ، ومع ذلك فقد كانوا جميعا ملوكا لإسرائيل . » .

ويقول : « إننا نعتقد أن إسرائيل ، هي المسكان الذي سيشرق فيه نور الإله في يوم من الأيام لاليملاً البلاد الصغيرة فقط وإنما الأرض كلها . . . إن الصهيونية-

«الحديثة في إطار القانون العبري ، هي عمل طويل مطرد من إنقاذ الأرواح ، واختطاف مجموعات كبيرة من الناس من طريق الفناء المؤكد » .

ويختتم المؤلف « هيرمان ووك » Herman Wouk فصله بمناقشة يهود أمريكا بأن يكونوا لإسرائيل ، كما كان يهود بابل ليهود فلسطين ، بعد العودة من المنفى .. إنهم سيمطلون أكثر عدداً من يهود إسرائيل . وبإجراء هذه المقارنة فإن الكاتب يعيد إلى الأذهان النداءات التي وردت في العهد القديم تحث يهود بابل على مساعدة اليهود الذين ظلوا في فلسطين أو عادوا إليها . إذن فقيام إسرائيل ركن من أركان العقيدة اليهودية ، ولكن يجب أن تعترف المسيحية على أساس ديني بالديانة اليهودية التي لم تذب في المسيحية ، ويجب أن تعترف الكنيسة بأن الوعود قد قطعت لهذا الشعب ، ولهذا ركزت الحركة الصهيونية على الكنيسة الكاثوليكية لتفوز بصمتها إن لم تفز بتأييدها ، وهي بطبيعة الحال تطمع في التأييد لا في الصمت .

ومن هنا تأتي الأهمية الخاصة لمداورات المجمع المسكوني وللبيان الذي صدر عنه ، لما لهذا كله من آثار بعيدة على القضية الفلسطينية وعلى مصير الشعب الفلسطيني .

« ثم لا ننسى النوازع الشخصية للكنيسة الكاثوليكية التي أضمرت الحروب الصليبية ضد العرب في أرض فلسطين بنيران الفتنة الدينية ، ولما اندحرت بانتصار صلاح الدين الأيوبي عليها حفظوا ذلك في أنفسهم للثأر » (١) .

أما الكتاب الثاني فإن جول إسحق Jules Isaac كان يحث به صديقه البابا

(١) لعل هذا من أسباب جنوح الكنيسة الكاثوليكية عن الحق ميلا مع أهداف الصهيونية .

يوحنا الثالث والعشرين في سنة ١٩٦٠ ليعبر عن معارضة الكنيسة الكاثوليكية . . . للإسامية .

وتحققت هذه الأمنية بموافقة البابا يوحنا الثالث والعشرين على طرح وثيقة التبرئة الأصلية على الجمع المسكوني .

وفي هذا الكتاب يتعرض المؤلف — حسب زعمه — لأخطاء رئيسية عن اليهودية وصلت — حسب قوله — إلى التفكير المسيحي دون أن يستند أى منها إلى الحقيقة .

ففيما يتعلق بـ « قتل الرب » يقول إنه ليس من المنطق أن يلام شعب بأكمله لجريمة أقلية ، لا سيما أن أغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقاً بالمسيح ! ثم يقرر أن الأناجيل أتجهت إلى خلع اللوم على الصلب من الرومانيين إلى اليهود ، نظراً لأن هذه الأناجيل قد كتبت في وقت كانت فيه المسيحية تهجر أصولها الدينية اليهودية لتحول الأثمين إلى الدين الجديد .

وهكذا أصبحت الأناجيل وما ورد فيها موضع شك وجدل ، ولا يصح التعويل عليها والأخذ بالحقائق الواردة فيها . ترى هل يجوز بعد هذا اعتبارها كتاباً مقدساً .

ويتصدى لهذا الافتراء الربيع ، الأستاذ أنيس القاسم في كتابه عن الفاتيكان وإسرائيل ، إذ جاء في صفحة ٣٦ منه قوله : إن الصيغونيين يريدون كل شيء ولن يسلموا بشيء .

ويبدو أنهم سيحصلون على ما يريدون ولو على حساب العقيدة المسيحية . ويقول : لقد امتنعنا حتى الآن قدر جهدنا ، عن الخوض في التفسيرات

«الدينية التي طاب للبعض أن يطلقها ، وأباحوا لأنفسهم أن يتعرضوا لنصوص الإنجيل وهم الذين لا يعترفون بقدسيته ، وأرى أنني في حل من مناقشة بعض ما جاءوا به من آراء خصوصا آراء « جـول إسحق » وما تنطوى عليه من مغالطات .

والأستاذ أنيس القاسم تأخذه الغيرة الدينية المسيحية فيقول : «ونحن أولى منهم بإبداء الرأي ، والإنجيل كتاب مقدس عندنا ، والسيد المسيح نبي من أنبيائنا» .

ويناقش قول جول إسحق عن « أنه ليس من المنطق أن يلزم شعب بكامله بجريمة ارتكبتها أقلية ، لا سيما أن أغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقا بالمسيح » .

وتواطع اتجاهات « جول إسحق » الكاردينال بيا الذي قال : « إن المشكلة اليهودية لها جذورها في الكتاب المقدس ، فالمسيح قد جاء من حيث الجسد من الشعب اليهودي ، وكذلك فإن أسس الكنيسة كانت في الشعب اليهودي » .

وقال : « إن الواقع هو أن الكنيسة نوعا ما هي استمرار لإسرائيل ، هي إسرائيل الجديدة » .

ومضى الكاردينال بيا إلى القول : «لعل بالإمكان على الرغم من كل هذا الاعتراض بأن السيد المسيح قد أدانه الشعب اليهودي والزعماء اليهود ، وأن المسيح كان قاسيا في ويلاتة عليهم الواردة في إنجيلي متى ولوقا (١) ...

هذا صحيح ، ولكن المسيح قد طلب أيضا الغفران (١) لهم ، وقد استجيبت صلواته ولم يطرد الشعب اليهودي» (٢) .

وقال الكاردينال بيبا: «إن الغرض من النص هو جعل هذه الحقائق الواردة في الكتاب المقدس تنزل إلى أعماق روح المسيحيين وتمحكم في تصرفاتهم العملية». أما من جهة منطق جول إسحق Jules Isaac من أن أغلبية الشعب اليهودي لم تسمع مطلقا بالمسيح فقول مردود لا ينهض عليه أى دليل ، فإن أخبار معجزات المسيح قد طبقت الآفاق والدليل قائم في رحلات المسيح في بلدان فلسطين ، كما جاء في إنجيل لوقا في الإصحاحات من السابع إلى التاسع .

أما اتجاهات الكاردينال بيبا فتدحضها رسالة المسيح بين اليهود والأمم . فالسيد المسيح لم يهاجم روما ولا حكم بيلاطس ، وإنما صب غضبه الله كلها على انحرافات الكهنة والفرسيسيين ، وانحرافهم عن دين التوحيد وتعاليم الشريعة السمحة ، وانشغالهم بالدنيا عن الدين ، وليس في هذا أدنى امتهان لروما أو بيلاطس ، فما كانت روما يهودية ولا كان بيلاطس يهوديا . فدعوة السيد المسيح كانت تحديا صريحا لروما ولا لبيلاطس وإنما لأخبار اليهود ، والنظام الذي أخضعوا الشعب اليهودي له باسم الدين : « فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (٣) . كان المسيح ثورة على الاستغلال والإرهاب

(١) لأن المسيح طلب الغفران حسب ما جاء في إنجيل لوقا ٢٣ : ٣٤ « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لا للزعماء بل للشعب الذي سيق كالنعاج لتحقيق أغراض الكهنة وجند الرومان . أما زعماء اليهود « الكهنة وشيوخ إسرائيل » فقد ثبت بالدليل القاطع سبق الإصرار مع التعمد والتربص : « فصرخوا قائلين : أصلبه أصلبه » لوقا ٢٣ : ٢١ بل أقروا واعترفوا قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا » متى ٢٧ : ٢٥ ويقول الله : « إن الله لا يقفر أن يشرك به ويففر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما » النساء : ٤٨ .

(٢) على أثر ثورة دامية طرد الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م اليهود وشتتهم في كل أرجاء الإمبراطورية .

(٣) متى ١٥ : ٦ .

الذي كانوا يمارسونه : « بقي بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (١) .
 ويذكر إنجيل يوحنا أن كثيرين من شيوخ اليهود كانوا يؤمنون بالمسيح ،
 لكنهم لم يعلنوا عن ذلك خشية نقمة الأحبار والسكينة عليهم ومن هؤلاء
 نيقوديموس : « كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود
 هذا جاء إلى يسوع ليلا ، وقال له : يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلما لأنه
 ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه » (٢) .
 وقد يكون الخوف من بأس السكينة وسطوتهم هو ما جعل بطرس أحد الحواريين
 ينكر المسيح : « وأما بطرس فتبعه من بعيد » (٣) ، « وأما بطرس فكان
 جالسا خارجا في الدار . فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع
 الجليلي . فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدري ما تقولين » (٤) ، بينما كان لهذا
 التلميذ مواقف ظاهرها الشجاعة والإقدام إذ « استل سيفه وضرب عبد رئيس
 السكينة فقطع أذنه ، فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه . لأن كل الذين
 يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (٥) . إذن فقد كان السكينة والفريسيون
 وزعماء اليهود يحشون على مراكزهم وعلى نفوذهم : « فجمع رؤساء السكينة
 والفريسيون مجعما وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ؟ إن
 تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . . .
 فن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (٦) . ومن هذا يتضح أن عداوتهم للمسيح
 إنما كانت حرصا على مراكزهم ونفوذهم .

ومع هذا فقد أجمعت الكنائس المسيحية بناء على دراستها للتوراة
 والإنجيل على أنها تلتقي جميعها في الاختلاف مع اليهودية في النقاط الأربع
 الأساسية التالية :

- | | |
|------------------------|--------------------------|
| (١) لوقا ١٩ : ٤٦ . | (٢) يوحنا ٣ : ١ ، ٢ . |
| (٣) متى ٢٦ : ٥٨ . | (٤) متى ٢٦ : ٦٩ - ٧٠ . |
| (٥) متى ٢٦ : ٥١ - ٥٢ . | (٦) يوحنا ١١ : ٤٧ - ٥٣ . |

١ - أن المسيح الذي تنبأ به العهد القديم هو عيسى الناصري الذي صلب في عهد بيلاطس البنطي الوالي الروماني على ولاية فلسطين (١).

٢ - عندما رفض اليهود المسيح عيسى بن مريم وتم صلبه ، فإن صفة الشعب المختار قد انتقلت إلى الكنيسة المسيحية ، وأصبحت الكنيسة تسمى « إسرائيل الحقيقية » .

٣ - أن العقاب الذي نجم عن صلب عيسى « عليه السلام » هو تدمير الهيكل في القدس تعبيراً عن رفض الله لشعب إسرائيل الذي يعاني فيها وذلاً في الأرض نتيجة غلظة قلوبهم وسيظلون كذلك آية لنقمة الله حتى يعود المسيح في مجيئه الثاني .

٤ - بناء على شهادة القديس بولس فإن القانون اليهودي قد نسخ بالشريعة المسيحية .

وقد قاوم اليهود في جميع العصور هذه النتائج الأربع المستنبطة من دراسات قانونية مقاومة عنيفة وما زالوا يقاومونها .

وإن شاءوا الوصول إلى الحق فعليهم أن يعلموا أن إذلالهم إنما بقضاء الله عدلاً وحقاً وأن يتدارسوا هذه النصوص حتى يفيقوا من غلوائهم واستعلائهم : الله يشهد على إسرائيل الملاً أنه منتهق جبار (٢) .

والله يؤكد أن ميراث إسرائيل لا لبر فيهم ولكن منحة من الله تثبت بصلاحهم وتنزع بعصيانهم (٣) .

(١) هذه وجهة نظر الكنيسة ويمكن تنفيذها لتتسق النظرية مع ما أنبأنا به القرآن الكريم في الآية الكريمة : « وما تلووه وما صلوه » .

(٢) تثنية ٨ : ١٨ - ٢٠ .

(٣) تثنية ٩ : ٤ - ٦ .

وفي هذا يعرر الله عز وجل : « إني جاعلك للناس إماما قال : ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين » (١) .

الفرق اليهودية وعلاقتها بالفلسفة الشرقية :

يعتمد مبتدعو الفرق الدينية في العقيدة اليهودية في أسس فرقهم على دعامتين : أولاهما التوراة ، وهي الكتب الخمسة (٢) التي كتبها موسى ، وهي أسفار « التكوين ، والخروج ، واللاويون ، والعدد ، والثنية » فقط .

أما الدعامة الثانية فهي التلمود . ويقول وول ديورانت في كتابه قصة الحضارة (٢) جزء ٤ فصل ١٥ تحت عنوان عصر الإيمان : « أخذ الربيون والمخاطمات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذي يرضى غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى استغلالهم على بقية أجناس البشر . وأول من جمع تلك التفسيرات في كتاب أسماه « المشنا » هو الخاخام « يوخاس » حوالي عام ١٣٥ م » .

و« مشنا » معناها الشريعة المكررة . وقد زيد في القرون التالية على الكتاب « المشنا الأصلي » شروح أخرى صار وضعها في فلسطين وبابل ، ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشي كثيرة وشروحا مسهبية دعواها « جاماره » ، فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع التعليقات « الجاماره » كونت التلمود ومعناه : كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم .

وهذه الشروح مأخوذة من مصدرين أساسيين أصليين أحدهما المسمى

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) ثنية ٣٠ : ٢٤ - ٢٦ .

(٣) The Story of Civilization by Will Durant " The Age of faith".

يتلمود أورشليم ، وقد كان موجوداً في فلسطين سنة ٢٣٠ م ، وثانيتها تلمود
بابل وكان موجوداً فيها سنة ٥٠٠ م (١) .

الفرق اليهودية :

انقسم اليهود إلى فرق كثيرة تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد
تمسكاً بأصول الدين اليهودي وبأسفاره من الفرق الأخرى . وقد بقى من
هذه الفرق في العصور الأخيرة التي عاصرت المسيح عليه السلام أربع فرق :

- ١ — فرقة الفريسيين .
- ٢ — فرقة الصدوقيين .
- ٣ — فرقة الفاموسيين .
- ٤ — فرقة الأسينيين .

أولاً - فرقة الفريسيين :

إن فرقتي الفريسيين والصدوقيين فرقتان قديمتان والخلاف بينهما يسير
يتعلق بتفاصيل ليست ذات بال كخلافهما في البعث .

فالفريسيون يؤمنون بالقيامة وبالروح وبالملائكة ، على نقيض الصدوقيين
الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا بالملائكة (٢) .

ومن صفاتهم الاستعلاء (٣) ، ومن غاياتهم إحياء مملكة داود الخالدة (٤) .

ثانياً - فرقة الصدوقيين :

وهم ينكرون القيامة ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما
يحصلان في حياتهم ، وكانت بينهم حاجة فأفحهم المسيح إثباتاً للبعث بقوله :

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود للدكتور روهنج ، ترجمه إلى العربية الدكتور
يوسف نصر الله — مطبعة المعارف ١٨٩٩ .
(٢) انظر أع ٢٣ : ٦ — ٨ .
(٣) لوقا ١٦ : ١٤ ، ١٥ .
(٤) لوقا ١٧ : ٢٠ ، ٢١ .

« الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء » (١) .

ثالثا - فرقة الناموسيين :

وهم رجال القانون والفقه والشريعة ولقد تكالبوا على الدنيا فأندرهم المسيح بالولايات (٢) ، ومن هؤلاء فريق يعرف بالكتبة ، وكانوا هم والفريسيون في انسجام تام حتى أن المسيح هددهم بالولايات لأنهم يتمسكون بحرفية الشريعة لا بجوهرها وروحها (٣) .

ووصل بالناموسيين الاستهانة والاستهتار بالشريعة أنهم يعلمونها ولا يعملون بها ، وقد أدانهم المسيح بهذا الاستهتار بالمثل المشهور عن السامري الصالح (٤) .

رابعا - فرقة الأسيديين :

وهذه الفرقة منسوبة إلى بركة « بيت حسدا » ذات الشهرة الفاتحة فيما يجرى بها من معجزات الشفاء (٥) ، ويدعون أيضاً بالحسدیین من كلمة « حسديم » العبرية بمعنى المشفقين .

وقد ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى تختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا : فى عقائدها وعبادتها ونظمها وتقاليدها .

(٢) لوقا ١١ : ٥٢ .

(١) لوقا ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) لوقا ١٠ : ٢٥ - ٣٧ .

(٣) متى ٢٣ : ٢٣ .

(٥) يوحنا ٥ : ١ - ٩ .

١ — فمن أهم ما يمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات : أنها تحرم الأضحية والقرابين ، وتؤمن بأن ما يرضى الله إنما هو الحق والرحمة (١) ، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم وسائل العبادة ، وقد خصص لها قسم كبير في سفر من أسفار التوراة وهو سفر اللاويين . لكن مع الأيام انحرف الكهنة وأصبحت الأضحية موردا رئيسيا من موارد الثراء فالفساد .

٢ — كما يمتاز فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة ، في أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبادئ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب ، وهذا ما نادى به إرميا في القديم (٢) وما تنبأ به إشعيا (٣) من استتباب السلام والتعايش السلمى ، وما دعا إليه بولس رسول المسيحية بتكوين المجتمع الاشتراكي (٤) .

٣ — ومن مبادئها العمل على مجانية الإضرار بالخلق وعدم الإيذاء ، إيذاء أى إنسان حتى ولو كان ذلك لتربيته وتقويمه ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء في ذلك الإسرائيليون منهم وغير الإسرائيليين ، وقد ظهرت هذه المبادئ في أسرة المكابيين (٥) الذين حكموا أمتهم في عهد السلوقيين فالبطالمة .

(٢) إرميا ٢٩ : ٧ .

(١) إشعيا ١ : ١٠ — ٢٠ .

(٤) أع ٤ : ٣٢ .

(٣) إشعيا ٩ : ٦ ، ٧ ؛ إشعيا ٢٨ : ٢ — ٤ .

(٥) جاء ذكرهم في أسفار الابوكريفا وهي ضمن الكتاب المقدس طمعة الكاثوليك

اليسوعيين .

٤ - ومن مبادئها تحريم طرائق الكسب غير المشروع ، وابتزاز أموال الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء في التعامل مع اليهودى أو غير اليهودى ، وهم بهذا على طرف نقيض مما جاء بالتوراة من أن الله حرض موسى وشعبه على سلب المصريين قبل خروجهم من مصر (١) .

٥ - ومن مبادئها تحريم الرق وممارسة الحرية الشخصية ، وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان ، كما تحظر أن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تقوم على الرق .

وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم ، وجاء فى سفر اللاويين ما يؤيد امتلاك الإسرائيلى للعبيد والإماء من الشعوب حوالىهم (٢) ، وميزت الشريعة امتلاك الإسرائيلى لأخيه الإسرائيلى بعدم التسلط عليه (٣) ، بل إن التوراة تقرر أن شعب كنعان (٤) كتب عليه فى الأزل أن يكون عبدا رقيقا لبني إسرائيل ، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة فإن تمردوا عليها أو طمحوها إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف .

٦ - ومن مبادئها فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى وعاشوا جماعات حول شواطئ البحر الميت ، فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية وجعلوا ماتحت

(١) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، تك ١٥ : ١٣ ، ١٤ .

(٢) لاويون ٢٥ : ٤٤ - ٤٦ . (٣) لاويون ٢٥ : ٤٣ ، ٤٦ .

(٤) تكوين ٩ : ٢٥ ، ٢٦ .

أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا جماعيا شأنما يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة في مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل الفراغ لأعمال وظيفتهم هذه ، وهذا النظام أخذت به الكنيسة الأولى ، وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها في كل قرية من قراهم مفتحة الأبواب لسكل رفيق من جماعتهم سواء أكان من أهل القرية أم قادما من خارجها .

وعلى نفس النمط سارت الكنيسة الأولى (١) .

ويحفظهم على ذلك عاملان : العامل الأول أن عبوديتهم لله تأبى عليهم عبودية لغير الله (٢) ، والعامل الثاني الأمل في ميراث لا يفتنى (٣) . وهذه المبادئ هي على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت تميز الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير في أسفارهم .

٧ — ومن مبادئ هذه الفرقة ما تمتاز به فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي من أنها تحرم الاشتغال بالتجارة ، لما تبعثه في النفس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس .

كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب (٤) ، لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبدأ من مبادئهم وهو التعايش السلمى

(٢) متى ٦ : ٢٤ .

(١) أع ٤ : ١ ، ٢٧ - ٦ : ١ - ٨ .

(٤) إشعيا ٢ : ٤ .

(٣) متى ١٩ : ٢٩ .

واستتباب السلام الدائم، وفي هذا يقول المسيح: « طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون » (١).

٨ - ومن مبادئها تحريم استخدام الذهب والفضة وتحريم التعامل بهما، لما يبعثان في النفوس من زهو، وما يحملان عليه من جشع وشح، ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة والصيد، وما يحتاجان إليه ويتصل بهما من صناعات، وفي ذلك تختلف اختلافًا جوهريًا عن سائر فرق اليهود، فقد كان من أهم مظاهر الفرق الأخرى النشاط الاقتصادي في شئون التجارة، وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس (٢)، وبالإضافة إلى هذا فإنهم يزعمون أن الشريعة تحفرهم على التعامل بالربا مع غير الإسرائيل (٣).

٩ - ومن مبادئها فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء، وهذا ما نادى به بولس رسول المسيحية (٤). وهو أيضا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت ترى أن الزواج واجب ديني لكل قادر عليه، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل؛ لأن كليهما على حد تعبيرهم « يطفىء نور الله وينتقص ظله في أرضه، ويبعد رحمته عن إسرائيل»، بل لقد رأى فقهاؤهم أن من يبلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغده على الزواج.

١٠ - ومن مبادئها فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والنعيم وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور (٥).

(٢) خروج ٢٢ : ١ - ٦

(٤) ١ كو ٧ : ٢٢

(١) متى ٥ : ٩

(٣) تثنية ٢٣ : ١٩ ، ٢٠

(٥) متى ١٦ : ٢٤ - ٢٦ ؛ متى ١٠ : ٣٧ - ٣٩

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف في معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود ، والحقيقة أنه لا تربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس لأن أفرادها كانوا من بني إسرائيل . وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان والمسيح بن مريم كانا من هذه الفرقة ، ومن دراسة تحليلية لتعاليمها يتضح الاتفاق التام بين مبادئها ودعوة يوحنا ودعوة المسيح .

ومن دراسات للدين البرهمي كما جاء في كتاب الليل والنحل للشهرستاني يتبين الاتفاق التام بين مبادئ هذه الفرقة والدعائم الأخلاقية المعروفة بالوصايا العشر للدين البرهمي ، وتتمايز في مبادئ بوذا الذي يهتف بالإيثار كي يجد الناس الزفاناً ، والزفاناً هي حالة السمو والصفاء التي يجدها ويلبثها الذين يعادون أنفسهم سعياً وراء الحكمة والحق وفي هذا المعنى يقول العزيز « ويؤثرون على أنفسهم » (١) .

ولم تعمر هذه الفرقة طويلاً ، فقد انقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي . هذا وقد ظهرت حوالى القرن الثامن بعد الميلاد فرقة جديدة من اليهود سمت نفسها بفرقة « اليهود القرائين » ، وامتازت عن غيرها من الطرق بتمسكها بما جاء في النوراة وحدها ، وعدم اعترافها بأحكام التلمود وتعاليم الخاخامات ، وعدم اعتبارها هذه الأحكام وهذه التعاليم من أصول الشريعة ، وقد أسس هذه الفرقة داود بن عنان وهو من علماء يهود العراق . ومن الفرق الدينية أيضاً فرقتان سبق ذكرهما تحت باب أحزاب إسرائيل وهما : حزب أغودات إسرائيل وحزب مزراحی .

الباب الثالث

الوجهة الدينيّة والأخلاقية

فكرة الألوهية بين إسرائيل والفراعنة

متى وأين تم إدراك الله أولاً بوضوح ووعي كافيين بحيث تم تخصيص رجال للخدمة الدينية عرفوا بالكهنة، واستحدثوا على إقامة شعائر دينية منظمة؟ إن التاريخ الفرعوني يسجل لنا في آثاره أن الكهنة في قديم الزمان كانوا يحرصون على الحفاظ على شعائر الدين قبل ظهور الرسائل السماوية المشهورة . وكذلك يؤكد لنا تاريخ الشعوب الآسيوية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط أن عبادة الله الواحد الأحد عرفت طريقها بين اليوسيين وهم من سلالة كنعان من نسل حام ، وقد كانت بلدة « ييوس » مركزاً للعبادة الربانية التي انبثقت من سيدنا نوح عليه السلام الجد الأعلى للكاهن ملكي صادق الذي عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام وباركه بعد انتصاره على كدر لعومر والملوك الذين معه (١). ومدينة ييوس هي مدينة أورشليم وهي مدينة القدس .

وفي أرض مدين بشبه جزيرة سيناء كان يثرون كاهن (٢) مدين معاصراً لسيدنا موسى عليه السلام ، وهو الذي نصح موسى (٣) بالتنظيم الاجتماعي والسياسي لبني إسرائيل حتى يتفرغ لتلقى الشريعة من الله رب العالمين .

إن علماء أصول الدين وعلماء اللاهوت ، مازالوا يمعنون في التأمل والتفكير : هل عرف إبراهيم « الله » في أور (٤) السكلدانيين « العراق » أو أنه رآه يوم أن افتدى الله ابنه بذبيح في أرض المريا (٥) حيث دعا إبراهيم اسم ذلك الموضع « يهوه يرأه » ؟

(١) انظر تك ١٤ : ١٧ - ٢٤ .

(٢) انظر خر ٣ : ١ .

(٣) انظر تك ١٢ : ١ - ٩ .

(٤) انظر تك ٢٢ : ١ - ١٩ .

(٥) هذا بحسب رأى التوراة من أن الذبيح هو إسحق . انظر تك ٢٢ : ١ - ١٩ .

أو أن موسى عليه السلام عرفه في سيناء ساعة أن تقدم إلى النار التي تشتعل حتى العليقة ، والعليقة لا تحترق ، ليقف على أسرارها فإذا به يسمع صوت العلي يناديه بأنه « بالواد المقدس طوى » (١) ، وأن عليه أن يقول لبني إسرائيل : « يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذ إسمي إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » (٢) ؟

وهذه الأماكن أمست لها قدسيتهما ، فيبوس التي هي الآن القدس :

١ - كانت مدينة لليبوسيين ، وشهدت عبادة الله الواحد الأحد ، وعلى صخرة المريا التي شهدت إقامة الدين الحنيف من إبراهيم إلى داود فسليمان فاليسيح توصلت هذه المدينة لاستكمال أسباب السلام حتى سميت في عهد داود وسليمان بمدينة « أورشليم » .

٢ - وفي الأرض المقدسة عند جبل سيناء حيث تراءى الله لموسى عليه السلام ، وحيث تلقى موسى الشريعة من الله ، أمره الله عند خروجه ببني إسرائيل من مصر : « يعبدون الله على هذا الجبل ، فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بني إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلني إليكم ، فإذا قالوا : ما اسمه ؟ فإذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه . وقال : هكذا تقول لبني إسرائيل : أهيه أرسلني إليكم » (٣) .

ويرى Weigall (٤) أن مذهب التوحيد الذى نادى به إخناتون قد بشر به من لدن أمة جاءت إلى بلاط أبيه من أحد الأقطار الآسيوية .

وقد عكف إخناتون على عبادة رب يدعى « أدوناي » تارة ، و « آتوم »

(١) طه : ٩ - ١٤ ؛ خروج ٣ : ٢ - ٥ . (٢) خبر ٣ : ١٥ .

(٣) خروج ٣ : ١١ - ١٤ .

(٤) Weigall, The Life and Time of Akhenaton . (٤)

تارة أخرى ، و « آتون » طوراً ثالثاً ، يعنى على مختلف اللهجات المعروفة بين شعوب الأقاليم المختلفة في ذلك العهد .

وليست كلمة « آتون » أو « آتوم » غير تحريف للفظة العبرية « أدوناي » بمعنى السيد .

وللعالم اليهودى سيجموند فرويد Frued نظرات في مذهب إخناتون تدل على محاولة ظاهرة في المقابلة بين عقيدة إخناتون وعقيدة العبرانيين في التوحيد ، فقد مهد في كتابه (١) الذى ترجمته من الألمانية Katherine Jones سنة ١٩٤٠ بفروض تدل على البراعة وغزارة العلم لمسألة المقابلة بين المذهبين .

وانتهى من ذلك إلى أن « موسى » قد ولد في مصر (٢) وتربى فيها ، ونشأ في كنف الوحدانية ، التى أعلن أمرها في زمان « إخناتون » ، وعلى أثر النضال بين أصحاب مذهب « آمون » وأصحاب مذهب « آتون » = الشمس ، وإلى أن ذلك النبي العبرانى مهد لنبوته ومذهبه الدينى في تلك البيئته الموحدة عند آل فرعون .

ثم بات يبشر قومه بالوحدانية ، ويلقنهم أصولها ومبادئها ، ويعلمهم قواعدها ، ويثبت لهم أنه يدين بدين الحق ، دين الله الواحد الأحد ، ثم يعلمهم كيف يوحدونه ويعظمونه ويفهمون صفاته وذاته ، وهو في هذا يحاول أن

(١) Sigmund Frued, Moses & Montheisim. 2nd edition .

(٢) « وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى ، فنجبت المرأة وولدت ابناً . . . ولا كبير الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً . ودعت اسمه موسى وقالت : لاني انتشلته من الماء » خروج ١: ٢ ، ١٠ .

بأخذ من حركة « إخناتون » جسراً إلى حركة « موسى » في إعلان مذهب التوحيد . . .

وذهب فرويد إلى أبعد من ذلك في فروضه بزعمه أن موسى كان مصرياً ولم يكن من اللاويين كما جاء في التوراة (١) .

وفرويد يجعل من موسى بطلاً غير وجه التاريخ ، ويزعم فرويد أن موسى قد تأثر بمذهب الوجدانية التي ظهرت بين يدي إخناتون .

ويقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه « في موكب الشمس » أن المصريين قد عرفوا الوجدانية وآمنوا بها ، ودانوا دينها ، بل عرفوا أن الله واحد لا شريك له ، ولكنهم لم يملنوا أمر ذلك دفعة واحدة ، لأنهم كانوا أوفياء للتقديم .

فهم يعرفون كيف نشأت عقائدهم الأولى متفرقة فيما سكنوا من أقاليم هذا الوادي ، وكيف كان أهل كل إقليم يتعصبون لمعبودهم ويدخرون له كثيراً من الوفاء مهما تقادم العهد عليه ، ويفعلون الأعاجيب في ربطه بالإله الأعظم الذي يدين له كافة الناس .

وكان من المنطقي أن إبراهيم الذي هجر أرضه وعشيرته احتساباً لله وحده لا يرضى إلا بأرض تعرف الله الواحد الأحد . ومصر التي تدين بدين التوحيد استهوت في مختلف العصور أولئك الآباء والأنبياء والرسل الذين هاجروا إليها ، إما طلباً للزاد ، كما هاجر إليها إبراهيم (٢) ويعقوب (٣) والأسباط (٤) ،

(١) خروج ٢ : ٢ « فحبلت المرأة وولدت ابناً » :

(٢) تك ١٢ : ١٠ - ٢٠ ، ١٣ : ١ - ٤ .

(٣) تك ٤٦ : ١ - ٧ ؛ (٤) تك ٣٩ : ١ .

وإما للاتجاء والاحتماء بها من عدوان غادر كما التجأت إليها مريم وابنها المسيح (١) .

والقرآن الكريم ينبئنا بأن معرفة الله الواحد كانت ظاهرة حتى أن امرأة فرعون قالت : « رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » (٢) ، ومن ثم فإن الله أكرم شعب مصر : « مبارك شعبى مصر » (٣) .

ومن الظواهر العامة فى حياة الإنسانية أن العقائد قد مرت فى حياتها بأطوار ثلاثة :

طور التعدد . . . وطور الترجيح . . . وأخيراً طور الوجدانية .

فكان الناس فى الطور الأول يتخذون لأنفسهم أرباباً مختلفة (٤) ، فلكل قبيلة رب ، ولكل أسرة رب أحياناً ، وتلك نزعة تلامم حياة الناس ومنطقهم ، إذ لم يكن الناس قد ألقوا بمضمهم بعضاً ، ولم تكن النظم الاجتماعية التى تقرب بين القبائل والجماعات قد نشأت (٥) .

أما الطور الثانى ، وهو طور التغليب والترجيح ، فقد عكف الناس فيه على عبادة أربابهم ، وغلبوا عليها واحداً منها فأبرزوه ، ورفعوه إلى عرش الزعامة لأسباب قد يكون مرجعها سياسياً كأن تبلغ قبيلة المعبود مكان الصدارة والزعامة بين القبائل : « عندما تسمعون صوت الناي . . . أن تخروا

(٢) سورة التحريم : ١١ .

(١) متى ٢ : ١٤ - ٢١ .

(٤) تك ٣١ : ٣٠ .

(٣) إشعياء ١٩ : ٢٥ .

(٥) داجون إله الفلستينيين اصم ٥ : ٢٢ ؛ « عشثورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس

العمونيين . . . وكوش رجس الوآبيين » ١ مل ١١ : ٥ - ٧ ،

(م - ١٥ إسرائيل فتنة)

وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك ، ومن لا يخز ويسجد
ففى تلك الساعة يلقى فى وسط أتون نار متقدة» (١). وقد يكون مصدرها فكريا
حيويا كأن يؤمن الناس بقدرة المعبود على تحقيق مطالبهم التى تتصل بالرزق
والعيش وبأسباب الحياة (٢).

أما الطور الثالث فهو طور النضج فى حياة الشعوب ، وفيه يكمل تفكيرها
السياسى والاجتماعى ، فتتزع الأمة إلى توحيد الفكر والجهد ثم تجتمع على
عبادة واحدة ، وتتجه إلى إله واحد لا شريك له ، وتحاول غالبا أن تفرض
عبادتها على من يجاورها من أمم الأرض كما تفرض السياسة تماما .
تلك أمور معروفة أقرها التاريخ بعد أن حققها علماء المقابلة بين الأديان
أو البحث فى أصولها وتطويرها .

تعريف الله « ادوناي » :

كان المصريون يعبدون الشمس ويسمون بها بأسماء مختلفة أشهرها وأظهرها
«آتوم» ومعناها «الكامل» . وكان «آتوم» يشبه عند أصحاب أديان السماء
«آدونيس أو آدون» الذى يمثل البعث فى الطبيعة عند أهل الشرق
ويرمز له بالربيع .

وزعم الإغريق أن «آدونيس» Adonis من أبناء الملوك وكان فتى جميلا
افتتنت به «أفروديت» وشغفها حبا حتى حسده «آرس» Aris وامتلأ
قلبه كرها له وحقدا عليه .

وآدونيس معبود أهل الشرق أقرب إلى أوزيريس منه إلى آتون لاتفاق
الأسطورة بينهما رواية وفلسفة .

(١) دانيال ٣ : ١ — ٦ .

(٢) خروج ١٥ : ١٤ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ؛ خروج ١٦ : ٤ ؛ خروج ١٧ : ٥ ، ٦ ، ١١ .

وقد كان الإسرائيليون عملاً بالوصية الثانية : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبريء من نطق باسمه باطلاً » (١)، يتعاشون التردى في الباطل بعدم ذكر لفظ الجلالة « الله » بإبداله بلفظة « أدوناي » ومعناها الرب .

حول فكرة الخلود :

طمحت النفس البشرية إلى الخلود منذ وجدت في هذا الكون ، ولقد كان الخلود في نظر النفس المصرية في الاسم والذكر ، ومن ثم أقام المصريون القبور على الروابي العالية ، وأنهبوا الأهرامات من قلب الأرض تطاول السماء ، وحفروا الرسوم بمختلف الألوان على جدران المعابد والقبور ، وكلها تحمل اسم الميت وصوره ومختلف أعماله لتذكروه الأجيال على مر السنين وتقرأ من حوله أعماله ومفاخره ، ولعلها قدرت مؤملة أن يكون في حفظ الجسد بعد الموت ما يسهل على الروح الالتهداء إليه في عالم القبور ، ولقد نهج بنو إسرائيل هذا النهج (٢) .

وتزعم التوراة أن آدم عليه السلام أراد الخلود لنفسه بعد أن أكل من الشجرة المنهى عنها ، فطرده الله من الجنة خشية أن يأكل من شجرة (٣) الحياة فيجئها إلى الأبد . ويذكر القرآن الكريم أن الخلود كان أحد المغريات التي أغرى بها إبليس آدم لياً كل من الشجرة (٤) .

وتتأجج الرغبة في الخلود فتحكى لنا التوراة أن الأرض كلها كانت لساناً واحداً ولسنة واحدة ، وانفق الناس على بناء مدينة وبرج رأسه في السماء لثلاثاً

(٢) تكوين ١٥ : ٥٠ - ١٣ .

(٤) طه : ١٢٠ - ١٢٣ .

(١) خر ٢٠ : ٧ .

(٣) تك ٣ : ١ - ٢٢، ٧ - ٢٤ .

يتبددوا على وجه كل الأرض : « فقال الرب : هلم نزل ونبلبل هناك
لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه
كل الأرض » (١) .

التصديق بالانبياء :

دعا الله موسى وحمله رسالة الهدى : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » ،
لكن موسى يقف من الله متسائلا : وكيف يصدقونني ؟ فيقول الله لموسى :
« وماتلك يمينك يا موسى ؟ قال : هي عصاى » ، وفي هذه العصا يكمن السر الإلهي
لتأييد موسى في عمله حتى يؤمن به بنو إسرائيل وغيرهم ، وتروى التوراة ما صنعه
موسى بعصاه ذات السر العجيب ، فهذا موسى يقود شعب إسرائيل هاربا
من وجه فرعون فإذا بالدو خلفه والبحر أمامه ، فيضرب البحر بعصاه فينشق
ويهرب بني إسرائيل وينفلق البحر على جنود فرعون (٢) . وبالعصا ضرب
موسى الصخر فانشقت المياه وارتوى بنو إسرائيل (٣) ، وبالعصا رفع موسى
يده فانتصر إسرائيل على العماليق (٤) ، مع أن المعركة كانت غير متكافئة .

وجاء يشوع خليفة موسى عليه السلام وعضده الله بالآيات والمعجزات ، فتدوم
الشمس ويقف القمر حتى ينتقم الشعب من أعدائه (٥) ، بل جعل الله ليشوع
« تابوت الرب » عوضا عن عصا موسى فصنع به معجزة بانفلاق مياه الأردن
وعبور بني إسرائيل في اليابسة (٦) .

وهذه المعجزات إنما كانت لتثبيت بني إسرائيل على الإيمان بالله الواحد

(٢) خروج ١٤ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) خروج ١٧ : ١١ .

(٦) يشوع ٣ : ٩ - ١٧ .

(١) تك ١ : ١١ - ٩ .

(٣) خروج ١٧ : ٥ ، ٦ .

(٥) يشوع ١٠ : ١٢ - ١٤ .

الأحد والنهيج في طريق الحق والحياة والسلام ، حتى أن المسيح نفسه لما صنع بقدرة الله معجزة إشباع الجوع (١) إنما فعل ذلك ليقود الناس لا إلى الخبز الذى أكلوه ، بل إلى خالق السموات والأرض العاطى كما وهب من قبل المن والسوى لبنى إسرائيل في البرية (٢) .

ومع هذه الآيات التى يجريها الله على أيدي أنبيائه إلا أن بنى إسرائيل سرعان ما يتحولون ويشركون بالله فيصتمعون لأنفسهم عجلا يتعبدون له ، (٣) ويأسى موسى لهذا الشعب فينعتهم بالتمرد ومقاومة الله (٤) .

وتزعم التوراة أن الله قال لموسى : « رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما » (٥) .

الوثنية في ركاب الايمان :

انقضت على إسرائيل فترة من الزمان منذ عهد إبراهيم إلى عهد المسيح بلغ مداها عشرون قرنا من الزمان في هذه الرحلة الطويلة قبل الميلاد ، وتتابعت الأنبياء وتجاوز عددهم المئات ممن نعرفهم ومن لانعرفهم حتى انتهى المطاف بهم إلى المسيح عيسى بن مريم الذى رأى الكهنة ورؤساء الشعب يتاجرون باسم الدين وباسم الله فنطق بقوله : « بيتى بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (٦) . ثم يذكر انحرافهم منذ عهد موسى عليه السلام بقوله : « يوجد الذى يشكركم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى لأنه هو كتب عنى فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامى ؟ » (٧) .

(٢) خروج ١٦ : ٤ .

(٤) تثنية ٣٠ : ٢٧ .

(٦) مرقس ١١ : ١٧ .

(١) لوقا ٩ : ١٠ — ١٧ .

(٣) خر ١٥ : ٢٢ — ٨ .

(٥) خر ٣٢ : ١٠ ، ٩ : ٣٢ ، ٥ : ٥ .

(٧) يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .

إن نبي إسرائيل قد دانوا بعبادة الأسلاف ثم غمرتهم الوثنية زمانا، فنظروا في كواكب السماء، وظواهر الطبيعة، ثم في الحيوان والحجر والشجر، وظلوا غارقين في الوثنية لم يخرجهم منها دعوة أبيهم إبراهيم، ولا ظهور الأنبياء من أبنائه، فعبدوا العجل^(١) بعد أن توارثوا هذه العبادة من تقديس المصريين للحيوانات وهي إحدى خصائص الديانة الفرعونية منذ أقدم العصور. ولم تكن العبادة إلا لفرد واحد من النوع الذي يختارونه طبقا لمواصفات تحددها التقاليد وشعائر الدين، ولعل ما جاء بسورة البقرة من تحديد وصف البقرة يؤكد مدى دقة انتخاب نوع الحيوان واختياره مطابقا لجميع المواصفات.

فلسفة عبادة الحيوانات المقدسة عند الفراعنة :

يذكر إيليانوس أن « مينا » هو الذي شرع عبادة العجل حب « أيبس » الذي يتجسم فيه إله الشمس في أون « عين شمس »، ويؤكد « حجر بالرمو » أن أول عبادة للعجل « أيبس » تقع في أواخر الأسرة الأولى. وعند الكلام على العجل حب « أيبس » في منف وعن كهانة هذا النور المصورة في نقش على جدار خارجي للمعبد، يثبت النص المرافق لصورة هذه الكهانة أن الحيوان المقدس في فقه الكهنة في عهدي البطالمة والرومان ليس إلا علامة بها يعلن الإله مشيئته من علياء سمائه.

ولم تجد في الشعب دعوة موسى إياهم إلى التوحيد، فسرعان ما تمردوا ولقوا جزاءهم الفوري، فأرسل الرب عليهم الحيات، فلما تشفع فيهم موسى استجاب له الله فأمره أن يصنع حية نحاسية ويلعبها على الراية وأن يقول لبني إسرائيل: كل من لدغ ونظر إليها يمجا^(٢). ومع الأيام وفي عهد ملوك مملكة

(١) خروج ٣٢ : ١ - ٤ ، سورة طه : ٨٥ - ٩٢ .

(٢) عدد ٢١ : ٤ - ٩ .

إسرائيل ومملكة يهوذا أقاموا مذابح للبعل ووضعوا تمثال السارية في البيت وفي أورشليم التي قدسها الله بأن وضع اسمه عليها^(١)، وبنوا مذابح لكل جنود السماء ، حتى أن الله يفضب على يهوذا وعلى إسرائيل ويقول : « وأرفض بقية ميراثي وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع الأعداء »^(٢).

وحتى في زمن داود الذي أحبه الله كانت زوجة داود تحتفظ بتماثيل على صورة البشر وترمز بها إلى الله^(٣) ، فلما جاء شاول الملك ليقتل داود عليه السلام وجد الترافيم ولم يجد داود الذي أوعزت إليه زوجته ميكال بنت شاول بالهرب من وجه أبيها .

ولقد أحسن إشعياى التعبير عن هذه الأمة بقوله : « هذا الشعب قد اقترب إلى بغمه وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معاملة ، لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا . فتبديد حكمة حكمائه ويخفى فهم فهمائه .

« ويل للذين يتعمقون ليكتبوا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون : من يبصرنا ومن يعرفنا ؟ يا لتحرىفكم ! هل يحسب الجايل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه : لم يصنعنى ؟ أو تقول الجبله عن جابلها : لم يفهم ! »^(٤).

فلسفة عبادة الحية النحاسية :

امتدت عبادة الحية النحاسية عبر الأجيال حتى فلسفها رجال اللاهوت

(٢) مل ٢١ : ١٤ .

(١) مل ٢١ : ١ - ٩ .

(٤) إشعياى ٢٩ : ١٣ - ١٦ .

(٣) ص ١ : ١٩ : ١٣ - ١٧ .

بأنهار من للفداء العظيم عن الجنس البشري ، بحجة أنه كما بآدم صارت الخطيئة فإنه بالمسيح يصير الخلاص : « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (١) .

السلطة الدينية عبء على الشعب :

فمن أعماق تاريخ الفراعنة نجد أن الكهنة العظام قد أدوا دوراً كبيراً في النزاع العائلي الذي تشابكت فيه الملكة حتشبسوت مع الجحامة .

فلم يكن الكاهن الأعظم « حبو سنب » رئيساً لكهنة آمون وجميع كهنة آلهة مصر فحسب بل كان وزيراً أيضاً ، وبذلك جمع في يديه السلطان السياسي والسلطان الديني .

وظل بنو إسرائيل يتمتعون بنظام الحكم النيوقراطي من موسى إلى صموئيل حتى طلب الشعب تتويج ملك عليهم (٢) ، فساء الأمر في عيني صموئيل ، ومع هذا فإن طريقة اختيار الملك تسير على النمط نفسه الذي يتبعه الكاهن الأعظم في التسلط بدوره على الملك عن طريق الوحي الذي يعلمه تمثال الإله ، فتقدم إسرائيل بجميع أسباطه إلى صموئيل فأخذ شاول (٣) .

مهزلة الوحي الذي يعلنه تمثال الآله :

تنبئنا السجلات التاريخية بأن كاهن آمون الأكبر يعينه الإله بنفسه من حيث المبدأ ، ويعينه الملك من حيث الواقع ، وتجرى حفلة التنصيب على هذا النحو ، فإن الملك يتلفظ بأسماء المرشحين من الكهنة بحضرة تمثال الإله . وعندما يذكر اسم المرشح الذي عينه الملك يقر التمثال بحركة ليس من السهل

(٢) ١ ص ٨ : ١٠ - ٧ .

(١) الإنجيل يوحنا ٣ : ١٤ ، ١٥ .

(٣) ١ ص ١٠ : ١٧ - ٢٤ .

تحميدها، بل يبدو أن تمثال الإله كان يعلن مشيئته بالتقدم أو التقهقر طبقاً للأحوال .

وعلى أى حال فإن مهزلة الوحي هذه كانت تسمح بتأكيد أن الإله ذاته هو الذى اختار حبره الجديد، ثم يسلمه الملك السلطة التامة فوراً وهو ينطق بهذه العبارات : « أنت كاهن آمون الأعظم ، كنوزه ومحاربه وضعوا تحت خاتمك ، أنت رئيس معبده » .

وتتوافق هذه الظروف والنمط الذى جرى عليه إسرائيل فى عهد موسى لاختيار كاهنه ، إذ جمع اثنتى عشرة عصا بعدد أسباط إسرائيل ووضعت فى خيمة الشهادة ، فأفرخت عصا هارون لبيت لاوى^(١) ، ومن ثم أصبح هارون كاهناً لبني إسرائيل .

حقوق الكاهن وممتلكاته :

تعطى التوراة حقوقاً مادية واسعة للكاهن : « قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بني إسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية^(٢) ، وحقوقاً أدبية : « لاتسب الله ولا تلعن رئيساً فى شعبك ... »^(٣) .

وازدادت ثروة اللاويين ازدياداً كبيراً عن طريق الحق المقدس فى ممتلكات الأحد عشر سبطاً الآخرين : « قد أمر الرب على يد موسى أن نعطي مدناً للسكن مع مسارحها لبهائمنا ، فأعطى بنو إسرائيل اللاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها »^(٤) .

وعلى النمط نفسه كانت ثروة كهنة آمون عبارة عن النصيب الذى يقرره الملك للإله من الإتاوات السنوية التى تجبى من البلاد الأجنبية والمستعمرات وترسل إلى مصر . أما الأراضى الزراعية فإن مساحتها كانت تزداد من عهد

(١) عدد ١٧ : ١ - ١١ . (٢) عدد ١٨ : ٨ .

(٣) خروج ٢٢ : ٢٨ - ٣٠ . (٤) يشوع ١٠ : ٢١ - ٣ ؛ عدد ١٠ : ٥٣ ، ٥٤ .

إلى آخر بفضل المشتريات وهبات الملك . وكان الإشراف على هذه الثروة يتطلب عدداً كبيراً من الموظفين العلمانيين ، لكن في عهد الكاهن الأعظم « حبوسنب » لم تعد ممتلكات آمون يديرها علماني يستطيع الملك أن يراقبه بعض المراقبة ، بل كان يديرها الكاهن الأعظم مباشرة ، فاستطاع بذلك أن يتصرف بحرية في ثروة هائلة . ومن هنا جمع الكاهن الأعظم بين سلطتين خطيرتين : السلطة الروحية الممنوحة له بالحق الإلهي المقدس ، والسلطة الزمنية فيما يسيطر عليه من ممتلكات واسعة ، ومن هنا تنشأ خطورة الطبقة الكهنوتية على الشعب ، ومن هنا كانت حيثيات الولايات التي أنزلها المسيح على الكهنة والفريسيين . . على الكتبة والناموسيين (١) .

السحر الديني وأثره في تردى إسرائيل في العصيان

إنه لمن الصعب في الحضارة المصرية وهي مشبعة بالإيمان بما وراء الطبيعة ، أن نميز بين السحر وبين ممارسة الدين من ناحية دينية ، وبين السحر وبين العلم من ناحية علمية .

فالحق يقال إننا لا نجد الشواهد على السحر في المعابد أو في تصاويرها بل حتى في شعائر عبادتها ، فقد كانت العبادة الرسمية تذكر السحر عند الاقتضاء لعلم مشروع يعلمه الآلهة ويزاولونه ، لكنه لم يكن أساساً لها إذ كان غرضها العبادة ووسيلتها الصلاة .

ومن هنا نستطيع أن نتبين المنافسة الشديدة بين موسى وآيات الله معه ، والكهنة والسحر الذي مارسوه حتى أقروا واعترفوا بأن تفوق موسى عليهم إنما لأن تلك الآيات فيها « أصبغ الله » (٢) .

(١) لا يحمل متى ١: ٢٣ - ٣٦ . (٢) خروج ٨: ١٨، ١٩ .

المسحور الدينى والطقوس الجنائزية :

إن الطقوس الجنائزية تتميز بمجموعة من الصيغ والأفاعيل السحرية ألفها كهنة عين شمس وترمى إلى تعديل النظام القائم في العالم الآخر بتعاوينا لا تقاوم بل وبالوعيد .

وتذكرنا التوراة بأن حزقيا مرض مرض الموت ، وجاءه إشعياء النبي قائلا له : «أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش» ، فتضرع حزقيا إلى الله وأجابته الله بإشعياء قائلا : « هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة .. هأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء ، فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها » (١) .

وهكذا تقدر الصلاة فى زعمهم على تغيير ناموس الطبيعة .

وكان انتظام القرابين ضروريا للحياة الثانية بقدر ما كانت المحافظة على الجثث ، وإعداد القبر (٢) ، وأصبحت هذه القرابين مورد رزق للكهنة ، حتى أن المسيح عليه السلام ندد بهم بقوله : « انكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم ؛ لذلك تأخذون دينونة أعظم » (٣) .

وهذه الطقوس الجنائزية بقيت مع الزمن وتطورت بعد أن تسربت روحها إلى عادات وتقاليد لم تكن فى الأصل سحرية بالمعنى الحقيقى كعادات التحنيط والقرابين الجنائزية .

(١) إشعياء ٣٨ : ١ - ٨ .

(٢) لعل عادة خروج النساء إلى المدافن ومعها الرحات موروثه من هذه العقيدة الفرعونية القديمة .

(٣) متى ٢٣ : ١٤ .

السحر في ركاب الأرواح :

كان للسحر دائماً مكانة عالية في كل طبقات المجتمع ، ويفسر ذبوعه في وادي النيل الشهرة التي تمتع بها السحر المصري ، عند الإغريق وعند الرومان وعند إسرائيل .

وقد جاء السحر في سياق حياة شاول الملك ، إذ تقول التوراة إن الله قد تخلى عنه ، وإن الله اختار داود ملكاً عوضاً عنه ، وإن روحاً رديئة باغتهه ، وبينما داود يزداد روعة وانتصاراً يتناقص شاول ويسير من سيء إلى أسوأ حتى زاحمته الأفكار وداهمته المصائب وغزاه الفلسطينيون ، فاستخار الله لئلا يهتك وجهه عنه فلم يجبه إلا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فلم يجد شاول بدا من أن يبحث عن ساحرة لتتصد روح صموئيل نبي الله (١) ، ولم تفده الساحرة بشيء لأن قضاء الله بانكسار شاول واقع لا مفر (٢) .

ويتخذ السحر للوقاية من الأرواح الشريرة والحيوانات الضارة والأمراض والعين ، ويؤدي هذا السحر فعله بتلاوة العزائم (٣) وحمل التائم (٤) التي تمثل الآلهة أو بحمل رموز للآلهة أو بالعلامات الهيروغليفية التي تكتب بها أسماء الطيبات التي يراد الحصول على خيرها .

التقويم المصري وأثره في المواسم الدينية

إن الكهنوت الإسرائيلي أو الكهنوت المسيحي يعتمد اعتماداً كبيراً على التقويم الزمني ، ولعل المدة الطويلة التي جاوزت أربعة قرون (٥) وقضاها

(٢) ١ صم ٣١ : ١ - ١٢ .

(١) ١ صم ٢٨ : ٣ - ٢٠ .

(٣) شهدت التوراة بالحسد بين هابيل وقابيل (تك ٤ : ٣ - ٥) ، وبين يوسف وإخوته (تك ٣٧ : ٩ - ١١) ، وشهدت الآثار الفرعونية بالحسد ما بين أوزيريس وأخيه ست . ونزلت الآيات القرآنية في العوذتين للاستعاذة من الحسد .

(٤) مازال بعض النساء المتعبدات يزين صدورهن بما يشبه التائم كالأيقونة أو الصليب . بينما النساء المسلمات يحملن رمزاً للقرآن الكريم .

(٥) أقام بنو إسرائيل في مصر من عهد الأسرة الثانية عشرة إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

بنو إسرائيل في مصر طبعتهم بالطابع المصري في نهجهم الاجتماعي والديني .
وتذكر التوراة أن خروج بني إسرائيل في « شهر أيب » (١) يتفق ونزول
الوصايا العشر على بني إسرائيل ومنها وصية تلزمهم بتقديس يوم من أيام الأسبوع
وهو يوم السبت (٢)، وأحاطت الشريعة يوم السبت بقدسية معينة حيث يقام
الحد على من يدينه (٣)، وتروى التوراة أنه أقيم الحد في عهد موسى على رجل
كان يحتطب في يوم السبت (٤)، وتؤكد الوصية تقديس يوم السبت فإن
مدنسيه مثل تابعي الجان يلزم إقامة الحد عليهم (٥) .

وقد ورد في سفر اللاويين في الإصحاح الثالث والعشرين بيان مواسم الرب
من المحافل المقدسة إلى عيد المظال ، وفي الإصحاح السادس عشر (٦) من السفر
عينه بيان مواسم الاعتكاف ، وفي سفر التثنية عن موسم الفصح : « احفظ شهر
أيب واعمل فصحاء للرب .. » (٧) . ومن ثم كان لهذه المواسم توقيت اعتمداً
فيه على التقويم المصري .

والواقع أنه ما من شعب من الشعوب القديمة غير مصر الفرعونية استعمل
تقويماً لم يست السنة فيه مجموعة شهور قمرية بل أساسها جريان الشمس وعودة
الفصول في أوقاتها . وهذا التقويم الذي فرضه يوليوس قيصر على العالم الروماني
بعد تعديل طفيف ، وأصلحه البابا جريجوري الثالث عشر في القرن الرابع عشر
الميلادي وأصبح تقويماً عالمياً ليس في حقيقة أمره إلا التقويم الفرعوني القديم .
ففي المشاهدات الفلكية عند قدماء المصريين أن يوم ابتداء الفيضان
الذي يقع دائماً في تاريخ ثابت ، يصادف الطلوع الشمسي لنجم الشعرى اليمانية ،

(٢) خروج ٢٠ : ٨ .

(٤) عدد ١٥ : ٢٢ - ٣٦ .

(٦) لا ١٦ : ٢٩ - ٣٤ .

(١) خروج ١٧ : ٣٤ .

(٣) خروج ١٤ : ٣١ .

(٥) لاويون ١٩ : ٣٠ - ٣١ .

(٧) تثنية : الإصحاح السادس عشر .

أى اليوم الذى فى صباحه يطلع هذا النجم فوق الأفق فى وقت واحد مع الشمس وهو اليوم التاسع عشر من شهر يوليو ، حسب التقويم اليوليانى ، والسنة عندهم ٣٦٥ يوما وهى المدة التى تفصل بين شروقين شمسين لنجم الشعرى اليمانية . وقسموها تحكما ، قياسا بلا شك على حساب قمرى إلى اثنى عشر شهراً ، فى كل منها ثلاثون يوما ، وأضافوا عليها خمسة أيام تكميلية هى أيام النسيء ، وقسموا الشهر إلى ثلاث مدد كل منها عشرة أيام ، وجمعوا الشهور كل أربعة فى وحدة أو فصل وهى : الفيضان ، والإنبات ، والقيظ . ويظهر من بيانات حجر بالرمو أن السنة كانت تسمى بمجرد انتهائها باسم أهم حادث وقع فيها .

ومن هذا نجد البيانات الواردة فى التوراة : « فى السنة التاسعة للملكه فى الشهر العاشر فى عاشر الشهر جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم » (١) . « وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر وهى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم » (٢) .

والحق أن هذه السنة المصرية كانت أقصر من الواقع بربع يوم ، فى كل أربع سنوات تتأخر يوما عن السنة الشمسية المحصورة بين مطلعين شمسين لنجم الشعرى . وهذا الفرق لم يكن محسوساً من الناحية العلمية إلا قليلا فى مدى جيل ، ولكنه برز واضحا على مر القرون وأصبحت فصول التقويم غير مطابقة للأعياد الدينية التى كانت قائمة على الظواهر الطبيعية .

هذا وفى نهاية ١٤٦٠ سنة عندما يبلغ التأخير عاما كاملا تعود الأمور إلى الانتظام من تلقاء نفسها وتنطبق أقسام التقويم الرسمى تماما ولمدة أربعة أعوام على ما يقابلها فى التقويم الطبيعى .

والدورة اللازمة لعودة هذا الاستقرار تسمى الفترة الشعرية
 .Periode Sothiaque

ويعود وضع التقويم الفرعوني إلى فلكي مدينة منف وهي مدينة
 تأسست في أوائل الحقبة التاريخية ، ومدينة عين شمس ، وكتاتها تقع على
 خط عرض ٣٠° ، وقد ذكرت عين شمس في أقدم النصوص كمرکز ديني لعب
 دورا كبيرا في الأزمنة الأسطورية . فإلى فلكي هذه المدينة يمكن أن يعزى
 وضع التقويم المصرى .

السنة القمرية	السنة الشمسية		
	سريانى	فرعوني	يولياني
محرم	كانون ثان	طوبة	يناير
صفر	شباط	أمشير	فبراير
ربيع الأول	آذار	برمات	مارس
ربيع الآخر	نيسان	برمودة	إبريل
جمادى الأولى	أيار	بشنس	مايو
جمادى الآخرة	حزيران	بؤونة	يونيو
رجب	تموز	أبيب	يوليو
شعبان	آب	مسرى	أغسطس
رمضان	أيلول	توت	سبتمبر
شوال	تشرين أول	بابة	أكتوبر
ذو القعدة	تشرين ثان	هاتور	نوفمبر
ذو الحجة	كانون أول	كيهك	ديسمبر

التقويم والره في الاعياد المسيحية :

أقر مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م جعل عيد القيامة في الأحد الذي يلي
فصح اليهود بعد الاعتدال الربيعي . « وكلم الرب موسى وهارون في أرض
مصر قائلاً : هذا الشهر يكون لكم رأس الشهر ، هو لكم أول شهور
السنة . . . ويكون لكم في اليوم الأول محفل مقدس وفي اليوم السابع محفل
مقدس لا يعمل فيهما عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم . .
ويكون حين يقول لكم أولادكم : ما هذه الخدمة لكم ؟ أنكم تقولون :
هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني إسرائيل في مصر لما ضرب
المصريين وخلص بيوتنا . نخر الشعب وسجدوا » (١).

وهكذا فإن عيد الفصح يرتبطهم أبد الدهر بمصر التي استضافتهم ٤٣٠ سنة .
وأصدر الإمبراطور قنسطنطين منشوراً إلى كل كنائس المسكونة بضرورة
الاحتفال بالفصح في وقت واحد . وقد عهد آباء مجمع نيقية إلى بطريرك
الكراتية المرقسية بالإسكندرية ، وهي التي كان بها أكبر مرصد فلكي في
عصره ، أن يحسب موعد العيد مقدماً ويبلغه إلى سائر كنائس المسكونة ،
فقام بمهمته خير قيام .

الأنبياء في أسفار التوراة

عرضت أسفار التوراة لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح ،
فتكلمت بإجمال عن خلق السموات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما

في الجنة ويعد هبوطهما منها ، وما حدث لتسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان ، وقصة أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهو الذي ينتمون إليه ، وخاصة تاريخ إبراهيم وإسحق ويعقوب أو إسرائيل .

ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بني إسرائيل في مختلف المراحل من حياتهم في مصر وسيناء وبعد استقرارهم في الأرض المقدسة ، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين ، ومن بحث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقتهم بالشعوب الأخرى ، وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو مودة ووفاق ، وقد استغرق هذا القمص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من التلمود .

وقد نلخص موسى تاريخ إسرائيل من إبراهيم عليه السلام حتى قيادة يشوع بن نون لشعب إسرائيل ليدخل بهم أرض كنعان في الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التثنية ، كما استجدي ذكريات الماضي ومدى رحمة الله التي لم يقدرها بنو إسرائيل بسبب عصيانهم بمزموره الثامن والسبعين من سفر المزامير . كما واجه استفانوس (أحد أتباع المسيح) رؤساء الكهنة وحدثهم عن تسلسل الأنبياء من موسى إلى المسيح في سفر الأعمال (١) .

ومن هذه النصوص يستطيع المرء أن يلم بأموذجية تتعلق بالسكيات الإسرائيلية لسكن الأمر الذي يسترعى انتباهنا هو موقف إسرائيل من الأنبياء ،

قد افقروا عليهم بأعمال قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته ، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة القوم .

إنها مسائل خطيرة فى عالم الأخلاق ، لا ينبغى لرجال التاريخ أن يبروا بها دون نظر طويل ، وإمعان فى التفكير ، وحذر فى الاستنتاج وتصويب الرأى ، وتحفظ فى الحكم ، فليست هى من المسائل العادية ، وليس أمر تحقيقها والحكم فيها بالشىء اليسير ، بل إنها تمس حياة الأمة المؤمنة ، فهى ليست قضية خاصة بإسرائيل ، وإنما هى قضية سلالة من أكرم السلالات . . سلالة نبوية أخذت على نفسها أن تنهض بالشعوب وتخرجها من الظلمات إلى النور ، وتفتح لها سبيل الرقى والتقدم .

أمة نبوية لا تريد الكرامة لنفسها فحسب ، وإنما تريد لها من جاورها من شعوب الأرض فتخاق فيهم ومنهم فى حوض البحر الأبيض المتوسط كتلة متماسكة الأطراف مجتمعة الصفوف ، قوية البناء عالية الرأس ، تتحدى أكبر قوات العالم بحيث لا ينافزها فى سياستها واستقامتها وهدايتها فى الشرق كله منازع . ثم إنها ليست قضية واحدة ، فلقد وصل صلف إسرائيل ووقاحتهم أن ذكروا لوطا (١) عليه السلام بأنه تورط بالإثم مع ابنتيه اللتين أخرجهما الله من مائه ووضع نواتهما الأولى فى صلبه ، ويذكرون عن أخ تورط مع أخته التى خرجت معه إلى هذه الدنيا من صلب واحد ثم تكون بناؤه مع بنائها فى رحم واحد ورضعت معه غذاء الحياة الأولى من ثدى واحد ، إنه إيمان بن داود :

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨ .

«فقلت له : لا يا أخى لا تذلى ، لأنه لا يفعل هكذا فى إسرائيل . لاتعمل هذه القباحة . . فلم يشأ أن يسمع لصوتها ، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها» (١) .

ويدكرون أن يهوذا (٢) زنا بزوجة ابنه : « ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له : قد زنت ثامار كنتك وهاهى حبلى من الزنا ، فقال يهوذا : أخرجوها فتحرق . أماهى فلما أخرجت أرسلت إلى حبيها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى . وقالت : حقه لمن الخاتم والعصاىة والعصا هذه . فتحفظها يهوذا وقال : هى أبرمنى» (٣) . وتذكر التوراة تورط الابن مع زوجة أبيه : «فماتت راحيل ودفنت فى طريق أفراتة التى هى بيت لحم . فنصب بمقوب عموداً على قبرها . وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم . ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر . وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل» (٤) ، كما نسبوا إلى داود أنه زنا ببشبع زوجة أحد قواد جنده (٥) . ونسبوا إلى سليمان أنه أحب نساء كثيرات أجنبيات كن السبب الأساسى فى تردى سليمان فى الخطيئة (٦) . مع أن الكتاب يذكر عن داود : «وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى» (٧) .

(٢) تكوين ٣٨ : ١٣ - ٣٠ .

(١) ص ١٣ : ١٢ - ١٤ .

(٤) تكوين ٣٥ : ١٩ - ٢٢ .

(٣) تكوين ٣٨ : ٢٤ - ٢٦ .

(٥) ص ١١ : ٢ - ٢٧ « هذه ببشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمئنها . ثم رجعت إلى بيتها ، وحوّلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى » وكانت الخطيئة مزدوجة : زنا نفس بريئة .

(٧) أعمال الرسل ١٣ : ٢٢ .

(٦) ١ مل ١١ : ١ - ٩ .

هذا الانحراف في شعب إسرائيل وسوء تقديره للأنبياء جعله ينظر إلى الحياة نظرة محرره من الارتباط بالقيم الأخلاقية وبالمثل الإنسانية العليا ، فاتخذ من التلمود ركيزة لانحرافه ، إذ جاء في التلمود :

١ — اليهودى لا يخطئ ، إذا اعتدى على عرض الأجنبية .

٢ — لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات ، أى غير اليهوديات .

ثم ينظر إلى تعامله مع الشعوب نظرة نفعية قد يهب عرضه قرباناً لها ، كما يقرر التلمود :

٣ — يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا في الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضاً ، وفي ذلك كله نجنى الفائدة .

وهذه الوقائع إنما تدل على خسة في نفوسهم وعلى ما جيلوا عليه من جبن وخوف .

ومن هنا كان الخوف وازع الإنسانية الأول ، ومعلمها ، فهو الذى يدفعها إلى الشر ، وهو الذى يسوقها إلى ركاب الخير . والناس في سبيل الحياة لا يسعون — مدركين — إلا إلى خير أنفسهم ، يفعلون ذلك من أجل متاعهم ونجاتهم من الشر ، وفي سبيل ذلك يهون على النفس البشرية كل صعب ، وتذلل أمامها العقبات ، وتنفك عنها القيود ، بل إن النفس لتتنكر الحقائق وتكذب الواقع وتتجاهل طبيعة الأشياء أحياناً ، فتطلب من التاريخ ما ليس فيه ، وتحمل الأشياء ما ليس في مقدورها ، وتكلف الأيام ضد طباعها ، وتفعل الأعاجيب في سبيل إرضاء عواطفها .

ومن هنا انبثقت الصهيونية لا تقوم على أسس دينية ، بل على مبادئ تناقض العدل والحق والرحمة والأخلاق والفضيلة، مبادئ الغاية تبرر الوسطة . فأين هم من شريعة الله التي تقرر « لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب » (١) ، « لا تكن زانية من بنات إسرائيل » (٢) ، « لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب » (٣) ؟
ومن دراستنا للأنسال حسب كتابة متى في إنجيله في الإصحاح الأول نجد أن:

١ — يهوذا ولد فارص من ثامار ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا في سفر التكوين (٤) .

٢ — سلمون ولد بوغز من راحاب ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا في سفر يشوع (٥) .

٣ — داود ولد سليمان من بثشبع التي كانت زوجة لأوريا ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا في سفر صموئيل (٦) .

أما نص سلسلة الأنسال فهي « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ، وحصرون ولد آرام ، وأرام ولد عميناداب ، وعميناداب ولد نحشون ، ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوغز من راحاب ، وبوغز ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسي ، ويسي ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا » (٧) . « فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا » (٨) .

(٢) تث ٢٣ : ١٧ .

(١) تث ٢٣ : ٢ .

(٤) تك ٣٨ : ١٣ — ٣٠ .

(٣) تث ٢٣ : ٣ .

(٥) « ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب » يشوع ٢ : ١ .

(٧) متى ١ : ١ — ٦ .

(٦) صم ٢ : ١١ — ٠٧ .

(٨) متى ١ : ١٧ .

ومع أن التوراة حرمت المصاهرة بالمسؤوليات والمواهب، إلا أننا نجد أن بوعز تزوج براعوث، وأن شيوخ إسرائيل باركوا هذا الزواج: «فأخذ بوعز راعوث امرأة.. ودخل عليها فأعطاها الرب حبلاً فولدت ابناً وسمته الجارات عوبيد هو أبويسى أبي داود»^(١). «فقال جميع الشعب الذين في الباب والشيوخ: نحن شهود فليجعل الرب المرأة الداخلة إلى بيتك كراحيل وكليئة اللتين بنقنا بيت إسرائيل، وليكن بيتك كبيت فارص الذي ولدته ثامار ليهودا من النسل الذي يعطيك الرب من هذه الفتاة»^(٢). وهنا يبدو الخلاف الكبير الجوهرى بين نصوص الشريعة وممارستها، وبين نور الحق فيما جاءت به الوصايا وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاء بقصصهم، وهذا مصداق لقوله تعالى: «فبما نقضهم ميثاقهم لعفاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به»^(٣). وشاء الله أن يرد للأنبيا كرامتهم وعصمتهم فأنزل كلماته قائلاً: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين»^(٤)، وقوله تعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب، ما كان حديثاً يفترى، وليكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»^(٥).

الكيان السياسى والروحي

تحقيق تاريخى لعهد القضاة :

إن عهد القضاة يتميز بالنظام القبلى حسب رسم يثرون لموسى، إذ أوصاه أن يقيم عليهم «رؤساء أوف ورؤساء مئات ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات».

(٢) راعوث ٤ : ١١ ، ١٢ .

(١) راعوث ٤ : ١٣ ، ١٧ .

(٤) هود : ١٢٠ .

(٣) المائدة : ١٣ .

(٥) يوسف : ١١١ .

فيتضمنون للشعب كل حين ، ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يميثون بها إليك ، وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها ، وخفف عن نفسك فهم يحملون معك» (١) .

ومارس موسى هذا النظام حتى أنه حين صعد إلى الرب «صعد ومعه هارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشرف بني إسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا» (٢) .

ولا غرابة في عقيدتهم برؤية الله فإنهم يتصورون الله بصور عجيبة حتى أن تلمودهم يقول : « إن الله ليس معصوما من الطيش ، لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش ، كما حدث أن غضب من بني إسرائيل في الصحراء وحلف أن يجرهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته ولم ينفذ ذلك القسم ، لأنه عرف أنه يخالف العدالة » . ومن هذه العقيدة تزداد مشكلة إدانة إسرائيل تعقيدا .

ولقد تتابع حكام على إسرائيل بعد موسى يعرفون بالقضاة انتهوا بعهد شمشون ثم أمسوا و « لم يكن ملك في إسرائيل ، كل واحد عمل ما حسن في عينيه » (٣) حتى مجيء عالي الكاهن فصموئيل الكاهن والنبي . وأهم هؤلاء القضاة هم الآتية أسماؤهم بعد ، وبينهم حكام كنعانيون وفلسطينيون من ١١٥٤ - ١٠٠٠ ق . م :

(١) خر ١٨ : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) خر ٢٤ : ٩ - ١١ .

(٣) قضاة ٢١ : ٢٥ .

الاسم	الأحداث	السند	نوع الحكم	السند	مدة الحكم
يشوع بن نون	تقسيم الأرض	يش ١٤:١٠١٦	حرب مقدسة	يش ٢٩:٢٤	٣٠
عثنيل بن قيناز	فناء الأمة اليهودية	قض ١١:٢-١٤	حرب ضد آرام	قض ١١:٩:٣	٤٠
أهود بن جيرا	» » »	قض ١٢:٣	حرب ضد عمون وموآب	قض ٣٠:٣	٨٠
نبورة النبوة	» » »	قض ١:٤	حرب ضد كنعان	قض ٢٤:٤	٤٠
جدعون	» » »	قض ١:٦	حرب ضد مديان	قض ٢٥:٧	٤٠
أبمالك	» » »	قض ٣٤:٣٣:٧	حرب ضد شكيم	قض ٤٠:٩	٣
يفتاح	» » »	قض ٦:١٠	حرب ضد عمون وموآب	قض ٣٣:١١	٦
شمشون	» » »	قض ١٠:١٣	حرب ضد الفلسطينيين	قض ٣٠:١٦	٢٠

ومن أبرز معالم هذا العهد أن إسرائيل سرعان ما تردوا في الخطيئة :
 « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث
 وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين
 وتركوا الرب ولم يعبدوه » (١) .

ثم يصرخون إلى الرب وتنبئنا التوراة : « فصرخ بنو إسرائيل إلى
 الرب قائلين : أخطأنا إليك لأننا تركنا إلهنا وعبدنا البعليم ، فقال الرب لبني
 إسرائيل : أليس من المصريين والأموريين وبني عمون والفلسطينيين خلصتكم؟! »

(١) قض ١٠:٦، ٧ .

والصيدونيون والعماليق والمونيون قد ضايقوكم فصرختم إلى فخلصكم من أيديهم . وأنتم قد تركتموني وعبدتم آلهة أخرى ، لذلك لا أعود أخلصكم» (١) .

ونرى هنا شعباً يندم وإلهاً يتوعد ، لكهم يزدادون ندامة فيتألم لهم : « امضوا واصرخوا إلى الآلهة التي اخترتموها لتخلصكم هي في زمان ضيقكم ، فقال بنو إسرائيل للرب : أخطأنا فافعل بنا كل ما يحسن في عينيك . إنما أنقذتنا هذا اليوم ، وأزالوا الآلهة الغربية من وسطهم وعبدوا الرب ، فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل» (٢) ، فأرسل لهم « يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة زانية ... ثم عبر يفتاح إلى بني عمون لمحاربتهم فدفعهم الرب ليده» (٣) .

ومن عجب أن الوصية كانت تحذرهم من الامتزاج والاختلاط : « احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن» (٤) . لكن التوراة تؤكد أن بني إسرائيل عاشوا بين شعوب الأرض من الكنعانيين وغيرهم ولم يقووا على استئصالهم ، وكان هذه الشعوب قد أراد الله أن تظل في أوطانها لتطهير بني إسرائيل وامتحنهم .

فترة الانتقال :

ظل بنو إسرائيل بلا ملك حتى إقامة شاول ملكاً عليهم . وفي هذه الفترة قضى لإسرائيل كاهنان هما عالي ، وصموئيل ، وكانا يقضيان لإسرائيل

(٢) قض ١٠ : ١٤ - ١٦ .

(٤) خر ٣٤ : ١٥ ، ١٦ .

(١) قض ١٠ : ١٠ - ١٣ .

(٣) قض ١١ : ١ ، ٣٢ .

تحت إلهامات ربانية ، وكانا يسيران في طريق الرب تماما ، وفي عهدهما تألب
على بني إسرائيل سكان الأرض .

وقد وصل الفساد بالأمة الإسرائيلية زمان على الكاهن حتى أنهم
في حروبهم مع الفلسطينيين قد استعانوا بتابوت عهد الرب . لكن الله قد تخلى
عنهم وانكسروا : « فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل . وهربوا كل
واحد إلى خيمته ، وكانت الضربة عظيمة جدا وسقط من إسرائيل ثلاثون
ألف راجل ، وأخذ تابوت الله ومات ابنا عالي حفنى وفينحاس » (١) ، وشتان
بين معركتين : معركة ينتهر فيها إسرائيل مستعنين بتابوت الله : « فبكر
يشوع في الغد وحمل السكينة تابوت الرب . . . ان يشوع قال للشعب :
اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب .
راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين
الذين أرسلناهما » (٢) ، ومعركة ينهزم فيها إسرائيل وهم قد استعانوا بتابوت
الله حتى أنهم قالوا : « قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أخذ » (٣) .

ثم يطلب الشعب ملكا ليملك عليهم فيقيم لهم صموئيل — شاول ملكا
عليهم ، ويحارب شاول الفلسطينيين وينكسر أمامهم : « واشتدت
الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسى فأنجرح شاول جدا . . . فمات
شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا . ولما رأى
رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال إسرائيل
قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا ، فأتى الفلسطينيون
وسكنوا بها » (٤) .

(٢) يشوع ٦ : ١٢ ، ١٦ ، ١٧ .

(٤) ١ صم ٣١ : ٣ ، ٦ ، ٧ .

(٥) ١ صم ٤ : ١٠ ، ١١ .

(٣) ١ صم ٤ : ٢١ .

وظلت أرض كنعان موضع شد وجذب من قبل الفريقيين اللذين أغارا عليها من خارج — الفلسطينيين والإسرائيليين — حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب ، وهذا هو التاريخ الذي يعينونه لاستيلاء الملك الإسرائيلي داود على بيت المقدس . لقد هزم الفلسطينيين ، وفتح أرض كنعان ، وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشرق من فلسطين : « آدم ، ومؤاب ، وعمون ، وجلعاد » .

وبلغ حكم داود كله أربعين سنة : « وكان الزمان الذى ملك فيه داود على إسرائيل أربعين سنة . فى حبرون ملك سبع سنوات ، وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة ، وجلس سليمان على كرسى داود أبيه وتثبت ملكه جدا » (١) . وحكم ابنه سليمان أربعين سنة : « وكانت الأيام التى ملك فيها سليمان فى أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة » (٢) . وفى عهد سليمان تم بناء الهيكل ، وكان عصره العصر الذهبى لإسرائيل ، إذ كان الهيكل القبلة المقدسة لكل يهودى أتى كان . وفى الهيكل رفع سليمان دعاءه إلى الله قائلا : « إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيت له لاسمك فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم » (٣) . وكان بالهيكل هذا تابوت عهد الرب : « وكان فى تابوت عهد الرب لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر » (٤) . وكان اللوحان مكتوبين بأصبع الله : « واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » (٥) . لكن موسى فى غضبته بسبب عصيان بنى إسرائيل كسرهما

(٢) ١ مل ١١ : ٤٢ .

(١) ١ مل ١ : ١١ ، ١٢ .

(٤) ١ مل ٨ : ٩ .

(٣) ١ مل ٨ : ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) خر ٣٢ : ١٦ .

فأمره الله : « قال الرب لموسى : انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين . فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما . . . وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع . . . فخافوا أن يقتربوا إليه » (١) . ونحن لا نختلف معهم في مقام الهيكل فإنه في بقعة لها أقدس الذكريات . . . ذكريات صخرة المريا التي اشتراها داود من اليبوسيين وفعل كما أمره الله فبنى مذبحا حيث كان جنه الأعلى إبراهيم قد بنى مذبحا قبل قرون عديدة . ومن ثم بنى سليمان بن داود هيكلًا جميلًا في البقعة نفسها ، وللمعقد أن مذبح سليمان أمام الهيكل قد وضع فوق الصخرة .

عن قتادة رضى الله عنه قال : « كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام » رواه الطبري . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَهَلَ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِي » رواه البخاري .

وكانت وصية الله لسليمان صريحة بقوله : « إن كنتم تنقلبون أنتم أو بناؤكم من ورأى ولا تحفظون وصاياي فرائضى التي جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها ، فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض

التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمى أنفسيه من أمامي ويكون إسرائيل
مثلا وهرأة في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب
ويصفر ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون:
من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر
وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها؛ لذلك جلب الرب عليهم كل
هذا الشر» (١).

كان حكم داود وسليمان معا (في أورشليم) حوالي ثلاث وسبعين سنة،
ثم زالت المملكة من الوجود، وتنسب التوراة إلى سليمان أنه أخطأ، ولهذا
قال الرب لسليمان: «من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائض التي
أوصيتك بها فإني أمرق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعدوك» (٢).

وقد أعطى يربعام عشرة أسباط قائلا: «هأنذا أمرق المملكة من يد
سليمان وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط واحد من أجل عبدى داود
ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل، لأنهم
تركوني وسجدوا العشتورث إلهة الصيدونيين وكموش إله الموابيين وللملكوم
إله بنى عمون ولم يسلكوا في طرقى ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضى وأحكامى
كدداود أبيه» (٣). وعلم سليمان بقضاء الله فازداد مقتا وحقدا: «وطلب سليمان
قتل يربعام، فقام يربعام وهرب إلى مصر، إلى شيشق ملك مصر، وكان في
مصر إلى وفاة سليمان» (٤).

(٢) ١ مل ١١ : ١١ .

(١) ١ مل ٩ : ٦ - ٩ .

(٤) ١ مل ١١ : ٤٠ .

(٣) ١ مل ١١ : ٣١ - ٣٣ .

وبعد وفاة سليمان حوالى عام ٩٢٧ ق . م . تفسخت المملكة وانقسمت على نفسها إلى بلدين متعادين : « وكانت حرب بين رحبعام ویربعام كل الأيام »^(١). وفى أيام رحبعام ملك يهوذا « صعد شيشق ملك مصر إلى اورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان »^(٢) .

لقد شكلت قبائل يهوذا مملكة يهوذا فى الجنوب : « فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم . ولما سمع جميع إسرائيل بأن یربعام قد رجع أرسلوا فدعوه إلى الجماعة ومآكوه على جميع إسرائيل . لم يقيم بيت داود إلا سبط يهوذا وحده »^(٣). أما القبائل العشر الباقية فشكلت مملكة إسرائيل فى الشمال . وبدأت مملكة يهوذا من ٩٢٧ - ٥٨٦ ق . م . حتى السبي إلى بابل فى عهد نبوخذ نصر، وبدأت مملكة إسرائيل من ٩٢٧ - ٧٢٢ ق . م . حتى استئصالهم فى زمن شلمنصر ملك آشور ، وكان بين المملكتين عداة مستحکم أقض مضجعهم ، وظهر بعنف بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك إسرائيل ، وبين امصيا ملك يهوذا ويوآش ملك إسرائيل ، واستولى ملك إسرائيل على كنوز الهيكل .

وفى عهد مملكة يهوذا استولى حزائيل ملك آرام على كنوز اورشليم ، ودفع آحاز ملك يهوذا الجزية إلى تغلث فلاسر ملك آشور ، وفى زمن يوشيا تم العثور على سفر الشريعة وبدأت النهضة الدينية العظمى فى تاريخ إسرائيل ،

(١) ١ مل ١٤ : ٣٠ .

(٢) ١ مل ١٤ : ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) ١ مل ١٢ : ١٩ ، ٢٠ .

لكنها سرعان ما انتكست ، وصعد نبوخذ نصر في عهد صدقيا ملك يهوذا واستولى على اورشليم ودمر الهيكل بعد نهب كنوزه وأحرق مدينة اورشليم كلها .

وفي عهد مملكة إسرائيل صنع يربعام للأسباط العشرة مجلين من ذهب ليتعبد لهما إسرائيل ويصرفهما عن اورشليم . ومملكة إسرائيل تتميز بالشر بأبشع صورته .

وتيقظت إسرائيل في عهد ياهو بن نمشي ، وبدأت نهضة دينية عظيمة ولكنها سرعان ما انتكست واستمرأ الشعب العصيان . وظهر أنبياء عظام في السامرة منهم : إيليا الذي تحدى أنبياء البعل ، واليشع الذي دفع عن إسرائيل خطر مداهمة ملك آرام لها بأن صنع دواء شفى قائد جيش آرام وملك آرام نفسه ، وتعرض إسرائيل لمداهمة فول ملك أشور في عهد منحيم ملك إسرائيل . ثم تعرضت البلاد لغزو تغلث فلاسر في عهد فقح بن رمليا ملك إسرائيل ، ثم تستأصل شأقتها في عصر الملك هوشع بن أيلة إذ يصعد عليه شامناسر ملك أشور وينفي إسرائيل من السامرة ويستبدل بهم أقواماً آخرين .

ويتميز عهد مملكة إسرائيل ببناء السامرة إذ بناها عمري ملك إسرائيل .

تحقيق تاريخي لمملكة يهوذا

من سنة ٩٣٧ ق.م. إلى سنة ٥٨٦ ق.م.

مسلسل	اسم الملك	١	التسديد الكتابي	أم الأحداث	السيد الكتابي
١	رحبعام	بعد وفاة سليمان أبيه ١٧ سنة حكم في السنة العشرين ليربعام ٤١ سنة حكم	١ مل ١:١٢ ١ مل ١:١٤ ١ مل ١:١٥ ١ مل ١:١٥ ١ مل ١:١٥	حرب بينه وبين يريبعام ملك إسرائيل بنوا مرتفعات وأنصبا وسواري حرب بينه وبين بعشا ملك إسرائيل معاهدة مع يهداد ملك آرام ضد بعشا صالح أخاب ملك إسرائيل	١ مل ١:١٢:٢١-٢٤ ١ مل ١:١٤:٢٢-٢٣ ١ مل ١:١٥:١٦-١٧ ١ مل ١:١٥:١٩ ١ مل ١:٢٢:٤
٢	آسا	في السنة الرابعة لأخاب ٤١ سنة حكم	١ مل ١:١٥ ١ مل ١:٢٢:٤١ ١ مل ١:٢٢:٤٢	معاودة مع يهداد ملك آرام ضد بعشا صالح أخاب ملك إسرائيل	١ مل ١:١٥:١٩ ١ مل ١:٢٢:٤١ ١ مل ١:٢٢:٤٢
٣	يهوشافاط	٢٥ سنة حكم في السنة السابعة لياهو ٤٠ سنة حكم	١ مل ١:٢٢ ١ مل ١:١٢ ١ مل ١:١٤ ١ مل ١:١٤	حزائيل ملك آرام يستولى على كنوز الهيكل	١ مل ١:٢٢:٤٨
٤	يوآش	٤٠ سنة حكم في السنة الثانية ليوآش ٢٩ سنة حكم	١ مل ١:١٢ ١ مل ١:١٢ ١ مل ١:١٤ ١ مل ١:١٤	مصالحة يهوآش ملك إسرائيل غزو يهوآش لملك يهوذا واستيلائه على كنوز الهيكل وسمي أمصيا إلى السامرة	١ مل ١:١٤:٨ ١ مل ١:١٤:١١-١٤ ١ مل ١:١٥:٤ ١ مل ١:١٥:٥ ١ مل ١:١٥:٢٣
٥	أمصيا	٢٩ سنة حكم	١ مل ١:١٤ ١ مل ١:١٤	مصالحة يهوآش ملك إسرائيل غزو يهوآش لملك يهوذا واستيلائه على كنوز الهيكل وسمي أمصيا إلى السامرة	١ مل ١:١٤:٨ ١ مل ١:١٤:١١-١٤ ١ مل ١:١٥:٤ ١ مل ١:١٥:٥ ١ مل ١:١٥:٢٣
٦	عزريا	٥٢ سنة حكم	١ مل ١:١٥ ١ مل ١:١٥	ولم يبرزع المرتفعات خضبه الرب بالبرص ولم يبرزع المرتفعات	١ مل ١:١٥:٤ ١ مل ١:١٥:٥ ١ مل ١:١٥:٢٣
٧	يوثام	في السنة الثانية لفتح بن رمليا ١٦ سنة حكم	١ مل ١:١٥ ١ مل ١:١٥	ولم يبرزع المرتفعات	١ مل ١:١٥:٤ ١ مل ١:١٥:٥ ١ مل ١:١٥:٢٣

٤٤٣:١٦ مل ٢	سار في طريق يريعام بن نباط	١:١٦ مل ٢	في السنة السابعة لفتح بن رمليا	آحاز	٨
٧:١٦ مل ٢	معاهدة مع تملك فلاسر ملك آشور ضد ملك آرام وملك إسرائيل	٢:١٦ مل ٢	سنة ١٦ حكم		
١٣:١٨ مل ٢	صعد سمحاريب ملك آشور وأخذ جزية. حرقيا يكشف لبروخ بلادان بن بلادان ملك بابل عن كنوز الهيكل وكنوز المملكة	١:١٨ مل ٢	في السنة الثالثة لورشع بن أيلة	حرقيا	٩
١٢:٢٠ مل ٢	ملك بابل عن كنوز الهيكل وكنوز المملكة	٢:١٨ مل ٢	سنة ٢٩ حكم		
١٦:٢٠ مل ٢	اشعياہ يتنبأ بخراب الهيكل وسبي يهوذا				
٩-٢:٢١ مل ٢	صنع شرور يريعام بن نباط .	١:٢١ مل ٢	سنة ٢٥ حكم	منسى	١٠
١٥-١٣:٢١ مل ٢	الانذار بخراب اورشليم ورفض يهوذا				
٨:٢٢ مل ٢	المثور على سفر الشريعة .	١:٢٢ مل ٢	سنة ٣١ حكم	يورشيا	١١
٢٤-٤:٢٢ مل ٢ ٢٠-١٧:٢٢ مل ٢	بقطة دينية لكن لم تنق عن وقوع قضاء الله				
٢٩:٢٣ مل ٢	مصرع يوشيا وقهر نحو ملك مصر له .				
٢٤:١:٢٤ مل ٢	صعد نبوخذ نصر واستمطه	٣٦:٢٣ مل ٢	سنة ١١ حكم	يهوياقيم	١٢
١٩:٢٤ مل ٢	عمل الشرفي عيني الرب	١٨:٢٤ مل ٢	سنة ١١ حكم	صدقيا	١٣
٨٤:١:٢٥ مل ٢	صعد نبوخذ نصر واستولى على اورشليم				

وهذا تقوضت مملكة يهوذا سياسيا ولم يعد لها كيان على الإطلاق منذ سنة ٥٨٦ ق.م. وتنبأ عنهم هارمياہ بنبيهم وكان معاصر الملك

يهوياقيم والملك صدقيا بزوال دولة يهوذا هارمياہ اصحاب ٤٢١ .

تطبيق تاريخي لملوك اسرائيل

من سنة ٩٢٧ ق م . إلى سنة ٧٢٢ ق م .

السند الكتابي	أهم الأحداث	السند الكتابي	توليته ومدة حكمه	اسم الملك	مسلسل
٢٨-٢٥:١٢ مل ١	صالح يعل ذهب ليحول دون ذهابهم إلى أورشليم نبوة رجل الله ببوله يوشيا ملكا ليهوذا يعمل على تطهير البلاد من الأرجاس	٢ : ١٢ مل ١ ٢٥ : ١٤ مل ١	بأيه اسرائيل ملكا ٢٢ سنة حكم	يربعام بن نباط	١
٥-١٣: ٢-١ مل ١	انتزاع بيت بمشا قصاصا للرجس الذي تنشى في اسرائيل بسببه	٣٣: ١٥ مل ١ ٣٣: ١٥ مل ١	في السنة الثالثة لآسا ٢٤ سنة حكم	بمشا	٢
٣: ١٦ مل ١	اشترى جبل السامرة وبنى مدينة السامرة	٢٣: ١٦ مل ١	في السنة ٣١ لآسا	عمري	٣
٢٥: ١٦ مل ١	سار في طريق يربعام بن نباط	٢٣: ١٦ مل ١	١٢ سنة حكم	أختاب	٤
٣٣-٣١: ١٦: ١ مل ١	فاق يربعام في الرجس واخطيئة	٢٩: ١٦ مل ١	في السنة ٣٨ لآسا		
٤٥-١٧: ١٨ مل ١	ايليا يتحدى ازيبياه البهل .	٢٩: ١٦ مل ١	٢٢ سنة حكم		
٣: ٣ مل ٢	لحق بجظايا يربعام	١: ٣ مل ٢	في السنة ١٨ ليهوشافاط	يهورام	٥
١٥: ١: ٥ مل ٢	اليشع يقضى اسرائيل بشفائه ليعمان	١: ٣ مل ٢	١٢ سنة حكم		
١٥: ٨ مل ٢	وبشفائه يهدد ملك آرام				
٢٤: ٦ مل ٢	ينهدد حاصر اسرائيل سنوات				

٢٧-١٥:١٠ مل ٢	مذبحة أنبياء البيبل	٢٩-٢٣:٩ مل ٢	خيانة في إسرائيل ومصراع يهوذا وأخزيا ٢٨ سنة حكم	يا هو بن عشي	٩
٢٣:١٣ مل ٢	حزائيل ملك آرام يحاصر إسرائيل	٣٦:١٠ مل ٢	٢٨ سنة حكم	يهوذا	٧
١٢:١٣ مل ٢	حرب بينه وبين أمصيا ملك يهوذا	١٠:١٣ مل ٢	١٧ سنة حكم	يهوآش	٨
٢٤:١٤ مل ٢	عمل الشر في عيني الرب	١٠:١٣ مل ٢	١٦ سنة حكم	يربعام	٩
١٨:١٥ مل ٢	عمل الشر في عيني الرب	٢٣:١٤ مل ٢	١٥ السنة حكم	منحيم	١٠
٢٠:١٥ مل ٢	دفع جزية لنور ملك أشور	١٧:١٥ مل ٢	٤١ سنة حكم	منحيم	١٠
٢٩:١٥ مل ٢	غزو تفتك فلاسر ملك أشور	١٧:١٥ مل ٢	١٠ سنوات حكم	منحيم	١١
٣:١٧ مل ٢	غزو شلمنصر للسامرة	٢٧:١٥ مل ٢	٥٢ سنة حكم	منحيم	١١
٢٤:١٧ مل ٢	استئصال إسرائيل واستبدال أقوام آخرين بهم	١٠:١٧ مل ٢	٢٠ سنة حكم	منحيم	١٢
		١:١٧ مل ٢	١٢ سنة حكم	منحيم	١٢

« وفي السنة الرابعة للملك حزقيا وهي السنة السابعة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل صعد شلمنأصر ملك آشور على السامرة وحاصرها وأخذوها في نهاية ثلاث سنين ، ففي السنة السادسة لحزقيا وهي السنة التاسعة لهوشع ملك إسرائيل أخذت السامرة وسبي ملك آشور إسرائيل إلى آشور، ووضعهم في حلق وخابور ونهر جوزان وفي مدن مادي لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا » (١) .

ووضعت خاتمة يهوذا أيضاً إذ « عمل صدقيا الشر في عيني الرب إلهه ولم يتواضع أمام إرميا النبي من فم الرب وتمرد أيضاً على الملك نبوخذ نأصر الذي حلفه بالله وصلب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل . حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في اورشليم . فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يدرسه مبكرا ومرسلا لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه ، فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختارهم بالسيف في بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور اورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنياتها الثمينة . وسبي الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً » (٢) . وهذه خاتمة يهوذا من أقوى الدعائم التي يؤمنون بها ولعلمهم يفيقون !!

دالت، دولة يهوذا ومن قبلها إسرائيل لكن العداء الذي شغل ملوك
«الملكتين إبان عهدهما قد توارثته الأجيال حتى جاءت المرأة السامرية إلى
المسيح خاتم أنبياء بني إسرائيل تسأله قائلة: « آباؤنا سجدوا في هذا الجبل
وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قال لها يسوع:
يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لاني هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون لله ...
الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (١).

وقد جاءت الساعة إذ قال الله تعالى: « قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله
بغافل عما يعملون » (٢).

دليل الرموز المستخدمة في الكتاب

استشهدنا في ثنايا الكتاب بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس ، وقد لجأنا أحيانا إلى الرمز للأسفار التي أخذت منها هذه النصوص اختصارا للوقت والجهد ، وفيما يلي بيان بالرموز المستخدمة لأسفار العهد القديم والعهد الجديد .

١ - أسفار العهد القديم :

الرمز	اسم السفر	الرمز	اسم السفر
تح	نحميا	تك	التكوين
أس	أستير	خر	الخروج
أى	أيوب	لا	اللاويون
مز	المزامير	عد	العدد
مث	الأمثال	تث	التثنية
جا	الجامعة	يش	يشوع
نش	نشيد الإنشاد	قض	القضاة
إش	إشعياء	را	راعوث
إر	إرميا	ص١	صموئيل الأول
مرأى	مرأى إرميا	ص٢	صموئيل الثاني
حز	حزقيال	مل١	الملوك الأول
دا	دانيال	مل٢	الملوك الثاني
هو	هوشع	أخب١	أخبار الأيام الأول
يوثيل	يوثيل	أخب٢	أخبار الأيام الثاني
عا	عاموس	عز	عزرا

الرمز	اسم السفر	الرمز	اسم السفر
صف	صفنيا	عو	عوبديا
حج	حجي	يونان	يونان
زك	زكريا	مي	ميخا
ملا	ملاخي	نا	ناحوم
		حب	حبوق

ب - اسفار العهد الجديد :

الرمز	اسم السفر	الرمز	اسم السفر
١ تي	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	مت	إنجيل متى
٢ تي	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس	مر	إنجيل مرقس
تى	الرسالة إلى تيطس	لو	إنجيل لوقا
فل	الرسالة إلى فيليمون	يو	إنجيل يوحنا
عب	الرسالة إلى العبرانيين	أع	أعمال الرسل
يع	رسالة يعقوب	رو	الرسالة إلى أهل رومية
١ بط	رسالة بطرس الأولى	١ كو	« الأولى إلى أهل كورنثوس »
٢ بط	رسالة بطرس الثانية	٢ كو	« الثانية إلى أهل كورنثوس »
١ يو	رسالة يوحنا الأولى	غل	« إلى أهل غلاطية »
٢ يو	رسالة يوحنا الثانية	أف	« إلى » أفسس
٣ يو	رسالة يوحنا الثالثة	في	« إلى » فيليبي
يه	رسالة يهوذا	كو	« إلى » كولوسي
رؤ	رؤيا يوحنا	١ تس	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي
		٢ تس	« الثانية إلى أهل تسالونيكي »

أهم المراجع

(١) مراجع عربية :

- ١ - القرآن الكريم
 - ٢ - الكتاب المقدس
 - ٣ - قاموس الكتاب المقدس
 - ٤ - دائرة المعارف
 - ٥ - تاريخ الكامل
 - ٦ - معجم البلدان
 - ٧ - مصر
 - ٨ - في موكب الشمس
 - ٩ - تاريخ مصر « من أقدم المصور إلى الفتح الفارسي »
 - ١٠ - أوروبا المصور الوسطى
 - ١١ - تاريخ مصر الحديث
 - ١٢ - كتاب الطبقات
 - ١٣ - تاريخ الطبري
 - ١٤ - تاريخ ابن خلدون
 - ١٥ - فلسطين ... جريمة... ودفاع
 - ١٦ - حرب السويس
 - ١٧ - مشكلة اليهود في العالم الجديد
- الطبعة الأمريكية / بيروت
الدكتور جورج بوست / بيروت
المعلم بطرس البستاني
ابن الأثير
ياقوت الحموي
إيتيين دريوتون ، جاك فاندييه
تعريب : عباس بيومي ، أحمد بدوي
الدكتور أحمد بدوي سنة ١٩٥٠
هنري بريستيد. تعريب : حسن كمال
الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
جورجي زيدان
محمد بن سعد كاتب الواقدي
أبو جعفر بن جرير الطبري طبعة ١٨٩٩
ابن خلدون
الدكتور أرنولد توينبي
بول جونسون
جيمس باركنز طبعة ١٩٤٦

- ١٨ — بمن إسرائيل
ألفريد ليلينثال
- ١٩ — كيف ضاع الشرق الأوسط
ألفريد ليلينثال
- ٢٠ — أزيلوا . . إسرائيل
إيلين يتي
- ٢١ — خطر اليهودية العالية على
الإسلام والمسيحية
اللواء عبدالله التل
- ٢٢ — كارثة فلسطين
اللواء عبدالله التل
- ٢٣ — التطورات الأخيرة في قضية
فلسطين
خيري حماد
- ٢٤ — الطريق إلى السويس
ارسكين تشيلدرز. تعريب خيري حماد
- ٢٥ — إسرائيل والدول الكبرى
الدكتور يحيى عويس
- ٢٦ — المزارع الصهيونية في فلسطين
فتحى فوزى عبد المعطى
- ٢٧ — فلسطين عربية
العقيد محمد فرج
- ٢٨ — الأسفار المقدسة في الأديان
السابقة للإسلام
الدكتور على عبد الواحد وافي
- ٢٩ — حياة محمد
الدكتور محمد حسين هيكل
- ٣٠ — إسرائيل والتلمود
إبراهيم خليل أحمد
- ٣١ — الفاتيكان وإسرائيل
أنيس القاسم

(ب) مراجع اجنبية :

- 1 . J. H. Breasted; " Ancient Time "
a History of the Early World 2 nd, Edition / London
- 2 . The Story of Civilization ; Will Durant
A. Caesar and Christ
B. The Age of Faith NeW York 1950
- 3 . J. H. Breasted ; " Ancient Records of Egypt" 5 vol , 1907
A History of Egypt from the earliest times to The Persian
Conquest 2 nd, Edition , London
- 4 . Sigmund Frued ; Moses and Montheism 2 nd . edition
translated from German by Katherine Jones , 1940 .
- 5 . History of The Jews; Gratz Philadelphia U. S. A. 1941 .

محتويات الكتاب

صفحة

٣	تقديم (بقلم الأستاذ على عبد العظيم)
٢٣	تهويد
٢٧	مقدمة
٢٧	ستزول إسرائيل .
٣٠	منظمة الأمم المتحدة خالقة إسرائيل .
٣٧	الأركان الثلاثة التي تقوم عليها إسرائيل
٤١	الأحزاب الإسرائيلية ووحدة الهدف
٤٣	إصرار الأمة العربية على النضال ضد إسرائيل
٤٧	الباب الأول - الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الاوسط
٤٩	١ - شبه جزيرة سيناء
٤٩	شبه جزيرة سيناء وهجرة الآباء عليهم صلوات الله .
٥٢	شبه جزيرة سيناء والدين
٥٦	شبه جزيرة سيناء والشئون السياسية .
٥٨	شبه جزيرة سيناء والمعارك الحربية
٦٠	شبه جزيرة سيناء والدول التي تعاقبت عليها
٦١	شبه جزيرة سيناء ودير سانت كاترين
٦٥	شبه جزيرة سيناء وقناة السويس
٧٨	شبه جزيرة سيناء والمؤتمر الصهيوني الأول في بال

صفحة	
٨٠	٢ - مصر
٨٠	المكسوس وعلاقتهم بالأباء
٨٢	زوال ملك المكسوس
٨٥	٣ - فلسطين
٨٨	مساحة فلسطين السطحية
٩٠	سكان فلسطين
٩١	الكنعانيون
٩٥	سكان الساحل الفينيقي
٩٩	فلسطين وسوريا
١٠١	الأشوريون
١٠٣	العرب
١٠٧	الأنباط
١٠٩	الآدوميون
١١٠	المالقة
١١١	العموريون
١١٣	العبرانيون
١١٤	بئر سبع
١١٦	هجرة إسرائيل إلى مصر
١١٧	موسى نبي الله وشعب إسرائيل
١٢٠	تتويج شاول ملكا لإسرائيل
١٢٠	مملكة سليمان .. هيكل سليمان .. مدينة أورشليم
١٢٢	مملكة إسرائيل ويهوذا

صفحة

١٢٨ عهد المسيح عليه السلام

١٢٩ فلسطين عربية

١٣٠ الصليبيون في فلسطين

١٣١ صلاح الدين الأيوبي يرد اعتبار الأمة الإسلامية

١٣٢ فلسطين والتتار

١٣٣ الأتراك يغزون فلسطين

١٣٣ فلسطين والحملة الفرنسية

١٣٤ محمد علي والى مصر وفلسطين

١٣٥ العبرة من واقعة حطين والأمل في تحرير فلسطين

١٤٣ **الباب الثاني - الوجهة الشعبية والاجتماعية**

١٤٥ العرب يميزون بين الصهيونية واليهودية

١٤٨ مولد الصهيونية

١٥٢ المطامع الصهيونية

١٥٤ العنصرية السامية

١٥٩ **نظرية الاستعلاء العنصرى**

١٦٣ من هم إسرائيل

١٧٠ نظرية الحق اتاويغى

١٧٠ الميثاق وأدواره

١٧٠ العهد والعلامة

١٧١ النوازع البشرية

١٨٠ المطامع الصهيونية التوسعية

صفحة	
١٨٦	التوفيق بين التسلسل الديني والمخطط الصهيوني
١٨٥	هل يفكر المسلمون والمسيحيون في إنقاذ أنفسهم؟
١٨٦	الماسونية اليهودية
١٨٧	تبرئتهم من دم المسيح
١٨٨	كنيسة شهود يهوه
١٨٩	الكنيسة الكاثوليكية
١٩٥	لماذا يطالب اليهود بتبرئتهم من دم المسيح؟
١٩٦	النصوص بآتهام اليهود من الأناجيل
١٩٨	النصوص بتآمر اليهود على المسيح
٢٠٣	الفرق اليهودية
٢١٠	الفرق اليهودية وعلاقتها بالفلسفة الشرقية . الفرق اليهودية :
٢١١	أولاً - فرقة الفريسيين
٢١١	ثانياً - فرقة الصدوقيين
٢١٢	ثالثاً - فرقة الناموسيين
٢١٢	رابعاً - فرقة الأسينيين
٢١٩	الباب الثالث - الوجهة الدينية والأخلاقية
٢٢١	فكرة اللاهوية بين إسرائيل والفراعنة
٢٢٦	تعريف الله « أدوناي »
٢٢٧	حول فكرة الخلود
٢٢٨	التصديق بالأنبياء

صفحة	
٢٣٠	فلسفة عبادة الحيوانات المقدسة عند الفراعنة
٢٣١	فلسفة عبادة الحية النحاسية
٢٣٢	السلطة الدينية عبء على الشعب
٢٣٢	مهزلة الوحي الذي يعلنه الإله
٢٣٣	حقوق الكاهن وممتلكاته
٢٣٤	السحر الديني وأثره في تردى إسرائيل في العصيان
٢٣٥	السحر الديني والطقوس الجنائزية
٢٣٦	السحر في ركاب الأرواح
٢٣٦	التقويم المصرى وأثره في المواسم الدينية
٢٤٠	التقويم وأثره في الأعياد المسيحية
٢٤٠	الانبياء في أسفار التوراة
٢٤٦	الكيان السياسي والروحي
٢٤٦	تحقيق تاريخي لعهد القضاة
٢٤٩	فترة الانتقال
٢٥٦	تحقيق تاريخي لملوك يهوذا
٢٥٨	تحقيق تاريخي لملوك إسرائيل
٢٦٢	دليل الرموز المستخدمة في الكتاب
٢٦٤	أهم المراجع

ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فننة الأجيال
العصور الحديثة

ابراهيم خليل احمد

اسرائيل فننه الاجيال العصور الحديثه

مكتبة الوحي العربي

لصاحبها رة ون نعمان

• شارع كامل صدق بالفجالة

تليفون ٩١٩٩٦٥

دار العهد ايجدي للطباعة
كاتب محمد صالح
ت ٩٠٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الإيداع بدار الكتب

٤٦٠٠ لسنة ١٩٧٠

مقدمة

إن هذا السفر يبحث عن دور إسرائيل كفتنة خلال الأجيال في العصور الحديثة ، وعن الصهيونية كأداة في قبضة الإمبريالية ، وعن القاصر الإمبريالي الصهيوني ضد الوجود العربي ، وعن خديمة إنجلترا وفرنسا للعرب أثناء الحرب الكونية الأولى والثانية ، وعن وعد بلفور وملابساته ، وعن سياسة الاستعمار في قيام إسرائيل من حيث :

- ١ - الانتداب الإنجليزي على فلسطين .
- ٢ - والإدارة البريطانية في تهويد فلسطين .
- ٣ - وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين .
- ٤ - وتشجيع انتقال الملكية من العرب إلى اليهود .
- ٥ - وإنشاء الوكالة اليهودية .
- ٦ - وإنشاء الكتائب الصهيونية وتسليحها وتدريبها .
- ٧ - ودخول أمريكا في القضية لصالح الصهيونية .
- ٨ - وقرار التقسيم وواد (حق تقرير المصير) .
- ٩ - واعتراف أمريكا بقيام دولة إسرائيل .
- ١٠ - ومبادرة «ترومان» إلى الاعتراف بها .

ثم عن مسئولية العرب في قيام الدولة الصهيونية ، وعن تفكك العرب ونخازلمهم وتحلفهم عسكرياً وسياسياً . ثم عن الصراع مع الصهيونية المالية ومع إسرائيل ، وعن حرب عام ١٩٤٨ ، ثم عن العدوان الثلاثي الإنجليزي

الفرنسي الإسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ . وعن العدوان الإسرائيلي
التوسعي على الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٧ .

ثم عن القرارات العربية لاسترداد أرض فلسطين ، وعن صداقة الدول
الحبة للسلام وتأييدها للنضال العربي .

والكتاب ينقسم الى سفيرين :

فالسفر الأول عن العصور القديمة ويشتمل على ثلاثة أبواب ، وبيانها كالتالي:

الباب الأول : عن الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الأوسط .

الباب الثاني : عن الوجهة الشعبية والاجتماعية لإسرائيل .

الباب الثالث : عن الوجهة الدينية والاخلاقية لإسرائيل .

**أما السفر الثاني الذي نحن بصدده عن العصور الحديثة فيشتمل على أربعة
أبواب ، وهي:**

الباب الأول : عن الوجهة السياسية والاقتصادية لإسرائيل .

الباب الثاني : عن المخطط الصهيوني التغلغل الصهيوني في
نيويورك ، وواشنطن .

الباب الثالث : عن دراسات تحليلية وعدلفور التقسيم الانتداب

الباب الرابع : عن ظلال جوهر قرارات .

هذا هو الكتاب الذي أقدمه للعالم العربي إيماناً واحتساباً للقضية العربية
مؤمناً بالنصر . ومن هنا لا بد من وقفة تأمل وتبصير .

لقد جاء على الأمة الإسلامية لحظات انتكست فيها ، لكن الله قيض
للأمة رجالاً حققوا لها انتصاراً عسكرياً وسياسياً غسلوا به أرجاس الطغاة .

ففي عهد الخلافة العباسية توغل « هولوكو » في الأراضي الإسلامية حتى

تصدى له السلطان قطز الخوارزمي واستطاع أن ينزل به هزيمة مروعة في واقعة (عين جالوت) عام ١٢٦٠ م

ومن قبل الزحف المغولي كان الغزو الصليبي الذي شمل حقبة من الدهر بلغ مداها قرناً ونصف قرن من الزمان من ١٠٩٧ - ١٢٥٠ م . ولم ير المسلمون وقتئذ إلا الاستسلام لمهادتهم . وبلغ من تحدى الصليبيين لشعور المسلمين أنهم كانوا ينفقون المعاهدات حتى أن «أرناط» أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس جرّد حملة للاستيلاء على مكة ، والمدينة ، ونهب الآثار النبوية عام ١١٨٣ م ، فتصدى له العادل أخو صلاح الدين ، وأعد صلاح الدين جيشاً زحف به في يونيو عام ١١٨٧ م ، فاستولى على طبرية ثم زحف منها إلى حطين ، ودارت معركة رهيبة أنزل فيها صلاح الدين من الهزائم بالصليبيين ما لم يعمدوه من قبل ، واستسلمت بيت المقدس في أكتوبر عام ١١٨٧ ، واستمر صلاح الدين في زحفه وانتصاراته حتى سقطت معظم المدن الصليبية التي هددت المسلمين .

فلا معنى للياس لذن مع الحياة بل تصميم على الجهاد المقدس حتى يتحقق لنا النصر بإذن الله .

ابراهيم الفهم خليل اصمحر

المحرم سنة ١٣٩٠ هـ
مارس سنة ١٩٧٠ م

الباب الأول

الوجهة السياسية والاقتصادية لإسرائيل

اعرف عدوك :

يعتقد اليهود اعتقادا راسخا حسب ما يقرره التلمود « أنهم مساوون للعزة الإلهية » ولذلك تكون الدنيا بما فيها ملسكا لهم ، ولهم عليها حق التسايط ، ولهم مطلق التصرف في كل شيء .

وهم ينتظرون بفارغ الصبر الزمن الذي سيظهر فيه المسيح ، ولكن من هذا المسيح المنتظر ؟

إن المسيحيين يتوقعون مجيء المسيح (١) ، ولكنه الهجى الثانى ويشاركهم فى ذلك المسلمون ومجىء المسيح إنما هو علامة من علامات القيامة .
أما اليهود فإنهم ينتظرون مجيء المسيح ليملك على الأرض ويجعلهم سادة على العالم .

ومن هنا يقين أن لكل وجهة يبنى عليها إيمانه وعقيدته ، واليهودى ووجهتهم إنما يذكرون رسالة المسيح عيسى بن مريم وشخصيته وهذا شأنهم دائما مع الأنبياء ، فلقد نسبوا إلى أنبيائهم والآباء تهما خطيرة تمس الشرف والكرامة ، ولا تتأتى من إنسان عادى . ولقد سبق أن ذكرت ما نسبوه إلى داود النبي مع أنه يناجى ربه قائلا : « يكافئنى الرب حسب برى . حسب طهارة يدى . يرد على لآنى حفظت طرق الرب ، ولم أعص إلهى... » (٢) ويشهد الإنجيل بطهارة داود : « وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى » (٣) .

إذن فلكى تنجح فى إحباط مخططات عدوك ، ينبغى عليك أن تتقن جيدا طريقة تفكيره وأسلوبه فى العمل ، وبالتالي فإن عدم الجدية فى هذا المجال أو الاستهانة بالعدو من شأنه أن يزيد من احتمالات الفشل فى الانتصار على العدو ، ولحاق الهزيمة به .

(١) متى ٢٣ : ٣٩ . (٢) ٢ ص ٢٢ : ٢١ - ٢٥ . (٣) أع ١٣ : ٢٢ .

اسباب الانتصار بين يديك :

يعتمد الصهيو نيون على طاقات روحية مستمدة من وعود ربانية وردت في الكتاب المقدس منها وعيد ووعد لموسى عليه السلام جاء على لسان نحميا بأن الله يفرقهم في الأرض إذا عصوه ويجمع شملهم إذا رجعوا تائبين (١).

وتجاهلوا قضاء الله المحتموم عليهم بسبب عصيانهم الذي تجاوز كل حد والذي أعلنهم به نبيهم إرميا. بأن الله أقسم بذاته أن يخرّب هيكل سليمان (٢) وأن قسم الله بخراب أورشليم تأسس على حيثيات دقيقة للغاية فإن سفر الملوك وسفر أخبار الأيام يتحدثان عن تاريخ بني إسرائيل في عهد مملكة داود فمملكة سليمان فالملكوتين يهوذا وإسرائيل وإن هذه الممالك في عهدها وملكها أتمت آثاما خطيرة منها: « تركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم عجابين وعملوا سواري » (٣) ومن ثم فإن إعلان إرميا بخراب أورشليم كان فصا صا عادلا (٤) « لأنهم ، تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » ، حتى أن نبيهم أشعيا يتهمهم بقوله لهم : « فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم ، وإن كثرت الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملآنة دما » (٥).

وينقطع عنهم الأنبياء وينقطع عنهم الوحي ازدراء لشأنهم وتحقيرا لأمرهم منذ سبيهم إلى مملكة بابل ، وإن كان الله جلت حكمته عن الاستقصاء قد ردهم إلى أرض فلسطين في زمن كورش ملك فارس لغاية ربانية حتى يبعث فيهم المسيح عيسى بن مريم حكما مقسطا .

فلما جاءهم تنكروا له وتأمروا عليه وفتنوا الأمة وألبوا الوالى الرومانى

(١) انظر نحميا ١ : ٨ — ١٠ . (٢) لإرميا ٢٢ : ٥ . (٣) مل ١٧ : ١٦ — ٢٠ .

(٥) أشعيا ١ : ١٣ — ١٧ .

(٤) لإرميا ٢٢ : ٨ ، ٩ .

عليه حتى التصقت بهم جريمة الصليب باعترافهم الصريح: « دمه علينا وعلى أولادنا» (١).

وأعلمهم المسيح بقضاء الله المحتوم الذي لا راد لقضائه بقوله: « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا» (٢).

وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الوعد الممنوح لإبراهيم فإنهم وبالأولى كان ينبغي أن يلتزموا بالعهد لأنهم تنكروا للعهد وبالتالي سلب منهم الله الوعد، وفي هذا يقول برنابا بما يعنى أن الله ما ينسخ من آية أو ينسها يأت بخير منها أو مثلها، فيقول برنابا: « أجاب يسوع: كل ما يُنطق على كتاب موسى فهو حق فاقبلوه. لأنه لما كان الله واحداً كان الحق واحداً، فينتج من هذا أن التعليم واحد وأن معنى التعليم واحد. فالإيمان إذن واحد. الحق أقول لكم إنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثانى، ولو لم يفسد كتاب داود لم يعهد الله بإنجيله إلى، لأن الرب إلهنا غير متغير ولقد نطق الله رسالة واحدة لكل البشر» (٣).

لقد مضى إسرائيل بعهوده السالفة إبان حكم القضاة حينما كان ظل العلى يظلمهم حتى أن الشعوب حسبت حسابهم فصرخوا قائلين: «ويل لنا! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات فى البرية؟!» (٤).

وليس هذا بعيداً على الله فى عنايته بأمتة فهو يقول لنا: « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

مضى ذلك العهد، « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من

(٢) متى ٢٣ : ٣٧-٣٩.

(١) انظر متى ٢٧ : ٢٠-٢٥.

(٤) ١ صم ٤ : ٦-٨.

(٣) إنجيل برنابا ١٢٤ : ٥-١٠.

الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» (١).

المواجهة العربية مع العدو :

إن معركة المواجهة المصيرية الدائرة بين الأمة العربية والمصائب الصهيونية يبدو منها مواجهة لعدو عريق في أساليبه يخطط على مستوى دولي منذ زمن بعيد ، يدفعه إلى هذا عقيدة دينية ، ويحفزه على ذلك السعي للاستقرار ، في أرض تكون للإسرائيليين بمثابة الوطن تجمع شملهم ، وترفع عنهم ذل الشعوب وكراهيتهم لهم منذ الأزل . وماذا تفيد عقيدتهم الدينية المسوخة وقد تخلى عنهم الله ، وماذا يفيدهم البكاء وقد ورث الله الأرض لأمة هي خير أمة أخرجت للناس ؟!

لكن الحسد يدفع بالحاسد إلى أن يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض ، فقد خطط هذا العدو لتحقيق هدف أساسي تحدد في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ : وهو ضرورة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين كمرحلة لبناء دولة إسرائيل الكبرى التي تمتد من الفرات إلى النيل .

وبهذا الوضوح القاطع يتبين لنا أن هدف هذه الحركة الصهيونية كان وما يزال في إنشاء كيان يهودي توسعي استعماري يمتد من فلسطين ليشتمل سوريا ولبنان والعراق والأردن ومصر .

وكان أسلوب العمل الذي استخدمته الصهيونية وصولاً إلى هذا الهدف هو حشد القوى الاستعمارية بل وتجنيدتها في سبيل إخراج الحلم الصهيوني إلى حيز الوجود .

ولم يكن اللقاء الذي تمّ عندئذ بين الصهاينة والمطامع الإمبريالية البريطانية في ١٢/٤/١٩١٨ والمطامع الإمبريالية الأمريكية فيما بعد شيئاً عسيراً ، خاصة وأن الزعيم حاييم وايزمن أكد للورد بلفور وزير خارجية بريطانيا - وصاحب الوعد المشئوم « وعد بلفور » بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين - أنه لا فرق بين الاستعمار الصهيوني والإمبريالية البريطانية . وصرح وايزمن بأنه أوقع لورد بلفور بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية .

الامبريالية والصهيونية تآمران :

وقد ثبت فيما بعد بالواقع والتاريخ أن اللورد بلفور كان مقتنعاً بوجود رابطة دم بين أهداف الصهيونية والاستعمار حتى قبل أن يعقد معه وايزمن هذا الاجتماع بدليل الوعد الذي سبق أن أعطاه بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في ١١/٣/١٩١٧ ، وبدليل القرار الذي اتخذته مؤتمر لندن الاستعماري عام ١٩٠٧ بالعمل على فصل الجزأين الإفريقي والآسيوي في المنطقة العربية أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشري قوي وغريب في نقطة التقاء هذين الجزأين يمكن للاستعمار أن يستخدمه في تحقيق أغراضه !!

ويحدد القرار هذه الأغراض بأنها « تجزئة المنطقة والإبقاء على تفككها ، ومحاربة أي اتحاد يقوم بين أجزائها ، والسعي الدائب إلى تفتيتها عملياً وفكرياً وتاريخياً » ، وهكذا تحدد دور الصهيونية في مؤتمر لندن وتحددت وظيفة « إسرائيل » قبل إنشائها بثلاثين سنة ، ألا وهي العمل الدائب على إشاعة الفرقة والتمزق في أرجاء الأمة العربية .

تجربة فلسطين :

كانت تجربة فلسطين تأكيداً وتميزاً لذلك . ولقد صرح السيد الرئيس جمال عبد الناصر في هذا الصدد بقوله : في سنة ١٩٤٨ صمم الاستعمار وصمم الطغاة الذين وقفنا وحاربنا معهم في الحرب العالمية الأولى ، ووقفنا

وحاربنا معهم في الحرب العالمية الثانية ، وكانت النتيجة أننا كمننا الغنيمة في هاتين الحربين وقفنا معهم وأمددناهم بجميع مطالبهم ، وكانت هذه المنطقة من العالم تعتبر منطقة إمداد وتموين لجيوشهم ، وكانت النتيجة أن سلب جزء عزيز من الوطن العربي ، وأعطى لإسرائيل لإقامة وطن قومي لهم .

دخلنا فلسطين سبع دول عربية ، ولكن سبع دول غير متحدة .. سبع دول متفرقة ، تفرق بينها الأطماع وتفرق بينها الأحقاد .

دخلنا فلسطين لنحارب ، لإنقاذ الأمة العربية ، فانتكس الحال ووصلنا إلى المأساة الكبرى .. اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها .

وهكذا كان الانقسام والفرقة مرة أخرى سببا في اغتصاب أرض عربية وتمكين الصهيونية منها .

فلو أن العرب اتحدوا مثلما اتحدوا ضد الصليبيين في عصر صلاح الدين الأيوبي ومثلما اتحدوا في عصر السلطان قطز ضد التتار ، لما استطاعت الصهيونية أن تغتصب فلسطين وتقيم وطننا في قلب العالم العربي حتى ولو ساعدتها الاستعمار . كانت تجربة فلسطين درسا كشف عن درجة وحشية الاستعمار وأظهر نواياه الخبيثة وأطماعه في السيطرة والتحكم والاستغلال ، كما كانت تجربة فلسطين فضلا عن ذلك درسا عرف منه العرب من هم أعداء الحرية ومن هم أعداء القومية العربية . لقد تأكد للعرب بعد تجربة فلسطين أن الدفاع عن كيان الأمة العربية يجب أن ينبع من قلب الأمة العربية نفسها ، وأن الاعتماد على أية دولة أجنبية ليس له معنى سوى الاستعمار والسيطرة .

فإذا أردنا أن نحقق الحرية ، وإذا أردنا أن نحقق الاستقلال لا بد أن نشق ونعتقد تمام الاعتقاد أننا لا بد أن نعتمد على أنفسنا ، ولا بد أن نعتمد على شعوبنا ، وأنها إذا اعتمدنا على دولة أجنبية فلن نكون في النهاية إلا غنيمة لها كما كنا بعد الحرب العالمية الأولى .

وإننا لا يتأتى لنا استرداد ما اغتصب إلا بالقوة ، وعلى أسس ثلاثة

وهي الأخلاق والعلم والجهاد، ومن ثم يتحتم تعميق المفاهيم الروحية ،
والتخطيط السياسي والعسكري على كل المستويات ، والإعداد العسكري للمجابهة
والمواجهة المصيرية «ولينصرن الله من ينصره ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» .

نظام الجيتو

الثورة الفرنسية ونتائجها على الصهيونية :

ما إن انتشرت مبادئ الثورة الفرنسية في القارة الأوروبية حتى استفاد
اليهود من المساواة الاجتماعية ، وأصبح لهم نفوذ وسطوة ، خاصة إذا اعتبرنا
قلة عددهم بالنسبة إلى سائر الشعوب ، وذلك بفضل الأحوال الخاصة التي
اكتسفت تاريخهم ، فإن ما نالهم من الضغط والاضطهاد فيما مضى جعل في قرارة
نفوسهم نزوعاً إلى قلب نظام الحكم القائم ، وانتقاضاً على السلطات التي ناوأتهم .
أما المليون منهم فقد كسبوا ما كسبوا بمهارتهم وحذقهم لأساليب التجارة
وخبيرتهم وصدق نظرتهم في الشؤون الاقتصادية ، وحيازتهم المعلومات الصحيحة
والأخبار الصادقة .

وربما كان هذا التفوق بعد المذلة والمسكنة فيما مضى من الأزمان هو سبب
تلك الكراهية التي يشاهد أثرها في كل مكان .
وقد تأتي هذا التفوق بالتدريج إذ عاش اليهود قرونًا وهم معزولون في
مستعمراتهم في أوربا ، وكأنهم في حجر صهي ، أو كأنهم موبوءون يخشى
الإختلاط بهم .

لقد بدأ اليهود رحلاً في عصر التوراة من زمان إبراهيم فأسحق فيمقوب
فالأسباط فموسى فيشوع بن نون فعهد القضاة ، ثم في إقامتهم ببابل وفي عودتهم
إلى أرض فلسطين ، حتى جاء المسيح عليه السلام .

وظلوا رحلاً في عالم الشتات ، وككل قطعان الرحل أبوا إلا أن يعيشوا في
حظائر مسورة داخل مدن الشتات .

وكثيراً ما كانت هذه الوحدة الخلوية اليهودية تغلف بمحاطط خاص داخل المدينة ، ماعدا الأغنياء منهم الذين كانوا يتعدون هذا الحصار ليمشوا في الأحياء الراقية غير اليهودية .

وهذه العزلة السكنية هي ما يعرف بنظام الجيتو وكانت تحت أسماء تختلف باختلاف المناطق التي يعيشون فيها :

وفي مصر يتجمعون في « حارة اليهود » .

وفي أسبانيا يتجمعون في « اليوديريا » Juderia

وفي المغرب العربي يتجمعون في « الملة » Mellah

وفي اليمن يتجمعون في « القاع »

ويعزى العزل السكني إلى سببين :

- ١ - أن هذا العزل السكني Residential Segregation كثيراً ما يرجع إلى قوانين الدول والشعوب التي يعيش اليهود بين ظهرانيها يفرضونه بالتوة على اليهود تباعداً عنهم واستملاء عليهم كفته من المنبوذين - كما يعبر « ماكس فيبر » - وكذلك إحكاماً للرقابة عليهم وحصرراً لأخطارهم .
- ٢ - وكثيراً ما يرجع هذا إلى صنع اليهود أنفسهم سعيًا منهم كأقلية - مسحوقة ومنبوذة - إلى التركيز والحشد في نقطة واحدة ضماناً للحماية في حظيرة واحدة .

إن سحنة اليهودي ليست صفة جسمانية بقدر ما هي تعبير اجتماعي مكنتسب من البيئة الاجتماعية ، من صنع « الجيتو » ، من حياة التشرذ والاضطهاد ، والصراع ، والقلق من الأخطار التي تواجههم وتعصف بهم من آن لآخر ، حتى لقد أسماها البعض « تعبيرات الجيتو » .

إنها من فعل الانتخاب الاصطناعي لا الوراثة والبيولوجيا وقد ثبتت
عن طريق التزاوج الداخلي ، والانتخاب الجنسي والانتخاب الاجتماعي
والانتخاب المهني .

ومعنى هذا أننا إذا صادفنا هذه المسحة اليهودية في الوجه فإنا هي مجرد
ميراث الاضطهاد الديني والشعوبي أي كان الأصل الجنسي والسلالة العرقية ،
ودون أن تعني أن صاحبه ينحدر من نسل بني إسرائيل التوراة بالضرورة .

ونجم عن هذه العزلة أنهم اكتسبوا صفات جسمانية ومعنوية خاصة بهم
وأهم امتازوا بجمدة الذهن، وحسن التدبير وبعد النظر، والاحتياط للطوارئ،
وأهم نزعوا إلى الديمقراطية شأنهم في ذلك شأن الأقليات في دول البحر
المتوسط كالأرمن الذين تفوقوا في الصناعات الدقيقة ومن على مثالهم من
الأقليات ، فيبرزون في ميدان الطب ، وفي ميدان الهندسة ، وفي ميدان القانون،
وفي ميدان الصحافة ، وفي الاحتكارات التجارية والصناعية .

ثم إن اليهودي عموماً كان محرماً عليه دخول الجيش والبحرية والنفقات
الصناعية والتجارية ، وأصبح لاسبيل أمامه إلا العمل كوسيط تجاري ،
فمارس طرق المعاملات التجارية وترقب الأسواق التجارية ، والاستفادة من
فرص الأسواق المالية .

وكان للقرار الذي اتخذته الكنيسة بتحريم الربا أثره في انتهاز اليهود
لهذه الفرصة ، فاتخذوا الاتجار بالمال عملاً لهم وبرعوا فيه أيما براعة ، فما إن جاء
القرن التاسع عشر وأعلن فيه تحرير اليهود في معظم الدول الأوروبية
الغربية ، وألغيت القيود التي كانوا بها مقيدين ، حتى انتهزوا هذه الفرصة السانحة
واستخدموا الصفات التي اكتسبوها على مر السنين وبذلك بلغوا المقام الرفيع
الذي يتبوأونه في تلك الدول .

ومن هنا نستنبط أن كراهية الشعوب الأوروبية لليهود لا ترجع إلى التعصب الديني وإن يكن له فيها نصيب، ولا هي ترجع إلى الأحوال الاجتماعية التي نجمت عن تحرر اليهود في القرن التاسع عشر، ولكن ترجع إلى حياتهم الازدواجية بين الشعوب التي يعيشون معها.

الجيتو... الليبرالية... الصهيونية :

اشترك اليهود في جميع الجيوش المتحاربة على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى. ودافعوا عن البلاد التي كانوا نازلين فيها (١)، حتى خيل للناس أنهم فقدوا طبيعتهم اليهودية وأصبحوا من أبناء تلك البلاد.

فإن روح « حرية الفسك » الليبرالية المعاصرة وتطور (٢) الوعي السياسي في المجتمع الصناعي الحديث، كلها طفرات جديدة وخطيرة تهدد بانتهاء اضطهاد اليهود وبالتالي تهدد بانتفاء اللاسامية التي افتعلوها ببيئاتهم، ومن ثم تهدد بذوبانهم في شعوب الأمم ثقافة ولغة بل ديناً وجنساً.

ومن هنا تضطرم الصهيونية بمحاولة استبقاء مناخ الاضطهاد وشبحة وتجسيد أسطوره إلى الأبد لتوقف تيار الذوبان الغلاب الذي يظل مع ذلك يفرض نفسه كواقع قاهر يتمثل أخطر ما يتمثل في الامتزاج بالمصاهرة مع غير اليهود، وفي تحول البعض إلى عقائد أخرى، ولئن كان هذا اليوم أوضح وأخطر ما يكون في بوتقة الولايات المتحدة فإن أوروبا الغربية تعرفه أيضاً بدرجة أو بأخرى.

والخط التاريخي الذي أكد نفسه منذ البداية وهو تخلط وتهجن اليهود وذوبانهم جنسياً بعيد اليوم تأكيد نفسه برغم انحرافات شعارات الصهيونية، ويفرض نفسه أكثر منه في أي وقت مضى.

(١) إن اشتراكهم إنما لممارسة الحرب لحظة بعيدة يرسنونها، فسكان ٥٪ من الجيش الأمريكي يهودا في حين أن نسبتهم إلى مجموع سكان الولايات المتحدة الأمريكية لا تزيد عن ٣٪ وكان في الجيش البريطاني ٥٠٠٠٠ يهودي من مجموعهم البالغ ١٠٠٠٠٠٠.

(٢) Liberal « حزب الأحرار » Liberality « بحرة الفكر ».

ومن ثم نستطيع تفسير ظاهرة المناوأة لليهود بالرغم من اشتراكهم في الحرب ضمن « الاتحاد المقدس » لدول الأمم الغربية في الحرب الأوروبية .

فلم تسكد الحرب تضع أوزارها حتى أحس المتأملون في أحوال الأمم هبوب ريح معاداة ومناوأة لليهود في معظم الأقطار وقد أخذت هذه الرياح تشتد رويداً رويداً حتى عمت القارة الأوروبية بأكملها بل تعدتها إلى الولايات الأمريكية المتحدة ، وكان المعتقد أنها أبعد من سواها عن التعصبات الجنسية والدينية .
واقدم كثرت عام ١٩٢٣ الحوادث الدالة على اتجاه هذا التيار ولاسيما في أقطار أوروبا الشرقية حيث يكثر العنصر اليهودي . وفي أمريكا كانت هنا حركة شديدة ترمي إلى مقاومة النفوذ اليهودي ومن زعمائها « هنري فورد » ، حتى في إنجلترا أصدق صديقة لليهود كانت الصحافة البريطانية تشن حملاتها على سيطرة اليهود في فلسطين .

ومن ثم أصبحت فكرة الصهيونية وهي وليدة الكراهية التي ما برحت تظهرها الشعوب الأوروبية لليهود . فالحركة الصهيونية إذن هي من قبيل رد الفعل وغايتها حل المشكلة اليهودية بإيجاد وطن لهم .

إنهم منذ إعلان تحريرهم في القرن التاسع عشر قد أصبحوا ملوك الصيرفة والمال وتمكنوا من السيطرة على اقتصاديات الدول ، ومن هنا فإن كراهية الشعوب لهم ناجمة عن الانتهازية والإثراء على حساب الشعوب وأنهم لم يكونوا قابلين للاندماج في الشعوب التي حلوا بينها ويرجع ذلك إلى مزاج اليهود الروحي وعقيدتهم الدينية ومذهبهم الاجتماعي . وما برحت شخصيتهم هذه تزداد بروزاً مع الأيام حتى أصبح من أهم مميزات الشعب اليهودي تماسكه وتجانسه واعتداده بذاته واستملاؤه على الآخرين .

وهم يؤمنون بالتلمود ويقرون بأن اليهود مساوون للعمة الإلهية فالدنيا
(٢٢ - إسرائيل)

وما فيها ملك لهم ، ويحق التسلط على كل شيء فيها ، وإنيهم يقرون « أن قتل النصارى من الأفعال التي يكافئ الله عليها ، وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أى وقت وعلى أى وجه » .

لقد شردهم الله في الأرض لكنهم لا يدركون أن تشريدهم إنما بسبب معاصيهم ، فيقرر التلمود: « أنهم شعب الله في الأرض . وقد أوجب عليهم أن يفرقوا لمنفعتهم » . والحقيقة هي ما اكتشفه برنار لازار وهو من أوثق الباحثين في هذا الشأن بقوله : « يتراءى لى أن شعورا عاما كالمناوأة لليهود ظهر في كل مكان وكل زمان ، قبل المسيح وبعده ، في الإسكندرية وروما وأنطاكية وبلاد العرب ، وفارس ، وفي أوروبا في مختلف عصورها ، أى بالاختصار في كل قطر قطنه اليهود . يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون طارئاً عرضياً أو نزوعاً وقتياً بل يجب أن يرجع إلى أسباب حيوية وأصول بعيدة » .
ألا فعودة إلى قوله تعالى :

« لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون . وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصدوا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصدوا كثيراً منهم والله بصير بما يعملون » (١) .

اليهود سبب الكوارث

أولاً - عداوتهم للإسلام :

تأمر اليهود مع قريش بغية القضاء على رسول الله والمسلمين ، وأقبلت قريش بخيلها ورجلها ومن تبعها من بنى كنانة ، وأنت معهم يهود بنى سليم ، وخرجت بنو أسد ، وبنو فزارة وأشجع بنو مرة ، وكانوا جميعاً في عشرة آلاف ، جاءوا يريدون محاضرة الرسول في عقر داره ، والقضاء عليه وعلى دعوته وعندما بلغ رسول الله مسير قريش استشار الناس ، فأشار المسلمون بحجر الخندق ، فكانت خطة بارعة وسداً منيعاً أمام دخول الكفار المدينة .

وعندما وصلت جموع قريش حال الخندق بينهم وبين دخولهم المدينة ، وطاروا في أمرهم فأرسلوا أحد زعماء اليهود (حي بن أخطب) إلى يهود بني قريظة داخل المدينة لينقضوا العهد ويخرجوا من حيادهم ، وما زال بهم هذا اليهودى حتى نقضوا العهد وخرجوا من حيادهم .

واتصل نبأ انضمام قريظة إلى الأحزاب بالرسول وأصحابه ، فاهتزوا له وخافوا مغيبته وبعث الرسول إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد سيد الخزرج ومعهما بعض الصحابة ليقفوا على جبهة الأمر ، على أن يلحنوا له عند عودتهم إن كان حقا ، حتى لا يفتوا في أعضاد الناس .

فلما أتى هؤلاء الرسل ألفوا قريظة على أخبث ما بلغهم عنهم ، وأراد سعد ابن معاذ ، وكان حليف قريظة ، أن يقنعها مخافة أن يحمل بها ما حل ببني النضير أو ما هو شر منه ، فانطلقت اليهود ، ووقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال كعب زعيمهم : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد .

فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم ، ثم أقبلوا على رسول الله وأخبروه فاشتد ذلك عليه وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب وأصاب المسلمين مجاعة شديدة . ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعد . اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب . » .

فاستجاب الله دعاءه ، وبعث الله الريح على الأحزاب ليلا حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع قدمه ، وأنزل الله قوله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما

تعملون بصيراً» . وقد رد الله كيدهم في نحورهم ، وكان النصر لرسول الله
والمسلمين ، وبأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره أهل الشرك والضلالة .

إن التاريخ لم يسجل لليهود وأشياعهم من المنافقين إلا النذالة والخسة ،
واستعمال أساليب الدس والوقيعه وإشاعة الفاحشة حين يعجزون عن مجابهة
خصومهم وجها لوجه

لقد تأمر اليهود من قبل مع المنافقين من أهل المدينة على النيل من عرض
المصطفى صلى الله عليه وسلم بغية التشكيك وإشاعة الفرقة بين المسلمين ، افترى
عبد الله بن أبي على عرض رسول الله فرمى أحب نسائه إلى قلبه .

ثم نزل قوله تعالى مبينا براءة عائشة متوعدا اليهود والمنافقين عذاباً عظيماً :
« إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوهُ سراً لكم بل هو خير لكم
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم » . وكما أن اليهود وأتباعهم لجأوا إلى أخس الوسائل في محاربة الدعوة
الإسلامية في صدرها الأول فاشترکوا مع أعداء رسول الله في قتاله ثم بإشاعة
التهمة الباطلة ضد المؤمنين والمؤمنات إلى غير ذلك من أساليب النذالة والخسة ،
فإنهم كذلك لجأوا إلى الأسلوب عينه عندما عجزوا في عام ١٩٤٨ عن الوقوف
أمام جيوش العرب التي قاربت مشارف تل أبيب فعمدوا إلى بث الفتن
وإشاعة الفوضى وإحداث البلبلة بين صفوف المقاتلين العرب ، فأشاعوا أن
بعضاً من عرب فلسطين خونة وهم من ذلك براء ، لتنعدم الثقة بين الجيوش
المحاربة وأهل فلسطين ، وقد نجحوا بعض الوقت كما نجحوا في إشاعة البلبلة في
صفوف المسلمين إزاء حديث الإفك . ألافنحذر تلك الأساليب ولنتيقن أنهم
فتنة في الأرض وشر خطير ولنسكن يقظين لها والله غالب على أمره .

ثانياً - عداوتهم للشعوب الأوروبية :

أدركت الشعوب الأوروبية أن اليهود لا يمكن أن يعيشوا مع شعب آخر في الوجود إلا على أساس استعباد ذلك الشعب وتسخير عقول أبنائه وأرواحهم وامتصاص دمائهم وأموالهم في خدمة اليهود .

وأدركت شعوب أوروبا أن اليهود بمكرهم ودهائهم قد نجحوا إلى حد كبير في إدخال العنف والبطش والوحشية إلى الدين المسيحي ، وأنهم كانوا السبب الرئيسي في إشعال نار الكراهية والحقد والبغضاء بين الطوائف المسيحية ، وأنهم تسببوا في إشعال الحروب الدينية الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت وتسببوا في إزهاق أرواح ملايين النصارى الأبرياء في أوروبا لأسباب واهية وعوامل خلاف مضحكة هي من صنع اليهود ودهسهم ومكرهم . وفي غمرة الأحقاد الدينية العنيفة نسي المسيحيون أو تناسوا الأساس الأول الذي بنى المسيح عليه الدين المسيحي : الأخوة ، والتسامح ، والاشتراكية .

وحيثما أفاقت شعوب أوروبا من غفوتها هبت ترد العدوان ، وتدفع الخطر قبل أن يستفعل الداء العضال ويستشرى السرطان اليهودي فيفتك بأجسام ملايين البشر ويحولهم إلى عميد خدمة للشعب المختار - حسب مزاعمهم - ونال اليهود بعد تلك الصحوة جزاءهم الأوفى .

موقف الشعوب الأوروبية من اليهود

١ - في بريطانيا :

لمس الشعب البريطاني خطورتهم على الاقتصاد والدين على السواء ، فأمر الملك جون سنة ١٢٣٠ بحبسهم في جميع أنحاء المملكة البريطانية وأمر الملك هنري الثالث بحبسهم وتعذيبهم بعد أن اكتشف انتقاصهم لجزء من الذهب والفضة المخصص للعملة وتداولها مما أدى إلى أزمة اقتصادية ، وصادر ثلث أموالهم المنقولة وضمها إلى خزينة الدولة ، وأصدر الملك إدوارد الأول سنة ١٢٧٢

مرسوما ملكيا بتحريم الربا والرهنات لما تبين له من امتصاص اليهود لأموال البلاد بواسطة الربا والرهنات الذين يمارسهما اليهود . لكن اليهود وما جبلوا عليه من جشع وطمع لم يبالوا بهذا المرسوم الملكي بل استطاعوا امتصاص ذهب الدولة وتشويه العملة وإنقاص وزن النقد .

ولما كانت بريطانيا غير واقعة في ذلك العهد تحت سيطرة اليهود المادية والمالية والعنوية وغير متأثرة بدعايتهم فقد أمرت حكومة بريطانيا بإجراء محاكمة عادلة للغشاشين ولصوص الذهب وحكم بإعدام ٢٠٠ يهودى سنة ١٢٨١ م .

ولم يهرب اليهود هذا القصاص فاستمروا ينفذون خططهم الجهنمية لامتناس دماء الشعب البريطانى والسيطرة على مقدراته والتهمج على مقدساته ، فما كان من الملك إدوارد إلا أن أصدر مرسوما ملكيا سنة ١٢٩٠ يقضى بطرد اليهود من بريطانيا في غضون ثلاثة أشهر .

ولم يصبر الشعب البريطانى حتى تنقضى المدة ويتخلص من اليهود نهائيا ، بل هجم على تجمعاتهم قتلا وحرقا . وفي قلعة يورك احتضى جمع من اليهود استطاع الإنجليز مهاجمتهم وإشعال النار فيهم فأحرقوا خمسمائة منهم مما دعا الملك إدوارد إلى الإسراع بإجلالهم عن البلاد قبل أن يفكك بهم الشعب في كل مكان . لكنهم شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلمين يهوديتهم بعد أن دفعوا ثمن عودتهم رشوة إلى ذلك الطاغية ، وهكذا ومنذ سنة ١٦٥٦ عاد التغافل اليهودى التدريجى في الحياة البريطانية في فترة غلبت فيها سياسة التسامح والتغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

٢ - في فرنسا :

وكذلك فعل الفرنسيون باليهود ، ذبح وقتل وحرق وتشريد وطرد من البلاد بعد أن اختنق الشعب الفرنسى بالضغط الاقتصادى الناجم عن

جشع اليهود ومؤامراتهم وتعاملهم بالربا الفاحش وسعيهم الخبيث لتدمير القيم الأخلاقية، وتقويض أسس الحياة الاجتماعية، ولم تنج الكنائس في فرنسا من إرهاب اليهود، ومن وقوعها في براثن الديون التي تضاعفت بأسباب الربا الفاحش والتلاعب بالرهونات فطردهم لويس أغسطس من البلاد، ثم تسللوا إلى البلاد بعد عشرين عاماً، وألغى لويس التاسع^(١) ثلث ما كان لهم من ديون على الحكومة وبالقياس ألغى ثلث ما كان لهم من ديون على الكنائس وعلى أفراد الشعب ثم أصدر أمراً ملكياً بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود. وطردهم فيليب الجميل، وأصابهم من القتل والنهب شيء كثير، ثم تسللوا إلى البلاد في سنة ١٣٤١.

وهاج الشعب في فرنسا الوسطى وذبجوا من اليهود أعدادا كبيرة وطردوهم ولم تأت سنة ١٣٩٤م وفي فرنسا يهودى واحد. إنها لعنة الله تلاحقهم أنى كانوا حسب نبوءات أنبيائهم من موسى إلى عيسى من التوراة والأنبياء والمزامير والإنجيل. إنها لعنة الله من خلال كتبهم ركنة عقيدتهم وإيمانهم.

ثم تسلل اليهود بعد تشردهم من أسبانيا إلى فرنسا ووجدوا فيها مصاعب جمة. ولم يؤذن لهم بالسكنى في المدن إلا في أواخر القرن السادس عشر. وفي إبان الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٠ استغلوا ميرابو فدافع عن حقوقهم في المساواة بسائر السكان، ثم حاول نابليون بونابرت استغلالهم لمساعدته على تحقيق أطماعه التوسعية في الشرق العربي، فخانوه، وحينما أخفق وعاد إلى فرنسا قال عنهم: «إنهم حثالات البشر وجراثيمه».

٣ - في ألمانيا :

انتشر اليهود في ألمانيا في القرن الثامن وسكنوا المدن الواقعة على ضفاف

The Jewish Problem, Louis Golding—Hazell London, 1939. (١)

نهر الرين ، ومنحهم الشعب الجرمانى فرصة العيش الكريم بيد أنهم عجزوا عن تغيير عاداتهم وأخلاقهم السيئة وجشعهم وحبهم للكسب الحرام والربا الفاحش ، وحينما عيل صبره أخذ يفتك بهم ويطاردهم ويجليهم عن الأماكن الاستراتيجية التى استقروا فيها ، وذبحوا وطردهوا من جميع المناطق الألمانية فى أزمنة مختلفة وعلى مر السنين .

وكما تسلوا إلى البلاد واستقروا بعض الوقت هب الشعب للفتك بهم وإجلائهم عن البلاد وتدمير أحيائهم التى كانوا يعيشون فيها بعيدين عن الشعب مفضلين العزلة والانطواء على أنفسهم حتى لا يختلطوا بالمسيحيين « الكفار الملحدين Gentiles » .

٤ - فى اسبانيا :

بالرغم من موجة الاضطهادات التى واجهها اليهود فى أوروبا الوسطى إلا أنهم لا قوا كل رعاية وحرية وإحسان فى اسبانيا إبان حكم الدولة الأموية لها ، وفى رحاب المسلمين والإسلام استظلوا بظلال السعادة والرفاهية فانتعشوا وتضاعفت ثروتهم وتزايدوا حتى صاروا حوالى نصف مليون نسمة ، وحينما أقل نجم العرب من سماء الأندلس بدأ اليهود يلاقون المصاعب والويلات نتيجة تغلغلهم فى الحياة الأسبانية وسيطرتهم على اقتصاديات البلاد .

فقد استطاعوا عن طريق الربا الفاحش أن يستولوا على أملاك الشعب وعقاراته ، ولم تنج الكنائس من سطوتهم ، فقد كان أكثر أملاكها مرهونا لليهود .

ثم اشتعلت نيران الخلافات الدينية بين الإكليروس وحاخامات اليهود فهب الشعب يدافع عن نفسه ويفتك باليهود ويبطش بهم ، مستخدما

محاكم التفتيش تارة والهجوم الشعبي المفاجيء تارة أخرى ، ووصلت موجة البطش باليهود ذروتها في عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا، فبعد أن أعيتهما الحيلة في محاولة بائسة لحل المشكلة اليهودية في أسبانيا وجدا أن الوسيلة الوحيدة لحلها هو طردهم من أسبانيا ، منعا للمذابح وحقنا للدماء وإنقاذاً لهم من غضبة الشعب الذي كفر بهم ولم يطق العيش معهم ومجاراتهم في عاداتهم وأخلاقهم العجيبة . وصدر المرسوم الملكي في ٣١ مارس « آذار » سنة ١٤٩٢ م ونص بالآتي : « يعيش في مملكتنا عدد غير قليل من اليهود . ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتي عشرة سنة ، وهي تعمل دائماً على توقيع العقوبة على المذنبين وبناء على التقارير التي رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت أن الصدام الذي يقع بين المسيحيين واليهود يؤدي إلى ضرر عظيم ، ويؤدي بالتالي إلى القضاء على المذهب الكاثوليكي . ولذا قررنا نفي اليهود ذكورا وإناثاً خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد .

«وعلى اليهود جميعا الذين يعيشون في بلادنا ويسيطرون على ممتلكاتنا — ومن غير تمييز في الجنس أو السن — أن يغادروا البلاد في غضون فترة أقصاها نهاية شهر يوليو من نفس العام ، وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أي ظرف أو أي سبب .

«ومن أجل أن يتدبر اليهود أمورهم استعدادا للرحيل منحناهم حمايتنا الملكية لأرواحهم وأملاكهم حتى آخر يوليو ، ونسمح لهم بأن ينقلوا معهم براً أو بحراً ما يملكون من الذهب والفضة والعملية الذهبية والأشياء الأخرى التي يشملها قانون المنع العام» (١) .

٥ - في بقية دول أوروبا :

وكذلك وقع لليهود في كل من روسيا وبولندا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا وسويسرا وهنغاريا ، والمذابح التي وقعت لهم في روسيا على مرّ الأزمنة وفي مختلف العصور يعجز القلم عن وصفها . وفي إيطاليا حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم العديدة لتكفيرهم وتسفيه ديانتهم المرتكزة على التلمود .

وفي ١٢٤٢ أعلن البابا جريجورى التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود الذى يطعن في المسيح والمسيحية وشكل البابا لجنة لفحص الاتهام ، فأقرت اللجنة التهمة ، وأمرت بحرق التلمود .

وضاق الشعب بأخلاق اليهود ووقاحتهم وجشعهم فنار عليهم مرات عديدة وفي أماكن مختلفة من البلاد وخاصة في نابولى التي فتك بهم شعبها وطرده البقية الباقية منهم عام ١٥٤٠ (١) .

ويبدو أن اليهود قد تفننوا في التجارة حتى استطاعوا استغلال اللاسامية ومناوأة أوروبا لهم لصالحهم يذكون نار المناوأة ويؤججون ضرامها كلما خبت جذوتها وكانهم يرون الاضطهاد عنصرا من عناصر بقائهم وديمومتهم .

وأول من أضرم جذوة اللاسامية هرتزل بقوله : « من السخف أن ننكر وجود مشكلة يهودية ، فإنها موجودة حتما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد في جهة ما لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التي لا نضطهد فيها ، ولكن ظهورنا يحمل على اضطهادنا » .

ولعل أقرب دليل على ذلك هو قضية دريفوس ١٨٩٤ - ١٩٠٦ ذلك الضابط الفرنسى اليهودى الذى حكم عليه بالإعدام سنة ١٨٩٤ في المحاكمة الأولى بتهمة الخيانة العظمى لنقله الأسرار الحربية العسكرية إلى ألمانيا . وكان منظر

المظاهرات المعادية لليهود في باريس - في الوقت الذي كانت المعركة فيه متأججة حول قضية دريفوس - هو الذي حوّل الصحافي النموي تيودور هرتزل من داعية قوى من دعاة اندماج اليهود مع مواطنيهم إلى كونه رسولا مبشرا بالصهيونية.

تسرب إسرائيل إلى الدول التي اضطهدتهم وتسلمهم إليها

١ - في فرنسا :

مالبت النفوذ اليهودي أن تغفل في فرنسا بعد تبرئة ذلك الضابط الفرنسي اليهودي « دريفوس » ، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر غدت فرنسا عميلة مسخرة لتحقيق أهداف الصهيونية واليهودية العالمية إلى عهد قريب .

٢ - في إنجلترا :

تسلل اليهود إلى إنجلترا وتغلغل نفوذهم فيها حتى عملت إنجلترا على ترضيتهم بمنحهم وعد بلفور وتحقيق هجرة غير مشروعة إلى فلسطين ، ومع هذا فلم يلبثوا أن تصدوا لخالفقيهم وأذاعوا دعاية مفرضة ضد بريطانيا منتهزين حادثة الباخرة اكسودس مناسبة يستفيدون منها ، فالتقطوا أفلاما سينمائية لأولئك المهاجرين المحتشدين في قبرص ، ولم يتركوا داراً من دور السينما في الولايات الأمريكية المتحدة إلا عرضت فيها صور أولئك التعمساء المشردين !! وتتلخص الحادثة في أن الباخرة « اكسودس » كانت تنقل عدداً من المهاجرين اليهود غير الشرعيين إلى فلسطين ، فاعترضتها في عرض البحر قوة بريطانية مسلحة ، مما أدى إلى وقوع الاصطدام بين المهريين اليهود وجنود الإمبراطورية البريطانية ، وبعد معركة دامية استمرت حوالي ثلاث ساعات قتل خلالها ثلاثة أشخاص وجرح ٢١٧ شخصاً تمكن الجنود البريطانيون من نقل المهاجرين اليهود إلى ثلاث سفن حملتهم إلى جزيرة قبرص لإعادتهم إلى بلادهم .

ولقد عرضت الحكومة الفرنسية على زعماء الصهيونية إيجاد الملجأ الأمين لأولئك المهاجرين ، إلا أن زعماء الصهيونية رفضوا هذا العرض وتابعوا حملتهم مما اضطر الحكومة البريطانية إلى نقل المهاجرين إلى مرفأ هامبورج في ألمانيا .

أما عن الأثر الذي تركته هذه الحادثة :

فقد ثار الرأي العام الأمريكى ، واندفع يصب جام غضبه ونقمته على بريطانيا ، حتى أن بعض القنصليات البريطانية في نيويورك وغيرها من مدن أمريكا قد رشقت بالحجارة ، كما كتبت على جدرانها العبارات العدائية .

وأكثر من ذلك .. فقد انتقم الصهيونيون من البريطانيين ، وفيما كانت الصهيونية تمضى في غيها وبينما كان اليهود يتعامون عن هذه الأعمال الإرهابية ، ارتفع صوت يهودى حر يندد بالصهيونية وكان لهذا التنديد دوى الماصفة .. لقد قال الدكتور ما غنز : « لقد كنا نعتقد أن الصهيونية ستعمل على تخفيف الحملة ضد السامية في العالم ، ولكننا رأينا العكس تماماً .. فقد ازداد أعداؤها » .
وأيد أيفشتاين الدكتور ما غنز بتصريحه : « إننا نتوجه إلى اليهود في أمريكا وفي فلسطين بالألا يتركوا نفوسهم تتردى في يأس قاتل أو بطولة زائفة قد تؤدى بهم إلى مهاوى الدمار والانتحار » .

٣ - في ألمانيا :

تسلل اليهود إلى ألمانيا وأنثروا ثراء كبيراً ولكن سرعان ما اضطهدوا وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد هتلر ابتداء من السنة التي تولى فيها حكم ألمانيا عام ١٩٣٣ إلى السنة التي انهارت فيها إمبراطوريته عام ١٩٤٥ .

فالجرأيم التي نسبت لليهود هي : الربا ، والسيطرة على مقومات

اقتصاد الدولة ، وتدمير الوطن سياسيا واقتصاديا وعسكريا بالتآمر عليه مع الأعداء ، ومحاربة القيم الأخلاقية والتشكيك في كل دين يتعارض مع ديانتهم ، هذه الجرائم إنما كانت من نتاج أفكار أحبارهم وكهنتهم التي جاءت في نصوص التلمود وجاءت في مقررات حكماء صهيون — هذه الجرائم هي التي دفعت هتلر إلى أن يتخلص منهم بطريقة التي رأى أنها تناسب مع جرائمهم .

٤ - في روسيا :

انبتق من شعور اليهود بأن الأمم تضطهدهم عاملان في اتجاهين متوازيين ولكنهما سرعان ما يلتقيان ليعملا معا لتحقيق هدف واحد :

الاتجاه الاول :

أنهم ملوك الصيرفة والمال ، الأمر الذي سبب لهم مناوأة الشعوب الأوربية بسبب سيطرتهم على اقتصاد البلاد .

الاتجاه الثاني :

أنهم زعماء الحركات الثورية والانتقاضية وإليهم ينسب قسط كبير من الفوضى المنتشرة في كل جهة ، فمنهم رؤساء الأحزاب الاشتراكية المتطرفة ، ومنهم أركان النظام البلشفي وناشرو دعوته في العالم .

فحينما قامت الثورة البلشفية كانت نسبة اليهود في المكتب السياسي

٨٥ ٪ موزعة كما يلي (١) :

١ - لينين	؟
٢ - ستالين	متزوج من يهودية
٣ - تروتسكي	يهودي

- ٤ - كامينيف
يهودى
٥ - سوكونكوف
يهودى
٦ - زينوفيف
يهودى
٧ - بينوف
مسيحي

وسأنى تفصيل التغافل الصهيونى فى الباب الثانى لبيان مدى تغافلهم فى مجلس إدارة الحزب والثورة وفى الدوائر الرسمية بعد الثورة البلشفية بعام واحد (١) .

توافق الاتجاه المالى مع الاتجاه النورى :

قد يبدو أن الاتجاهين يسيران فى طريقين متضادين لكن الصهيونيين بمخططاتهم وبوكالة اليهود العالمية استطاعوا السيطرة والتحكم فى الاتجاهين لصالح الصهيونية .

ولعل من الأمور المقررة أن حالة الاضطراب كثيرة الملامة لأرباب الصيرفة والمضاربة ، ولاسيما إذا كانت لديهم معلومات صادقة . وكان تشتت اليهود فى أرجاء الأرض ، وإذلال الشعوب الأوربية لهم ، هو ما جعلهم يتعاطفون بعضهم مع بعض تعاطفا وثيقا ، ومن هذا التعاطف كانوا يقفون على مجرى الحوادث فى مختلف البلدان ، وهذا ما يسر لليهود حصيلة طيبة من المعلومات والأنباء العالمية ، وقد أنشأوا مصالح خصيصا لهذا الغرض ، ومن قبل كان الإثراء المالى يتوقف على السبق إلى المعلومات الصحيحة .

ومن يرجع إلى تاريخ الثروات التى جمعها بعض الأسر اليهودية المشهورة كأسرة « روتشيلد » يجد أن منشأها كان بسبب الحصول على معلومات سياسية أو حربية ذات شأن والاستفادة منها قبل انتشارها ، وهذا بفضل

ما بينهم من الصلات الوثيقة والروابط المتينة بالرغم مما يفصلهم من المسافات .
والأمر الذي تجدر ملاحظته هو أن الطائفتين المتقدمتين الذكر تعملان في خارج الخيز الوطني ، فإن مراميهما دولية لا قومية ، فمن جهة يجاهر دعاة الاشتراكية بأن غرضهم إزالة الفوارق بين الأمم ، ووحدة العمال من كل الدول لمناهضة الرأسمالية والسلطة ، وبذلك يعملون على إضعاف الرابطة القومية .
ومن جهة أخرى يجاهر الرأسماليون بممارسة أعمالهم في جهات مختلفة ومصالحهم مشتتة في بلدان متعددة وهم قلما يشتركون في حياة الأمة والإحساس بكيانها .
وإنما تهمهم حياتها الاقتصادية ، وقد قيل إن اليهود حتى في حالة انضوائهم تحت راية وطن من الأوطان يختلفون في نظرتهم إلى ذلك الوطن عن نظرة بقية المواطنين ، فإن وطنهم الاقتصاد ، بعكس أبناء البلاد الأصليين الذين يحسون أن وطنهم هو الأرض الطيبة مسقط رؤوسهم والتي ارتووا من مياهها واستظلوا بسماؤها .

ومن ثم كان ما وجه إليهم من العداوة والمفاواة أمراً ناشئاً من حياتهم المغلقة والتي تعرف « بنظام الجيتو » .

الحركة القومية

كانت حركات الوحدة في كل من إيطاليا وألمانيا تستند إلى الشعور القومي الذي نما في كل منها بدرجة متزايدة في القرن التاسع عشر . أما في إيطاليا فإن جذوره تمتد إلى أواخر العصور الوسطى وإلى عصر النهضة حيث قام الرواد مثل دانتي الذي دعا إلى رفع مستوى اللغة العامية إلى لغة وطنية ، ومكيا فيللي الذي عبر عن آماله في تحقيق وحدة إيطالية تحت زعامة فلورنسا ، ودعا إلى استخدام مختلف الوسائل حتى ولو كانت غير خلقية لتحقيق هذا الأمل الكبير . وسجل مكيا فيللي هذا الأمل في كتابه « الأمير » والذي اعتبره

الملك عمانوئيل « إنجيلا » له على الرغم من مرور حوالى ثلاثة قرون على كتابته . وقد اشتدت هذه الرغبة القومية الملحة فى القرن التاسع عشر وأصبحت تجيش فى صدر كل إيطالى من الرجل العادى إلى أكثر الناس ثقافة ، وعبر الإيطاليون عن هذه الرغبة بوسائل مختلفة مثل تأليف الجمعيات التى جمعت أفرادا من الطبقات الشعبية ، والقيام بالثورات ، وتنظيم الجيوش لمحاربة العدو .

أما فى ألمانيا ، فقد نما الشعور القومى على يد فئة من الوطنيين المفكرين أمثال شتاين ، وهادنبرج ، وكذلك بفضل الكتاب والشعراء والأدباء الذين جعلوا ألمانيا قوة فى عالم الأدب والعلم ، ثم بفضل ظهور النظريات السياسية على يد هيجل الفيلسوف الكبير ، فقد بشر بنظرية خاصة للحكم وجدت قبولا عند البروسيين ، وهى الاعتقاد بأن الدولة بمثابة إله على الأرض ، وأن الحق يجب أن يدعم بالقوة ، بل إن الحق هو القوة ، ومن أجل تحقيق قوة الدولة يجب على الملايين من المواطنين أن يمدوا أنفسهم للعمل ، وتحمل الآلام والتضحية حتى بالنفس .

وقد قبل بسمارك هذه الدعوة وآمن بها ، ومن ثم استخدم جميع الوسائل الشريفة وغير الشريفة لتحقيق أغراض الدولة .

ولقد اتفق لإيطاليا ظهور شخصيات ثلاثة كانت إيطاليا فى حاجة إليها بعد قرون طويلة من الانقسام ، وهم : ما تزينى الذى اشتهر بحماسة وعاطفته الوطنية ، وغاربيالدى الذى امتاز ببطولته الحربية ، وكافور الذى ضرب مثلا عاليا فى الحنكة السياسية ، حتى ليقال إن ما تزينى كان روح الوحدة الإيطالية ، وغاربيالدى ساعدها ، وكافور رأسها المفكر .

أما ألمانيا فقد ظهر فيها بسمارك الذى جمع بين الدهاء السياسى والحماصة

القومية والمهارة الحربية ، وساعدته كل هذه الصفات على أن ينقذ ألمانيا من الانقسام ويلم شملها ، ويجعلها من أقوى الدول على مسرح السياسة الأوروبية .
أما في مصر فقد انبثقت ثورة ٢٣ يوليو « تموز » ١٩٥٢ ، وبدأت معالم القومية العربية تتحدد على أثر دراسة الماضي والحاضر والمستقبل .

وكان الهدف العظيم للقومية العربية هو تحقيق الوحدة . . . الوحدة الحقة الشاملة بين أجزاء الوطن العربي جميعا لأن الوحدة هي سبيل القوة وسبيل الرقي ، وهي الطريق الوحيد لصنع كيان عربي متماسك يستطيع مجابهة محاولات السيطرة والتحكم ويستطيع الوقوف أمام الأطماع الاستعمارية التي تبغى استنزاف الثروات الهائلة الكامنة في المنطقة العربية واستغلالها استغلالا لا يضع أية اعتبارات لصالح أصحاب هذه الثروات الأصليين أو لحقوقهم في النمو والتقدم .
ولقد حاول الاستعمار دائما بكل وسيلة من الوسائل — حينما شعر أن أطماعه تقف دونها قوة العرب وتضامنهم وتصميمهم — أن يفتت الأمة العربية وأن يقضى على قوتها بتفتيتها . واستطاع الاستعمار في فترة من الزمن أن يحقق أهدافه ويحقق أغراضه ، ولكنه لم يستطع أن يقضى على القوة الكبرى التي تسكن في قلب كل عربي ، وكان خوف قوى الاستعمار الغربي من نمو حركة القومية العربية من أكبر الأسباب التي دفعت بريطانيا إلى إعطاء وعد بلفور المشثوم لتقوم في فلسطين دولة لليهود تحقق على حد تعبير تشرشل Churchill فاصلا على الأرض العربية يحجز مصر بإمكانياتها عن المشرق باحتمالانه ومركزا لحماية المصالح البريطانية إذا ما اضطرت بريطانيا وحلفاؤها إلى الجلاء عن البلاد العربية .

ولقد اغتصبت الصهيونية قطعة عزيزة من الأمة العربية ولم تنته جريمتها بذلك . . . بل ما فتئت تعتدى على حدود الدول العربية وتثير الاضطرابات (٣٢ - إسرائيل)

والقلاقل وتحريك المؤامرات والفتن الأمر الذي يهدد سلام وأمن الأمة العربية .
إن لم يهدد سلام وأمن منطقة الشرق الأوسط كلها وبالتالي العالم أجمع . وعلى
هذا فإن قيام إسرائيل هو أثر مباشر من آثار الصدام بين حركة القومية
العربية وبين قوى الاستعمار الغربي الأنجلو أميركي .

الحركة الصهيونية

وترجع الحركة الصهيونية إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهي
تستند حسب ما يزعمون إلى أسانيد من التوراة فيها إشارة إلى عودة اليهود
إلى وطنهم وإعادة بناء هيكل سليمان . ولقد أتيت على هذا الزعم تفنيديا بأسس
علمية بحتة في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومن ثم فإن استمرار عويلهم أمام حائط المبكى وهو الأثر الباقى من
إطلال هيكل سليمان منذ نفيهم وتغريبهم في الشتات إنما هو إفصاح عن العاطفة
المتأججة في نفوسهم وإفصاح لعصيانهم الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ونبذهم
لكلمات الله وراء ظهورهم .

وقد قوى هذه الدعوة إلى الصهيونية انتشار النزعات القومية في أوربا
مما دعا الصهيونيين إلى الدعوة إلى إنشاء وطن قومي لليهود يجمع شملهم ، ومع
هذا فإن الروح الدينية ما برحت أن أصبحت الباعث الأول والدافع الأكبر
للصهيونية .

والصهيونية مذهب ديني في ثوب وطني . وقد خطت الفكرة الصهيونية
الخطوة الأولى في حيز التنفيذ عام ١٨٨٢ . ثم انعقد أول مؤتمر صهيوني عام
١٨٩٧ وتم فيه التخطيط للدعوة الصهيونية ، فارتبط المؤتمر الأول بالاضطهاد
الأول الذي أصابهم في روسيا . وارتبط المؤتمر الثاني بالعداء الفرنسي لليهود

التخطيط اليهودي العالمي :

دفعت التعاليم اليهودية — في التوراة « العهد القديم » وفي التلمود — اليهود إلى السعى الدائب من أجل السيطرة على العالم وتسخيره لخدمة الشعب المختار !!

ومن أجل تحقيق أهدافهم أنشأوا الجمعيات والمنظمات التي تولت أمر التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود للوصول إلى أهدافهم . ويكون اليهود في العالم حكومة مركزية مستورة يديرها ٣٠٠ ثلاثمائة عضو ممن أطلقوا على أنفسهم لقب حكماء صهيون ، ينتخبون دائماً منهم شخصاً يعتبرونه ملكاً وارثاً لملك داود وسليمان ، ولا يعلنون عن اسمه ، وكلما مات ملك عينوا بدلاً منه من بين أحبار اليهود ، ولا يخفي اليهود خططهم هذه ، واعترف بها كثير من كتابهم ورجال الدين والمال فيهم . وقد ذكر المليونير اثنو Walter Rathenau في جريدة ألمانية The Wiener Press بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٠٩ : « هنالك ٣٠٠ ثلاثمائة رجل كل منهم يعرف زملاءه الآخرين ، يتحكمون في مصير أوروبا ، إنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها » .

وقد عمد اليهود إلى تنفيذ خطط عديدة للوصول إلى أهدافهم ، ولم يبق شيء من جميع خططهم سراً من الأسرار ، إذ كشفت هذه الخطط خطبة ألقاها الخاخام Riechon في اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قديسهم « سيمون بن يهودا » في مدينة براغ سنة ١٨٦٩ ، ونشرت الوثيقة في مجلة Cantemporain بتاريخ ١ / ٧ / ١٨٨٠ من قبل السير جون ردكليف (١) .

(١) The Key to the mystery — Christian Nationalist, Missouri , 1938 .

ومن هذه الوثيقة تتكشف أسرار خططهم ووسائل الدعاية ومما جاء فيها :

« لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا ، أمر الاجتماع مرة على الأقل في كل قرن ، حول قبر أستاذنا الأعظم الرابي المقدس سيمون بن يهودا ، الذي تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل سيطرة على جميع العالم ، وسلطة على نسل يهوذا .

« وها قد مضى ثمانية عشر قرنا على حرب يهوذا من أجل تلك السيطرة التي وعد بها أبراهام ، والتي اغتصبها الصليب ، ورغم أن شعب اليهود قد ديس بالأقدام ، وأهين من قبل أعدائه ، وكان على الدوام مهددا بالموت والاضطهاد والاعتصاب وجميع أنواع الشدائد فإنه لم يستسلم ، وإذا كنا قد انتشرنا في جميع أنحاء العالم فذلك لأن العالم كله ملك لنا » .

لقد انطوى اليهود على حب الانتقام ، وباتوا على مر الأجيال المتعاقبة يناوئون الشعوب التي تحتضنهم وترعاهم ، ولا يتورعون عن الاعتراف بهذه الروح الشريرة ، فما جاء في تلك الوثيقة في هذا الصدد :

«ومنذ قرون عديدة حارب حكامنا الصليب بشجاعة وعزيمة لاتغلبان . إن شعبنا يخطو شيئا فشيئا نحو القمة ، وفي كل يوم تزداد قوتنا ، نحن نملك آلهة هذا العصر . تلك الآلهة التي نصبها لنا هارون في الصحراء . إنه العجل الذهبي الذي عبدناه ، والذي يعتبر اليوم إله العالم أجمع » .

ومن هنا تتكشف خططهم ووسائلهم الدعاية وتصميمهم على تحقيق أهدافهم ، فما جاء في تلك الوثيقة في هذا الصدد :

« ومنذ اللحظة التي نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب في العالم فإن

القوة الحقيقية تصبح ملك أيدينا ، وعندئذ نحقق الوعود التي قدمت لأبراهام .

١ — فالصهيونية والصهيونيون يملكون شركات الإعلان ، ووكالات الأنباء العالمية ، فتحسب الصحف الكبيرة قبل الصغيرة حسابهم ولا تقورع عن خدمتهم ، أو السكوت عنهم على الأقل وكتمان سيئاتهم ومآربهم .

٢ — وهم يملكون دور النشر ، ودور الطبع ، ودور التأليف والترجمة ، فيحسب المؤلفون والصحفيون والإذاعيون حسابهم ، وفي هذا الصدد تكشف الوثيقة بقولها : « إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هي القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة وأن نبذل المال لمن نجدهم على استعداد لتقبل الرشوة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والفضائل . »

٣ — وهم يملكون أكبر الجوائز العالمية العالمية ، من قبيل جائزة نوبل بالسويد ، وجائزة بولتايير بالولايات المتحدة الأمريكية ، لأن نوبل نفسه كان يهوديا ، ولجان التحكيم في الولايات المتحدة لا تخلو من اليهود أو من يسيطر عليهم من اليهود بوسائل الإعلام .

٤ — ويملك الصهيونيون أسهما وافرة في شركات السينما والتليفزيون ، وينتسب إليهم عدد كبير من الممثلين والممثلات ونقاد السينما والمسرح والتليفزيون .

والدليل قائم بين أيدينا في فيلم « الإنجيل » (١) .

(١) مجلة الكواكب العدد ٨١٠ في ٧/٢/١٩٦٧ بعنوان « امنعوا هذا الفيلم » للمحقق توفيق حنا .

فالفيلم مخطط استعماري أنتجه صهيونيون قادرون على كل شيء وهدفوا إلى تعميق المفاهيم بأن ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات وأن الذبيح الذي قدمه إبراهيم والذي افتداه الله يقولون إنه إسحق .

فالفيلم بوضعه دعاية صهيونية وإثارة فتنة في البلاد العربية عنم هو الذبيح: أهو إسماعيل أم إسحق؟ وما يترتب على هذا من ميراث لأرض الميعاد.

ثم هدف الصهيونية في نشر هذا الفيلم باختيار التوقيت قبل العدوان على الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦٧/٦/٥ لضمان صداقة الشعوب الإمبريالية لها ومساندتها لإسرائيل فيما إذا وقع اعتداء على البلاد العربية .

٥ — وتكشف الوثيقة عن جانب خطير بأن « الذهب أعظم قوة في عالم البشرية ، إنه قوة وفي الوقت نفسه هبة . إنه يؤمن جميع أنواع السعادة ، تلك التي يحشاها المرء ويشتهيها في آن واحد . هناك يكمن السر ، وعمق المعرفة بالروح التي تحكم العالم، هنالك تملك المستقبل . »

٦ — « كانت القرون الأولى الثمانية عشر التي خلت لأعدائنا ، ولكن القرن الحالى والقرون المقبلة ستكون لنا ، ويجب أن تركز لنا نحن شعب يهوذا ومن المحقق أنها ستكون لنا . إن عصور الاضطهاد والعذاب ، والأزمئة السوداء المؤلمة التي تحملها شعب يهوذا بصبر وشجاعة قد مرت بسلام ، وشكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها . وهذا التقدم هو الدرع الذى نحتجب به من ورائه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التي مازالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية . »

ويمتلك الصهيونيون من الوسائل السافرة والمقنعة الوسائل الفنية والمالية للتأثير على الساسة والنواب المرشحين لمرأ كز الزعامة والمتنازعين على الأصوات في مواسم الانتخابات . والوثيقة تحفز بنص العبارة :

٧ — « علينا أن نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية . لا بد أن نتسلم مناصب رئيسية في القضاء والوزارات الرئيسية والجامعات ، وأقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسي ، والآداب والعلوم ، وأهمها جميعاً الطب لأن الطب يطلع على أسرار العائلات ويتغلغل في صميم الحياة البشرية في حياة أعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شيء لديهم الصحة والجمال» .

وليس استخدامهم لوسائل الجمال « النساء » في هذه المعارك وما إليها بأقل من استخدامهم لوسائل المال :

٨ — « علينا أن نشجع الزواج من المسيحيات . ولن نخسر شيئاً من جراء ذلك الاختلاط بل لا بد أن نكون الراجحين . وقد توصلنا إلى المصاهرة بالأسر المسيحية الكبيرة مما يمكننا من السلطة ومقاليد النفوذ في جميع الدوائر . فلنشجع إذن الزواج العرفي يعقد أمام السلطة المدنية ولنجارب الزواج الديني الذي يعقد في الكنيسة» .

ثم تسترسل الوثيقة بالتوصية فتقول :

٩ — « شعبنا محافظ ، مؤمن متدين ، ولكن علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر من أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد» .

هذه بعض أسرار مقررات صهيون ، ومن تعاليم التهود ما هو أدهى :

« يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا في الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم ، وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضاً وفي ذلك كله نجني الفائدة الكبرى » .

هذه هي جوانب أعمالهم الدعائية وهي تقوم أساساً على أقوال

حكاء صهيون ، وتعاليم التلمود . والتوراة إلى جانب كتاب أنها مقدس هي سجل واف عن تاريخ إسرائيل . وبدراسة تحليلية لسفر استير^(١) يتأكد لنا مدى تطبيقهم لتعاليم التلمود بزواج استير بالملك أحشويرش ملك فارس دون أن تخبره عن شعبها ولا عن جنسها ، وكان لجمالها الفتان ماجعل الملك يتوجهها ملكة دون مناقشتها عن شعبها ولا عن جنسها ، وقد أدت دورها في نجاة بني إسرائيل من مؤامرة حبكها ضدهم هامان رئيس وزراء الملك أحشويرش بل أكثر من هذا استطاعوا أن ينتقموا من أعدائهم .

تضافر القوى التبشيرية مع قوة الدعوة الصهيونية .

لعلى في كتابي « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي الإسلامي » وهو خلاصة تجارب وخبرات في العمل التبشيري تحت لواء سنودس النيل الإنجيلي متضافرا مع الإرسالية الأمريكية في مصر والسودان ، لعلى في كتابي هذا قد كشفت وقائع وحقائق تؤكد أن التبشير والاستشراق ما هما إلا عيون وآذان صاغية وعقول مستنبطة للإمبريالية . والإمبريالية تعلم علم اليقين أن الشعوب العربية لا بد أن تتحرر وتمارس حقوق سيادتها واستقلالها وعلى الاستعمار أن يحمل عصاه ويرحل . فلا بد من ضمانات لتثبيت وجودها واستغلال خيرات هذه الشعوب . وواتمها فرصتها في المطامع الصهيونية نحو وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي القديم اتخذ الاستعمار طريقه إلى الشعوب الآسيوية الإفريقية بالشكل الصليبي فتكثل المسلمون في حرب دينية روحية وانتصروا وحرروا الشام من الصليبيين وأخذوا حذرهم منهم . وفي أيامنا هذه يحتفى الاستعمار أو بالحري الصليبية وراء الصهيونية وبهذه اللعبة الجديدة جعلوا من الصهيونية الإسفنجية لامتناص الثورات العربية والانتفاضات الشعبية الإسلامية .

(١) انظر استير ٢ : ٨ — ١١ ، ١٦ — ١٧ ، واستير ٧ : ٤ ، ٥ .

إن تضافر هذه القوى يتلاقى في قمته بالتعاون الوثيق بين الإمبريالية والصهيونية، ويتضح أمر المبشرين (١) المحترفين فيما يلققونه على الأديان التي ينكرونها ، ويمجدون أنفسهم على حد زعمهم لهداية أصحابها ، فإن هؤلاء المبشرين المحترفين مهرة في فنون الدعاية ، مدرّبون على تمويه الواقع وتلبيس الحق بالباطل ، فلا يشق على عقولهم ولا على ضمائرهم أن يعرضوا أحوال الناس على الصورة التي تنفر الرأي العام العالمي ، ولا سيما المتعصبون المستعدون للنفور سلفاً .

ولا أدل على ذلك من تصريح جان بول سارتر الفيلسوف الوجودي في المؤتمر الصحفي الذي عقد في ١٤/٣/١٩٦٧ عن تقييمه للأعمال الفدائية في فلسطين من « أنه لا يستطيع أن يبدي رأياً فيما يفعله الفدائيون هناك إلا إذا رأى الوجه الآخر للصورة » .

ورأى الوجه الآخر للصورة فذهب إلى إسرائيل وأخذ قراره الذي نشرته جريدة الجمهورية في ٣١/٣/١٩٦٧ قال : « إن حق إسرائيل في الوجود يجب أن يكون نقطة البدء في أي حل للمشكلة الفلسطينية » ، ولا شك أن هذا التصريح يخالف الحق والعدل بالنسبة لقضية فلسطين ، ويفضح سلوك هذا الفيلسوف تجاه « حق مصير أمة » ، وإن تنحيته للقيم الإنسانية وميثاق الأمم المتحدة في ميزانه لقضية فلسطين إنما تؤكد تواطؤه مع الصهيونية التي يتفق معها روحاً وفكراً في فلسفته التي تلغى الأديان .

وإننا أمام أزمة الأخلاق هذه وأزمة الضمير يعوزنا استخراج ميزان عدل لما ينشره الغربيون في عصرنا هذا ولتمييز الخبيث من الطيب ، وغير الخالص من الخالص .

(١) راجع « المبشرون والمستشرقون في العالم العربي الإسلامي » للدؤاف .

ويعوزنا نحن الشرقيين المفترى عليهم أن نحسن الوزن بهذا الميزان لفهمهم ما يقال كما ينبغي أن يفهم ، وإذا وقفنا عند حد الفهم فقد وصلنا إلى نتيجة سلبية قصارها أن ننفي ما يقال .

وفي المعركة المصيرية التي نواجهها ونحن أصحاب الحقوق فيها ألزم لنا من هذه النتيجة السلبية أن نقول نحن ما يثبت الحق ، وما يدفع الشبهات ، وما ينبغي أن يقال عن العرب وعن حقوق العرب السياسية وعن حقوقهم في السيادة وعن أرضهم المسلوبة فلسطين . ومن تعانق القوى الاستعمارية الممثلة في التبشير والاستشراق مع قوة الدعوة إلى الصهيونية تتمخض فلسفة في غاية الخطورة هي فلسفة التمويه على الحق بالباطل والزيف ، بالباس الباطل صورة الحق .

لقد استطاع زعماء الصهيوينيين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ السعى لإنشاء كيان خاص بهم في فلسطين ، وركزوا نشاطهم في الدوائر السياسية البريطانية حتى تم لهم ما أرادوا في تصريح بلفور في ٢/١١/١٩١٧ متخذين من اضطهاد دول أوروبا الشرقية لهم سببا يحفزهم للتجمع .

كما سعوا خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ إلى دعم هذا الكيان بإنشاء دولة لهم في فلسطين ، وركزوا أكثر نشاطهم في الدوائر السياسية الأمريكية مستغلين اضطهاد النازية لهم في أوروبا من ناحية وتشريد من بقي منهم من ناحية ثانية سببا ، وكان لازدياد نفوذهم في الدوائر السياسية في البيت الأبيض لحكومة الولايات الأمريكية المتحدة الأثر القوي الذي حقق لهم ما أرادوا بإنشاء دولة تلم شمل عصاباتهم .

ومن تنظيماهم السياسية ، من الوكالة اليهودية ومن الصهيونية العالمية ما مكثهم من التغافل والسيطرة على واشنطن حتى أن رؤساء الولايات الأمريكية المتحدة كانوا يتسابقون لاكتساب أصوات اليهود في الانتخابات

لرئاسة الجمهورية وأصبحوا مسخرين للاستجابة إلى مطالبهم حتى ولو كان على حساب حق تقرير المصير للشعوب النامية ، فعندما تنافس الحزبان الجمهورى والديمقراطى فى سنة ١٩٤٥ تسابقا إلى تأييد اليهود ، ولما تولى ترومان منصب الرئاسة أصبح أشد من سلفه روزفلت حماسة لمشكلة اليهود حتى ألح فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ على إنجلترا بأن تفتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف مهاجر يهودى جملة واحدة كحل لمشكلة اليهود المشردين فى أوروبا وحتى يصبح اليهود فى أقرب وقت ممكن أكثرية فى فلسطين فينتسنى لهم بمعونة أمريكا تحويلها إلى دولة يهودية .

الكتاب الصهيونيون

لقد كانت الدعوة لاندماج يهود العالم فى المجتمعات التى يعيشون فيها العدو الأول للصهيونية ، تماماً كما كانت العدو الأول للاسامية . ولهذا فإن العنصرية فى غياب الوحدة القومية الطبيعية ، لم تكن جوهر الفلسفة الصهيونية فحسب بل ووسيلتها إلى الوجود أيضاً .

وإنها لمفارقة تاريخية تدعو إلى التأمل أن نلاحظ هذا التطابق الغريب بين المفهوم العنصرى للصهيونية والمفهوم العنصرى للنازية ، وهو تطابق فكري أدى إلى استعمال أساليب العمل نفسها التى تجملت فى الاضطهاد العنصرى الذى مارسه الصهيونية قبل قيام إسرائيل وبعده .

كذلك حملت الصهيونية ، منذ نشأتها ، تلك النزعة الاستعلائية التفوقية التى كانت دوماً عبر التاريخ الوليد الطبيعى للفلسفة العنصرية . إن رفض الاندماج اليهودى بالمجتمعات الأخرى لم يكن مجرد نتيجة لأشواق قومية لا واقعية ، بل كان أيضاً ، وربما أساساً ، تجسيدا لتلك النزعة الاستعلائية التفوقية . وقد سخرت الصهيونية اليهودية لتأكيده وترسيخ هذه النزعة مطورة

فكرة « الشعب المختار » إلى معنى جديد كلياً عبر عنه « آهاد هاعام » في معرض حديثه عن التكتل العنصرى اليهودى بقوله : « إن أمة إسرائيل كأمة متفوقة وهى النسخة الحديثة للشعب المختار - تستطيع بهذه الطريقة أن تصبح نظاماً حقيقياً » . ولهذا تبحث الأمة اليهودية « عن مكان مستقر تعيش فيه كى تتاح لها ، مرة أخرى ، الفرصة لأن تنمى عبقريتها الخاصة وتحقق رسالتها كأمة متفوقة » .

وفى ذلك الوقت الذى كان الاستعمار البريطانى يبلور فيه خطته المبكرة بشأن فلسطين ، ويفتش عن أداة لتحقيقها ، كانت الصهيونية قد ظهرت للوجود وخطت بعض الخطوات فى طريق تبلورها السياسى من موسى هيس . . . إلى ليو بنسكر . . . إلى ثيودور هرتزل ثم حايم وايزمن .

وقد طرحت الصهيونية نفسها منذ البدء مستغلة الاضطهاد الذى كان يعانىه اليهود فى بعض البلدان من أوروبا الشرقية ، كمحاولة سياسية منظمة لإعطاء حل جديد وشامل لجميع يهود العالم .
فى سنة ١٨٩٢ كتب ليو بنسكر أحد زعماء الصهيوينيين الأوائل فى كتابه « التحرير الذاتى » يقول : « إن العالم يحتقر اليهود لأنهم لا يشكلون أمة . والحل الوحيد لهذه المشكلة هو فى خلق قومية يهودية يعيش فيها الشعب فى وطنه الخاص » .

وفى سنة ١٨٩٩ قال دافيد تريبش : « يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على أن تكون البداية متركزة على الأطراف . هذه هى الصهيونية الواقعية الممكنة » .

ويقول ثيودور هرتزل : « إن فلسطين التى نريد هى فلسطين داود وسليمان » .

فالصهيونيون يتمسكون بزعمهم أن أرض الميعاد هي « فلسطين داود وسليمان » لأنها هي الأرض التي قامت فيها دولتهم سنة ١٠٠٠ ق. م ، بعد أن تاهوا في الصحراء .

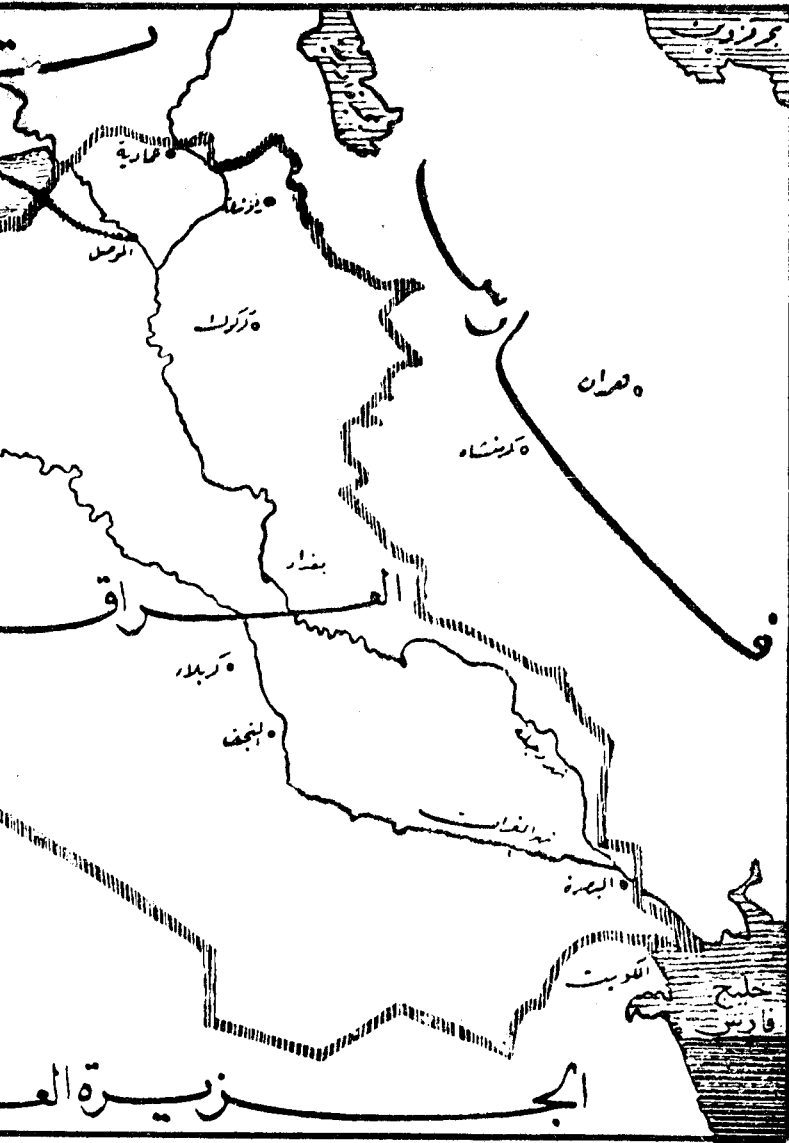
أومن فلسطين هذه خرجت أسس دعوة التوحيد التي تبناها اليهود ، وفيها تولى كثير من حكامها اليهود وملوكهم الذين رفعوا راية اليهودية من أمثال داود وسليمان .

وفي هذا يقول ثيودور هرتزل : « إن أرض سيناء ، والعريش هي أرض اليهود العائدين إلى وطنهم » . بل للوصول إلى فلسطين يقول ثيودور هرتزل : « إن قبرص ليست سوى خطوة إلى فلسطين » .

ويقول دافيد تريتس : « إن قبرص هي جزء من فلسطين الكبرى » . فالصهيونيون لم يكتفوا بفلسطين وحدها ، وإنما أضافوا إليها شبه جزيرة سيناء القائمة في شمال شرق مصر ، والتي تصل آسيا وأفريقيا ، وكانت حجبتهم في ذلك أن هذه المنطقة نزلت فيها تعاليم ومبادئ الدعوة اليهودية على موسى عليه السلام .

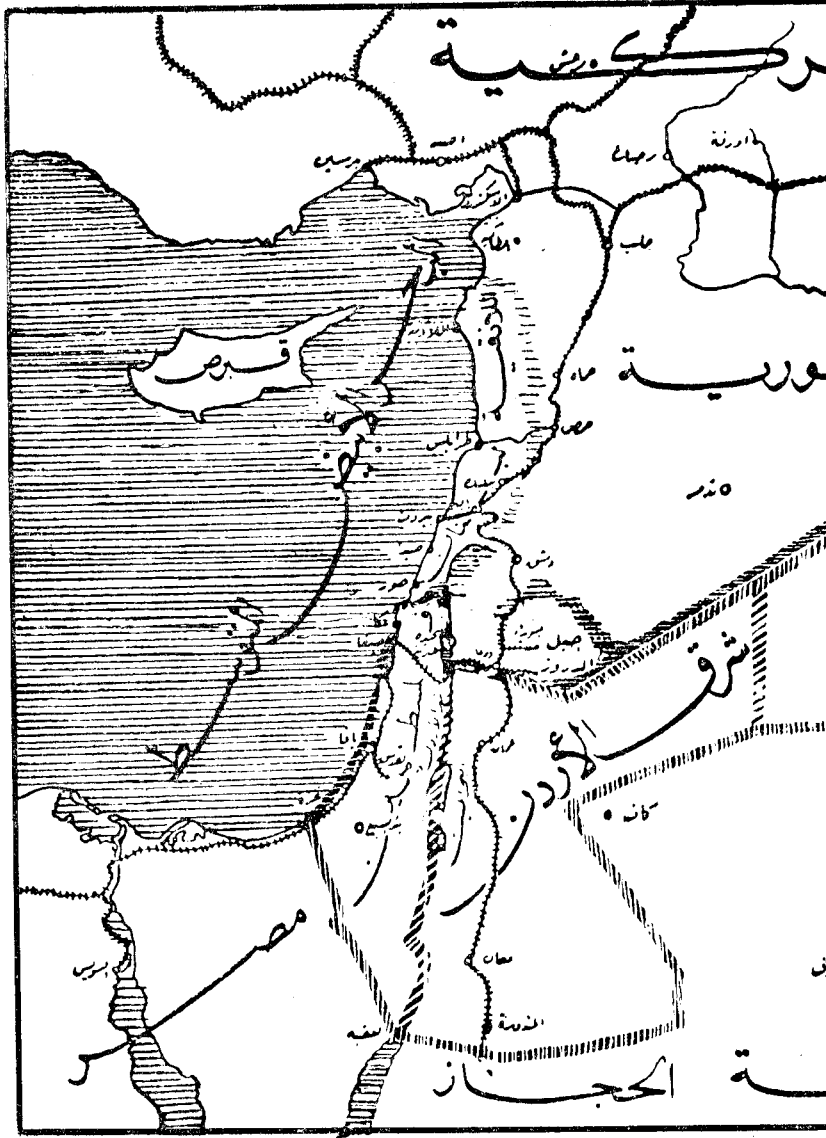
وفي سيناء صاهر موسى يثرون كاهن مدين ، وفي سيناء دفن موسى : « مات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فقور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » (١) . وعلى ذلك فإنهم يضيفون سيناء إلى فلسطين لتصبحا معا أرض الميعاد .

وقد قال هرتزل داعية الصهيونية ومنظم حركتها وهو يسجل بعض



منطقة اللنداب

في سورية وفلسطين



مصر
والبحرين

لبنان

العراق

الملاحظات في مذكراته حول محادثاته الأولى مع السلطات العثمانية : « إن الحكومة العثمانية طلبت أربعين مليون فرنك ، وعرضت أن تعطينا بالمقابل امتياز خط حديدي بين البحر المتوسط والخليج العربي بالإضافة إلى حق إقامة جاليات ومستعمرات في فلسطين ضمن مساحة قدرها سبعون ألف كيلو متر مربع » .

والمعروف أن مساحة فلسطين في عهد الانتداب البريطاني لم تكن تتجاوز ٢٦ ألف كيلو متر مربع ، وعليه فيبدو أن هرتزل كان يطلق اسم فلسطين على أرض تفوق كثيراً مساحة فلسطين المعروفة .

ويشير هرتزل - بعد أن يذكر محادثاته مع البرنس هوتلو مستشار القيصر الألماني غايوم الثاني - إلى المطالب التي سوف يتقدم بها إلى الدول بقوله : « المساحة من نهر النيل إلى الفرات . لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهودياً . . . وما إن تصل نسبة اليهود إلى الثلثين حتى تفرض الإدارة اليهودية نفسها سياسياً » .

أما مطامعه في سيناء فتعود إلى أوائل هذا القرن إذ طرح هرتزل أمام اللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا حينئذ فكرة إقامة جاليات ومستعمرات يهودية في وادي العريش وسيناء .

وقد رحب لانسدون بالفكرة وأبدى استعدادة لتوصية اللورد كرومر بتسهيل مهمة مبعوث هرتزل للاستطلاع ، وأطلق هرتزل على سيناء اسم « فلسطين المصرية » . وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ سجل الخواطر التي راودته عن كيفية رى الصحراء بواسطة مياه النيل .

ومع أن جهود هرتزل في استعمار سيناء قد فشلت فإن الحركة الصهيونية

لم تصرف النظارعن هذه الأرض العربية ، ففي ١٥ فبراير «شباط» عام ١٩١٧ نادى بن جوربون ، وبن زفي بضرورة ضم العريش للوطن القومي اليهودي . فالطامع الصهيونية لم تتخل عن سيناء وامتداد «دولة إسرائيل» حتى الضفة الشرقية لقناة السويس . وامتازت المطامع الصهيونية التوسعية بين سنتي ١٩١٧ ، ١٩٢٠ بالتركيز على المطالبة بالأراضي الضرورية للزراعة والري والصناعة والمناطق التي تكفل المنفعة العسكرية والسيطرة الاستراتيجية على مداخل فلسطين الرئيسية . وتمسكت الحركة الصهيونية بضرورة ضم شرق الأردن إلى الوطن القومي ، فما إن أعلنت الإدارة العسكرية البريطانية في فلسطين في أكتوبر «تشرين الأول» عام ١٩١٨ إقامة إمارة شرق الأردن حتى عارضت الحركة الصهيونية إنشاءها وظل زعمائها يصرون على ضرورة (١) الحصول على شرق الأردن حتى خط سكة حديد الحجاز .

وقال الدكتور حاييم وايز من — بعد إعلان قيام إمارة شرق الأردن — إن تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين هو الوسيلة إلى التوسع في شرق الأردن .

وتمتد أطماع الصهيونية إلى سهل حوران وجبل الشيخ ومنطقة دمشق والرقعة الواقعة بين دمشق والحدود السورية اللبنانية .

ومطامع الصهيونية لا تنحصر في ضم سيناء وضم شرق الأردن ورقعة كبيرة من سوريا كما تقدم ، بل إنها تطمع كذلك في منطقة لبنان الجنوبي لوجود منابع نهر الأردن ومجرى نهر الليطاني ومصبه فيها . فضلا عن أهميتها الاستراتيجية والعسكرية للدولة الصهيونية .

(١) سيأتي دور شرق الأردن في الحديث عن تحليل الانتداب البريطاني في الباب

الثالث .

(م ٤ — إسرائيل)

إن الاعتداء الإسرائيلي على الجمهورية العربية المتحدة في ٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٧ واحتلالها لمناطق عربية تحاول البقاء فيها تحقيقاً لأطماعها التوسعية في الأقطار العربية كان وفقاً لخطة محكمة أعدتها قادة الحركة الصهيونية منذ نشأتها وقبل وعد بلفور وعملوا على تنفيذها على مراحل قبل وبعد قيام إسرائيل .

وهكذا نشأت الحركة الصهيونية كحركة سياسية تهدف إلى تحويل اليهودية من مجرد دين إلى قومية تتجسد في دولة تجمع جميع يهود العالم في وطن قومي خاص .

وكانت هذه الدعوة غريبة تماماً عند يهود العالم حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث كانت الأثرية اليهودية تعتبر اليهودية ديانة سماوية لا رابطة سياسية ، وترى أن حل المسألة اليهودية هو في اندماج وذوبان اليهود كمواطنين في المجتمعات التي يعيشون فيها . لذلك لم تصادف تلك الدعوة صدى مقبولاً بل استقبلت على العكس ، من اليهود والعالم على السواء ، بالاستغراب والرفض . ونظر إليها كرد فعل غير متوازن لاضطهاد اليهود في بعض دول شرق أوروبا وكافراز خيالي على هامش جموع عصر القوميات .

والواقع أن اليهود قد نالوا حقوقاً سياسية في البلاد التي استوطنوها ، ففي فرنسا استفادت اليهودية كثيراً من مبادئها التحررية ، وقام رجال الثورة : ميرابو ، والأب غريغوار ، وسانت إتيان ، يقاتلون من أجل بسط ظل المساواة والأخوة على الجميع . وقد أكد هذه المبادئ الثورية كليرمون تونير أحد أعضاء المجلس التأسيسي بالكلمات التالية : « إننا لا نمنح شيئاً لليهود كشعب ونمنح كل شيء لليهود كمواطنين . . . » ، وهكذا نالت اليهودية المساواة التامة في فرنسا .

وفي عام ١٨٧٤ نال اليهود في إنجلترا وهولندا وألمانيا وبلجيكا والدانمرك والنرويج كامل حقوقهم الدينية والسياسية .

وفي أمريكا ينال كل مواطن حقوقاً سياسية كاملة ، فالقوانين الأمريكية لا تعترف بأكثرية تحكم أقلية ، وأقلية تخضع ، وإنما عاملت جميع المواطنين على قدم المساواة دون تمييز ، على نقيض من الإمبراطورية البيزنطية التي اعتبرت الطوائف غير المسيحية أقلية دينية وعوملت معاملة خاصة تنفق ومعتقداتها الدينية .

بينما ظل يهود أوروبا الشرقية يكافحون لنيل حرياتهم الدينية والسياسية أسوة بإخوانهم في أوروبا الغربية .

من روسيا . . . اندلعت الشرارة الأولى للصهيونية كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجد صهيون في أرض الميعاد ، وراحت بذرة هذه الفكرة ترعرع في نفوس غلاة اليهود من ذوى الطامع السياسية ، وفي عام ١٨٩٧ عقد هرتزل أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا على أثر الخطة المفروضة التي شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس أثناء محاكمته وأدلى بتصريحه للمؤتمرين بقوله : «لست أنصحكم بأن تهاجروا إلى فلسطين فذلك خطر عليكم وعلى السكان الأصليين . ابتعدوا عن فلسطين واجتنبوها واختاروا لانفسكم بلداً غيرها . ذلك خير لكم وأولى» . وكان أن وضع كتابه الأول عن الصهيونية «دولة يهوذا» شرح فيه هدفها الأساسي كما تضمن خطة عملية مدروسة لتحقيق هدفهم سنة ١٨٩٥ .

وبعد مرور اثنتي عشرة سنة على مولد فكرة هرتزل الصهيونية عقد المجلس اليهودي الأمريكي اجتماعاً اتخذ فيه قراراً بشجب كل محاولة ترمي إلى

إنشاء دولة يهودية ، وأعلن معارضته الشديدة للحركة الصهيونية السياسية مصرحاً بأن « صهيون كانت حقيقة وطننا العزيز في الماضي .. ولكنها الآن ليست سوى ذكرى مقدسة وعزيزة على قلوبنا .. وهي ليست محط آمالنا في المستقبل . إن أمريكا هي أرضنا وصهيوننا » .

وهكذا يبدو جلياً أن الصهيونية كانت بالنسبة ليهود أمريكا الأولين حركة سياسية غريبة عنهم .

وقال مستر مورغاننو : « إن يهود فرنسا المسكينين قد وجدوا صهيوناً لهم في فرنسا ، ويهود إنجلترا وجدوا صهيوناً في إنجلترا ونحن يهود أمريكا قد وجدنا صهيوناً في أمريكا . ولذا فأنا أرفض أن أسمى صهيونياً فيما أنا أمريكي » . وقال : « إن الصهيونية هي أكبر خدعة في تاريخ اليهودية لأنها تقوم على مجموعة من الأخطاء والأسس الفاسدة فهي مستحيلة التحقيق ، ولا تركز على أسس اقتصادية أو سياسية فضلاً عن انعدام المثل الدينية » .

ورغم هذه المعارضة فقد أصر الزعماء الصهيونيون على رأيهم ، وواصلوا الجهد والإقناع ونجح هؤلاء وفي مقدمتهم وايزمن Weizmann وسوكولوف Soclov في خداع الجماهير وتضليلها واستطاعوا أن يجذبوا إليهم عدداً من ذوى النفوذ وخاصة في بريطانيا وأمريكا . حتى هرتزل المعارض الأول لفكرة « فلسطين » عاد واستسلم ووافق على قيام الدولة اليهودية في فلسطين .

وبقيت الصهيونية في حيز الكتابات المتفرقة والتجمعات الضئيلة المحدودة الأثر حتى استطاع أن يخطو خطوة إيجابية بعد عامين من إصدار كتابه « دولة يهودا » ونجح في عقد مؤتمر بال أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧ في مدينة بال بسويسرا وحضره ١٩٧ مندوباً من أمريكا وأوروبا وتدارس المؤتمر الوسائل العملية الكفيلة بتحقيق هدفهم في إعادة بناء «دولة داود الخادمة» وكان هرتزل

في لباقتهم يرى وجوب الحصول على موافقة السلطان العثماني لقيام دولة يهودية في فلسطين وقال في ذلك : « ليس لنا أن نبدأ شيئاً من أعمالنا الاستعمارية في فلسطين قبل الحصول على ترخيص قانوني بدخولنا إليها » .

وهرتزل كان من الكتاب المتيقظين أمثال فولتير ، وجان جاك روسو رسل الثورة الفرنسية . فإن تصريحه باستئذان السلطان إنما لهدف الدخول معه في مفاوضات والحصول منه على اتفاقيات وامتيازات كالتى حصل عليها الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا من السلطان سليمان القانونى سلطان تركيا باسم حماية المسيحيين في الشرق . ولكنه أخفق فيما أراد . وعلى الرغم من معارضة يهود أمريكا للصهيونية فإن بعض اليهود النازحين من أوروبا الشرقية حلوا معهم إلى أمريكا تقاليدهم وانعزاليهم ، وسعوا لتطبيقها في أمريكا ، فابتعدوا عن المواطنين الأمريكيين وعاشوا في أحياء خاصة بهم ، كما اعتادوا أن يعيشوا في أوروبا .

وفي هذه الأحياء المنعزلة ، وبين فئة اليهود المتزمتة ، وجدت بذرة الصهيونية تربة خصبة لنموها ، في حين راحت حركة الإصلاح تكافح هذا التيار الجديد الجارف .. تيار الحركة السياسية الصهيونية . وعندما أعلن وعد بلفور القاضى بإنشاء وطن قومى لليهود بفلسطين تفاوتت حرارة التأييد له :

فإن فئة من يهود أمريكا المحافظين شنت حملات شعواء على هذا الوعد ، بينما قبل دعاة الإصلاح من اليهود هذه الدعوة ورحبوا بالتعاون مع زعماء الحركة الصهيونية الجديدة منادين بجعل فلسطين ملجأ أميناً للجميع ومركزاً روحياً لليهود .

أما غلاة الصهيونيين من اليهود فقد تشددوا في المطالبة بإنشاء وطن قومى يهودى بفلسطين .

وهكذا ظل الصراع سجّالاً بين الصهيونيين المتطرفين وبين المعتدلين من اليهود، حتى كان عام ١٩٣٣ عندما شن هتلر حملته الاضطهادية التعذيبية على اليهود في ألمانيا وبعض بلدان أوروبا.

فانهز زعماء الصهيونية هذه المناسبة وقاموا بحملة دعائية واسعة في الأوساط اليهودية في أمريكا وأوروبا، وكان من الطبيعي أن وقف عدد كبير من المنظمات اليهودية إلى جانب الصهيونية يؤيدها في دعوتها لاغتصاب فلسطين وطردها أهلها العرب.

والجدير بالذكر، وفلسطين تعتبر جزءاً من جنوبي سوريا الطبيعية، أن الغالبية العربية ولمدة ألف وثلاثمائة وثمان وستين سنة تعيش بسلام وطمأنينة، وظلت طوال هذه المدة تتولى الإشراف على الأماكن المقدسة وتدعو بالإسلام كديانة توحيد إلى جانب المسيحية واليهودية^(١).

كان مؤتمر بال العالمي المنعقد سنة ١٨٩٧ نقطة تحول هامة في تاريخ الحركة الصهيونية، فقد سجل أول نجاح عملي للصهيونية في بعض أوساط يهود العالم، وحدد لها هدفها السياسي المباشر مؤكداً « أن هدف الصهيونية هو أن تخلق للشعب اليهودي وطناً في فلسطين يحميه قانون عام »، كما وضع البرنامج العام للاستعمار الصهيوني من ثلاثة خطوط رئيسية:

- ١ - تنظيم الحركة الصهيونية العالمية.
- ٢ - ثم تخطيط حركة الاستعمار الصهيوني في فلسطين وتمويلها والإشراف عليها.
- ٣ - ثم إجراء الاتصالات والمفاوضات السياسية لتأمين الدعم السياسي العالمي لتحقيق هذه الأهداف.

(١) انظر الباب الثاني عن وايزمن والانتداب.

وهكذا وضعت في أوروبا الخطوط الأولى لأغرب وأفدح عملية اغتصاب استعماري في التاريخ الحديث ، من قبل أناس لم يروا فلسطين أو يطئوها من قبل .

وابتدأت الحركة الصهيونية تسير رحلة طويلة جرياً وراء قوة دولية كبرى تؤيد فكرة الوطن القومي اليهودي .

وابتدأت الحركة الصهيونية رحلتها الأولى إلى الإمبراطورية العثمانية مقدمة إغراءات مالية كبيرة مقابل السماح بالهجرة وتأسيس المستعمرات في فلسطين ، واصطحب ثيودور هرتزل المسيو فاميري إلى السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠١ وعرض على السلطان مليونين من الجنيهات ثمناً لإجابة مطالبهم .

ولكن السلطان - رغم حاجته إلى المال في ذلك الوقت - رفض مطالب اليهود ، فقد أحس بسوء نواياهم ، ورد على المسيو فاميري رداً يعترف له العرب وحفظه اليهود في قلوبهم. فقد جاء في رسالة السلطان إلى هرتزل : « أنا لا أستطيع إعطاء كم قدما واحدة في فلسطين ، لأنها ليست ملكي . . وعلى اليهود أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم فقد يأخذون فلسطين هدية من أعدائنا ولكنهم لن يصلوا إلى هدفهم إلا على جثتنا » . ولم يكتف السلطان بذلك بل حرم على اليهود المقيمين في فلسطين امتلاك أراض جديدة ، ووضع رقابة شديدة على الحدود الفلسطينية ، حتى يمنع تسرب أي يهودي إليها (١) .

(١) حدث هذا بعد أن تنبه السلطان إلى مآرب الصهيونية لكن كان قد تسلل باكورة الصهاينة إلى فلسطين عام ١٨٨٢ حين تمكن اليهودي المسالي البارون ادمون دي روتشيلد من إقناع الحكومة العثمانية بالسماح له بإنشاء بعض مستعمرات زراعية في بعض الأماكن في فلسطين وتأسست شركة « بيكا » للاستيطان ونشأت مستعمرات أربع للزراعة هي « ريشون ليزيون » و « حترون يعقوب » و « روشينا » و « بتاح تكفا » هذه المحاولة تحولت إلى دولة عام ١٩٤٨ .

ثم استأنفت الرحلة مسارها إلى عاهل الإمبراطورية الألمانية وعرضوا عليه إنشاء شركة لاستثمار الأراضي تعمل في فلسطين تحت حماية الإمبراطورية الألمانية ، لكنه ارتاب في صدق نواياهم فرفض مطلبهم . وفكر اليهود في إنجلترا صديقتهم الحميمة وطلبوا منها مكاناً آخر غير فلسطين أى منطقة يحققون فيها فكريتهم وبقيمون دولتهم ، وعرض هرتزل على تشمبرلان استيطان اليهود في قبرص أو مدغشقر أو أستراليا وهي من المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الإنجليزي ، وهنأثار جدل كبير بين فريقى اليهود السياسيين والعماليين ، فكان السياسيون يرون الرضا بأى منطقة أخرى بينما أصر العماليون على فلسطين .

وأدركت حركة الصهيونية العارفة بمصالح الاستعمار البريطانى ونواياه مع اقتراب الحرب العالمية الأولى ، أن الاستعمار البريطانى هو القوة الوحيدة المهيأة لأن تشكل السند الفعال للحلم الصهيونى . وهكذا تختت نهائياً عن محاولاتها اليائسة لدى الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الألمانية واتجهت نحو بريطانيا مؤكدة لها باستمرار أن اليهود فى فلسطين سيكونون جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية البريطانية .

وكان الحلفاء أكثر ولاء لليهود واهتماماً بمصالحهم . إذ سرعان ما رحبوا باليهود ، ولم ينتظروا نهاية الحرب حتى كانت إنجلترا تعلن على لسان وزير خارجيتها بلفور التصريح^(١) المعروف باسمه فى اليوم الثانى من نوفمبر « تشرين الثانى » ١٩١٧ والذى نص على أن حكومة إنجلترا تعتزم إقامة وطن قومى لليهود ، وهكذا ظهر غدر الإنجليز وممالأتهم للصهيونية وخيانتهم للعرب^(٢) .

(١) انظر الباب الثانى « روتشيلد ولفور » .

(٢) كانت ممالأة بريطانيا للصهيونية استخفافاً بزعماء العرب الذين ضيعوا البلاد فى سبيل مصالحهم الخاصة .

وفي عام ١٩١٤ أى قبل ثلاث سنوات من وعد بلفور ، كتب الدكتور
حاييم وايزمن إلى رئيس تحرير جريدة المانشستر يقول : « من الممكن الآن أن
نقول إنه إذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطانى ، وإذا شجعت بريطانيا
بعد ذلك توطن اليهود هناك ، فإنه من الممكن أن نوجد في تلك البلاد خلال
ثلاثين عاما من الآن مليون يهودى أو أكثر يشكلون حرساً فعالاً للقناة
السويس » .

هذه القوة الاستعمارية الفريدة في نوعها ، حملت منذ نشوئها
المبكر فكراً وعملاً نزعة عدوانية سافرة عنصرية استعلائية لازمتها طيلة
مراحل عملها وتجددت كأوضح ما يكون بعد ذلك في الدولة الصهيونية
إسرائيل .

ورأت الإمبريالية هذه النزعة العنصرية في الصهيونية وبهؤلاء تشكل
الضربة القاضية للإمبراطورية العثمانية المتداعية ، ورأت فيهم الفرصة لتنفيذ
مخططاتها الاستعمارية القديمة . وهكذا مدت بريطانيا يدها للصهيونية تنقشها
فلسفة وحركة ، لتبدأ وإياها في إعداد فصول المؤامرة الكبرى على فلسطين ،
وظهرت قضية فلسطين في حيز الوجود دولياً .

ولما وضحت الرؤية للصهيونيين كشفوا القناع عن مخططاتهم وأنهم منذ
نشأتهم قاموا على فكرة اغتصاب فلسطين كاملة ، وطردها شعبها خارج حدودها .
إنها لم تقم بقصد إيجاد مكان لليهود المضطهدين يعيشون فيه بأمان ، ولا حتى
بهدف إيجاد تجمع يهودى في فلسطين ، ولا حتى بقصد إقامة دولة يهودية على
جزء من أرض فلسطين . إن الصهيونية التي فهمها البعض في البداية على أنها
مجرد رد على موجة اضطهاد اليهود ، سرعان ما سارعت إلى ملاحظة هذا الفكر

مؤكددة أن الهدف من حركة الهجرة والاستعمار هو جعل فلسطين وطناً قومياً
يهودياً يجد تعبيره السياسى فى الدولة اليهودية الواحدة .

هذا التصميم المبكر على اغتصاب فلسطين وإقامة إسرائيل نجده فى
الكتابات الصهيونية الأولى ، وفى قرار المؤتمر الصهيونى الأول العالمى فى
بال سنة ١٨٩٧ ثم مؤتمر آخر فى بال سنة ١٨٩٩ ثم فى لندن ، وكان من
نتائج هذه المؤتمرات : إنشاء بنك يهودى برأس مال قدره مليونان من
الجنيهات تستخدم فى شراء الأراضى من عرب فلسطين .

وقد أصروا على فلسطين وطناً لهم وهذا ما عبر عنه الدكتور حاييم
وايزمن فى مؤتمر السلم العالمى بباريس عام ١٩١٩ حين أكد أن نظرة الصهيونيين
لفلسطين هى أن تكون يهودية تماماً بقدر ما إنجلترا إنجليزية .

وانعقد المؤتمر الصهيونى الخامس وصرح ما كس نورودو بقوله : « يدعى
خصوصاً أن فلسطين غير قادرة على استيعاب اليهود ، بل إنها قادرة على
استيعاب ١٤ أو ١٥ مليوناً من اليهود على أن يكون من الواضح أن فلسطين
تشمل الأراضى المجاورة » .

وانعقد المؤتمر الصهيونى العشرون وصرح بن جوربون بقوله : « ما من
صهيونى يقبل أن يتنازل عن أصغر رقعة من فلسطين » .

هذه التصريحات فى مزاعم الصهيونيين تستند على قانونيتها بحسب
مزاعمهم كذلك من التاريخ المقدس من التوراة .

فهم يقيمون مملكة داود وسليمان من سنة ١٠٠٠ ق . م . إلى سنة ٩٢٧
ق . م حين اتسعت رقعتها وشملت سيناء وشرق الأردن وأجزاء من سوريا
الحالية ومن لبنان وغرب العراق .

وإن إبراهيم عليه السلام الجد الأكبر لبني إسرائيل كان يقيم قبل هجرته في « أور » بأرض العراق حين كانت تابعة للدولة الكلدانية ، ثم إنه سار في طريقه متجهاً إلى حاران ، ووصل إلى مناطق أخرى من شمال الحجاز . ومن أجل ذلك فإنهم « اليهود » يرون أنهم الوريث الشرعي لجدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام في هذه المنطقة .

وأُسرف بعضهم في زعمهم ، ودفعتهم أنانيتهم وحبهم للسيطرة والتحكم إلى المزيد من الأطماع ، ولم يكتفوا بالأجزاء السابقة من فلسطين وسيناء والعراق وسوريا ، وإنما أضافوا إليها أجزاء من مصر « الوجه البحرى » زاعمين أن بني إسرائيل قد عاشوا في دلتا النيل بمصر فترة طويلة ، وأن موسى نبينهم نشأ وشب في مصر ، وأن الأجداد الأول اليهود — وهم يقصدون بذلك أبناء يعقوب الذى هو إسرائيل — سكنوا مصر فترة طويلة ، وأنهم « أى الإسرائيليين » قد خرجوا من مصر لظروف طارئة حين أمرهم موسى بالخروج معه لينشروا دين الله ومبدأ التوحيد وليتقنوا أنفسهم من اضطهاد المصريين ، وعلى ذلك فاليهود يدخلون شمال مصر في حدود ما أسموها أرض الميعاد ، حسب وصية الله لإبراهيم وعهده له : « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (١) .

وحملت الصهيونية فلسفة عنصرية صريحة ، بل لقد كانت بحكم نشأتها مسوقة إلى جعل العنصرية أساسها الفكرى الجوهري وهو الحيل لأوضاع اليهود في غمار حركة التحرر الليبرالية ، واستندوا في ذلك إلى نداء عزرا ونداء

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب الباب الثانى « الوجهة الشعبية والاجتماعية » . وانظر تكوين ١٥ : ١٨ .

نحميا لشعب إسرائيل بعد عودته من سبي بابل بعدم الامتزاج ومصاهرة الشعوب إبقاء على نقاء النسل (١).

دراسة تحليلية

١ — المنطقة التي يريدونها وطنا :

إذا كان دعاة الصهيونية يعتقدون أنهم أصحاب حق في فلسطين فلماذا رضوا بجزء منها دون الآخر؟ ثم لماذا تهاونوا ذات يوم في هذا الحق حين أخذوا يبحثون عن بديل عنه إذا كان ما يزعمونه حقا لهم؟

في إبان الحرب الكونية الأولى لجأوا إلى بريطانيا والتمسوا منها أن تمنحهم أي منطقة تحت نفوذها سواء أكانت مدغشقر، أم أستراليا، أم قبرص، ولقد صرح ثيودور هرتزل بقوله: « يكفي أن تعطونا أية قطعة من الأرض تناسب وحاجات شعبنا ويكون لنا السيادة عليها ». بل إن كثيرا من زعماء الصهيونية اعترضوا على التمسك بفلسطين ودعوا يهود العالم أن يستبعدوا هذه الفكرة من أذهانهم، وكان مما قاله ليوبنسكير: « ايس هدفنا هو الأرض المقدسة ولكننا نريد أي بقعة من الأرض تخصص لنا ». حتى الدكتور حايمم وايزمن في نظراته إلى وعد الله لإبراهيم (٢) يقول قولا غير محدد: « إنني أعتقد أن الله قد وعد أبناء إسرائيل بفلسطين، ولكنني لا أعرف الحدود التي رسمها. إنني أعتقد بأنها أوسع من الحدود المقترحة الآن، وربما ضمت شرق الأردن. فإذا حافظ الله على وعده لشعبه في الوقت الذي يختاره فإن واجبنا هو إنقاذ كل ما يمكن إنقاذه من بقايا إسرائيل » (٣).

(١) المصدر السابق، وانظر: عزرا ٩ : ١ — ١٢ .

(٢) مذكرات هرتزل ص ٤٧٣ .

(٣) انظر تك ١٧ : ٥ — ٨ .

لقد استمسك بالوعد ونسى العهد ، لقد غض النظر عن حيثيات نقضهم للعهد وبالتالي ضياع الوعد نهائيا ، لقد تجاهل نبوءة نبيهم إرمياء (١) بقضاء الله على أورشليم ، وتجاهلوا نبوءة المسيح عيسى بن مريم (٢) تأييدا لنبوءة سابقه إرمياء النبي .

وتتضافر الأحداث لتتميم إرادة الله فيدمر الإمبراطور تيطس الهيكل عام ٧٠ م ، ثم يسبي الإمبراطور هادريان بنى إسرائيل في كل أرجاء الإمبراطورية عام ١٣٥ م . ومن ثم فقد زال حتى كيانهم الروحي وقد سبق أن زال كيانهم السياسي نهائيا عام ٥٨٦ ق . م .

وتؤكد الأحداث إرادة الله من أنه رذل شعب بنى إسرائيل فإنه قد ادخر ميراث أرض الميعاد أحفاد ذلك الذي قال عنه : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (٣) . فالإيراث إذن لأبناء عمومتهم والأرض إذن صارت للعرب .

إن هرتزل المبشر بالصهيونية لم يتجرأ على المطالبة بأرض فلسطين فصرح لتشمبران بقوله : « إن قاعدتنا يجب أن تكون فلسطين أو بالقرب منها . وبعد ذلك سيكون بإمكاننا أن نقيم جاليات في أوغندة وذلك لأن جماهيرنا مستعدة للهجرة . ولكن يجب علينا أن نبنى على أسس قومية . وقد كان الجانب السياسي هو الذي شدنا إلى مشروع العريش » (٤) .

ويقول ماكس نوردو : « إن أوغندة هي معسكر ليلي لليهود . . محطة في منتصف الطريق إلى فلسطين » .

(٢) لو قا ١٩ : ٤١ — ٤٤ .

(٤) مذكرات هرتزل ص ٤٧٤ .

(١) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ .

(٣) نك ١٧ : ٢٠ .

وتوهم حاييم وايزمن حدود أرض الميعاد بأن « الحد الاستراتيجي الطبيعي الوحيد هو القطاع الضيق الذي يقع في الشمال من صيدا إلى أقصى الحد الجنوبي للبنان ، والحد الطبيعي الآخر هو وادي البقاع في حيازة الأطراف الجنوبية للبنان وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبي لهذا الوادي» (١).

فلو أن اليهود الصهيونيين مقتنعون بأحقيتهم في فلسطين لما فكروا حتى مجرد التفكير في أرض غيرها .

ترى لو قدر لليهود أن يستولوا على إحدى المناطق التي كانوا يريدونها مثل مدغشقر ، هل كانوا سيجدون ما يبررون به استيلاءهم على هذه المنطقة ؟

قد يقولون : إن مدغشقر هي أرض ميعادهم ، وعند ذلك سيحشرون في كتبهم المقدسة كعادتهم وفي تلمودهم ما يثبت أن الله وعدهم بمدغشقر ، وسيدعون أيضا أن لهم في مدغشقر حقا تاريخيا ويستدلون على ذلك بأسانيد كاذبة ، وسيدكرون في كتبهم تاريخ دولتهم في هذه المنطقة . فاليهود كما هو معروف عنهم لديهم القدرة السكانية على التزوير والافتراء .

إن اليهود لا يتورعون عن تزييف كل حقيقة ، مادام ذلك يحقق لهم أهدافا وأغراضا .

وهكذا يتبين لنا بصورة لا ريب فيها أن اليهود ليس لهم حق تاريخي في فلسطين ، وأن هذا الزعم ليس إلا واحدا من الأباطيل التي يطأقها الأفاقون ودعاة الصهيونية ليصدقها من فسدت أحلامهم وساروا في ركب الصهيونيين فأضلواهم سواء السبيل .

٢ — بطلان نظرية الحفاظة على نقاوة سلالتهم :

لقد صرح موسى هيس في كتابه « روما والقدس » لعام ١٨٦٢ « بأن اليهود يجمعهم أصل مشترك نقي » ، وأكد هذا ليوبنسكرفي كتابه « التحرير الذاتي » لعام ١٨٨٢ : « أن الفضل في بقاء اليهود شعباً واحداً وعنصراً متميزاً يعود لقوانين الزواج التي كانت تحرم الزواج بغير اليهودي أو اليهودية » ، ويرى نفس الرأي ثيودور هرتزل في كتابه « دولة يهوذا » لعام ١٨٩٥ « أن قانون الأحوال الشخصية لليهود يعوق الامتزاج العنصري » .

الواقع والتاريخ ينفيان انتهاء الصهاينة الى الاسباب :

إن الصهاينة اليوم لاعلاقة لهم بإسرائيل التوراة ، وإن الصهيونية تتنافى مع التوراة التي أوحى بها الله لموسى نبيه ، وقد فندت ادعاء الصهاينة بأنهم شعب الله المختار تفنيداً من توراتهم ومن مقدساتهم بما يثبت أن شعب إسرائيل قد تبدد على الأرض وامتزج بالشعوب بالمصاهرة (١) وبدخول الشعوب الوثنية إلى اليهودية .

كما حدث في العصور الوسطى أن خشيت الكنيسة من موجة الاختلاط باليهوديات فأصدرت المجالس الكنسية قرارات مشددة بمنع زواج المسيحيين باليهود ، كما فعل مجلس توليدو عام ٥٣٨ م ، وعام ٥٨٩ م ، ومجلس روما عام ٧٤٣ .

وإن هذه القرارات بتحريم الاختلاط في المصاهرة بين المسيحيين واليهود دليل قاطع على خطورة المدى الذي كان الزواج المختلط قد وصل إليه بالفعل . بل إن اضطهاد القوط الغربيين في أسبانيا لليهود في القرنين الخامس والسادس الميلادي

(١) حزقيال ١٦ : ٣ ، ٤٥ ، ٩ : ١ ، ٢ ، ١٢ : ٤ ؛ نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٧ .

إنما يرجع كما يؤكد بعض المؤرخين إلى نشاطهم في التبشير باليهودية وإلى
نقشى رواج المختلط بينهم وبين المسيحيين .

أما في عصرنا الحديث فمتواتر الأدلة والأحداث الثابتة التي تؤكد
الاختلاط والمصاهرة والتحول والإذابة في المجتمعات على حد سواء .

فمع اختفاء التعصب الديني في أوروبا الصناعية ، وأكثر منه مع الحركة
العلمانية المطردة ، انهارت الحواجز أمام التحول والزواج ، وتوسعت العلاقات
غير الشرعية . وقد زادت بصورة لافتة للنظر التحولات الفردية في العصور
الحديثة ، ويمكن أن نتخذ من بعض الأسماء الشهيرة مؤشرا في ذلك الاتجاه
مثلا : الشاعر هايني ، والموسيقى مندلسون ، وغيرهما من اليهود الذين
اعتنقوا المسيحية .

وفي روسيا القيصرية كان حصول اليهود على المساواة المدنية رهنا بتحولهم
إلى المسيحية . أما في روسيا البولشفية فإن ستالين تزوج من يهودية وكذلك
مولوتوف تزوج من يهودية أيضا .

ومن الأدلة القاطعة بل والمثيرة على مدى اختلاط اليهود في العصور
الحديثة والوسيط في أوروبا ، ما كشفت عنه تجربة النازية في ألمانيا . فقد كان
على المرء الذي يبغى إثبات الدم الآري فيه أن يقدم نسبا يخلو لعدة أجيال
من العناصر غير الآرية ، ويعنى هذا أنه يخلو من عنصر اليهودية على وجه التحديد ،
ولكن المفاجأة أن التجربة كشفت أن عددا ضخما من حالات المواطنين الألمان
إلى أقصى حد ثبت أن أجدادهم وأجداد أجدادهم تجرئ في عروقهم الدماء
اليهودية ، تماما كما تردد عن ريتشارد فاخر من قبل .

والخلاصة :

أن جسم الطائفة اليهودية ليس ثابتا جنسيا بل هو متحرك وفي تغير داخلي

مستمر ، وفي ابتعاد دائم عن الأصول الأولى بحيث يتضائل أبدا وباستمرار حجم النواة النووية الحقيقية من بني إسرائيل التوراة فيهم حتى تكاد تختفي وتنقرض ، فضلا عن أن تظل قابلة للتعرف عليها وتحديدها . إنها عملية إحلال وإبدال مزمنة وإنما معدية أحيانا ظاهرة ومستترة . إنها تكاد تكون عملية « تغيير دم » كلية وشاملة .

وفي النتيجة يكاد يصبح جسم اليهود في آخر المطاف شيئا مختلفا جنسيا عن يهود التوراة إن لم يكن لعلاقة له بهم تقريبا أو في الأعم الأغلب (١) .
ويقرر لومبروزو Lombroso أن اليهود جنسيا آريون أكثر منهم ساميين أو بتعبير آخر انهم آرييون تهودوا أكثر منهم يهوداً تأوربوا .

وتخريجاً من هذا وترتيميا عليه تسقط على الفور عدة أفكار ومعتقدات شائعة ومتفشية ، ولكن لا ظل لها من الحقيقة في نظر العلم الصحيح .

فأولا مادام اليهود لم يعودوا من الساميين في شيء فيمكننا هنا أن نرى الخطأ الشائع الفاشي ، إن لم يكن المغالطة الكبرى المتعمدة ، في تسمية اضطهاد اليهود « بضد السامية » ، فزجن في الحقيقة إزاء مشكلة « ضد الصهيونية » ببساطة وبلا تعقيد .

ولا تفسير لهذه التسمية الخاطئة إلا أنها تعتمد على أسس التوراة التي تسبق بكثير التغيير الجذري ، والإحلال والإبدال المطلق الذي لحق بدماء اليهود ، والاضطهاد النازي لليهود في ألمانيا لم يكن في جوهره إلا اضطهاد

(١) ويتأكد هذا كله حين نتذكر ما سبق أن ألعنا لايه بشأن الامتزاج في مختلف عصور التاريخ قبل الميلاد بالمصاهرة ، وما تعرض له اليهود من مذابح واضطهادات قبل الميلاد وإبادة كاملة للعشرة الأسباط سنة ٧٢٢ ونفى لسيطي يهوذا ونيامين سنة ٥٨٦ وبمد للميلاد في النفي الشامل في عصر الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ والمذابح والاضطهادات في روسيا القيصرية ثم في ألمانيا النازية ومع هذا فسرعان ما بلغوا الملايين .

المان لألمان فإنهم بحسب الجنس ينتمون للآرية وإنما يختلفون فقط في العقيدة الدينية وطريقة السلوك المعيشي ، ويسقط كذلك ببساطة وتلقائية أى دعوى قرابة دم بين العرب واليهود . قد يكون يهود التوراة والعرب أبناء عومة — وإنما تاريخياً فحسب ، حين بدأ الكل قبائل مختلفة من الساميين الشماليين ، وحين كانت اللغة العبرية لغة تشتق من الأصول العليا التي تفرعت عنها العربية .

وقد يكون من الصحيح ، بل إنه الصحيح بالفعل ، أن أسماعيل أبا العرب وإسحق أبا اليهود إخوة غير أشقاء وكلاهما ابنا إبراهيم .

ولكن في البداية فقط تصدق هذه الأخوة على تسليمها ، أما بعد ذلك فقد ذاب نسل أحدهما في دماء غريبة ووصل الذوبان إلى حد الإحلال حتى أصبحنا إزاء قوم غرباء لاعلاقة لهم ألبتة بإسحق فضلاً عن إسماعيل .

ولا يمكن بعد أن اختفى يهود التوراة أن يكون يهود أوربا وأمريكا أقارب العرب جنسياً أكثر من قرابة الأوربيين والأمريكيين للعرب !! وغير هذا ليس إلا من قبيل أوهام العوام . إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين وامتداد لهم ، بل هم في الأعم الأغلب بعض وجزء منهم وإن اختلف الدين ، ومن هنا كان اليهود في أوربا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجنب دخلاء يعيشون في المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت ، وإنما هم أصحاب البيت نسلاً وسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين .

أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء في منفى ودخلاء بلا جذور ؟
هناك في بيت العرب وحده ، في فلسطين حيث لا يمكن لوجودهم أن يكون

إلا استعماراً واغتصاباً بالقهر والابتزاز . وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ من الوجهة الجنسية والتنوعية والشعبوية .

وانطلاقاً من هذا يسقط كذلك أى ادعاء سياسى للصهيونية فى « أرض الميعاد » ، فبفض النظر عن أن القانون الدولى يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم على أى أساس تاريخى أو دينى فإن علوم الجنس والنوع والشعوب تبتدأ أى أساس جنسى أو نوعى أو شعبى قد يزعمون فى هذا الصدد .

فمن ناحية أخرى لا علاقة لهم جنسياً أو نوعياً أو شعبياً بفلسطين وهم أجنبى غرباء عنها دخلاء عليها مثلما يعد الأوربيون أو الأمريكيون بالنسبة إليها . وهم حين يفتصبونها ليخلقوا منها إسرائيل الصهيونية فليست هذه هى عودة الابن القديم بعد رحلة طالت عبر الزمان والمكان وإنما هى غزو الأجنبى الغريب بالإثم والعدوان .

وما هى أرض الميعاد ؟

إن حديث المرأة السامرية مع المسيح عليه السلام عن الناحية المكانية وحيرتها فى بحثها عن الحقيقة بقولها : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى اورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه » (١) ، فأجابها المسيح بقوله : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٢) ، وبهذا الإلحاح انتفتت الناحية المكانية وانتفى الزعم بأرض الميعاد .

(١) يوحنا ٤ : ٢٠

(٢) يوحنا ٤ : ٢٤

٣ — اتفاق المصالح الامبريالية والصهيونية :

في أوائل القرن العشرين وبينما كانت سياسة الاستعمار البريطاني تتجه نحو تثبيت الوجود البريطاني في الهند ومصر ، وأجزاء كبيرة من إفريقيا كان حما عليها تأمين وحماية الطرق الحيوية المؤدية لهذه المستعمرات ، في هذه الفترة بدأت تظهر أوضاع جديدة على المسرح العالمي . فقد ظهر التنافس داخل حركة الاستعمار بصورة جديدة ، كما بدأت أطماع الدول المستعمرة تطفئ على اتفاقيات اقتسام مناطق النفوذ المعقودة فيما بينها سابقاً .

و كانت مجالات جديدة للاستعمار والتنافس قد بدأت في الظهور لاسيما في الشرق العربي ، نتيجة دخول الإمبراطورية العثمانية في دور انهيارها النهائي ، بالإضافة إلى أن نذر رياح حركات التحرر أخذت تلوح في الآفاق .

وكان لابد من مخططات جديدة لمواجهة الأوضاع الناشئة ، وقد خلص الاستعمار البريطاني نتيجة المراجعة الشاملة التي أجراها لهذه الأوضاع إلى تأكيد الاستراتيجية القسوى التي تمثلها فلسطين في الظروف الجديدة ، والدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه بحكم موقعها في مستقبل الاستعمار البريطاني :

١ — فلسطين موقع أساسي لحماية « قناة السويس » أخطر طريق مائي يربط الشرق بالغرب ، وهو لبريطانيا طريق الهند وإفريقيا ومن ثم فهو يعد مفتاحاً خطيراً لمصالح الاستعمار البريطاني في الهند .

٢ — وفلسطين نقطة التقاء القارات الثلاث « إفريقيا وآسيا وأوروبا » ومركز استراتيجي رئيسي للسيطرة على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ، وسواحل البحر الأحمر .

٣ — وفلسطين قاعدة حيوية لأية مشاريع توسعية مقبلة قد تنشأ في سوريا والأردن والعراق وجزيرة العرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية .

وكانت الخطة التي وضعها الاستعمار البريطاني لفلسطين متناسب وهذه الأهمية التي تمثلها في نظره ، كما تدعو للدهشة فعلا .

فبالإضافة إلى ضرورة ضمها لخطيرة الاستعمار البريطاني ، خلصت بريطانيا منذ ذلك الوقت إلى ضرورة توطين أكثرية أجنبية غربية على أرض فلسطين تشكل فيها عازلا دفاعيا هجوميا في آن واحد . ووثائق الاستعمار البريطاني حافلة دامغة في هذا الصدد .

ففي عام ١٩٠٤ كانت بريطانيا تمثل أقوى وأكبر الإمبراطوريات الاستعمارية في العالم ، ولم يكن ينافس بريطانيا في التطلع إلى إمبراطورية الرجل المريض « تركيا » سوى فرنسا التي رأت بعد الحرب السبعينية أن القارة الإفريقية هي مجالها الطبيعي في التوسع .

وكانت ألمانيا رغم حداثة عهدا بالاستعمار قد بدأت هي الأخرى تتطلع إلى إفريقيا وإلى مناطق نفوذ الاستعمار الأنجلو - فرنسي .

درست بريطانيا كل هذه الظروف ورأت أنه من الضروري إيجاد جبهة استعمارية (١) واحدة لتنسيق مصالح الاستعمار المتضاربة ، ولتقطع خط الرجعة على أية حركة تحاول استغلال التنافس الاستعماري للقضاء عليه وتعرض كيانه للخطر .

ونظراً لأن بريطانيا كانت تشك في نيات ألمانيا لمحاولتها دعم الإمبراطورية العثمانية المتداعية ، فقد قصرت مشروعاتها الاستعمارية في نطاق الدول الاستعمارية القديمة .

(١) راجع « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي الإسلامي » للمؤلف .

فسارعت بعد حادث « فاشودة » في جنوب السودان إلى توقيع الاتفاق الودي مع فرنسا (١٩٠٤) محذرة إياها من خطط ألمانيا التوسعية في إفريقيا . وقد اتسع نطاق هذا الاتفاق فشمّل كلا من إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وأسبانيا وبريطانيا ، واتفقت الدول المذكورة على تأليف لجنة من خبراءها لتتولى دراسة الحلف الجديد ، وأسس تكوينه ، وأهدافه ووسائله .

توجيهات « كامبل بترمان » وتقرير اللجنة :

وقد جاء في توجيهات رئيس الوزارة البريطانية في ذلك الوقت مستر « كامبل بترمان » لهذه اللجنة الآتى :

« إن الإمبراطوريات تتكون ، وتتسع ، وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ثم تنحل رويداً رويداً ثم تزول . والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة .

« فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، ومن قبلها بابل وأشور والقراعنة وغيرها . . . فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط والانحيار بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية . . . هذه هي مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » .

المجدية في العمل :

أخذت اللجنة في دراسة تاريخ الإمبراطوريات ، وكيف نشأت ، وكيف حكمت ، وكيف انحلت ، وأسباب هذا الانحلال من كافة النواحي السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية .

وأخذت تدرس أيضاً وضع الإمبراطوريات الحاضرة ، وكيف يمكن أن تدوم ومن أين يمكن أن تأتيها المخاطر . واستخلصوا من كل ذلك خطة

للمستقبل ضمنوها تقريراً كاملاً وشاملاً قدموه إلى وزارة الخارجية البريطانية التي أحالتها بدورها إلى وزارة المستعمرات وأهم ما جاء في التقرير الآتي :

١ — أهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوى للاستعمار ، فهو الجسر بين الشرق والغرب ، وملتقى طرق المواصلات فى العالم ، وإن من يسيطر على شواطئه الجنوبية الشرقية يستطيع التحكم فى العالم .

٢ — استبعد التقرير أى خطر على الاستعمار من المستعمرات الحرة « أى البلاد التى استوطنها الإنجليز » مثل جنوب إفريقيا . . . كندا . . . أستراليا . كما قلل من خطر استقلال الهند ، والملايو ، والهند الصينية ، ومناطق جنوب شرق آسيا ، لأن المشاكل الدينية والعنصرية والطائفية واللغوية ستشغل هذه الأقطار فور استقلالها ولأجل طويل .

كما قلل التقرير من خطر المستعمرات فى إفريقيا وفى المحيطين الأطلسى والهادى لانعزالها . وأكد التقرير أن مصير هذه المستعمرات هو الارتباط بالدول الأوربية اقتصادياً وثقافياً إذا انعدم ارتباطها السياسى والعسكرى نتيجة للاستقلال .

٣ — أكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط ، صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وفى حوضه حيث مهد الديانات والفلسفات والحضارات عبر القرون والأجيال . وأن يسكن فى هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له من وحدة تاريخه ووحدة لغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط . كما أنه إذا ما تكاملت لهذا الشعب كل هذه المقومات علاوة على ثرواته الطبيعية ، ونزعة أهله إلى التحرر ، فإنه ستحل الضربة القاضية حتماً بالإمبراطويات الاستعمارية ، وعندئذ ستبخر أحلام الاستعمار .

لذلك فعلى كل الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار وضع

هذه المنطقة الجزأة المتخلطة على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وأوصى التقرير بضرورة محاربة اتحاد هذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من الارتباط الفكرى أو الروحى أو التاريخى .

وكإجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى ، واقترح لذلك إقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وإفريقيا ويربطها معا بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، وعدوة للسكان فى المنطقة .

على أساس هذا التقرير سارت سياسة الاستعمار فى الوطن العربى لتمزيق هذا الوطن ومحاربة حركته التحررية، وعلى هديه حدد منذ مطلع القرن العشرين موقفه من عربوة فلسطين .

٤ — التحديات التى تواجهها الدول العربية:

لقد طالعتنا جريدة المحرر اللبنانية^(١) الصادرة فى ٢٤ إبريل «نيسان» ١٩٦٧ أى قبل العدوان الإسرائيلى فى ٥ يونيو «حزيران» ١٩٦٧ عن حلف استعمارى رجبى موجود الآن وحقيقى كالموضح بالرسم .

فلقد بات الاستعمار يدرك أن المواطن العربى تعود أن يرفض الأحلاف الغربية فى المنطقة ، وكإعادة كان تكيفه مع هذه الحقيقة سريعا وللغاية وتحاياله عليها يتناسب مع حاجته إليها ، وتغير المنطق من الحلف إلى القواعد العسكرية .

لقد كانت الغاية الأساسية للأحلاف الغربية التقليدية فى منطقة الشرق الأوسط طوال الخمس عشرة سنة التى خلت تستهدف ما يلى :

١ — ضمان النفوذ الغربى فى المنطقة سياسيا واقتصاديا .

(١) بقلم غسان كنفانى .

٢ — حماية إسرائيل .

٣ — إيقاف المد الثوري والحيلولة دون اتساعه .

وبالوسع تلمس هذا الحلف الموجود عمليا في الشرق الأوسط باسم قواعد عسكرية عبر حلقتين : واحدة منهما أساسية والثانية احتياطية .

أما الحلقة الأساسية فترتكز على النقاط التالية :

من القواعد الأمريكية بالمغرب مرورا بتونس ، إلى القواعد الإنجليزية بليبيا ، وتتسكىء هذه الحلقة على « دولة الأسطول السادس » في المتوسط وتنكامل سيرها من ثم . . من إسرائيل إلى الأردن إلى السعودية ، إلى عدن إلى الساحل الجنوبي للجزيرة ، فالخليج حيث تنعقد في البحرين .

أما الحلقة الاحتياطية والتي يمكن استدعاؤها بسهولة لدى أى نزال طارئ فتمتد من المغرب حتى الكويت ، مرورا بتونس وليبيا والسودان والسعودية والجنوب المحتل والخليج وإسرائيل والأردن ودولة الأسطول السادس في المتوسط .

إن الحديث عن «حلف قادم» هو مجرد قفز فوق الموضوع الراهن فالحلف الاستعماري الرجعي اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، موجود عمليا . . وإن يكون من الممكن حدوث ذلك التنسيق الاقتصادي والسياسي والعسكري بين دول هذا الحلف بالشكل الذى نراه يتبلور يوما ، لو لم يكن هذا الحلف موجودا وجودا فعليا وبصيغة غير معلنة .

إن الإثباتات — إن كان ثمة حاجة لها — للتدليل على وجود هذا الحلف يمكن استعراضها بإيجاز كما يلي :

١ — صفقات السلاح الأمريكى البريطانى للأردن والسعودية وإسرائيل

والمغرب في وقت واحد .

٢ — الوضع في الجنوب اليمنى المحتل تبلور نهائياً بصيغة « وراثته الرجل الأبله » وهو الشعار الذي كان يوازيه في نهاية القرن الماضي شعار « وراثته الرجل المريض » في القسطنطينية . والرجل الأبله هنا هو حكم السلاطين الذين وضعتهم بريطانيا بنفسها على رأس السلطة هناك .

٥ — الحملة الفرنسية على مصر رائدة الاستعمار للمنطقة :

إن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ يتعين على القوى الثورية التقدمية دراستها من نواح متعددة : فإن حملة عسكرية تأخذ طريقها إلى الشرق مزودة بالأجهزة العلمية ، وبطبعة عربية وأخرى فرنسية ، ويرافقها عدد من العمال والعلماء الإخصائيين في شتى العلوم ، تدفعنا إلى أن نقساءل : أهي حملة عسكرية حربية أم حملة علمية تجسسية ؟ فإن الغرب إذا تحرك إنما يتحرك بأبعاد مدروسة ، لذلك فإن الحملة تهدف إلى التحصيل العلمي وهو أبقى لها من السيطرة العسكرية . فكان مما عنيت به الحملة رسم خرائط لمصر ، ودراسة أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد جمع ذلك كله بعد رجوع الحملة إلى فرنسا في كتاب اسمه « وصف مصر » ، كما اهتموا بدراسة آثار مصر القديمة فرسموا الكثير منها ، وفي عام ١٧٩٩ كشف أحد الضباط الفرنسيين حجراً قرب رشيد كان مكتوباً عليه عبارات بالهيراغليفية والديموطيقية واليونانية القديمة وفي عام ١٨٢١ استطاع شامبليون أن يفك طلاسم هذا الحجر وبذلك أمكن الوصول إلى أسرار الكتابة المصرية القديمة ، وقراءة النقوش الموجودة على الآثار المصرية . وبذلك تم كشف قسط كبير من تاريخ مصر القديم ، وبعث هذه الحقبة الزاهية الخاصة بمدينة من أسبق مدنيات العالم .

ومما قامت به الحملة أيضاً دراسة مشروع توصيل البحرين الأبيض والأحمر وهو ما تمخض في النهاية عن مشروع قناة السويس ذات الأهمية الكبرى في تاريخ مصر الحديث .

إن الغرب يسير وفق مخطط مدروس يربط بين الماضي والمستقبل، وانطلاقاً من الحاضر يعدون خطتهم كاملة ثم يحققون أهدافهم إن عاجلاً أو آجلاً، حسب إمكانيات استيعاب الأيام لخطتهم .

٦ - حقائق تاريخية عربية :

عاصرت قضية فلسطين نهاية الثورة العربية الكبرى إبان الحرب الكونية الأولى . ونشأت كمشكلة قومية بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها . وتمت التجزئة حسب معاهدة سايكس - بيكو ، واحتل الإنجليز فلسطين لتنفيذ وعد بلفور ، والأردن ، والعراق ، كما احتل الفرنسيون سوريا ولبنان .

كانت الحركة العربية في تلك الآونة حركة ذات مفاهيم عشائرية ، ولما وقعت التجزئة أخذت تقبلور بشكل بطيء على أسس علمانية ، لكنها مع الأسف فقدت وحدتها العضوية ، وانقسمت إلى حركات وطنية مستقلة لها قياداتها المتعددة المنفصلة .

ومع الزمن أخذ الترابط في العمل القومي يفقد قوته وفعله بين هذه الحركات الوطنية . ولا شك أن تقطيع أوصال المشرق كان سبباً مباشراً في تمزيق الحركة العربية الواحدة .

ثم اختلاف الظروف الاستعمارية التي وقعت تحت طائلها هذه الأقطار قد ساعد على انكماش النضال القومي على صورة حركات وطنية متعددة تناضل من أجل الاستقلال القطري .

وهذا ما جعل القضية الفلسطينية تتقلص في حدودها القطرية ، وبرزت قياداتها المستقلة لتقوم الكفاح الوطني الفلسطيني بمعزل عن التفاعل الإيجابي مع الحركات الوطنية الأخرى في البلاد العربية التي كانت تخوض في نفس الوقت معارك الاستقلال .

وبالرغم من كل ذلك كانت الروابط الروحية تشد الحركة الوطنية في فلسطين بالحركة الوطنية في كل من سوريا والعراق . وقد حافظ هذا الترابط إلى حد كبير على المفهوم القومي للقضية الفلسطينية ، فبقيت في إطارها العام مسألة قومية ، وإن كانت عناصر الفعل فيها قطرية في غالبيتها - فالشوار فلسطينيون ، والثورات وقادتها فلسطينية وفلسطينيون ، وساحة المعركة أرض فلسطين .

وبقيت القضية في حدودها الإقليمية إلى أن استقلت بعض الأقطار العربية مثل سوريا ولبنان والعراق ، وقامت الجامعة العربية ، وتوات الدفاع عن قضية فلسطين في المحافل الدولية ، إلى أن صدر قرار التقسيم ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين كحل قومي للمشكلة .

ولكن هذا الحل فشل لأن الدول العربية أسقطت من حسابها القوى الفلسطينية الفاعلة في المعركة بتجميدها هذه الفعاليات الثورية المسلحة .

والحق أن هذه العملية كانت خطة مدبرة من القيادات العربية الحاكمة في الأردن والعراق ومصر . وحلت النكبة بثقلها على الشعب العربي الفلسطيني ، وتأثرت بها إلى حد بعيد معظم الأقطار العربية المجاورة لفلسطين .

إن الذهنية العشائرية الانفعالية التي قادت الثورة العربية الأولى هي نفس الذهنية البورجوازية العاجزة التي سيطرت على معركة سنة ١٩٤٨ الفاشلة ، لقد سلبت الجماهير الفلسطينية إرادة العمل بالقوة والضغط السياسي ، ومرزقت الحركة الوطنية الفلسطينية كشرط أساسي لدخول الجيوش العربية وسلامتها . حلت النكبة وشعرت الجماهير العربية بمرارة المأساة والهزيمة فتحررت

يعنف وأطاحت بالحكام المنحرفين ، وبدأ التيار القومي يقوى ويشهد إلى أن برزت إلى حيز العمل الثورى حركات عقائدية تقود الجماهير فى طريق الثورة .

كانت تلك المرحلة تمثل بداية الانعطاف التاريخى فى الحياة العربية ، فقوى دعاة الحركات القومية ، وأخذت تتوثق الروابط القومية ، وامتدت الدعوة القومية ، وأخذت تنادى بشعار الوحدة طريقا إلى فلسطين ، وهذا ما جعل النضال القومى يبنى على أسس علمية حية (١) .

عرض موجز

للتحركات العسكرية للجيوش الأجنبية والتدخل الأجنبى
فى البلاد العربية

اولا - الحروب الصليبية :

- هزيمة الصليبيين على أيدي المصريين عام ١٢٢١ م .
- ثم هزيمتهم وإزالتهم من الوجود العربى «الفلسطينى والمصرى» عام ١٢٤٩ م .
- وأسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى مدينة المنصورة .

رد الفعل :

تربص الغرب بالشرق ، وفى غفلة من حكام تركيا استطاع فرنسوا الأول ملك فرنسا الحصول على امتيازات من السلطان سليمان القانونى باسم حماية المسيحيين فى الشرق . وتمكنت فرنسا من بسط نفوذها عن طريق الهيئات التبشيرية والعلمية التى ثبت بالواقع والتاريخ أن أعضاءها عيون وآذان للإمبريالية العالمية .

(١) للباحثين والمجاهدين فى التحرر انظر :

- ١ — الهاشميون وقضية فلسطين — للدكتور أنيس صايغ لبنان .
- ب — ملوك العرب — لأمين الريحانى — طبعة ١٩٢٤ .
- ج — مذكرات عبد الله التل — عبد الله التل — الأردن .

ثانياً - الاحتلال الفرنسي :

مصر	١٧٩٨ - ١٨٠١
الجزائر	١٨٣٠ - ١٩٦٢
تونس	١٨٨١ - ١٩٥٦
مراكش بالاشتراك مع أسبانيا	١٩١٢ - ١٩٥٦
سوريا ولبنان	١٩١٨ - ١٩٤٦

الثالث - الاحتلال الانجليزي :

عدن	١٨٣٤ - ١٩٦٧
مصر	١٨٨٢ - ١٩٥٦
السودان	١٨٩٩ - ١٩٥٦

رابعاً - الاحتلال الايطالي :

ليبيا	١٩١١ - ١٩٥١
-------	-------------

خامساً - التاصر على فلسطين :

معاهدة سايكس / بيكو	١٩١٦ / ٥ / ١٦
وعد بلفور	١٩١٧ / ١١ / ٢

١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب البريطاني على فلسطين.

ويصرح الكاتب اليهودي آرثر كوستلر عن وعد بلفور بقوله: « إنه وثيقة

سياسية أعطت فيد أمة لأمة أخرى وعدا بأرض تملكها أمة ثالثة » .

* * *

التدخل الاجنبي في مصر نتيجة لنزوات حكامها وقتئذ :

إن الغفلة التي اتسم بها سعيد والانسحاق في تيار النزوات التي اتسم بها
إسماعيل وورط البلاد بالتزامات سياسية وأعباء مالية ضيقت على البلاد ليس
حقوقها في قناة السويس فحسب ، بل سيادتها على البلاد بعدئذ . ولا أدل من

طلب لجنة التحقيق التي شكلت لدراسة المالية المصرية تأليف وزارة أوروبية في مصر عام ١٨٧٨ برئاسة نوبار باشا الأرمني تضم وزيراً إنجليزياً وآخر فرنسياً عدداً كبيراً من الموظفين الأوربيين الآخرين الذين شغلوا بعض المناصب الكبرى في الإدارة المصرية .

وقد استطاع جيميتا رئيس وزراء فرنسا أن يؤثر في إنجلترا فيقنع وزير خارجيتها بأن ترسل الدولتان مذكرةً مشتركةً إلى الخديو تعدانه فيها بالمساعدة في رد الأخطار التي قد تواجهه ، وقدمت المذكرة إلى الخديو في ٧ يناير ١٨٨٢ ، فأثارت شعور الوطنيين المصريين إذ أن مجرد توجيهها يعد تدخلاً سافراً في شئون مصر .

المؤتمرات السياسية واقتسام الشام :

إن تقرير « كامبل بنرمان » السابق ذكره كان وما يزال موضع تقدير ساسة الإمبريالية ، ومن خلال الحقيقة الاستعمارية التي أثبتها تقرير « كامبل بنرمان » يتضح لنا التقاء الاستعمار الجديد مع الحركة الصهيونية المتصاعدة . فالاستعمار يهدف إلى محو عروبة المنطقة التي تصل آسيا بإفريقيا ، والصهيونية تريد السيطرة على أرض الميعاد وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين .

سار الاستعمار والصهيونية منذ عام ١٩٠٧ جنبا إلى جنب ، حيث التقت أهدافهما لمحو عروبة فلسطين ، ولما لم تكن بريطانيا تسيطر على فلسطين وقتئذ ، فقد اقترحت توطين اليهود وإقامة مستعمرات لهم في شبه جزيرة سيناء ، إلا أن الحكومة المصرية في ذلك الوقت تنهت إلى هذا الخطر وقاومته بشدة .

وعادت بريطانيا تعرض على الصيونييين استيطان مستعمرة « أوغندا »

في وسط إفريقيا كمنطقة تجمع اليهود ثم يصير نقلهم بعد ذلك إلى فلسطين ، غير أن المؤتمر الصهيوني في عام ١٩٠٨ رفض هذا العرض ، وأصر على ضرورة هجرة اليهود إلى أرض الميعاد .

ومنذ ذلك التاريخ وضعت الصهيونية كل إمكانياتها ونفوذها المالى والسياسى فى خدمة الاستعمار البريطانى ، وساهمت فى خلق ظروف الحرب العالمية الأولى ، كما اتفقت مع بريطانيا للضغط على أمريكا لدخول الحرب بجانب الحلفاء مقابل الوعد بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وما إن نشبت الحرب العالمية الأولى حتى أخذ اليهود يضغطون على بريطانيا لتحقيق وعودها لهم ، بالرغم من أن بريطانيا سبق أن وعدت العرب باستقلالهم مقابل مساعدتهم لها فى القضاء على الإمبراطورية العثمانية .

وقبل نهاية الحرب قدم الزعيم الصهيونى «البريطانى الجنسية» «صموئيل» إلى الحكومة البريطانية تقريرا عرض عليها فيه مشروع تأسيس دولة يهودية فى فلسطين تحت إشرافها ، واقترح حشد ٣ أو ٤ ملايين يهودى أوربى فيها ، وبرر مشروعه بجملته المشهورة : « فنكون بذلك قد أوجدنا بجانب مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا » . وبعد مشاورات شكاكية صدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا وقتئذ ، والمشهور « بوعد بلفور » والذى جاء فيه :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى . وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية . . . » . وقد جاء هذا الوعد بعد سنة ونصف سنة فقط من اتفاق بريطانيا مع العرب على استقلال البلاد العربية ومن ضمنها فلسطين .

(م ٦ — اسرائيل)

لقد حاولت بريطانيا أن تبرر صدور « وعد بلفور » بظروف الحرب العالمية الأولى ، وأن ما قصد به هو الحصول على تأييد الصهيونية العالمية وخصوصاً في أقوى معاقلها بالولايات الأمريكية المتحدة لقضية الحلفاء .

والواقع أن وعد بلفور ما هو إلا جزء من خطة الاستعمار للقضاء على عروبة فلسطين ، ويؤيد هذا ما قاله الدكتور حاييم وايزمن بعد انتهاء الحرب :

« إننا انفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب »

من ذلك يتضح لنا أن الادعاء التاريخي بالوطن القومي ، وأطماع الرأسمالية اليهودية ، وخطط الاستعمار العالمي - التقت أهدافها على أرض فلسطين .
فلولا الاستعمار البريطاني بالذات لما قامت مشكلة إسرائيل ولما واجه العالم مأساة من أفجع مآسيه .

بريطانيا تتآمر على العرب :

منذ أن التقت أهداف الاستعمار والصهيونية في أوائل القرن الحالى أخذت بريطانيا تعمل جاهدة لتنفيذ خططها الاستعمارية بتمزيق شمل الوطن العربي ، والسيطرة عليه سياسياً واقتصادياً ، وكان سبيلها في ذلك هو إقامة دولة إسرائيل لتكون قاعدة للاستعمار العالمي وأداة للإرهاب والعدوان على الشعب العربي .

وقد سنحت لبريطانيا هذه الفرصة في فترة الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ ، فاستطاعت باعتبارها أكبر الدول الاستعمارية وقتئذ وأقواها حقوذا بالتعاون مع الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية ، والرجعية العربية

أن تنفيذ تخطيطها المرسوم والموجه إلى قلب الأمة العربية في فلسطين .

لقد بدأت بريطانيا سياستها في هذه الفترة بالنش والخداع ، فأطماعها في أملاك الإمبراطورية العثمانية معروفة منذ أن احتلت مصر عام ١٨٨٢ ولهذا أخذت تعلن عن مبادئ الحرية وعن حق تقرير المصير بالنسبة للشعب العربي مقابل أن يشور على الحكم التركي.. إلا أن العرب كانوا حريصين ، ولم يستجيبوا إلى هذه الوعود التي لا تستند إلى أى دليل أو اتفاق ، بل كانت مجرد وعود جوفاء .

ولكن على أثر الهزائم التي منى بها الإنجليز في معركتي غاليبولي في تركيا وكرت العمارة في العراق بدأوا في اتخاذ خطوات إيجابية بالاتصال بالعرب لإجراء مفاوضات للوصول إلى اتفاق .

قبول الشريف حسين لوعده بلفور (١) :

أكد هجارت — مندوب القيادة البريطانية في مصر — للشريف حسين أن وعد بلفور لا يعرض العرب لحكم اليهود قط . وأخذ يصور له حسنات وهمية يحنها العرب من تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين : منها أن صداقة الصهيونيين للعرب تتيح للهاشميين صداقة دول كثيرة تخضع للنفوذ الصهيوني ، وأن يهود أوروبا وأمريكا سيهاجرون إلى فلسطين وهم يحملون ثرواتهم لاستغلالها في البلاد ، وإشراك العرب بأرباحها .

ولقد سبق أن استعمل بالمرستن هذا المنطق مع السلطان العثماني بواسطة سفيره ١٨٣٩ — ١٨٤٠ للسماح باستيطان اليهود لأجزاء من فلسطين ، وإذا كنا نصدق هجارت ، وليس لدينا مصدر رسمي غيره عن تفاصيل رحلته لمقابلة

(١) الهاشميون وقضية فلسطين للدكتور أنيس صابغ ص ٦٧ .

الحسين ، فإن الحسين « أبدى استعداداه التام لقبول الفكرة ووافق عليها بحماس قائلاً : إنه يرحب باليهود في كل البلاد العربية » . لكن هجارت لم يكتم سخريته من حماس الحسين ، وقال إن عميد الهاشميين وافق على مشروعه ، « دون أن يعرف شيئاً عن واقع فلسطين الاقتصادي » .

ومما يدعوننا إلى تصديق ما رواه هجارت أن حسين نفسه كتب مقالاً في جريدة « القبلة » ^(١) بعد زيارة ضيفه البريطاني بوقت قصير ، يمدح فيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين ويشيد بأثرها في تطوير البلاد ويعلن تشجيعه لها . ولم يجد الحسين في مقاله فرقا بين اليهود والصهيونيين إلا أنها « حركة سامية لا اعتراض عليها » .

الثورة العربية الكبرى (٢) :

اندلعت الثورة العربية ضد تركيا ، وبدا كل شيء وكأنه يسير في طريق مضاد تماماً لما كان مأمولاً ومرجواً من العناصر العربية القومية التي تحركت إلى الثورة ضد الخلافة العثمانية ، مدفوعة بأحلام عريضة في استقلال الأمة العربية ووحدها .

وكان السبب الرئيسي هو دور الشريف حسين الذي اختاره الإنجليز عدواً لتركيا ، واختاره في نفس الوقت أحرار العرب ، تصوراً من الجانبين — وعلى غير اتفاق بينهما — أن الثورة ضد الخليفة العثماني لا يمكن أن تنجح إلا إذا تصدرها رأس تملوه عمامة !!

(١) ١٩١٨/٣/٣٣

(٢) ملوك العرب — أمين الريحاني . ولدكتور أنيس صايغ المؤرخ اللبناني القدير في دراسة له عن الهاشميين وفي صفحة ٩٨ من الجزء الأول فيها نص عن التيارات التي لعبت دوراً بين القوميين مثل عزيز المصري ، ولما أخفقت هذه التيارات معه واجهته السلطات البريطانية بالتعويق ومراقبة تحركاته ثم طرده من مصر ، فاختر اسبانيا مقراً لثقيفه .

ووفد على الشريف حسين رسول من كتشنر قائد القوات البريطانية في مصر يعرض عليه أن يشارك في المجهود الحربي ضد سلطان تركيا، وأن يتزعم المسلمين خليفة عليهم بعد سقوط استانبول، وتجمع كل المصادر التاريخية أن الشريف حسين قبل أن يفتح باب الحديث عريضا ومتصلا مع الإنجليز لعدة أسباب:

- ١ — أن رسول كتشنر ثم رسل مكاهون من بعده — وبينهم لورنس — حملوا إليه ذهبا كثيرا وسلاحا كثيرا ووعدوه بذهب أكثر وسلاح أكثر.
 - ٢ — أن الشريف حسين كان في حاجة إلى المال لأن موسم الحج بارت كلها بسبب ظروف الحرب، وانقطاع طريق البحر.
 - ٣ — أن السلطان العثماني كان يشك في شريف مكة وأبنائه ولا يثق بهم، ورفض أن تكون فيهم إمارة الحجاز متوارثة لهم.
 - ٤ — أن أحرار العرب بدأوا يسقطون واحداً بعد واحد أو يبتعدون عن الثورة أو ما بقي من أشباحها، حتى لم يعد في الميدان غير الهاشميين والإنجليز. فقد انسحبت أو أبعدت أو صفيت حتى بالاغتيال — كما حدث لعبد القادر الجزائري، وكما حدث لعزيز المصري — كل العناصر القومية التي حامت يوماً باستقلال العرب ووحدتهم.
- لم يبق إلا الهاشميون . . . ولورنس . . . وستورز . . .
- وقد اتخذت بريطانيا من الشريف حسين ركيزة للاعتماد عليها، وجرت المفاوضات على شكل رسائل متبادلة بين آرثر مكاهون المندوب السامي البريطاني في مصر في ذلك الوقت، والشريف حسين شريف مكة، وتبدلت بينهما عشر رسائل في الفترة من يوليو ١٩١٥ — إلى مارس ١٩١٦، وكانت تعرف برسائل مكاهون — حسين.

وقد اعترفت بريطانيا في هذه الرسائل بحق العرب في الاستقلال والوحدة ، وكان من نتيجة ذلك ثورة العرب على الأتراك وتركهم صفوف الجيش التركي والانضمام إلى القوات العربية التي شكلت في ذلك الوقت لمعاونة القوات البريطانية الزاحفة إلى فلسطين وبلاد الشام . وحينما اطمانت بريطانيا إلى العرب وأنهم قد صدقوا وعودها ، بدأت سلسلة من الاتفاقات السرية مع حلفائها .

فعمدت معاهدة بطرسبورج بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في مارس « آذار » سنة ١٩١٦ ، وقد اتفق في هذه المعاهدة على تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين الدول الثلاث ، فكانت أملاك تركيا في آسيا الصغرى من نصيب روسيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا ، والعراق وفلسطين من نصيب بريطانيا ، واستبعدت من التقسيم الحجاز ونجد واليمن .

ثم جاء اتفاق « سايكس - بيكو » في مايو سنة ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا تدعيا لما اتفق عليه في معاهدة بطرسبورج الذي وزع العالم العربي شركة بين الاستعمار البريطاني ، والاستعمار الفرنسي ، ولقد أذيعت تفاصيل هذه المعاهدة وسط أحداث الثورة العربية وذلك أن نسخة منها كانت محفوظة في سجلات وزارة الخارجية لروسيا القيصرية ، وحين انهارت القيصرية بهزيمتها في الحرب وقيام الثورة الشيوعية حرصت الحكومة الثورية الجديدة على أن تذيب أمام الرأي العام العالمي كل الارتباطات الاستعمارية التي كانت سبب الحرب العالمية الأولى ومحركها القوى ، وروع أحرار العرب جميعا بنصوص هذه المعاهدة إلا الهاشميين .

ولما اطمانت بريطانيا إلى أن زمام الأمور أصبح في يدها . . أصدرت وحدها في ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور وبلغته سرا إلى زعماء الصهيونية قبل دخول جيوشها إلى فلسطين .

ومما هو جدير بالذكر أن بريطانيا كتمت تفاصيل اتفاقها مع حليفتيها روسيا وفرنسا وتآمرها مع الصهيونية على اغتصاب فلسطين عن حلفائها العرب، كما أنها لم تعلن تفاصيل اتفاقها مع العرب في الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون والمعروفة برسائل « حسين - مكماهون » .

وكان وعد بلفور صدمة لكل عربي حر إلا الهاشميين الذين كانوا يعتبرون الثورة العربية الكبرى مسألة عائلية توزع مناصبها جميعا على أبناء الشريف حسين: الأمير علي أكبر أبنائه نائبا للملك في الحجاز، والأمير عبدالله نائبا للملك في العراق، والأمير فيصل نائبا له في الشام. كل ذلك ونصيب الأسرة الهاشمية في الثورة لم يزد على رصاصة أطلقت في الهواء من شرفة القصر في مكة لإعلانها لبدئها في حركة مسرحية اقترحها عليه « لورنس » الذي شهدها ووصفها في أعمدة الحكمة السبعة .

وحين كتبت بعض الصحف البريطانية تبدي تخوفها من أن التاريخ قد يقول يوما إن بريطانيا طعنت أصدقاءها العرب في ظهورهم أثناء معركتهم إلى جانبها، اكتفى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج بأن يقول وقتها :

« لدى ما يحملني على الاعتقاد وأنا واثق - أنه ليس فيما فعلناه ما يمكن أن يكون مفاجأة لأصدقائنا العرب » !!

وعلى أثر نشوب الثورة الشيوعية في أكتوبر سنة ١٩١٧ التي كان من ورائها قولا وعملا وتمويلا وتخطيطا عتاة اليهود الصهيونيين، أعلنت الحكومة السوفيتية - هادفة لتأكيد قانونية وعد بلفور بإعلانه للعرب الطرف الثاني - الاتفاقات السرية التي عقدتها حكومة روسيا القيصرية - مع إنجلترا وفرنسا - وقد استغلت الحكومة التركية ذلك في تنبيه العرب إلى افتضاح مؤامرات بريطانيا، مما دعا العرب الأحرار إلى التماس

من بريطانيا عن حقيقة هذه الاتفاقيات ، فنفت بريطانيا ذلك بشدة ، وأكدت عزمها على مساعدة العرب على نيل حريتهم وتشكيل حكومات وطنية مستقلة في البلاد العربية .

وبالرغم من هذه الوعود التي بذتها بريطانيا « باحترام استقلال البلاد العربية » فقد فوجئ العرب بوضع فلسطين بعد تحريرها تحت إشراف إدارة أراضي العدو المحتلة . وباشرت السلطات البريطانية وضع « وعد بلفور » موضع التنفيذ وسمحت لليهود بالمشاركة في إدارة البلاد وإعدادها للوطن القومي اليهودي .

ويقول الكاتب اليهودي آرثر كوستلر عن وعد بلفور : « إنه أول وثيقة سياسية تحصل عليها الصهيونية تأييدا لأهدافها » . وبصدوره دخلت فلسطين أولى مراحل كفاحها الطويل حفاظا على عروبتهما وحريةتها .

أما وجهة نظر بريطانيا باستعمار فلسطين فيمكن أن نأخذ مثلا عنها من رسالة بعث بها الكولونيل مايتز تساغن إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩١٩ يقول فيها : « إننا نسير بحكمة زائدة مستهدفين السماح لليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين . لقد حررنا العرب من نير الاستعمار التركي ولن نستطيع البقاء في مصر إلى الأبد . . . وبريطانيا تتحكم الآن في الشرق الأوسط . ونحن لانستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود في آن واحد ، وإنني أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم باعتبارهم الشعب الذي سيكون صديقنا المخلص الموالي في المستقبل » .

ويقول الدكتور أنيس صايغ (١) عن الخطة التي استخلصت منها

بريطانيا قانونية وعد بلفور: « افترض حلم سايكس الديبلوماسي البريطاني الذي شارك في التوقيع على اتفاقية سايكس - بيكو المشثومة التي قسمت العالم العربي ، أن يكون للحركة القومية العربية زعامة « معتدلة » تربط بين أهداف الحركة والأطماع الصهيونية » .

لذلك علقت الآمال على فيصل منذ أن استبشر لورنس به خيرا وأخذ يقدمه على أبيه وإخوته وسلط الأضواء عليه ، ونتيجة لذلك أعد المسؤولون البريطانيون في القاهرة مشروع لقاء بين الدكتور حاييم وايزمن وفيصل ، هو الأول من نوعه بين زعماء الحركتين المتناقضين ، ليسهم الجمع بينهما في تحقيق الحلم ويسهل على بريطانيا تحقيق وعد بلفور ، بعد أن نجح هجارت في الحصول على تأييد الحسين في مطلع ١٩١٨ . وكان وايزمن قد جاء إلى فلسطين في ربيع تلك السنة على رأس لجنة صهيونية - بريطانية خولتها الحكومة البريطانية درس مستقبل العلاقات بين اليهود وسلطات الاحتلال في فلسطين ، وعهدت إليها بتقوية تلك العلاقات وتنظيم شئون يهود فلسطين وتأسيس مستعمرات جديدة ، وكانت تلك اللجنة تمثل صهيوني العالم ، واشترك فيها أربعة من كبار الصهيونيين ، ومراقبان رسميان أحدهما يهودي صهيوني « جيمس روتشيلد » والآخر ضابط شبه مستعرب أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات ، الميجور أورمسي جور « اللورد هارلش » فيما بعد .

غادرت اللجنة لندن ، بعد أن قابلت الملك جورج الخامس ، ووصلت القدس في أوائل إبريل « نيسان » ١٩١٨ ، وعملت في الأسابيع الأولى من إقامتها في فلسطين على تركيز وضعها بين يهود فلسطين وفي تأسيس شبه حكومة ودوائر رسمية وسفارات وشرطة وجيش وميزانية . وقد حاولت بعد أن انتهت من تلك الأعمال ، أن تقنع زعماء فلسطين بالتعاون معها . ولكنها

فشلت وصددها أغلب الزعماء ، بالرغم من جهود رونالد ستورز . عند ذلك رتب الجنرال النبي ، القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين ، أمر الجمع بين رئيس اللجنة وفيصل ، وكان فيصل يقيم مع جنوده في جوار العقبة ، قبيل بدء الهجوم العام على الشمال ، وكان والده قد أخبره بمضمون مباحثاته مع هجارت ، وطمأنه إلى حسنات وعد بلفور ومزاياه . وقد ذكر فيصل فيما بعد ، في حديث أجراه مع صديقه السيدة أرسكن أن والده أرسل يأمره بالألأيتهم بالضجة التي أقامها بعض العرب حول قصة وعد بلفور حينما عرفت تفاصيله ، وأن يتابع عمله في خدمة البريطانيين ، وإلا فهو « خائن » في نظر أبيه .

وقد كان فيصل في خدمة بريطانيا والصهيونية العالمية ، وقد جاء في أهرام ٣٠ يونيو « حزيران » ١٩٦٦ أن السيد / أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قدم عشر وثائق خطيرة إلى ممثلي الملوك والرؤساء العرب أثناء انعقاد ثالث وآخر جلسات دورتها الحالية ومنها هذه الوثيقة « اتفاقية وايزمن / فيصل » ، وتتضمن المواد التالية :

المادة الأولى : قيام علاقات بين الدول العربية وفلسطين وتعيين ممثلين معتمدين في بلديها .

المادة الثانية : إنشاء لجنة لوضع الحدود بين الدولة العربية وفلسطين .

المادة الثالثة : الموافقة على تنفيذ وعد بلفور الصادر في ٢/١١/١٩١٧ .

المادة الرابعة : تنشيط الهجرة اليهودية على نطاق واسع ، وإسكان اليهود في الأراضي .

المادة السابعة : الجمعية الصهيونية تساعد الدول العربية على تنمية مواردها الطبيعية وإمكانياتها الاقتصادية .

المادة الثامنة : يتعاون الطرفان بانسجام وتفاهم تامين لدى مؤتمر الصلح في جميع الأمور الواردة في هذا الاتفاق .

ولقد استندت الصهيونية في قانونية الاستيطان بفلسطين إلى الاتفاقية التي تمت بين فيصل ووايزمن في ٣ يناير ١٩١٩ والمعروفة باتفاقية فيصل ووايزمن والتي قدمتها إلى لجنة التحقيق البريطانية سنة ١٩٣٨ وتنص على ما يأتي :

« اتفق الطرفان على ما يلي :

« تأسيس كيان فلسطيني منفصل عن الدولة العربية في سورية » (مادة ١) .

« تقوم الدولة الفلسطينية ، بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ في دستورها وإدارتها » (مادة ٣) .

« اتخاذ كل الإجراءات الضرورية لتعمد هجرة اليهود إلى فلسطين على نطاق واسع وتشجيعها بأسرع وقت ممكن ليستقر المهاجرون الجدد في البلاد » (مادة ٤) .

« أن يرسل الصهيونيون لجنة لدرس أوضاع فلسطين وإمكاناتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود » (مادة ٧)

« أن تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حال نشوب خلاف بين الطرفين » (مادة ٩)

وقد يبدو لأول وهلة أن النص واحد في الوثيقة التي قدمها الشقيرى وفي الوثيقة التي قدمتها الصهيونية إلى لجنة التحقيق البريطانية سنة ١٩٣٨ ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن التزييف اللفظي في التركيب والبناء يعطى الصهيونيين حقوقا لا مناص منها .

والواقع أن بريطانيا استطاعت أن تعتمد على شخصية عربية حققت لها

مطامعها الإمبريالية وحققت لها تنفيذ وعد بلفور، والفضل في هذا الاكتشاف لصالح الإمبريالية الصهيونية هو في نصيحة لورنس الذي قال : « لا أمل في قيام وحدة عربية ، لا في الحاضر ولا في المستقبل ، وإن التعامل مع العرب يجب أن يكون بواسطة الهاشميين ، وبواسطة أبناء الحسين بنوع خاص » (١) .

وهكذا كانت الخطوة الثانية هي خطة التهود « Judaization » بعد أن تحقق لبريطانيا الاطمئنان إلى تنفيذ وعد بلفور من الجانب العربي ، ولا يتأتى تهويد فلسطين إلا بوضعها تحت سيطرة الانتداب البريطاني .

الانتداب البريطاني على فلسطين

وفي عام ١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب الذي تضمن المخطط العملي لتأييد الدولة الصهيونية ، ونصت المادة الثانية منه على مسئولية الدولة المقترحة — بريطانيا — عن تهيمته الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية بما يكفل تنفيذ إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وفي ظل الحكم العسكري البريطاني المهورر بتوقيع عصبة الأمم سارت عملية خاق إسرائيل وفق ذلك المخطط المدروس الشامل .

بريطانيا تنفذ صك الانتداب :

كان لا بد أولاً من إيجاد نسبة من السكان اليهود تكون كافية لتبرير

(١) لورنس في مذكرة رسمية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية وكان اقتراحه فيها أن يصبح الشريف حسين ملكاً للحجاز ، ويخلفه ابنه علي ، وأن يكون فيصل ملكاً في سوريا ، وزيد ملكاً في شمال العراق ، وعبد الله ملكاً في جنوب العراق .

فكرة الوطن القومي اليهودي نظريا ، وإقامة الدولة الصهيونية عمليا . وهكذا فتح الاستعمار البريطاني أبواب فلسطين لهجرة اليهود الغرباء ، وبسط حمايته على الهجرة غير المشروعة .

فبينما لم يزد عدد المهاجرين اليهود طيلة ٣٥ عاما قبل الاحتلال البريطاني عن ٢٥ ألف يهودي ، فإنه قد دخل مهاجرا إلى فلسطين خلال الأربع السنوات الأولى فقط من الاحتلال أكثر من ٢٦ ألف يهودي .

وارتفع هذا العدد إلى ١٠٠ ألف بعد عشر سنوات من الاحتلال ، ثم ارتفع إلى ٢٥٠ ألفا بعد ١٧ سنة من الاحتلال .

لقد دخل الاستعمار البريطاني فلسطين وفيها ٥٦ ألف يهودي فقط ، وغادرها بعد أن ترك فيها ٧٠٠ ألف يهودي ، أي أن عدد اليهود ارتفع بمقدار ٣ اضعفا خلال فترة الاحتلال البريطاني وبفضله . وكان لابد بعد إيجاد السكان اليهود من إيجاد الأرض لهم .

ولما لم تُجد سياسة الإغراء المالي التي لجأت إليها الصهيونية ، تقدم الاستعمار البريطاني ليمارس سياسة شاملة من تضييق الخناق على العرب ، وسن التشريعات الزراعية المجحفة ، وتحميل المزارعين من العرب مزيداً من الضرائب بهدف دفعهم إلى بيع أراضيهم بينما تمنح الأراضي لليهود ويشجعون بمختلف الحوافز القانونية على امتلاك الأرض . ومع ذلك فإن نسبة ما استحوذوا عليه لم تزد على ٢٩٪ ولم يتجاوز مجموع الأراضي التي امتلكها الصهيونيون حتى عام ١٩٤٨ ٦٪ من مجموع أراضي فلسطين ، وهي مساحة ليست بكافية لاستيعاب اليهود المهاجرين .

وكان لابد من تأسيس إدارة صهيونية تنظم وجود أولئك السكان على تلك الأراضي وتكون نواة حكومة الدولة الصهيونية مستقبلا .

وهكذا رفض الاستعمار البريطاني البحث في أي حكم وطني أو حتى

دستورى ، لأن ذلك كما قال تشرشل : « يتناقض مع الوعد الممنوح لليهود بإقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين » . ولكنه اعترف فى الوقت نفسه بالوكالة اليهودية ، وأشرك اليهود على نطاق واسع فى إدارة البلاد بحيث أصبحت الوكالة اليهودية فى فلسطين « دولة داخل دولة » ، وكان لابد أخيراً من إيجاد قوة عسكرية منظمة تحمى هذا الوجود الصهيونى النامى من جهة ، وتقاتل لإقامة الدولة الصهيونية حين يأتى الوقت من جهة ثانية .

وهكذا سمح الاستعمار البريطانى للوكالة اليهودية بتأسيس منظمة الهاجاناه العسكرية والتنظمات الإرهابية الصهيونية التى تفرعت منها : الأرغون ، والشترن ، وأمد المستعمرات اليهودية المبنية على أساس استراتيجى بالأسلحة ، وأسهم فى تدريب اليهود عسكرياً . كل ذلك فى الوقت الذى كان فيه السجن المؤبد والإعدام من نصيب من يمتلك سلاحاً من العرب ، وكانوا يقفون على الجيش العربى فى السلاح ولا يسألونه إلا بأسوأ أنواعه وأقدمها ، وكان بعضها من بقايا الحرب الروسية اليابانية فى مطلع القرن ، وكان بعضه يتفجر فى وجه الجنود عند استعماله . وكانوا يتركون الجنود الجدد على فوضويتهم البدائية التى تحول دون تحويلهم إلى جنود حقيقيين ، وكانوا يمنعون الضباط العرب من الاطلاع على الخطط العسكرية التى هى من اختصاصهم ، وكانوا يكتفون هذه الخطط حتى عن القائد العام « العربى » .

مؤتمر ومعااهدات الصلح

حين عقد مؤتمر الصلح فى يناير سنة ١٩١٩ ، شكل وفد عربى ليعرض أمام المؤتمر مطالب العرب فى الحرية والاستقلال كما وعد الحلفاء . . . كما طالبت الوكالة اليهودية بتنفيذ وعد بلفور الممنوح للصهيونيين بإقامة وطن قومى يهودى

بفلسطين. وأعلنت بريطانيا أن وعودها لا تشمل فلسطين ، وأخذت مع فرنسا تخطيطا وتبحثان شئون البلاد العربية بينهما على ضوء مصالحهما فقط دون أدنى اعتبار للمواثيق والعهود التي قطعتهما على نفسيهما ، ودون مراعاة للمواثيق والمبادئ الدولية .

وفي يونيو ١٩١٩ انتهى مؤتمر الصلح في فرساي من وضع ميثاق عصبة الأمم المتحدة ، وكان واضحا أن الحلفاء قد نسوا في نشوة انتصارهم مبادئهم وعودهم للشعوب التي تحررت من الحكم التركي والألماني ، كما توصلوا إلى طريقة جديدة تمكنهم من السيطرة على الشعوب باسم « الانتداب » ، وجاء المجلس الأعلى للحلفاء في مؤتمر سان ريمو في إبريل سنة ١٩٢٠ ليؤكد وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب ، الفرنسي ، وذلك بمسد أن آثر أبناء الشريف حسين وهم : فيصل ، وعبد الله ، وزيد ، الخضوع لرغبات بريطانيا والوكالة اليهودية مقابل عروش زائفة عرضها عليهم الإنجليز .

ثم وقع المجلس الأعلى للحلفاء معاهدة سيفر مع تركيا في أغسطس سنة ١٩٢٠ تحت شعار فصل الولايات العربية عن تركيا المهزومة .

ومن الغريب أن يكون ذلك قبل بحث صك الانتداب على فلسطين وجاءت هذه المعاهدة مؤكدة لوعد بلفور ، ولإنشاء وطن قومي في فلسطين . غير أن معاهدة لوزان التي عقدت بين الحلفاء وتركيا في يوليو ١٩٢٣ وحلت محل معاهدة سيفر لم يرد فيها قبول تركيا مبدأ الانتداب على الولايات العربية المشطوبة منها ، أو قبولها وعد بلفور ، فقد رفض كمال أتاتورك معاهدة سيفر وكل ما جاء فيها .

الانتداب هل فلسطين والتدخل الأمريكي :

على الرغم من إعلان عصبة الأمم مشروع الانتداب على فلسطين في يوليو

١٩٢١ فإن إقرار صك الانتداب لم يتم إلا في يوليو ١٩٢٢ ويرجع ذلك إلى تدخل أمريكا في الأمر لمحاولة الاتفاق مع بريطانيا لصيانة مصالحها في فلسطين قبل إقرار صك الانتداب على أساس أنها إحدى دول الحلفاء التي اشتركت في الحرب . وقد اتخذ الكونجرس الأمريكي قراراً في يوليو ١٩٢٢ بتأييد إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وبإقرار صك الانتداب ، والموافقة على أن تكون بريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين .

وقد أشير في صك الانتداب إلى وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنشاء وطن قومي لليهود ، ومسئولية الدولة المنتدبة في إنشاء هذا الوطن .

كما صار الاعتراف بالوكالة اليهودية كهيئة لإبداء المشورة والمعونة لإدارة فلسطين في النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، كما نص على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين ومنحهم الجنسية الفلسطينية . . وأن تكون الإنجليزية والعبرية والعربية هي اللغات الرسمية في فلسطين .

تواطؤ بريطانيا سبب الاضطرابات بفلسطين

عينت بريطانيا السير « هربرت صموئيل » مندوباً سامياً لها ، وهو صهيوني النزعة يهودى الديانة ، وما إن تسلم مقاليد الحكم في البلاد حتى شرع في الاستمرار في عملية تهويد الإدارة ، وتهيئة البلاد لقيام الوطن القومي اليهودى . رغم استنكار العرب وتنبههم لبريطانيا بخطورة هذه الإجراءات ، واتخذت بريطانيا عدة أساليب ملتوية لتطمئن العرب ، واتخذت من سياسة لجان التحقيق ، والكتب البيضاء ، والقرارات بعد كل ثورة ، وسيلة لإخفاء نواياها وأهدافها الحقيقية .

كما لم تحاول بريطانيا تنفيذ شروط انتدابها على فلسطين رغم إجحافها

بمقوق العرب ، فهى لم تمنح العرب حق الحكم الذاتى ، ولم تحقق لهم إنشاء أى مؤسسة من مؤسسات هذا الحكم كما يقضى بذلك ميثاق عصبة الأمم ، بل على العكس أخذت تسلب الشعب حقوقه وتفزوه بسيل من المهاجرين اليهود من كافة أنحاء العالم . وبصفة عامة تجاهلت كافة حقوق وأمانى الشعب العربى فى فلسطين ، مما أدى إلى قيام الاضطرابات والثورات فى كافة أنحاء البلاد .

الاضطرابات فى فلسطين :

كانت أولى هذه الاضطرابات فى عام ١٩٢٠ التى انقلبت إلى ثورة مسلحة فى كل من القدس ويافا ، وقتل فيها كثير من اليهود المقيمين والمهاجرين .

ولما وجدت بريطانيا أن مهمتها فى فلسطين ليست بالسهولة التى تصورتها لجأت إلى أسلوبها التقليدى بتأليف لجنة تحقيق فى إبريل عام ١٩٢٠ باسم « لجنة التحقيق العسكرية » للوقوف على أسباب هذه الثورة . وقد جاء تقرير هذه اللجنة صفة لبريطانيا لأنها أوضحت الأسباب الحقيقية لهذه الاضطرابات التى تعرفها بريطانيا حق المعرفة ، وآلى تنحصر فى خيبة أمل العرب لعدم تنفيذ الوعود باستقلالهم ، ولاعتقادهم بأن وعد بلفور يتضمن إنكارا لحق مصيرهم ، وخوفهم من إنشاء الوطن اليهودى .

وبالرغم من هذا الاتهام الصريح لبريطانيا الذى جاء فى تقرير اللجنة والذى منع نشره فى فلسطين ، فقد استمرت بريطانيا فى سياستها لتمكن اليهود من السيطرة على البلاد مما أدى إلى قيام ثورة يافا عام ١٩٢١ التى شملت معظم أنحاء البلاد . وقد تردد صدى هذه الثورة فى البلاد العربية المجاورة ، مما أدى إلى قيام مظاهرات شعبية فيها تندد ببريطانيا وتعلن عهودها وموائيقها .

ووفقا لسياسة بريطانيا التقليدية شكلت لجنة تحقيق عرفت باسم لجنة (٧٢ - إسرائيل)

هيكرافت ، وقد جاء تقرير اللجنة في أكتوبر عام ١٩٢١ يدين بريطانيا ويؤيد تقرير اللجنة السابقة .

وفي عام ١٩٢٢ سافر وفد من عرب فلسطين إلى بريطانيا لعرض قضية بلاده فيها . وقد اهتم مجلس اللوردات بوجهة النظر الفلسطينية ، وقرر عدم الموافقة على صك الانتداب لما اقتضته لهيود بريطانيا للعرب ، ولأنه لا يتفق مع رغبات سكان فلسطين .

إلا أن الضغط الصهيوني على مجلس العموم جعل هذا المجلس يتغاضى عن قرار مجلس اللوردات وأيد سياسة الحكومة التي كان يوجهها مستر تشرشل وزير المستعمرات في ذلك الوقت ، والذي جاء في رده على الوفد الفلسطيني : « إن الحكومة البريطانية لا تسمح بوضع دستوري في فلسطين يحول دون تنفيذ عهد خطير قطعته بريطانيا كوعد بلفور ، ولا توافق على تأليف حكومة وطنية في هذه المرحلة ، لأن ذلك يحول دون الإبقاء بمهودها للشعب اليهودي » .

وأصدرت بريطانيا كتابا أبيض في يونيو ١٩٢٢ ، أوضحت فيه أن عهدوها للشريف حسين شريف مكة لا تشمل فلسطين ، كما رفضت قيام حكم وطني في فلسطين ، وأعلنت تصميمها على استمرار الهجرة اليهودية وتنفيذ سياسة الانتداب .

وقد حاولت بريطانيا في هذه الفترة إنشاء مجلس تشريعي لفلسطين يكون معظم أعضائه من الموظفين الإنجليز واليهود ، ويكون للمندوب السامي حق نقض قراراته ، إلا أن العرب لم يوافقوا ورفضوا الاشتراك فيه ، فاستعاض الإنجليز عنه بمجلس استشاري مثل فيه الموظفون الإنجليز واليهود فقط رغم أن العرب كانوا يؤلفون ٩١ ٪ من سكان فلسطين وقتئذ .

ثورة ١٩٢٩ :

وفي عام ١٩٢٩ ثار العرب ضد بريطانيا والصهيونية وشملت الثورة جميع البلاد وخاصة مدينة الخليل . وقد اشترك في هذه الثورة كثير من أبناء البلاد العربية ، وتكبد الإنجليز واليهود خسائر فادحة نتيجة للهجمات التي كان يشنها الثوار العرب .

الكتاب الأبيض ١٩٣٠ :

وبالرغم من معرفة بريطانيا لأسباب الثورة فقد شكلت لجنة تحقيق جريا على سياسة الماطلة والحداع عام ١٩٣٠ برئاسة القاضي والتر شو قاضي القضاة البريطاني السابق ، لمعرفة أسباب الثورة . ومرة أخرى تجيء النتائج مؤيدة لوجهة النظر العربية وتؤكد الظلم الواقع على العرب في كل المجالات السياسية والاقتصادية والزراعية .

واضطرت بريطانيا في أكتوبر من العام نفسه إلى إصدار الكتاب الأبيض الثاني المعروف بكتاب «باسفيلد» - نسبة إلى اسم وزير المستعمرات في ذلك الوقت - وأكدت فيه عزمها على تنفيذ توصيات لجان التحقيق، ووضعت نصوصا تقيد انتقال الأراضي العربية إلى اليهود ، كما حددت الهجرة ورسمت خطوط الإصلاح الزراعي والاجتماعي في البلاد ، كما أعلنت عن عزمها على تشكيل مجلس تشريعي .

لم يرض العرب للمشروع كما كانت بريطانيا تتوقع ، مما أخرج الحكومة البريطانية ، وأخذ غلاة الاستعماريين ينتقدون الحكومة ويطالبون بإلغائه ، كما قامت المظاهرات اليهودية في إنجلترا وأمريكا احتجاجا على المشروع ، مما حدا بالحكومة إلى التراجع عنه . وهكذا عادت بريطانيا إلى النقطة التي بدأت منها واستمرت سياستها وإجراءاتها التعسفية .

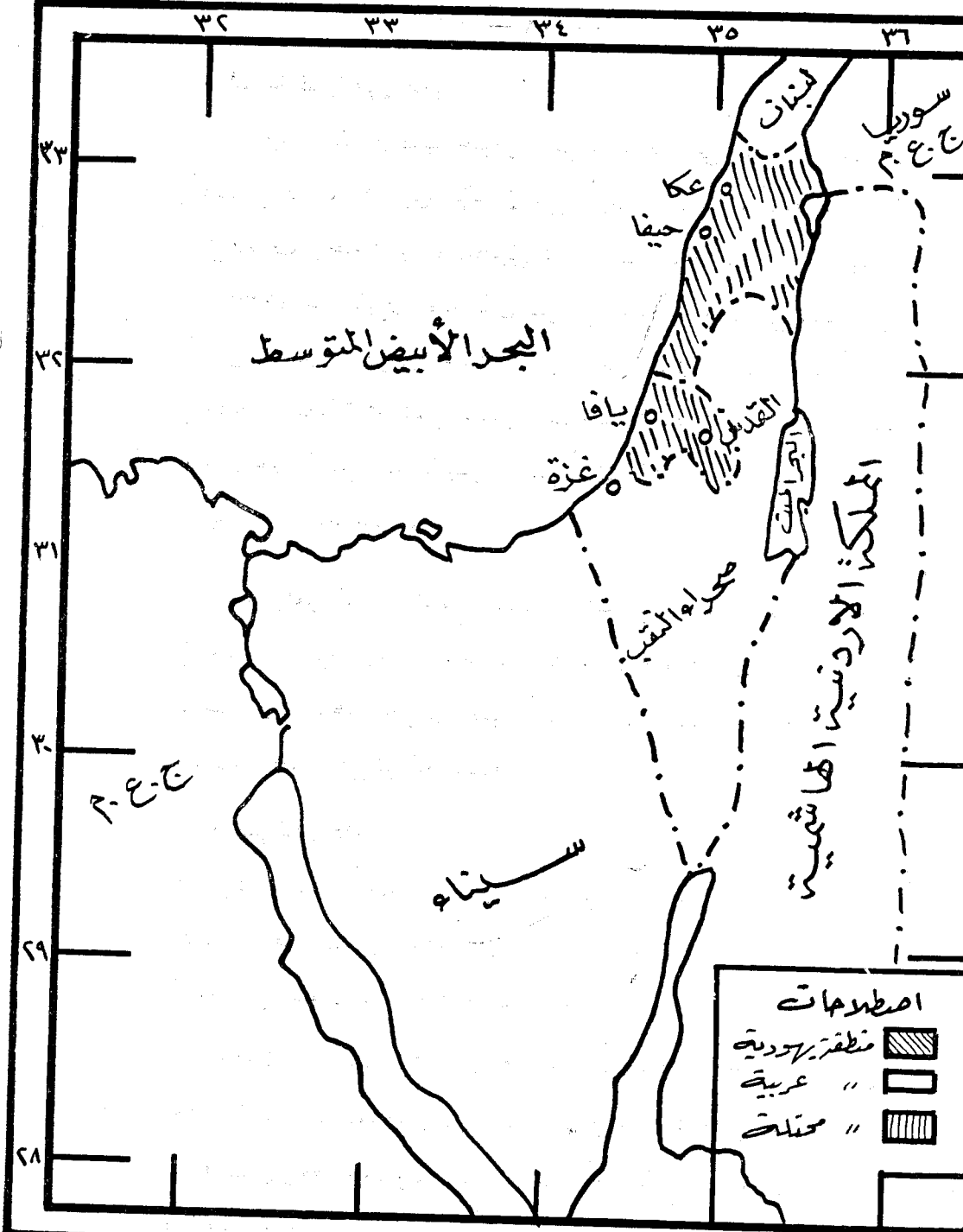
مشروع المجلس التشريعي ١٩٣٥ :

وإزاء تجدد حركات المقاومة عام ١٩٣٢ وما بعده ، فكرت بريطانيا في وسيلة جديدة للخداع والتصليل ، فعرضت في عام ١٩٣٥ مشروعا على العرب واليهود لإنشاء مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا منهم أربعة عشر عضوا عربيا ، وسبعة من اليهود ، وسبعة من الموظفين الإنجليز . وقد قبل العرب هذا المشروع من ناحية المبدأ إلا أن اليهود بالاتفاق مع بريطانيا رفضوا المشروع وطالبوا بأن يكون لهم نصف الأعضاء على الأقل . وكانت بريطانيا قد رفعت نسبتهم السكانية إلى ٢٨٪ بعد أن كانوا ٥٪ عام ١٩١٨ ، وبدأ أن الحكومة البريطانية غير متحمسة للمشروع وعلى استعداد للرجوع عنه ، فقامت ثورة عربية جديدة عام ١٩٣٥ احتجاجا على تأمر بريطانيا - وكانت الثورة بقيادة الشيخ عز الدين القسام وهو من أبناء سوريا - على قاعدة شعبية واعية ناتجة عن تنظيمات وخلايا سرية ، وكان مركزها حيفا ، وشملت جميع أنحاء البلاد ، وقد استشهد فيها قائد الثورة « الشيخ عز الدين القسام » واثنتان من رفاقه أحدهما من مصر وثنائهما من فلسطين .

ثورة عام ١٩٣٦ :

وفي إبريل سنة ١٩٣٦ أعلن إخوان الشهيد عز الدين القسام الثورة الكبرى التي استمرت حتى أواخر سنة ١٩٣٩ ، وكانت أعظم ثورة عربية في النصف الأول من القرن العشرين ، إذ اشترك آلاف من عرب فلسطين يدعمهم مئات من أحرار العرب الثوريين في حرب ضد الإمبراطورية البريطانية ، وفي مواجهة جيش الإمبراطورية البريطانية الذي قدر بحوالي ثمانين ألف جندي .

وقد سجل العرب عشرات الانتصارات العسكرية في جبال فلسطين ووديانها على الجيش البريطاني الذي كان مسلحا بأحدث أنواع الأسلحة ويقوده أكبر قادة بريطانيا العسكريين أمثال ويفل ، ودبل ، وموتنجومري .



مشروع بالتقسيم سنة ١٩٣٧ وضعتة اللجنة
الملكية البريطانية

اللجنة الملكية البريطانية :

وحينما رأت بريطانيا جيوش الثورة تسيطر على البلاد سارعت في أغسطس عام ١٩٣٦ إلى الإعلان عن تأليف « اللجنة الملكية البريطانية التي تعرف بلجنة « بيل » للتحقيق في أسباب الثورة ، وفي « يوليو » عام ١٩٣٧ أعلن تقرير اللجنة الذي نص على انتهاء الانتداب على فلسطين على أساس التقسيم إلى دولتين إحداهما عربية وتضم شرق الأردن ، والأخرى يهودية ، ومنطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم وتمتد في ممر يشمل مدينتي اللد والرملة حتى يافا على البحر الأبيض ، وتظل تحت الانتداب البريطاني ولايسرى عليها مفعول وعد بلفور .

وقد رفض العرب مشروع التقسيم كما رفضه اليهود أيضا ، لأن هذا الحل يخالف وعد بلفور ويناقض تعهدات بريطانيا لهم بجعل فلسطين يهودية . وقد عرضت بريطانيا هذا الحل على عصبة الأمم في ذلك الوقت لإقراره ، واستطاعت بنفوذها الحصول على موافقة العصبة .

مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ :

إلا أن استمرار الثورة العربية بقوة جعل بريطانيا تتراجع عن مشروع التقسيم ، وأصدرت قرارا باستحالة قيام دولة يهودية ، كما أقرت أن قضية فلسطين قضية تخص الشعب العربي لا في فلسطين وحدها بل في كل الأقطار العربية .

ودعت إلى عقد مؤتمر لندن في فبراير سنة ١٩٣٩ وحضره ممثلون عن حكومات مصر والسعودية والأردن والعراق واليمن ، كما حضره ممثلون عرب عن فلسطين وحضره مندوبون عن اليهود ، وكان الإنجليز يجتمعون مع العرب في الصباح ومع اليهود في المساء .

وكان من الممكن في هذا المؤتمر التوصل إلى تسوية للقضية لولا ارتباط

السياسة البريطانية الدائم بخطتها ومشاريعها الاستعمارية . وبدأ تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح الصهيونية العالمية . وقد عرض في هذا المؤتمر مشروع قيام حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة لضمان مصالحها العسكرية والاقتصادية على أن تسبق قيام هذه الحكومة فترة انتقال لمدة عشر سنوات ، ويشترط كذلك موافقة كل من العرب واليهود على أسس هذا المشروع . وقد رفض العرب هذا المشروع لطول فترة الانتقال وشرط موافقة اليهود ، كما رفضه اليهود لأنه يخالف وعد بريطانيا بجعل فلسطين يهودية .

الكتاب الأبيض ١٩٣٩ :

إن تراجع بريطانيا في الواقع عن مشاريع التقسيم يرجع أولاً إلى اشتداد الثورة العربية في فلسطين حيث كانت قوات الثوار تسيطر على معظم أجزاء البلاد ، كما يرجع إلى شعورها باقتراب خطر الحرب العالمية الثانية التي كانت على الأبواب وحاجتها إلى استمالة العرب إلى جانبها .

ففي مايو سنة ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا كتاباً أبيض أوضحت فيه سياستها بما لا يخرج عما عرض في المؤتمر ، مع بعض التعديلات الطفيفة بالنسبة لتحديد الهجرة ومنع انتقال الأراضى إلى اليهود حسب ظروف كل منطقة في البلاد .

وقد قابل عرب فلسطين والدول العربية هذا الكتاب بتحفظ شديد لسابق خبرتهم بالأعيب بريطانيا ، أما اليهود فقد سارعوا إلى رفض هذا المشروع الجديد لأنه يخالف جميع اتفاقيات بريطانيا السرية والعلمية معهم .

الخلاصة

أولاً - الكتاب :

١ - الكتاب الأبيض يونيو ١٩٢٢ : التصميم على الهجرة ، والتمسك باتفاقية الشريف حسين .

٢ — الكتاب الأبيض أكتوبر ١٩٣٠ : كتاب باسفيلد ، تنفيذ توصيات لجنة شو .

٣ — « » مايو ١٩٣٩ : تحديد الهجرة ، منع انتقال الأراضي .
ثانياً — اللجان :

١ — لجنة التحقيق العسكرية عام ١٩٢٠ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا والحفث بعودها للعرب .

٢ — لجنة هيكرافت عام ١٩٢١ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا وتأييد التقرير السابق .

٣ — لجنة والتر شو عام ١٩٣٠ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا ، وتأييد وجهة النظر العربية .

٤ — اللجنة الملكية البريطانية «بيل» عام ١٩٢٦ : انتهت من عملها بإقرار انتهاء الانتداب ، ومشروع التقسيم وإقرار عصبة الأمم لمشروع التقسيم .

ثالثاً — المجالس التشريعية :

١ — مجلس استشاري عام ١٩٢٢ : من الإنجليز واليهود فقط .

٢ — مجلس تشريعي أكتوبر عام ١٩٣٠ : لتنفيذ مضمون الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٠ .

٣ — مشروع لمجلس تشريعي عام ١٩٣٥ : مكون من ١٤ عربياً ، ٧ يهود ، ٧ إنجليز .

رابعاً — المؤتمرات :

١ — وفد عربي في لندن عام ١٩٢٢ : استطاع إقناع مجلس اللوردات بوجهة النظر العربية إلا أن الضغط

الصهيوني - لي مجلس العموم بدل
الأوضاع ونجم عنه رد اشترشل
الذي يكشف نوايا الاستعمار
لفلسطين .

٣ - مؤتمر لندن عام ١٩٣٩: تمخض عن إقرار حكومة
فلسطينية ، وعلى اجتياز البلاد
لفترة انتقال لمدة عشر سنوات .

المقاومة الغربية والإرهاب الصهيوني

وملامح الحرب الكونية الثانية

١ - لم يقف العرب الأحرار عرب فلسطين صامتين إزاء الخطر المحدق
ببلادهم نتيجة لهذا المخطط البريطاني الصهيوني. وقد خاضوا طيلة ثلاثين عاما من
١٩١٧ - ١٩٤٧ نضالا شعبيا بطوليا ضد بريطانيا أكبر قوة استعمارية في
العالم وضد الصهيونية العالمية بامتداداتها السياسية واحتكاراتها المالية الضخمة .
ومنذ صدور وعد بلفور ثم صك الانتداب حتى عام التقسيم ١٩٤٧ تتالت
الانتفاضات الثورية من العرب الأحرار عام ١٩٢٠ ثم عام ١٩٣٣ ثم الانتفاضة
الثورية الكبرى عام ١٩٣٦ ثم الثورة الشعبية الشاملة عام ١٩٣٧ ، وفي هذه
الانتفاضات الثورية أثبت الشعب الفلسطيني ، بالرغم من تكبيله وتقييد حريته
وإرادته وسلب سيادته على أرضه وإنكار حق تقرير المصير عليه ، بالرغم من
هذا كله أثبت كيانه ليتصدى للدفاع عن أرضه ووطنه .

وقدم شعب فلسطين خلال هذا النضال المرير آلاف الشهداء ، وتعرض
لأعنف عمليات القمع الاستعماري من السجن والتعذيب إلى أحكام الإعدام
رميا بالرصاص أو بالشنق ، إلى نسف البيوت والقرى دثاعاً عن عروبة فلسطين

وتأكيداً لرفض أبنائها العرب للوطن القومي اليهودي الذي لا سند له من التاريخ كما سبق أن صرح بذلك الدكتور أرنولد توينبي المؤرخ البريطاني .
أمام هذه المقاومة العربية العنيفة التي وصلت ذروتها عام ١٩٣٨ ونتيجة لهبوب رياح الحرب العالمية الثانية تظاهرت بريطانيا بالرضوخ وأصدرت في عام ١٩٣٩ الكتاب الأبيض الذي ألغت فيه مشروع التقسيم المجحف الذي كانت قد اقترحتة لجنة بيل للملكية البريطانية وأعلنت أن التزاماتها تجاه فكرة الوطن القومي اليهودي قد انتهت وأن الهجرة اليهودية ستقف نهائياً بعد إدخال ٧٥ ألف يهودي خلال خمس سنوات ، وأنها ستنتهي الانتداب على فلسطين بعد عشر سنوات ، ملوحة بإمكانية الموافقة على قيام دولة بأكثرية الثلثين العربية .

رفض اليهود الكتاب الأبيض معلنين أن الهجرة يجب أن تستمر ، وأن الوطن القومي اليهودي يفترض قيام الدولة اليهودية ، وابتدأت الصهيونية في الخارج عملية ضغط عالمية واسعة تركزت في بريطانيا وأمريكا بشكل خاص ، كما ابتدأت في الداخل موجة من الإرهاب الصهيوني المسلح ضد بريطانيا والعرب على السواء ، ومنذ عام ١٩٤٤ انتقلت موجة الإرهاب الصهيوني المساح إلى مستوى جديد من العنف فنسفت بعض دوائر السلطات البريطانية ، وشنق عدد من الجنود البريطانيين ، ودمرت الجسور والمباني ، واغتيل اللورد موين الوزير البريطاني للشرق الأوسط ، بينما أخذ العرب إلى السكينة بانتظار وفاء بريطانيا بتمهدها سنة ١٩٣٩ .

سيطرة بريطانيا على الشرق الأوسط :

قامت بريطانيا باحتلال طرق المواصلات الحيوية عبر قناة السويس ، وأراضى الشرق الأوسط الممتدة من البحر المتوسط إلى الخليج العربي . وأصبحت بريطانيا القوة الوحيدة المسيطرة على المنطقة ، فقد انتهت منافسة كل من روسيا وألمانيا لها ، كما انتهت منافسة فرنسا بأخذ نصيبها باحتلال كل من

سوريا ولبنان . وجاء صك الانتداب الذي أصدرته عصبة الأمم مصحوباً
بالمعاهدة بين بريطانيا والعراق ليضيف شكلاً رسمياً لواقع الإشراف .
أما فلسطين - كما توضح سابقاً - فكان لبريطانيا سلطات إدارية كاملة
ومطلقة تمارسها عن طريق مندوبيها السامين ، وأما شرق الأردن فكان
تابعاً للإدارة الفلسطينية وإن ظل مستثنى من نصوص وعد بلفور .

وبذلك كانت العراق ، وشرق الأردن ، وفلسطين تؤلف همزة الوصل
البرية ، وفيما بعد أصبحت طريقاً لتدفق البترول بين البحر الأبيض والخليج العربي
كما كانت قناة السويس الموجودة في الأراضي المصرية هي الطريق البحرية والتي
كان يتحتم بقاؤها تحت سيطرة بريطانيا دون منافس .

وتمكنت بريطانيا بفضل هذه العلاقات الخاصة مع العراق وفلسطين
وشرق الأردن ومصر من المحافظة على سيطرتها التامة على المنطقة ، وأصبح
الممثل البريطاني « الرئيس ذا النفوذ » ، فله سلطاته وواجباته ووسائله الخاصة
لتنفيذ هذه الواجبات ، وكان هو الذي يقدم النصيحة والمشورة والتدريب
على فن الحكم والمساعدة بالرجال والخبراء في مختلف الميادين .

وبذلك تحقق حلم بريطانيا في السيطرة التامة على المنطقة بلا منافس ،
وأمكنها أن تفتت الشعب العربي إلى دول وإمارات ، متعاونة في ذلك مع
الرجعية العربية التي وجدت أن مصالحها تتفق مع مصالح الاستعمار في تجزئة
الوطن العربي .

وهذا الوضع مضاد للوعود التي قطعها بريطانيا وفرنسا على نفسيهما نحو
العرب ، فقد أعلنتنا بلاغا في نوفمبر سنة ١٩١٨ بأن الهدف من محاربة الدولة
العثمانية في أملاكها بالشام هو « تحرير الشعوب التي عانت طويلاً من اضطهاد
الأتراك وعسفهم تحريراً كاملاً ونهائياً ، وإقامة حكومات وإدارات تستمد

سلطاتها من أهل البلاد الذين يجب أن يكون لهم الحق المطلق في اختيارها وممارستها .

وكانت صلاحيات بريطانيا بموجب الانتداب قد أشارت إلى القواعد العسكرية البريطانية بصفتها حاميات إمبراطورية . وبدا للعرب أنهم خدعوا وجروا من أنوفهم ليصبحوا جزءا من هذه الإمبراطورية ، وكانت السياسة البريطانية في فترة الانتداب قائمة على نوع من الوصاية يساعد فيها الموظفون والمستشارون الإنجليز على إقامة دول الشرق الأوسط معتمدين في ذلك على الباشوات والشيوخ لحكم البلاد بدلا من إزاحتهم من الطريق ، ثم تأتي مرحلة أخرى تمنح فيها هذه البلاد استقلالها على أساس معاهدات وصفقات قائمة على تبادل أصيل للمصالح التي تضمن حاجات بريطانيا الاستراتيجية . ومادام الملوك والحكومات العربية لا يخرجون على حدود السياسة الخارجية التي تضعها لهم الحكومة البريطانية فلا إشراف ولا تدخل ويظلون محتفظين باستقلالهم الاسمي ماداموا لا يقومون بأي عمل مستقل عن التوجيه البريطاني ، وعلى هذا الأساس تضمنت المعاهدة البريطانية العراقية عام ١٩٣٢ وكذلك المعاهدة البريطانية المصرية عام ١٩٣٦ جميع النصوص الضرورية التي تضمن مصالح بريطانيا والتي كانت تتضمن أربع نقاط حيوية :

أولا — التحالف الأبدي مع بريطانيا .

ثانيا — موافقة كل من الطرفين على أن حماية خطوط المواصلات البريطانية أمر ضروري لكليهما .

ثالثا — أن أيًا من الفريقين لن يتخذ موقفا من الدول الأجنبية يتعارض مع المعاهدة أو يسبب ارتباكا للفريق الآخر .

رابعا — السماح بإقامة القواعد البريطانية العسكرية مع إعطاء بريطانيا الحق في استخدام كافة التسهيلات الموجودة في البلاد في حالة نشوب الحرب .

وبذلك كانت هذه المعاهدات تضمن لبريطانيا حق الحماية العسكرية لمصالحها الاستراتيجية الحيوية ، ولكيان هذه الدول السياسي - هذا علاوة على السيطرة الاقتصادية التي كانت تمارسها بريطانيا من حيث السيطرة على الناحية المصرفية « البنوك » والمالية وتبعية هذه الدول لسكتلة الاسترليني ، وبذلك أصبحت الحركات الوطنية التي تطالب بالاستقلال الكامل بحكم الوضع معادية لمصالح بريطانيا ، كما أنها من ناحية أخرى تعتبر حركات غير دستورية ، إذ أن المعاهدات فرضت على الملوك والحكام التزامات بأن يعتبروا مصالح بريطانيا الحيوية مصالح حيوية لبلادهم ولأنفسهم .

وعلى هذا الأساس اعتبر الإنجليز أن فرضهم حكومة معينة على مصر في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كان من صميم اختصاصات بريطانيا حيث أن الملك قد وافق على التسليم بها في معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، التي عقدت بين مصر وبريطانيا والتي اشتركت في توقيعها جبهة وطنية تضم كل الأحزاب السياسية العاملة في ذلك الوقت ، صك الاستسلام للخدمة الكبرى التي وقعت فيها ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كانت في مقدمتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها في كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة وكل معنى له .

كذلك كان اشتباك القوات البريطانية مع القوات العراقية عام ١٩٤١ لإعادة الحكم الملكي إليها إثر ثورة رشيد عالي الكيلاني متفقا تمام الاتفاق مع نصوص المعاهدة ودستور العراق أيضاً .

للمعاهدات كانت تفرض على الملوك تعيين رؤساء وزارات مواليين لبريطانيا :
وبذلك أصبحت سياسة بريطانيا تسير في حلقة مفرغة بالنسبة للعرب ،

فليست هناك ضرورة لمنح العرب استقلالهم ما داموا لم يطالبوا به . . أما إذا طالبوا بالاستقلال فإن المطالبة في حد ذاتها تكون كافية لحرمانهم منه . . وقد كانت المعاهدات تفرض على الملوك من ناحية عملية تعيين رؤساء وزارات الموالين لبريطانيا ، وكان هذا يحتم عليهم أيضا أن يضمنوا لهذه الحكومات بطريق أو بآخر برلمانات تمنحها الثقة أو تسكت على الأقل .

وكانت هذه البرلمانات تتكون من العناصر الرأسمالية والإقطاعية ومن أصحاب الآراء المعتدلة «جدا» الذين يمكن أن يوكل إليهم تأييد سياسة العهد القائم .

وبذلك أقيمت المكيمات العربية الدستورية ببرلماناتها المنتخبة في ظل التوجيه البريطاني ، وكانت القوة البريطانية هي التي تحافظ على وجودها وبقائها في السلطة ، وكثيرا ما أعادت إليها القوة التي فقدتها . وأصبحت القواعد العسكرية البريطانية في البلاد العربية لا كقواعد لقوات حليفة يقصد منها أن تكون موجهة ضد أعداء خارجيين — كما نصت المعاهدات على ذلك — بل كانت في الواقع قواعد بوليسية موجهة ضد العرب تؤمن مصالح الصهيونية العالمية التي بدأت في احتلال أراضى فلسطين منذ بداية الإدارة البريطانية عام ١٩١٨ ، كما أصبح ملوك العرب ورؤساء وزاراتهم حراسا تعيينهم بريطانيا للمحافظة على مصالحها في البلاد العربية، وتحرم على العرب كل ما يؤمنون بأنه حق من حقوقهم .

أما فلسطين فقد استطاع الصهيوينيون — عن طريق وعد بلفور ، وصك انتداب بريطانيا لفلسطين الصادر من عصبة الأمم والذي أضيف على الوعد الصفة الدوائية — أن يفتصبوا موطنهم قدم لهم تحت حماية بريطانيا وعطفها وتشجيعها، ودخلت فلسطين في مشكلة تاريخية استمرت ثلاثين عاما منذ عام

١٩١٧ - ١٩٤٧ تعانى جسماً غريباً تسبب فى طرد أبناء فلسطين المواطنين، إذ أمكن لبريطانيا بالتعاون مع الصهيونية العالمية محو عروبة فلسطين، وتنفيذ حلمها القديم بإقامة الحاجز البشرى بين عرب آسيا وعرب أفريقيا من شعب غريب عن المنطقة موال لها وللإستعمار العالمى، ليكون أداة لضرب الشعب العربى وتفتيت كفافه .

وأبان الميثاق التتقاء الأهداف الإمبريالية بالأهداف الصهيونية بهذا النص :
« إن قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى إذا استطاع يوماً أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة ، كما أرادها المستعمر فاصلاً يعوق امتداد الأرض العربية ، ويحجز المشرق عن المغرب ، ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الإيجابى .

إن ذلك كله تم بطريقة تحمل طابعا استفزازيا ولا تقيم وزنا لوجود الأمة العربية أو لكرامتها .

ممارسة حقوق السيادة والتحرر من المعاهدات :

إن التاريخ يقدم لنا أدلة بارزة على الانتفاضة القومية ضد سيطرة الاستعمار وتحكم الصهيونية :

اولا - تركيا :

ظهر مصطفى كمال أتاتورك الذى رأى فى معاهدة سيفر المنعقدة فى ١٠ / ٨ / ١٩٢٠ إهداراً لكرامة تركيا ، وسرعان ما قامت حركة قومية قاد صفوفها ضد مؤامرات الحلفاء على تركيا واتخذ أنقرة عاصمة للبلاد ، وقاد الجيوش

إلى النصر، وأرغم الحلفاء على الاعتراف بتركيا مستقلة ذات سيادة، واضطروهم إلى عقد معاهدة جديدة هي معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ بمقتضاها امتدت حدود تركيا إلى ما بعد أدرنة بقليل، واعترف الحلفاء بملكية تركيا للقسطنطينية وراقيا الشرقية وآسيا الصغرى.

ثانياً - ألمانيا :

ودليل ثان لا يقل عن الأول في روعته ظهر بظهور أدولف هتلر الذي ما إن أصبح رئيساً للوزارة عام ١٩٣٣ حتى أعلن عزمه على التخلص من أحكام معاهدة فرساي، فبعد أن استرد إقليم السار أعلن التجنيد الإجباري، وزيادة عدد الجيش، ووضع موارد البلاد الفنية والاقتصادية بأكملها لتجهيز قواتها الحربية بأحدث الأسلحة، كما شرع في تحصين أراضي الراين، وأخذ في تنفيذ برامجه التي تهدف إلى توحيد جميع الشعوب المتكلمة باللغة الألمانية تحت راية الرايخ، وشرع في السيطرة على أوروبا الوسطى كما شرع في تحطيم قوة عدوه بريطانيا.

ثالثاً - معركة بورسعيد :

بل إن معركة بورسعيد عام ١٩٥٦ هي نقطة تحول للأمة العربية تولد عنها انتفاضات قومية وقيام الحكم الجمهوري بالعراق ثم باليمن، إلى معارك مستمرة لتصفية الرجعية العميلة للإمبريالية في الأقطار العربية، إلى سيادة الجزائر، وإلى سيادة جمهورية الجنوب العربي واستقلاله.

الشعوب العربية تفتقر إلى الوحدة في الهدف والنصف :

يقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (١).

ويقول المسيح عليه السلام : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب » (٢).

ويستنبط الدكتور يحيى عويس^(١) الموقف العربي بقوله : « كانت الأمة العربية تسير في سياستها على التمسك بالمثالية ، وتعلق الأمل على الدبلوماسية ، والتفاهم والصداقة كوسائل لتحقيق الأهداف . وإن معظم الدول العربية لم تكن قد استكملت سيادتها القومية بعد وغالبيتها كانت مرتبطة بمعاهدات سياسية مع بريطانيا » .

في هذا الوقت كانت الصهيونية تسعى جادة لتحقيق أطماعها . لاعن طريق التمسك بالقيم الأخلاقية والمثل العليا . ولا عن طريق الاعتماد على الدبلوماسية والتفاهم ، ولا عن طريق الحق والعدل ، وإنما عن طريق الخداعة والدعاية الكاذبة ، والتدبير المحكم لأعمال الضغط السياسي ، واستغلال النفوذ المالي مع سلسلة محكمة من أعمال الإرهاب والتنكيل والتهديد والغدر والقتل المتعمد . وتعرضت فلسطين كما تعرض كل صوت حر مثل صوت الكونت برنادوت ، وصوت جيمس فورستال ، واللورد موين لخطة عسكرية منظمة من الإرهاب الصهيوني من عصابات الهاجاناه والبالماخ The Hagana and Palmach ومنظمة الأرعن زفاى ليومي The Urgon Zvai Laumi وعصابات الشترن The Stern groups التي يقودها ناثان فريدمن بتواطؤ مع الدول الكبرى . إن الحكومات العربية كانت مكتوفة الأيدي لارتباطها بالتزامات قبل الحلفاء ، أو لانشغالها بالتفكير في الوسائل التي تحقق بها الأهداف القومية وحل المشاكل المحلية العاجلة .

لم يقدر الصهيونيون حرج مركز إنجلترا إبان الحرب ، بل راحوا يوجهون إليها الطعنة تلو الطعنة ، غير عابئين بسقوط هيبتها أو اضمحلال مصالحها . وكان الصهيونيون قد بدؤوا يفقدون الأمل في العناصر البريطانية المؤازرة ، التي

(١) إسرائيل والدول الكبرى ص ٣٧ - ٤٠ .

طالما استغلوها ، فبريطانيا التي كانت تميل إلى عدم إثارة الرأي العام العربي وبخاصة في السنين الحرجة قبيل الحرب العالمية الثانية ، لن تجرؤ على تحقيق المطامع الصهيونية بل إنها سوف تسير في سياسة تردد كتلك التي تمخض عنها الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ (١) .

لذلك رأى الصهيو نيون الاتجاه إلى تأييد دولة كبرى غير بريطانيا وبخاصة بعد أن بدأت تلوح عليها عوامل الضعف السياسي ، فحاول فريق منهم استمالة روسيا ، ولكن الغالبية رأت أن توجه إلى الولايات الأمريكية المتحدة لاستغلال ساستها كما استغل ساسة بريطانيا في السنين السابقة (٢) .

لقد كان لدى الصهيو نيون فرص العمل بحرية في الحقل الأمريكي الذي يزخر بالعناصر اليهودية ذات النفوذ المالى الكبير ، وحيث لا توجد جبهة عربية معارضة ، وحيث تتوافر العناصر الصهيونية الأمريكية التي يمكنها استغلال يهود أمريكا لتحقيق المآرب الصهيونية دون أن يتيقظ الرأي العام الأمريكي لحقيقتها ومدى آثارها على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط .

تحولت قيادة الصهيونية من العناصر البريطانية إلى العناصر الأمريكية ، وتحول مركز القيادة العامة من لندن وسويسرا إلى نيويورك وواشنطن ، وكان هذا التحول متمشيا مع منطق الأهداف الصهيونية . فالعناصر البريطانية وقادة الصهيونية القدامى وعلى رأسهم حاييم وايزمن قد لا تستطيع إقحام حكوماتها في سياسة تتعارض مع الاتجاه العام للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط ، وهو عدم إثارة الرأي العام العربي والإسلامى بإجراء سافر في صالح اليهود .

(١) إن توصيات الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ على ما أثارته من ضجة في الأوساط العربية اعتبرت الصهيونية تراجعا وتحاذلا من جانب بريطانيا .

(٢) انظر تعليق كرمت روزقلت في المجلد الثانى — العدد الأول ص ٤ من مجلة

أما العناصر الأمريكية فقد كانت أمامها الفرصة للسير في سياسة التطرف ،
والتماذى فى المطالب ، وإقحام السياسة الأمريكية وسىاسة البيت الأبيض
فى سياسات لم يفهم مدى عواقبها نظراً لجهل غالبية الرأى العام الأمريكى بحقيقة
مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط ، ولاعتبارات أخرى سىرد ذكرها فى
الباب الثالث .

تغییر میزان القوى

انتقلت إذن القيادة العملية للصهيونية فى الميدان السياسى من لندن إلى
نيويورك فواشنطن تحت لواء عناصر كانت تمثل الجبهة المتطرفة (١) تحت لواء
أناس من أمثال سلفر الأمريكى الذى حاز تأييد الصهيونية المطلق بتصریحاته
التي كان یرمى من ورائها إلى إقحام حكومة الولايات المتحدة فى سياسة
صهيونية محضة ، ولقد كان سلفر هذا يجاهر بتأييده لسیاسة العنف والإرهاب
التي سار عليها اليهود فى فلسطين ، ولم يكن لیتورع عن إظهار مقاصده الجاحمة فى
الأوساط السياسية الأمريكية ، بل لقد حصل على تأييد شامل لاتجاهه المتطرف .

فیقول مثلاً مندداً بسیاسة وايزمن — التي كان یعتبرها معتدلة إلى
حد المساس بحقوق الصهيونية : « إن سياسة الدبلوماسية القديمة لم تعد ذات
جدوى اليوم . يجب على اليهود أن يستعدوا ويتكثروا للطوارئ والحرب
والصراع الدموى والتكتيك الإرهابى ، وألا یخلطوا بین هدف الصهيونية
وهدف إنشاء دولة يهودية بمجرد قبول عدد معين من اللاجئین اليهود » (٢) .

(١) لم يكن هناك انقسام بتاتا بین قادة الصهيونية ، وإنما كان هذا اختلافاً فى الإمكانيات :
إمكانيات تحقيق الهدف — بین جانب یمثله وايزمن وآخر یمثله سلفر .

(٢) ورد هذا النص فى مجلة Ziopist Review, Abba Hillel Silver

وهكذا وجد الصهيونيون حقلا خصبا في الولايات المتحدة للتنظيم الحكم الذي ساعد على تحقيق مآربهم ، مستغلين في ذلك أساليب الضغط السياسي الحزبي ، والنفوذ المالي المتوفر ، وجهل الرأي العام الأمريكي بحقيقة المطامع الصهيونية وخطرها على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط .

وبينما كان وايزمن ورفاقه يستميلون روزفلت وساسة البيت الأبيض ويحاولون إقناعهم بمؤازرة الصهيونية رسميا ، كانت العناصر الصهيونية الأخرى تسعى جادة في شتى الولايات المتحدة الأمريكية لإصدار بيانات وقرارات تؤيد بها الأهداف الصهيونية ، حتى إذا ما تجمعت تلك القرارات كان لها أثرها الجماعي على السياسة العليا للولايات المتحدة . حدث هذا بينما كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها بين عامي ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ (١) !

وأحكمت المنظمات الصهيونية تدابيرها ، وانتقلت من ميدان الولايات المتحدة الأمريكية إلى ميدان السياسة المركزية العليا . ونجح قادة الصهيونية في الإيماز إلى عدد من النواب والشيوخ في الكونجرس الأمريكي لاقتراح استصدار قرار علني يربط عجلة السياسة الأمريكية بالأهداف الصهيونية ، ونص هذا القرار الذي كان مقررا على الكونجرس أن يصدره نثبته فيما يلي :

« تستعمل الولايات المتحدة وساطتها لاتخاذ التدابير اللازمة في سبيل فتح باب الهجرة على مصراعيه ، حتى يتيسر لليهود الهجرة إلى فلسطين دون قيد أو شرط ، وأن تهيأ الفرصة كاملة لاستعمار « استيطان » اليهود للأراضي الفلسطينية حتى يتمكنوا من تكوين دولة ديمقراطية حرة في فلسطين » (٢) .

(١) زاجع مقال كرمت روزفلت في المجلد الثاني — العدد الأول س ٤ من مجلة
The Middle East Journal

(٢) أدرجيء إصدار القرار نهائيا عام ١٩٤٤ بالنسبة لظروف الحرب ، بيد أن الكونجرس أصدر قرارا مشابها له في ديسمبر ١٩٤٥ .

طرح هذا القرار على المسئولين في البيت الأبيض ، وبعد استطلاع رأى الملحقين العسكريين لأمريكا في الشرق الأوسط ، طلب جنرال مارشال أن يرجأ استصدار القرار خوفاً من إثارة الرأى العام العربى ، ونظراً لحاجة الحلفاء إلى الاستقرار في الشرق الأوسط ، واعتزامهم نقل القوات الاحتياطية المرابطة هناك إلى الجهة الغربية ، وجهة الشرق الأقصى . وكان مارشال بعيد النظر في نصيحته ، فأصدر مثل هذا القرار المؤيد للصهيونية سوف يثير حالة من القلق في الشرق الأوسط مما يضطر بريطانيا إلى الإبقاء على عدد من قواتها ومعادنها المحافظة على النظام في تلك المنطقة . ومرة أخرى نجد أن المصالح الذاتية الاستراتيجية المحضة — وليس أى اعتبار إنسانى أو أخلاقى آخر — كانت هى المحرك الأول للسياسة التى اتبعتها الدول الكبرى .

ولكن هل كفت الصهيونية عن المضى فى خططها حتى بعد اقتناعها بالمصالح الاستراتيجية المؤقتة للولايات المتحدة ؟

لا . إن الصهيونية لا تتورع عن أن تلقى بأية دولة أو أية حكومة إلى جحيم الأخطاء السياسية والتهورات الدبلوماسية مادام ذلك يحقق المطامع التى تبتغىها وتسمى إليها .

فقد ذهبت وفود من زعماء الصهيونية بعد أيام من إعلان إرجاء هذا القرار إلى الرئيس روزفلت وطلبت إليه أن يصدر تصريحاً رسمياً يؤيد فيه الأهداف الصهيونية . وكان لهم ما أرادوا ، وأصدر روزفلت تصريحاً يؤيد فيه الآمال الصهيونية ، ولو أنه حرص على ألا يقيده حكومة الولايات المتحدة بارتباطات محددة . « ومنذ ذلك الوقت كانت السياسة المتبعة بالنسبة لقضية فلسطين ترسم فى البيت الأبيض على الرغم من إرشادات ونصائح المختصين فى وزارات الخارجية والحربية والبحرية حيث استمرت المعارضة الشديدة — التى كانت تزيد يوماً

بعد يوم — لتلك السياسة التي تؤيد الأهداف الصهيونية (١) .

التدخل الأمريكي في المشكلة :

كانت أمريكا حتى ذلك الوقت بعيدة عن المشكلة حيث فرضت على نفسها العزلة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى . ولكن منذ أن أخذت أهمية منطقة الشرقين الأدنى والأوسط الاستراتيجية والاقتصادية تبرز للعيان ، ونظراً لتطور الرأسمالية الأمريكية في فترة ما بين الحربين العالميتين وحاجتها إلى أسواق جديدة لاستثماراتها — بدأ الاستعمار الأمريكي الجديد — ومن ورائه الصهيونية العالمية — يطل برأسه ، وبدأت أمريكا تقضم نفسها في شئون المنطقة ، ورأت ما يمكن أن يحققه لها قيام دولة يهودية في فلسطين بمساعدتها المادية والمعنوية من مكاسب لرأس المال الأمريكي، لتكون قاعدة ورأس جسر لامتداده وسيطرته على جميع أجزاء المنطقة .

كما أحست الصهيونية باحتمال تراجع بريطانيا في مخططاتها لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، فارتدت في أحضان الاستعمار الأمريكي ليكون البديل عن الاستعمار البريطاني لتحقيق أهدافها الأثيمة .

ومنذ ذلك الوقت بدأ كل من الاستعمارين الأمريكي والبريطاني يتنافسان لكسب الصهيونية إلى جانبها ، وكانت أرض فلسطين وشعب فلسطين هما ميدان التنافس ، وقد امتد هذا التنافس إلى الأحزاب السياسية في كل من بريطانيا وأمريكا التي أخذت كل منهما تسعى لإرضاء الناخبين اليهود في بلدها .

(١) كرمت روزفلت في المجلد الثاني — العدد الأول — ص ٤ من مجلة :

وقد نشطت الصهيونية في إثارة هذا التنافس واستغلاله إلى أبعد الحدود ، ونجحت في إقحام أمريكا في ميدان القضية الفلسطينية كطرف أقوى ومتحمس إلى جانبها ، مما جعل بريطانيا تتخلى عن تردداتها ، وأسرت في مجارة أمريكا في هذا السبيل لإرضاء لحليقتها الصهيونية وأملا في كسب ود إسرائيل المنتظرة .

وكانت أولى بوادر تدخل أمريكا أثناء انعقاد مؤتمر لندن في فبراير سنة ١٩٣٩ حيث رضخت بريطانيا باسم التحالف والصدقة لضغطها ، وأعلنت إيقاف المباحثات . وحينما اضطرت بريطانيا إلى إصدار الكتاب الأبيض في مايو ١٩٣٩ طلب عدد من أعضاء الكونجرس الأمريكي يمثلون الحزبين الحاكم والمعارض من لجنة الشؤون الخارجية بحث اقتراحهم بإلغاء الكتاب الأبيض فورا وبإعلان فلسطين دولة يهودية . وفي نفس الوقت أصدر حزب العمال المعارض في بريطانيا بيانا جاء فيه : « إن سياسة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ تمثل استسلاما آخر للعدوان ، وهي نكسة للقوى التقدمية ، لذلك فهو يطالب الحكومة البريطانية أن تتجاوز عن هذه السياسة ، وأن تعيد فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية » .

وقد أجبرت ظروف الحرب العالمية الثانية التي نشبت في سبتمبر ١٩٣٩ دولتي الاستعمار على إيقاف منافستها مؤقتا والنظر بعين الواقع والمصلحة إلى علاقاتهما مع العالم العربي ، فعمدت بريطانيا في أوائل ١٩٤٠ إلى إصدار بعض أنظمة الأراضي تنفيذا لما جاء في الكتاب الأبيض ، وإظهارا لحسن نيتها تجاه العرب ، كما قام الرئيس الأمريكي روزفلت باتصالات مع الدول العربية لإقناعها بتأييد بريطانيا ، والوقوف إلى جانبها واعداء بتسوية القضية الفلسطينية تسوية عادلة بعد انتهاء الحرب مؤكدا تدخله الشخصي لحماية حقوق العرب في فلسطين .

وما إن اطمانت الدولتان إلى أن العرب قد خدعوا بأساليهما ، وانتهت الثورة في فلسطين وتشتت قاداتها ، وانحاز الحكام العرب إلى الحلفاء وأعلنوا الحرب على ألمانيا النازية ، حتى بدأ التنافس يعود مرة أخرى لإرضاء للصهيونية على شكل بيانات من الحكومتين تؤيدان فيها قيام الوطن القومي اليهودي والمطالبة بإلغاء الكتاب الأبيض وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، وأخذ اليهود يتدفقون على فلسطين من كل أنحاء العالم ، وأغدقت أمريكا عليهم المال والسلاح ، وأمدتهم بريطانيا بالأراضي والمدربين .

وما إن جاء عام ١٩٤١ حتى أصبحوا قوة عسكرية واقتصادية يعتمد بها في فلسطين، ينتظرون إشارة البدء لتنفيذ سياسة الاستعمارين البريطانى والأمريكى .

وفي نوفمبر سنة ١٩٤٥ أدلى مستر بيغن وزير خارجية بريطانيا ببيان عن القضية الفلسطينية نسب فيه الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ من أساسه وأعلن إدخال أمريكا طرفا في القضية وفي أى حل لها ، ودعاها للتعاون مع بريطانيا في تأليف لجنة تحقيق إنجليزية - أمريكية مشتركة لبحث مسألة يهود أوروبا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين .

وقد تألفت هذه اللجنة في ديسمبر سنة ١٩٤٥ : من اثني عشر عضوا نصفهم من الإنجليز والنصف الآخر من الأمريكان ، وقد كان واضحا من قرار اللجنة أن هدف بريطانيا وأمريكا هو إلغاء الكتاب الأبيض نهائيا ، وإزالة كل أثر من آثاره ، وفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضمان وجود أغلبية يهودية منظمة ومسلحة قبل الإقدام على اتخاذ الخطوة النهائية بإعلان دولة إسرائيل .

هذا بالرغم مما جاء في توصيات اللجنة من معارضة لقيام دولة عربية أو يهودية في فلسطين ، ومن ضرورة بقاء الدولة المنتدبة في إدارة البلاد حين وضعها تحت الوصاية الدولية .

الباب الثاني

المخطط الصهيوني لاغتصاب فلسطين

المخطط الصهيوني لامتلاك أراضي فلسطين

إن أول مستعمرة يهودية زراعية أنشئت في فلسطين يرجع تاريخها إلى عام ١٨٨٠ ، وكانت بدائية متأخرة . فقد ابتاع الصهيوونيون (١) مستعمرة رفح لينقلوا إليها مهاجري الإسرائييين من روسيا ورومانيا وغيرها ، وذلك لأن رفح قريبة من فلسطين ، وفي طور سيناء حيث نزل الإسرائييون عند خروجهم من مصر .

فقد ابتاع الكسندر ريستوفيتش أحد تجار غزة من مشايخ العرب التابعين للحكومة المصرية ١٤٠٠ دونم (٢) من الأراضي الزراعية ، واتفق مع الصهيوونيين على أن يبيعهم هذه الأراضي .

ومن عادة الأهالي هناك أن يكون البيع بينهم عرفاً ، فلما اتصل الخبر بمدينة طور سيناء أبلغته لقم المخبرات في نظارة الحربية لأن علاقة طور سيناء بهذا القلم دون سواه .

فصدر الأمر من السردار بإلغاء هذا البيع ، ووقفت المسألة عند هذا الحد ، وكان المشتري قد دفع ثمناً للدونم الواحد ٣٠ ثلاثين قرشاً ، واتفق مع ثيودور هرتزل وشركائه على أن يبيعهم الدونم بمبلغ ١٠٠ مائة قرش .

ويبدو أن الصهيوونيين الأمريكيين كانوا قد حاولوا شراء هذه الأراضي فلم يفلحوا ، فمكهم الحاجة الكسندر ريستوفيتش من الوصول إلى بغيتهم .

وقد يزعم الصهيوونيين أنهم امتلاكوا الأراضي بثمان غال ، ومهما كان الأمر فإن طريقة شرائهم للأرض كانت سلباً ونهباً لأملاك العرب الذين

(١) الأهرام في ١٤ / ٤ / ١٩١١ .

(٢) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع .

لم يفظنوا إلى ما يخططه الصهيونيون من أهداف بعيدة للاستيلاء على فلسطين كلها ، إذ أرادوا أن يستندوا على حق شرعى فى الاستقرار الزراعى يعتمدون عليه فى مطالبتهم بفلسطين .

ومع هذا وعلى الرغم مما بذلوه فى شراء الأراضى فإن تلك الأرض تشكل نسبة ضئيلة من المساحة التى تسيطر عليها إسرائيل فى الوقت الحاضر .

أما ما اغتصبته الصهيونية من أرض فلسطين نهبا وسلبا فهو نسبة كبرى تتضائل أمامها نسبة ما اشتروه غدرا من الأرض بالإضافة إلى ما امتلكوه من البيوت والفاكهة والأموال المنقولة التى يستعملها اليهود ، ويتمتعون بها ، فهى مازالت حقا شرعىا للاجئين العرب الذين يعيشون خارج بيوتهم فى الوقت الحاضر . إن كثيرا من اللاجئين يعيشون على مرمى البصر من تلك البيوت فى ظروف قيد الشقاء والقنوط .

إذن فاليهود فى فلسطين خلال الانتداب البريطانى لم يكن ينقصهم الكثير من مظاهر الدولة « وإن كانت تنقصهم المقومات القانونية للسيطرة على الدولة كالأكثرية العددية وبلوغ السلطة النهائية » ، فلقد كانوا يحصلون على القوانين والأنظمة للملائمة لأغراضهم فى معظم الحالات والظروف ، وكانوا يتمتعون بالكثير من ميزات الحكم الذاتى سواء كان ذلك عن طريق قانونى أو عن طريق الأمر الواقع . كما كانت الوكالة اليهودية (١) تعنى بالكثير من نواحي حياتهم عن طريق دوائرها المختصة بالعمل السياسى والمالى والتعليمى والصحى والاستيطانى وسواها . ولقد كانت الوكالة اليهودية وأجهزتها المختصة والمؤسسات المتعاونة معها تمهد لاستيلائهم على أكبر رقعة ممكنة من الأراضى

(١) انظر الرسم البيانى عن المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٩٧ — ١٩٤٨ إعداد : أسعد

العربية ، ومن أملاك الدولة ، وتعمل على ذلك بشتى الأساليب القانونية وغير القانونية .

كما كانت هذه الوكالة تعمل على تقوية شأنها بتهجير أكبر عدد ممكن من إخوانهم اليهود إلى فلسطين ، بوسائل تعتبرها السلطات مشروعة وأخرى غير مشروعة لكي يتغير ميزان السكان العددي في صالحهم تدريجياً .

ذلك أن اليهود في فلسطين كانوا يدركون أن كون ميزان القوى الاقتصادية والتنظيمية والسياسية في صالحهم ، وكون ميزان القوة العسكرية في صالحهم أيضاً لم يكن ليجعلهم ينسون أن ميزان القوة العددية للسكان لم يكن في صالحهم .

وإن الوكالة اليهودية مدعوة إلى تصحيح هذا الوضع العددي ليصبح في صالحهم ، للتغلب على إحدى الحجج العربية القوية في رفض الوطن القومي لليهود ألا وهي حجة الأثرية العربية وحق الأثرية العربية في تقرير مصيرها ، وبالتالي في تقرير مصير وطنها فلسطين .

الوكالة اليهودية وصك الانتداب :

جاء في صك الانتداب على فلسطين ، كما صادق عليه مجلس عصبة الأمم في ٢٤ يوليو ١٩٢٢ ما يأتي :

بعهد بإدارة فلسطين إلى صاحب الجلالة البريطاني كحاكم منتدب ، وتجعل حكومة الانتداب مسؤولة عن وضع وعد بلفور الصادر في ٢ / ١١ / ١٩١٧ موضع التنفيذ ، مع العلم بأن صك الانتداب يعترف بالرابطه التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين .

وقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على الاعتراف بوكالة يهودية مناسبة ، وتعتبر كهيئة عامة غرضها تقديم المشورة للإدارة الفلسطينية

« والتعاون معها في شتى المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المسائل التي قد تؤثر في قيام الوطن اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين .

هدف الوكالة :

- ١ — تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكافة الوسائل والطرق .
- ٢ — تأكيد الضمانات التي تكفل الحاجات الدينية اليهودية .
- ٣ — الدعاية للغة العبرية والثقافة اليهودية .
- ٤ — شراء الأراضي كأموال يهودية والإنفاق عليها من الصندوق القومي اليهودي .
- ٥ — العمل على نجاح الاستيطان الزراعي ، وتشجيع الطاقة العمالية اليهودية .

أجهزة الوكالة :

- ١ — المجلس وهو الهيئة الحاكمة العليا .
- ٢ — اللجنة الإدارية وتتألف من أربعين عضوا بالتساوي « صهيونيين ولا صهيونيين » .
- ٣ — اللجنة التنفيذية وهي تشكل وحدة كلية منفردة ولها مسئولية جماعية .

تواطؤ بريطانيا مع الوكالة اليهودية :

وانتمشت الوكالة اليهودية بتشجيع الانتداب البريطاني في فلسطين ، فأوجدت الظروف الملائمة لنمو المجتمع اليهودي في فلسطين ، وتزايد قوته العددية والعسكرية والسياسية والتنظيمية والاقتصادية مع ارتفاع مستواه الاجتماعي والثقافي ، وتعاضم وحدته وتراصه رغم تباين أصول فئاته . وهكذا تمسكن هذا المجتمع من إرساء أسس اقتصادية امتدت إلى شتى القطاعات وإلى مختلف أجزاء البلاد ، ضمن مخطط واع بعيد النظر تتضح مبرراته اليوم كما كانت تتضح في حينها للذين كانوا يعنون بالقضية الفلسطينية بجد ، ويدرسون الخطر الصهيوني

بتعمق ومسئولية ، ووصل بهم الترابط بين بعضهم وبعض في مختلف الدول إلى الحد الذي يبدو من البيان التالي الذي يوضح المقاعد التي يشغلونها والمكاتب التي يديرونها في كل أنحاء العالم :

عدد المقاعد	اسم الدولة	عدد المقاعد	اسم الدولة
١	أستراليا ونيوزيلندا	٤٤	الولايات الأمريكية المتحدة
١	الهند	١٤	بولونيا
١	بلغاريا		بريطانيا وأيرلندا الشمالية
١	مصر	٧	والحررة
١	يوغوسلافيا	٧	ألمانيا
١	اليونان	٦	فلسطين
١	مراكش.. الجزائر.. تونس	٦	رومانيا
١	سويسرة	٤	فرنسا
١	إيطاليا	٣	تشيكوسلوفاكيا
١	لاتفيا	٢	هنغاريا
١	ليتوانيا	٢	النمسا
١	هولندا	١	الأرجنتين
	مقعد يوزعه المجلس على أى دولة أو	١	بلجيكا
١	مجموعة من دول قد تطلب تمثيلها	١	كندا
١١٢		١	جنوب إفريقيا

من هذا يتبين مدى امتدادهم واتصالاتهم وبالتالي مرونة الحركة الدعائية لهم في مختلف الدول للوصول إلى أهدافهم .

الوكالة اليهودية والاقتصاد الإسرائيلي :

إن الاقتصاد الإسرائيلي اليوم هو تئمة لاقتصاد صهيوني كانت تتوفر له وسائل القوة ، وكانت تحيط به الإطارات التنظيمية والعقائدية الصالحة لنموه .
أى أن الاقتصاد الإسرائيلي اليوم إلى جانب ما يجنيه من ثمار جهود المجتمع الإسرائيلي الحالى يجنى ثماراً سخية بجهود بذلت طيلة ثلاثين سنة ضمن ظروف كانت ملائمة له دون ريب ، مهما ادعى اليهود أنها كانت معادية لهم وتقف فى سبيلهم .

كان هنالك عدد كبير من المؤسسات العامة ، وشبه العامة ، التى تعمل بنشاط وعلى نطاق واسع فى خدمة الأغراض الصهيونية .

من هذه المؤسسات ما كان من مشتقات المؤسسة الأم « أى المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية » ، ومنها ما كان مستقلاً ، على أن صيغة الاستقلال يجب أن تؤخذ بتحفظ ، فإن المؤسسات المستقلة — وبعضها مما كان يناهض الوكالة اليهودية ويصرح باختلافه معها الاختلاف العقائدى والسياسى — إنما كانت مستقلة بالمعنى المحدود ، أى أنها لم تكن مؤسسات نص عليها دستور الوكالة ، أو انبثقت عن مقررات الوكالة . وبخلاف هذا كانت هذه المؤسسات تنسجم مع الوكالة فى أهداف العمل رغم التباعد المؤقت فى وسيلة العمل ، كما أنها كانت تجمد شكواها من الوكالة وما أخذها عليها فى الساعات العصيبة ، وعلى الأخص عند مجابهة العرب أو السلطة المنتدبة أو العالم الخارجى .
ومن هذه للمؤسسات التى كانت تعمل أثناء الانتداب :

١ — الجمعية اليهودية للاستعمار بـ فلسطين Palestine Jewish

Colonization association : أنشأها البارون إدموندى روتشيلد سنة ١٨٨٣ م .

وقد أنفقت هذه الجمعية منذ تأسيسها حتى أواخر الانتداب ما يزيد على ١٥ مليون جنيه فلسطينى ، وابتاعت ما يزيد عن ٤٥٠٠٠٠ دونم من الأراضى .

٢ — صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار ليمتد Jewish Colonial Trust Ltd. :

وهو من المؤسسات المنبثقة عن المؤسسة الأم أو التابعة لها . أنشئ هذا الصندوق سنة ١٨٩٩ ، واختص أولاً بالأعمال المصرفية ثم فيما بعد بمهمة

الائتمان على الأوراق المالية للمؤسسات الصهيونية المنبثقة عن المنظمة الصهيونية، وقد أنشأ الصندوق بنك « انجلو فلسطين ليميتد » سنة ١٩١٣ كشركة فرعية له، كما أنشأ بدوره مؤسسات مالية فرعية للقروض الزراعية والصناعية للتأمين والاستعمار المالى وللرهون العقارية ولبناء المساكن .

٣ - الصندوق القومي اليهودى « كيرن كايमित الإسرائيلى ليميتد »

Jewish National fund Ltd.: وهو أيضا تابع للمؤسسة الأم، أنشئ عام ١٩٠٧ ومهمته شراء الأراضى الزراعية والمدن، وإدارتها بالنيابة عن الوكالة اليهودية والائتمان عليها ائتمانا دائما، على اعتبارها وقفا يهوديا باسم الشعب اليهودى لايحوز بيعه أو التصرف به، أو السماح باستغلاله لغير اليهود، أو استخدام غير اليهود للعمل فى الأراضى التابعة له، هذا إذا لزم استخدام عمال بالأجرة للعمل الزراعى .

وجاء فى دستور الوكالة اليهودية لدى توسيعها الموقع فى زيورخ فى ١٤/٨/٢٩ (١): « ينبغى ألا يتسلم الأرض أحد من غير اليهود . فإذا توفى المستأجر اليهودى ولم يكن له وريث يهودى، فيحقق للصندوق أن يسترد الأرض بشرط أن يعطى الوارث مهلة ثلاثة أشهر قبل الاسترداد، ويشترط على الوارث خلال هذه المدة أن ينقل حقوقه إلى يهودى، وإلا استرد الصندوق الأرض دون أن يكون للوارث حق الاعتراض » .

٤ -- الصندوق الفلسطينى التأسيسى « كيرن هايسوا ليميتد »

Palistine foundation fuud :

أنشئ فى عام ١٩٢٠ كجهاز تابع للمنظمة الصهيونية وتحول منها إلى الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩ على أن يكون الإدارة المالية لبناء الوطن القومى اليهودى (٢) .

(١) Report of Immigration, Land Settlement and Development (١) by Sir John Hobb. P. 78, 79 London 1930 .

(٢) انظر الرسم البيانى من إعداد : أسعد عبد الرحمن - بيروت فبراير ١٩٦٥ من كتابه « المنظمة الصهيونية العالمية » .

(٩ م - اسرائيل)

برنامج بلتيمور

تناسق العمل بين المنظمات الصهيونية وبرنامج بلتيمور :

ومما هو جدير بالذكر أن الأحزاب السياسية اليهودية كانت تولى القضايا السياسية والقومية اهتماما واضحا، وتكرس لها نصيبا يذكر من برامجها وسياساتها، وعلى وجه التحديد فإن معظم الأحزاب قبلت بدون تحفظ برنامج « بلتيمور » .

فقد عقد مؤتمر صهيوني أمريكي في فندق بلتيمور في نيويورك خلال عام ١٩٤٢، وصدر عن هذا المؤتمر عدة مقررات هامة عرفت فيما بعد ببرنامج بلتيمور وهي :

١ — إنشاء دولة يهودية في فلسطين فوراً تكون جزءاً أصيلاً من العالم الديمقراطي .

٢ — رفض الكتاب الأبيض البريطاني الصادر في مايو ١٩٣٩ والذي وضع قيوداً صارمة على انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود .

٣ — إطلاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والاستيطان اليهودى فيها دون عوائق .

٤ — وضع شؤون الهجرة والاستيطان تحت سيطرة الوكالة اليهودية .

٥ — تشكيل قوة عسكرية يهودية تحت العلم اليهودى والاعتزاز بها .

مدى مساعدات المنظمة اليهودية حتى بعد قيام اسرائيل :

أبرق رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا عام ١٩٥٢ إلى بن جوريون يقول : إن الوكالة اليهودية الأمريكية قد تنهت للخطر ، وأعدت لكل شئ

عدته ، وإن المنظمات الصهيونية في أمريكا بإمكانها الآن أن تحرك الرأي العام الأمريكي ، لكي يبادر لمعونة إسرائيل ، ويضغط على البيت الأبيض ، أو غيره من الدوائر الرسمية الأمريكية ، مستخدما نفس الوسائل الناجحة التي استعملها في عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ولولاها لما قامت إسرائيل (١) .

ويجمل أن أذكر بضعة من الأحزاب أثناء الانتداب لاتساق الموضوع فمنها (٢) :

١ - حزب العمل اليهودي الفلسطيني « ما باي » :

وهو القوة الدافعة في إنشاء حركة المستعمرات ، واتجاهه اشتراكي ، ومنطق سياسته القائلة بوجود قيام اليهود بالعمل في جميع المرافق التي بين أيديهم بالادعاء أن هذه السياسة تمنع استقلال اليهود للغير . ويستهدف في سياسته الخارجية عدم الارتباط بأية كتلة دولية وتقوية السلطة السياسية والأدبية لهيئة الأمم المتحدة .

٢ - حزب عمال مزراحي :

« بويل مزراحي » يقول هذا الحزب بالقومية المرتكزة إلى مركز ديني ، وينصرف اهتمامه إلى بناء الدولة على أسس الدين اليهودي . ولهذا فإن اهتمامه بالشئون الاجتماعية ينبثق عن موجبات دينية .

٣ - حزب الإصلاحيين :

ويشكلون حزبا يمينيا متطرفا يقول بإنشاء دولة إسرائيل على جانبي الأردن على أسس قومية متطرفة ، ومن هذا الحزب انبثقت المنظمات الإرهابية العسكرية

(١) إن هذا اعتراف صريح بالأسلوب الذي به قامت إسرائيل في حركة استفزاز لا أخلاقية غير قانونية .

(٢) نقلا عن تقرير حكومة فلسطين جزء ثان ص ٩٢٥ - ٩٦٢ Sirvey of Palestine

« بریت ترومبلدور » أو « بيطار » و « أرغون زفاى ليومى » و « شترن » .
وقد نشطت هذه المنظمات المسلحة وفي طلبيتها « الهاجاناه » وهى المنظمة
العسكرية شبه الرسمية التى كانت الوكالة اليهودية تشرف على تمويلها وتجهيزها.
كما كانت هناك أيضاً المنظمة الإرهابية المعروفة باسم « أرغون زفاى ليومى » وهذه
المنظمة هى التى راحت منذ سنة ١٩٤٣ تقوم بأعمال التخريب فى المؤسسات
الحكومية ، وقد انشق عنها فيما بعد منظمة أخرى عرفت باسم « شترن »
وقامت هذه المنظمة الإرهابية خلال سنى الحرب الأخيرة بأعمال غاية فى الجرأة
والوحشية ، ومنها اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط
فى أحد شوارع القاهرة فى نوفمبر ١٩٤٤ ودفعت هذه الحوادث الوحشية بريطانيا
إلى أن تعلن عن سخطها وغضبها على الصهيونية . فقد صرحت الصحيفة
البريطانية « كوفنترى » فى شهر مايو سنة ١٩٤٧ « بأن رأى العام البريطانى
قد أبدى سخطه ونقمته ليس فقط على يهود فلسطين ، بل على اليهود البريطانيين
لأنهم أى يهود بريطانيا أبدوا بالمطافة أعمال أولئك الإرهابيين الصهيوينيين
فى اغتيال الجنود البريطانيين والتمثيل بجمتهم ، ولهذا كان من الطبيعى أن
تتضاعف الكراهية والنقمة ضد اليهود ، وتكون خطراً داهماً يهدد جميع
يهود بريطانيا إن لم يبادر العقلاء إلى وضع حد لهذه الأعمال » (١) .

٤ — الحزب الشيوعى :

وهو منذ إنشائه يعارض الصهيونية بشكل عام ، إلا أنه كان يقول بإنشاء
الوطن القومى اليهودى ، وبإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذى وضع
قيوداً على انتقال الأراضى العربية لليهود ، وعلى الهجرة اليهودية فى فلسطين .

(١) الاحتجاج شكلى فلا قصاص ولا استمساك بالحق والعدل لكنها الصهيونية بقوتها
وتقلها لن تحرم المظف ، يؤيد ذلك العبارة الأخيرة من التصريح : « إن لم يبادر العقلاء إلى وضع
حد لهذه الأعمال » .

٥ — حزب اللابام :

« حزب العمال الأتحاديين » وهو يهدف إلى جمع شمل اليهود في داخل دولة اشتراكية يهودية ، وتدريب الشباب اليهودي في داخل إسرائيل وخارجها ليكونوا طليعة في إنشاء المزارع الجماعية ، وهو يدعو إلى وضع تشريع تقدمي اجتماعي ، ويدعو إلى حرية الضمير ، ويعارض كل اضطهاد في داخل الدولة ، ويهتدى بنظريات كارل ماركس ، وانجلز ، ولينين ، وستالين ، وينتهج سياسة مناهضة للفاشية تهدف إلى إقامة سلام دولي دائم وتوطيد الصداقة بين إسرائيل والاتحاد السوفيتي والقوى التقدمية الأخرى في العالم . ويعارض إقامة قواعد عسكرية أو اقتصادية للدول الأجنبية في إسرائيل .

تعدد الأحزاب في إسرائيل ، تعدد السبيل مع اتفاق الهدف :

إن تعدد هذه الأحزاب وانقسامها للظاهر في الرأي حول بعض المسائل الداخلية يعود بالدرجة الأولى إلى ما قبل قيام إسرائيل ، وإلى طبيعة أصلها ، ومنشئها الأوربي ، وبالتالي إلى الأفكار الصهيونية التي نادى بها ثيودور هرتزل ، ودخلت في صلب منظمة الصهيونية العالمية لتصبح جزءاً من تاريخها الحافل بالتعقيد والتأمر .

هذا التعدد ، الذي يشاء البعض اعتباره من مظاهر الديمقراطية الصهيوية ، ينبع بصورة رئيسية من تركيب إسرائيل العجيب وطبيعة القادمين إليها من المهاجرين اليهود . إنه نسخة طبق الأصل من وضع إسرائيل المجتمعي ، والتناقضات القائمة في وجودها ، وليس تنافسها وتطاحنها إلا من قبيل التسابق على اقتسام المفانم والأسلاب ، والمزايدة السياسية في أسواق الصهيونية السياسية . فالتحزبات والتجمعات والتكتلات التي تتخذ شكل الأحزاب السياسية وتطبع نفسها بالطابع العقائدي ليست في الواقع غير تعدد في الوسائل لتحقيق أهداف الصهيونية والحفاظ على مصالحها .

أسلوب العمل الموحد بين الصهيونية والوكالة اليهودية

عرف الصهيو نيون في عصرنا هذا مواطن القوة التي تسخرها لهم الدعاية المستترة ، فشنوا الحملات في أرجاء العالم بأسماء غيرهم ، وهي في الواقع سلاحهم الذي يعتمدون عليه .

ذلك لأن جبهة القراء يصغون إليها ، ولا يهتمون أو لا يهتمون قائلها ، بل لا يشعرون بأسباب تدعو إلى الاتهام في أكثر الأحيان .

وساعدهم الاستعمار على هذا الأسلوب المستتر لأن خطر العروبة عليه أكبر من خطر الصهيونية ، وما يمثّلها من الأخطار العنصرية ، ولهذا فإن الصهيو نيون قد تمكّنوا من تسخير الدعاية لأغراضهم وذلك بالسيطرة وامتلاك الكثير من أجهزتها ، وقد برعوا في تسخيرها وإخفاء مراميها .

ومن أساليب الدعاية ما أثاره الممثل الإسرائيلي في كندا في عبارة السيد / عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية استنكاراً للعدوان الإسرائيلي الأثيم على العرب الآمنين في ديارهم بقوله : « سيرى العالم حرب إبادة ومذابح جماعية يتحدث عنها التاريخ وتذكرها الأيام كما ذكرت شبيهاًها المغولية والصليبية » .

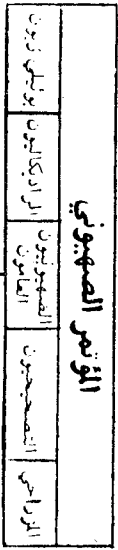
أخذ هذه العبارة ليبدأ بها دفاعه عن الأعمال الإرهابية التي ارتكبتها العصابات الصهيونية لتبرير أعمالها باعتبارها تواجه كراهية العرب للصهيونية ، وانتكست الصرخة لغير صالح العرب بفضل أسلوب الدعاية الصهيونية ضد العرب الذي يعتمد دائماً على سياسة «دموع التماسيح» .

وجميع عصابات منظمات الهاجاناه ، والبالماخ ، والأرغن زفاي ، والشترن ، ترتكب أعمالها الشريرة منذ سنة ١٩٣٥ بتوجيهات من الوكالة اليهودية

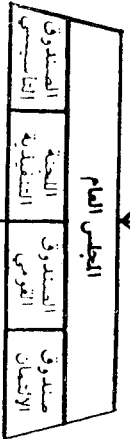
العالمية ، ومن عقيدة دينية تمتد جذورها عبر القرون إلى عهد يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام ، إذ تزعم التوراة أن يشوع قد أمر الإسرائيليين بذبح الرجال والنساء في مختلف الأعمار دون شفقة أو رحمة وإبادتهم حتى تخلو المدينة لهم: « وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم . وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجماً حجارة عظيمة إلى هذا اليوم » (١) .

ولم يكن العرب وحدهم يستنكرون هذا العدوان فحسب ، بل إن رجالاً من ذوى الضمائر الحية من بريطانيا قد استنكروا أعمال هذه العصابات ، وقيام دولة الصهيونيين بفلسطين ، ومن هؤلاء الدكتور أرنولد توينبي الذى وصف المذابح وأعمال الإبادة التى ارتكبتها العصابات الصهيونية فى قرية دير ياسين بقوله : « إن الأعمال الشريرة التى اقترفها اليهود الصهيونيون ضد عرب فلسطين ، والتى لا يمكن مقارنتها بالجرائم التى اقترفها النازيون ضد اليهود ، وذلك لفظاعتها وعنصر الوحشية بها ، والتى لا يمكن تصورها من أساليب الوحشية التى اتخذت من ذبح النساء والرجال والأطفال فى « دير ياسين » فى التاسع من إبريل « نيسان » سنة ١٩٤٨ ، مما نتج عنه هروب السكان العرب مذعورين فى أعداد كبيرة من المناطق التى تقع ضمن نطاق أعمال القوات اليهودية المسلحة » .

ولهم فى دعايتهم مآكثهم من تضليل الرأى العام العالمى ، من ذلك أن مناخم ييجين الإرهابى الخطير قام بزيارة للولايات الأمريكية المتحدة فى موسم انتخابات رئاسة الجمهورية ، وتألقت لجنة استقبال وكان فى جملتها بعض



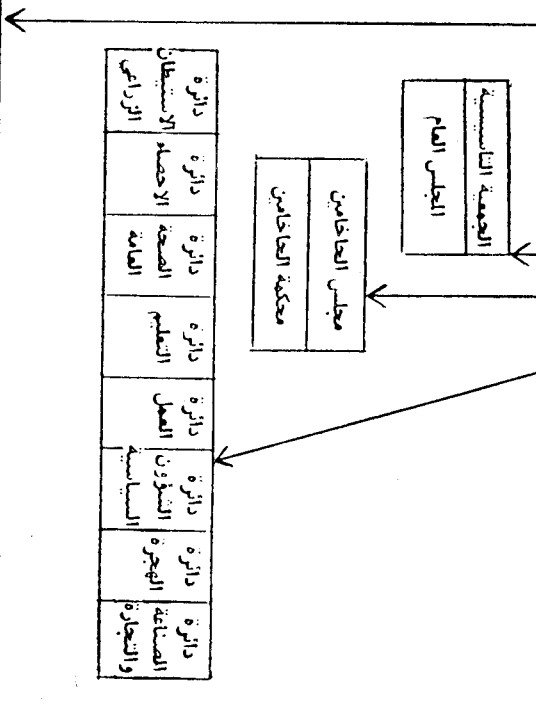
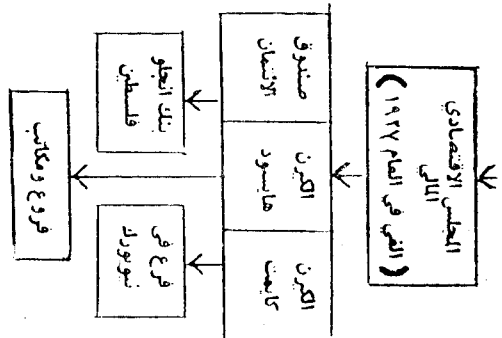
الجلس المركزي
(رئيسي)



رئيس المنظمة
الكتب المركزي

لجنة لتنفيذ

لجنة فلسطين التنفيذية



القطاعات منفصلة

فصلها

الشيوخ وأعضاء الكونجرس ، وحكام الولايات المتحدة ، وحملة الأقلام ، وأرباب الصحافة والإذاعة ، حتى رجال الدين أنفسهم ، فقد اجتمعوا كلهم للاشتراك في استقبال المحتفى به زعيم المنظمة الإرهابية « أرغون زفاى ليومى » The Urgan Zvai Laumi . وقد قوبل « مناخم بيجين » بحماس وتأيد للأعمال الباهرة — في نظرهم — التى قام بها في فلسطين من نسف فندق الملك داود بمن فيه من النزلاء والخدم الأبرياء ، إلى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، إلى شق عدد من الجنود البريطانيين ، إلى ذبح النساء العربيات والأطفال ، والمسنين في دير ياسين . وكانت زيارته في وقت تشدد فيه المعركة الانتخابية مما جعلها فرصة استغلها الخبزبان للفوز بأصوات اليهود بأن عمد البعض من المرشحين ، زيادة في استرضاء اليهود ، إلى الإيعاز إلى صحيفة « نيويورك تايمز » لى تنشر مقالاً عن « بيجين » بعنوان : الرجل الذى هزم إمبراطورية وكسب المجد لإسرائيل .

ومع هذا فإن الحق أحق أن يتبع ، ففي غمرة هذه المظاهر تبرز جماعة من الأمريكيين « المعتدلين » يستهجنون أعمال العصابات الصهيونية . فاقصد استهجن السناتور آرثر كابر ، والسناتور هربرت أوكتور — إدراج اسميهما في لجنة الاستقبال دون علمهما أو موافقتهما ، كما أبرق عضو الكونجرس الأمريكى جون كنيدي إلى لويس برومفيلد يطلب شطب اسمه من لجنة الاحتفال بمناخم بيجين وهذا الأخير لم ينبج من مدامة الدهماء له من الصهيونيين الذين لقي مصرعه بأيديهم إبان رئاسته لجمهورية الولايات الأمريكية المتحدة .

ووقف من اليهود المعتدلين من يستهجن أعمال العصابات الصهيونية منهم العلامة الأمريكى ألبرت أينشتاين ، والبروفسور سيدنى هوك ، وغيرها من كبار

العلماء والشخصيات اليهودية المتزنة ، إذ أعلنوا منذ اللحظة الأولى معارضتهم لسياسة مناحم بيجين الإرهابية التي تشجع العنصرية الدينية .

بل يقرر الدكتور أرنولد توينبي بقوله : « لم تكن لليهود مبررات في عام ١٩٤٨ لتشريد عرب فلسطين من بيوتهم ، بقدر ما لم تكن هناك مبررات عند نبوخذ نصر ملك بابل ، وتيطس وهادريان أباطرة الرومان ومحاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية في عهد الملك فرديناند والملكة إيزابلا . ولعل الصهيونيين في عام ١٩٤٨ كانوا يعرفون من تجاربهم الخاصة — من سبق اضطهاد الشعوب الأوروبية لهم — ماذا يعملون !! ولعلها مأساتهم الكبرى » .

أما الظلم الذي وقع عليهم من اختباراتهم مع سادتهم الألمان النازيين فإنه لم يجنبهم الوقوع في ذلك ، بل دعاهم إلى تقليد بعض الأمور والأعمال الشريرة التي اقترفها النازيون ضدهم ، ولاريب في أن ذبح النازيين لليهود رغم ما أضفى عليه الصهيونيون من مبالغة كان عاراً صارخاً .

لكن ذبح الصهيونيين للعرب العزل من السلاح والأمينين في ديارهم لا يمكن وصفه بأية عبارات مستمدة من معاجم إنسان الغاب .

التغلغل الصهيوني في الغرب

١ — التغلغل اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية :

يؤكد روبرت إدموندسن^(١) مدى التغلغل اليهودي في الولايات المتحدة بالقائمة التالية :

I Testify . Robert Edmondson , Oregon U.S.A. 1935 . (١)

عهد الرئيس روزفلت ١٩٤٥ — ١٩٣٩	عهد الرئيس ويلسون ١٩١٨ — ١٩١٤	الوظيفة
برنارد باروخ	برنارد باروخ	المستشار للشؤون الاقتصادية
المليونيير هنري مورجانتو ^(١)	المليونيير هنري مورجانتو	المستشار للشؤون المالية
صموئيل روزنمان	الكولونيل مانديل	المستشار للشؤون السياسية
وولتر ليمان	وولتر ليمان	المستشار القانوني الدولي
جستس لويس برانديس	جستس لويس برانديس	المستشار القضائي
المليونيير فيلكس	المليونيير فيلكس	كبير المستشارين السياسيين
فرانكفورت	فرانكفورت	والمستشار على البيت الأبيض

وروزفلت نفسه كان يهودياً، ولذلك جمع أيام حكمه أكبر عدد من اليهود وحشدهم في دوائر الحكومة، واقتد صور المجاهد الأمريكي إدموندسن في كتابه «أشهد» هذا التغافل الصهيوني في سيطرة اليهود على اقتصاديات البلاد ومواردها الطبيعية. وفي عهد روزفلت اتخذت نجمة سليمان شعاراً للدوائر البريد، وعلى أختام البحرية الأمريكية وعلى طبعة الدولار الجديد، وعلى ميدالية رئيس الجمهورية، وعلى شارة الصدر التي يضعها العمدة Sheriff في كثير من المناطق.

وقد تنبأ بالخطر الذي يهدد الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لسيطرة اليهود على جميع مرافق الجمهورية الفيلسوف بنيامين فرانكلين بقوله (٢) : « إن

(١) المليونيير هنري مورجانتو قدرت ثروته بألفي مليون دولار .

Philadaphia museum 1787.

(٢)

A great big danger threatens the United States of Amerca, the Jewish terror . If on the constitution we are drafting , we fail to put a end to Jewish immigration .

الولايات المتحدة مهددة بخطر عظيم . و الخطر الذي قصده فرانكلين هو الخطر اليهودى ، فقد رأى بعين السياسى والفيلسوف مستقبل الولايات المتحدة بعد مائتى عام فراها تر كع تحت أقدام بضعة ملايين يهودى يسيطرون على سياستها ، ويوجهون ثقافتها ودعايتها وفنها ، ثم ترتبط بهم مصالحها الاستعمارية بعد ذلك فتضعهم فى فلسطين رأس جسر لمحاولتها التى لا تنهى للسيطرة على المنطقة العربية ، ولإسقاط الأنظمة الثورية التى نبتت فى أرضها . والرسالة التى وجهها هذا الفيلسوف اللامع صاحب وثيقة الاستقلال إلى ممثلى الأمة الأمريكية لامثيل لدقتها فى تصور المستقبل الذى تجرى الآن فصوله وأحداثه . كأن بنيامين فرانكلين كان يقرأ فى كتيب مفتوح فيقول (١) :

— إن خطراً عظيماً يهدد الولايات المتحدة . . هو الرعب اليهودى .

— إننا إذا ما عجزنا عن طريق هذا الدستور الذى نضعه عن وقف الهجرة اليهودية ، فإنهم « اليهود » سوف يحكموننا فى أقل من مائة عام ، وسوف يغيرون نظام حكمنا ، الذى بدلنا نحن الأمريكين دماءنا ، وقدمنا أرواحنا فى سبيله .

— إننى أحذركم أنكم إذا لم تلقوا باليهود خارجاً بحيث لا يعودون

= They " the Jews " will govern us in less than a hundred , and will change the form of our government for which we the Americans shed our blood and gave our lives .

I am warning you , if you do not thrash the Jews out , never to come again , your sons , and grandsons cures will follow you eternity. Benjamin Franklin .

(١) رسالة بنيامين فرانكلين إلى المؤتمر الدستورى الاتحادى الذى عقد بفلادلفيا عام ١٧٨٧ .

أبدأ مرة أخرى ، فإن لعنة أولادكم وأحفادكم سوف تلاحقكم إلى الأبد .

بنيا مين فرانكلين

فهل جاوز فرانكلين الحقيقة ؟

إن ماتصوره الفيلسوف منذ قرنين تقريبا يتم الآن بدقة بالغة .

وعودة إلى التغفل الصهيوني في واشنطن حيث نلتقى بالرئيس ترومان خليفة الرئيس الراحل روزفلت ، فقد كان ترومان هذا من أشد المتحمسين للصهيونية ، وكتابه المقدس المفضل هو التلمود !!

وقد جمع من حوله أقطاب اليهود وعملاءهم ، وملاً الدوائر بهم ، فكان عهد ترومان من أسوأ العهود في رئاسة جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، بل كان أسوأ من سلفه « روزفلت » وجمع حوله في أكبر مناصب الدولة :

ملاحظات	الاسم	الوظيفة
نصف يهودى	سام برجر	المستشار الخاص
	دافيد نايلز	المستشار للشئون الخارجية
	دين اتشيسون	مساعد المستشار « (اوربا) »
	تيودور اشبلز	رئيس لجنة الذرة
	برنارد باروخ	
	تينوايزر	مساعد المندوب السامي في ألمانيا
	بول داربرج	السفير في لندن
	كروننج	حاكم ألاسكا
	فليخان	مدير الإنتاج الحربى
واينبرج	مساعد مدير التعبئة الدفاعية	

ملاحظات	الاسم	الوظيفة
	ماكس ليفا	سكرتير وزارة الدفاع
	أناروزنبرج	سكرتيرة وزارة الدفاع
	فينلستر	سكرتير القوات الجوية
	الجنرال مارك كلارك	رئيس أركان حرب القوات الأمريكية
	الجنرال جيمز برج	مدير المختبرات العامة
	الجنرال ليان	مدير المساعدات الحربية الخارجية
	الجنرال كيرتس لي مي	استراتيجية قيادة الجو
نصف يهودى	الجنرال دوايت أيزنهاور	القائد الأعلى للقوات المسلحة
	الجنرال فيلدمان	رئيس أركان حرب الإدارة والمهمات
	فيليب بيرلمان	الحامى العام - قضايا الدولة
	فيليب كيسر	نائب سكرتير عام العمل
	ربر	المستشار السياسى المندوب
	ولف سون	السامى فى ألمانيا الغربية
	سبتجارن	مساعد وزير الداخلية
	موريس كاسترو	مساعد خاص لثرومان
	وليم بالى	حاكم جزيرة فيرجين
	هاريس	رئيس لجنة المواد الخام
	ليون كيسرلنج	مساعد المدعى العام
	بنجامين كوهين	رئيس المجلس الاستشارى للاقتصاد
	ليوبا فوننسكى	السكرتير الصحفي المسئول فى الأمم المتحدة
	جوليوس كلين	مساعد وزير الخارجية وهو الذى سبق
		فوضع ميثاق هيئة الأمم المتحدة
		مستشار الحزب اليهودى للشئون
		الدفاعية .

ومن هذا يظهر أن ترومان جعل حاشيته من الصهيونيين ومكثهم من الوظائف العليا بالوزارات والمصالح الحكومية. وبلغت نسبة شغلهم للوظائف الحرة والمهن الحرة بالإضافة إلى سيطرتهم على أجهزة الحكومة درجة عالية :

من المحامين	٧٠٪	يهود	يقابلها	٣٠٪	أمريكيون
من الأطباء	٦٩٪	»	»	٣١٪	»
من التجار	٧٧٪	»	»	٢٣٪	»
من موظفي الدولة	٣٨٪	»	»	٦٢٪	»

مع الإحاطة بأن الوظائف الرفيعة في البيت الأبيض يسيطر عليها الصهيونيون سيطرة كاملة ، وليس بينهم عمال مزارعون أو كادحون أو عاطلون.

بينما نسبة تعدادهم تقدر ب ٤٪ من نسبة السكان

٢ - التفغل اليهودي في هيئة الأمم المتحدة :

وجاءت الإحصائية عن السنوات الأولى التي أعقبت تأسيس جمعية الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية سنة ١٩٤٥ (١) تؤكد أن منظمة هيئة الأمم المتحدة يسيطر عليها الصهيونيون :

الوظيفة	الاسم	الديانة
السكرتير العام	تريجنى لى	يهودى
مساعد السكرتير العام لشئون الإعلام	بنجامين كوهين	»
مدير المكتب الإدارى	ك . وايتز	»
مستشار خاص للإدارة الاقتصادية	ا . روزنبرج	»
مدير الإدارة الاقتصادية	د . وينتروب	»

الديانة	الاسم	الوظيفة
يهودي	بنويث ليثي	مدير قسم الإعلام
»	ماكس ابراموفتش	نائب مدير الهيئة الإدارية
»	ا . فيلر	مدير الإدارة القانونية
»	د . زايلودسكي	مدير إدارة المطبوعات . قسم الوثائق
»	ج . رايدنوفتش	مدير قسم الترجمة
»	ج . شاييرو	مدير مركز الأمم المتحدة في جنيف
»	م . بيرجمان	مدير التنفيذات
»	د . مورس	مدير عام مكتب العمل الدولي في جنيف
»	م . مندر	سكرتير البنك الدولي
»	ك . چت	مدير إدارة الاعتمادات المالية الدولية
»	و . التمان	مساعد « « « «
»	م . برنشتاين	مدير الأبحاث في الاعتمادات المالية الدولية
»	جوزيف جولد	المستشار الأول في الاعتمادات المالية الدولية
»	ليولاقتال	المستشار الثاني في الاعتمادات المالية الدولية
»	ج . ماير	المدير الفني لهيئة الصحة العالمية
»	م . كوهين	مدير مؤسسة اللاجئين الدولية
»	ج . جيمكوبسن	مساعد مدير مؤسسة اللاجئين الدولية

الديانة	الاسم	الوظيفة
يهودى	ز . دوتشان	نائب المدير الفنى لهيئة الصحة العالمية
»	و . كلينبرج	مدير مكتب التوتر الدولى
»	برنارد باروخ	عضو لجنة الطاقة الذرية الدولية
»	إيرنست كروس	نائب مندوب الولايات المتحدة الدائم
»	الفرد كاتزن	ممثل الأمم المتحدة فى كوريا مندوب الولايات المتحدة فى اللجنة الاقتصادية وشئون الموظفين
»	إزادور لوبين	مندوب بولندا الدائم
»	جولايوس كاتز سوشى	مندوب روسيا فى مجلس الأمن
»	مانيلو سكى	مدير قسم التعميمات الدولية
»	ر . يودين	

وفى قسم اليونسكو بالأمم المتحدة يسيطر اليهود على النشاط الثقافى
للأمم المتحدة ، ويوجهون ذلك النشاط إلى خدمة الأهداف اليهودية العالمية .
ومن المسئولين الكبار عن اليونسكو :

الديانة	الاسم	الوظيفة
يهودى	ج . إيزنهارت	مدير إدارة نشر الثقافة
»	س . لوفمان	مدير قسم التبادل الثقافى الدولى
»	ه . كابلان	مدير قسم العلاقات العامة
»	ه . سيلسكى	مدير إدارة الموظفين
»	م . أبرامسكى	مدير قسم الإسكان
»	آلف سمرفلت	مدير العلاقات الخارجية
»	ب . وير مايل	مدير قسم الإنشاءات
»	آ . كاتزن	مدير قسم التعميمات الدولية

٣ — التغلغل اليهودي في بريطانيا :

وجاء في كتاب : The Jews of Britain , Sidney Salomon :
Hutchinson . London 1939

« إن اليهود شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم سنة ١٦٥٦ . وسرعان ما تغلغلوا في الحياة البريطانية محطمين تقاليد الشعب البريطاني وعاداته » .

ومن أبرز الأعمال والشخصيات التي ظهرت وذلك من قبيل المثال :

التوقيت	أبرز الأحداث أو الشخصيات
١٨٣٦	روتشيلد يمنح الحكومة البريطانية قرضا بما يوازي ٢٠ مليون جنيه
١٨٤١	تأسيس أول جريدة إنجليزية يهودية
١٨٩٧	تأسيس المنظمة اليهودية « الصهيونية »
١٨٩٧	تعيين جورج فيلبس رئيسا لبلدية لندن
١٩٠٠	تعيين السير ماثيو ناتان حاكما لساحل الذهب
١٩٠٩	تعيين السير هربرت صموئيل وزيراً للحكومة
١٩٢٠	« « « أول مندوب سام بريطاني بفلسطين
١٩١٣	تعيين القاضي ريدنج في منصب قاضي القضاة
١٩١٨	« اللورد ريدنج سفير بريطانيا في الولايات المتحدة الأمريكية
١٩٢٠	« « « حاكماً للهند
١٩١٧	منح وعد بلقور ترضية لروتشيلد تقديراً لخدماته للدولة
١٩١٨	تعيين الجنرال السير موناخ « جون موناخ » قائداً للجيش
١٩٢٠	تفويض عصبة الأمم بريطانيا للانتداب على فلسطين
١٩٢٧	تعيين هور بليشا وزيراً للحرب

هكذا كان التفاعل اليهودي التدريجي في الحياة البريطانية في الفترة التي غلبت فيها سياسة التسامح والتفاوض عن خطط اليهود الشريرة .

٤ — التفاعل اليهودي في فرنسا :

وجاء في نشرة Gothic Ripples , Arnold Leese العدد ١١٣ بتاريخ ١٩٥٥/١١/٢٩ عن أبرز الشخصيات الفرنسية الذين وصلوا إلى مناصب عليا في الدولة في النصف الأول من القرن العشرين وهم من اليهود :

الاسم	الوظيفة
ايون بلوم	وصل إلى رئاسة الوزارة الفرنسية
منديس فرانس	» » » »
إدجار فور	» » » »
فنان أوربول	وصل إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية
رينيه ماير	وصل إلى منصب الوزارة مرات عديدة
جول موخ	» » » »
دانيال ماير	» » » »
موريس شومان	» » » »
هيرفي الفاند	ممثل فرنسا الدائم في مجلس الأطلنطي
ل . فروسار	وصل إلى منصب الوزارة مرات عديدة
موريس بتسن	» » » »
ج . رواف	» » » »
جاك شترن	» » » »
هنري الفر	» » » »

الاسم	الوظيفة
م . توريز	رئيس الحزب الشيوعي
جاستون بالوسكى	وصل إلى منصب الوزارة ومستول عن الطاقة الذرية
ر . مار جولين	وصل لمنصب سكرتير عام المؤسسة التعاونية الاقتصادية لأوربا
آ . ماتو	وصل لمنصب سكرتير للجنرال ديجمول
ج . جرانفال	وصل لمنصب السفارة وحاكم المغرب
ج . سوستيل	وصل لمنصب السفارة وحاكم للجزائر
جورج يورى	مستشار دائم لرؤساء الحكومات ومدير جريدة La Lumiere
أندريه ويتلم	نائب رئيس المجلس التأسيسي
ريمون آرون	أستاذ كرسى الاجتماع فى السوربون
لوى جوكس	سفير فرنسا فى موسكو
دانيال ليفى	سفير فرنسا فى كل من الهند واليابان وتشيكوسلوفاكيا
ليون ميس	رئيس محكمة الاستئناف العليا
جولين كين	رئيس المكتبة الوطنية
روبرت هيرشى	مدير المباحث العامة
و . بو مجارنر	حاكم بنك فرنسا
هنرى توريز	ممثل الصحافة الفرنسية فى الولايات المتحدة
لف كوفارسكى	مدير مختبر الذرة
الجنرال كوبنيج	قائد الجيش الفرنسى فى المقطاع المحتل من ألمانيا
الجنرال زونوفى بيسكونى	وكان وزيرا للدفاع فى حكومة فور قائد القوات الفرنسية فى اليابان

الاسم	الوظيفة
أدميرال لوى كان	رئيس حلف الأطلسي N. A. T. O.
أدميرال لوى كان	سكرتير عام القوات المسلحة الفرنسية
الجنرال بيلو	وزير الدفاع
الجنرال بيمير برساك	رئيس أركان حرب الإدارة في القيادة العليا لقوات الحلفاء في أوروبا
روبرت فالكو	ممثل فرنسا في محادثات نورمبرج
هـ . القاندي	ممثل فرنسا في محادثات أراضى الراين والروورفي موسكو
ر . كاش	ممثل فرنسا في جرائم الحرب

هذا قليل من كثير مما يؤكد تغفل النفوذ الصهيوني في حكومات فرنسا ووصوله إلى المناصب الرفيعة الحساسة في مختلف أجهزة الدولة .

(١)

• - التغفل الصهيوني في روسيا البلشفية :

كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة ، لأنها كانت في نظر اليهود الركن المبين للمسيحية ، ولأن روسيا لم تهضم تغفل اليهودية العالمية في السكبان الروسي ، ولم تسمح بسيطرة اليهود على مقدرات الشعب الروسي كما أنها كانت تشجع عمليات القمع الانتقامية التي كانت توجه لليهود كلما تسبوا في تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا ، فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧

وكان من ورائها قولاً وعملاً وتمويلاً عتاة اليهود، والممولون الرئيسيون للثورة البلشفية كانوا من اليهود أمثال: ماكس واربرج، وشقيقه بول واربرج Paul Warburg وها من الشركة اليهودية في نيويورك Kulin Soeb & Co وكراسن Krassin، وفيرز تنبرج Furstenberg وفي أيام الثورة الأولى استولى اليهود على السلطة، وانتقموا من الشعب الروسي التيمصري، وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال (١).

وحينما قامت الثورة البلشفية كانت نسبة اليهود في المكتب السياسي وفي مجالس الحرب والثورة بنسبة ٧ : ٨ .

« إن الأفكار اليسارية للصهيونيين والمؤيدة لروسيا تبدو الآن وكأنها تخص الجيل القديم فقط . أما بالنسبة للجيل الجديد فالصورة تختلف كلياً .

« فطبيعة تركيب الاقتصاد الإسرائيلي الحالي هي من أقوى أسباب ضمور أيديولوجية اليسار في الأحزاب الإسرائيلية وخاصة بالنسبة لحزب الماباي ، الحزب الحاكم في إسرائيل .

« فإنهم في واقعهم يؤمنون بالتغيير الاجتماعي وبالتطور وليس بالثورة . ومن ثم فإن الحافز الحقيقي لأيديولوجية قيادتهم وتمويلهم للثورات هو حافز الحاجات النفعية لهم فحسب .

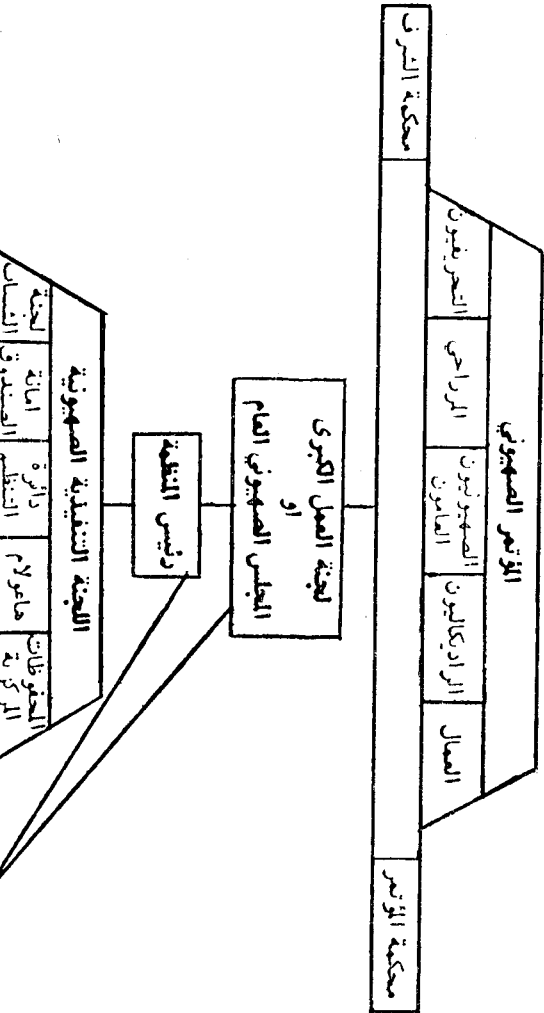
« ومن ثم فإنهم سرعان ما ينتفضون على الثورة ذاتها، إذا ما وجدوا أنها قد تحقق خيراً للشعوب التي قامت من أجلها، وقد حدث ذلك في الثورة البلشفية ذاتها» (٢).

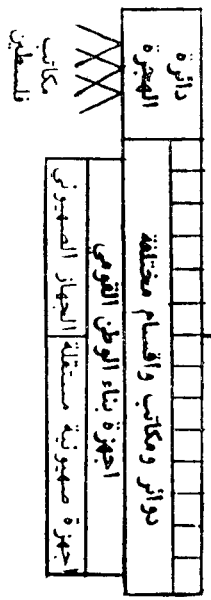
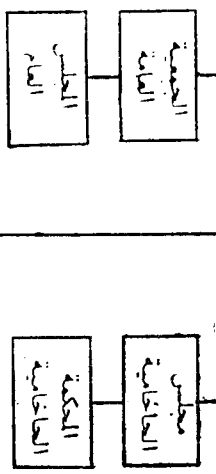
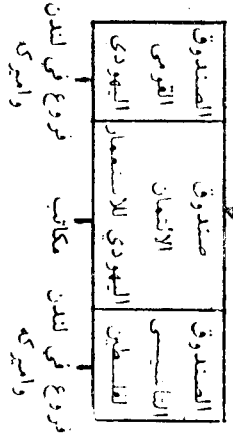
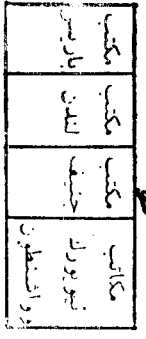
(١) إن انتقام إسرائيل الجبان امتداد لعصر الهجيرة زمان يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام « يشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ » وفي زمان سبى بابل في ضيافة أحشويرش ملك فارس « أستير ٩ : ٥ » .

(٢) ألن أريان : التغيير العقائدي في إسرائيل ، ص ٧٠ .

تركيب المنظمة الصهيونية العالمية

١٩٤٨





فروع في لندن وأميركا

فروع في لندن وأميركا

أحداث منفصلة

أحداث منفصلة

ويقول هالهرمان عن التقلب العقائدى للصهيونيين : « إنهم صورة غريبة لحزب اشتراكي يقدم الجزر لحار رأسالي ، لأنهم يعتقدون بأن البلاد يحتاج إلى الاستثمارات بشدة » (١) .

(٢)

٦ — التغفل اليهودى فى الدوائر الروسية البلشفية :

نسبة اليهود	اليهود منهم	مجموع الموظفين	البيان
٪ ٧٨	١٧ وزيراً	٢٢ وزيراً	أول حكومة بعد الثورة
٪ ٨٠	٣٤	٤٣	إدارة الحرب
٪ ٧٠	٤٥	٦٤	لجنة الشؤون الداخلية
٪ ٨٠	١٣	١٧	لجنة الشؤون الخارجية
٪ ٨٧	٢٦	٣٠	لجنة الشؤون المالية
٪ ٩٥	١٨	١٩	لجنة الشؤون القضائية
٪ ٨٠	٤	٥	لجنة الشؤون الصحية
٪ ٨٣	٤٤	٥٣	لجنة التوجيه العام
٪ ١٠٠	٢	٢	لجنة البناء والتعمير
٪ ١٠٠	٨	٨	لجنة الصليب الأحمر الروسى
٪ ٩١	٢١	٢٣	إدارة الأقاليم
٪ ٩٧,٦	٤١	٤٢	شئون الصحافة
٪ ٧١	٥	٧	لجنة التحقيق عن الموظفين
٪ ٧٠	٧	١٠	لجنة التحقيق عن ذبح القيصر وأسرته

(١) جوزيف بادى ، حكومة دولة إسرائيل ، ص ٢٧٢ :

(٢) " I Testify " Robert Edmondson, Oregon; U. S. A. 1935.

البيان	مجموع الموظفين	اليهود منهم	نسبة اليهود
مجلس الاقتصاد الأعلى	٥٦	٤٥	٨٠٫٤٪
مكتب العمال والجنود في موسكو	٢٣	١٩	٨٢٫٦٪
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتي الرابع	٣٤	٣٣	٩٧٪
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتي الخامس	٦٢	٣٤	٥٥٪
اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي	١٢	٩	٧٥٪
الجملة	٥٣٢	٤٢٥	٨٠٪

أى أن نسبة اليهود في الوظائف الهامة كانت تقدر بحوالى ٨٠٪ بينما يمثلون ١٣٪ من الشعب السوفيتي .

٧ - اليهود في ألمانيا :

وقصة اليهود في ألمانيا وتسلمهم على مقدراتها تختلف عن سيطرتهم على بريطانيا ، وفرنسا ، وأمريكا ، وهيئة الأمم المتحدة .

ذلك لأن النفوذ اليهودي في ألمانيا أدى إلى تدميرها وخسارتها حربين عالميتين كانت فيهما المقتصرة ثم ترجح كفة أعدائها بسبب خيانة اليهود في داخل ألمانيا وخارجها .

ففي سنوات الحرب الكونية ، وما قبلها بقليل وما بعدها ، كان اليهود يتسلطون على المراكز الحساسة في الدولة الألمانية وهذه الإحصائية نقلا عن
Bolshevism was Jewish in Germany ; Arnold Leese; London 1933.

ظالمهمنون على الوزارة الألمانية :

Landsberg	لندزبرج	Hasse	هاس
Alzech	ألزخ	Kautski	كوتسكى
Hertsfeld	هرتسفلد	Kohn	كون

والمهمنان على المالية :

Bernstein	برنشتاين	Schiffer	شيفر
-----------	----------	----------	------

في اللقاطعات الالمانية :

١ - بروسيا

Freund	فروند	Preuss	بروس	الداخية
		Hirsch	هرش	وزير الداخية
		Rosenfeld	روزنفلد	وزير العدل
		Simn	سمن	وزير المالية

٢ - سكسونيا

Schwartz	وشوارتز	Lipinski	ليپنسكى	يهيمن على الحكومة
----------	---------	----------	---------	-------------------

٣ - رينمبرج

Heiman	هيمان	Talheimer	تالهايمر	يهيمن على الحكومة
--------	-------	-----------	----------	-------------------

٤ - هس

Fuld	فولد	المتسلط على الحكومة
------	------	---------------------

والذين قادوا ثورة ميونخ البلشفية سنة ١٩١٨ هم اليهود :

Luxembourg Arnold Wolheim Kranold	Eisner Liebknecht Rosenhek	Lowenberg Kaiser Berenbaum	Rothschild Rorsfeld Reis
--	----------------------------------	----------------------------------	--------------------------------

وكان رؤساء مجالس العمال والجنود من اليهود . وكان مدير بوليس براين وفرانكفورت وميونخ وأسن من اليهود .

ومن أجل هذا خسرت ألمانيا الحرب الكونية الأولى التي كانت من صنع اليهود أنفسهم ، والتي خططوا لها انتقاما من قيصر ألمانيا الذي لم يشجعهم في الاستيطان بفلسطين حينما طلبوا منه ذلك . وقد عادت نكبة ألمانيا عليهم وخدمهم بالفائدة إذ وجدوا الصديقة الوفية ممثلة في بريطانيا التي منحتهم وعد بلفور للاستيطان بفلسطين . وظل تسلط اليهود على ألمانيا قائما إلى أن جاء هتلر سنة ١٩٣٣ وشرع في تحرير ألمانيا من سيطرة اليهودية الصهيونية .

وحينما تسلّم هتلر مقاليد حكم ألمانيا عين لجنة من العلماء لدراسة مشكلة اليهود ووضع المقترحات لحل تلك المشكلة المزمنة . وبعد دراسة طويلة قرر العلماء الألمان أن الحل الوحيد لمشكلة اليهود هو قتلهم أو ترحيلهم عن البلاد . ونفذ هتلر قرار علمائه وعامل اليهود كما عوملوا على مر العصور ، من قتل وحرق وطرد من البلاد لخياناتهم ولعندهم .

٨ - التغلغل اليهودي في محكمة نورمبرج :

جاء في Nuremburg, Peter Clavocoressi, London 1947

Gothic Ripples ; Arnold leese وأيضاً جاء في نشرة

في العدد ٤٦ في ٢١ / ١ / ١٩٤٩ عن محاضرات نورمبرج مايلي :

مما يكشف لنا عن سيطرة اليهود العالمية على مختلف الإدارات والأقسام في الأمم المتحدة محاكمات نورمبرج التي خطط لها اليهود، وأمروا بها، وعينوا لها القضاة، ونواب الأحكام، والمنفذين وجميعهم من اليهود. وحين اجتمع مندوبو حكومات الحلفاء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا في لندن لوضع قانون المحكمة في ١٩٤٥/٨/٨ كانت أسماؤهم كما يلي :

الديانة	الدولة	الاسم
يهودى	مندوب بريطانيا	Jowitt جويت
يهودى	» الولايات المتحدة الأمريكية	R. Jackson روبرت جاكسون
يهودى	» فرنسا	R. Falko روبرت فالكو
يهودى	» الاتحاد السوفيتى	A. Trainin ترينين
روسى	» » »	I. Nikitchenko نيكيتشنيكو

ومن الشخصيات البارزة التي كان لها دور أساسى في محاكمات نورمبرج القاضى اليهودى روزنمان Samuel Rosenman الذى أعد ترتيبات المحكمة كما يلي :

الديانة	الاسم	الوظيفة
يهودى	Sheldon Clueck شلدون كلوك	سكرتير روزنمان للإعداد للمحاكمة
يهودى	H. Leventhal ه. ليفنتال	مستشار روزنمان » »
يهودى	لورد جستس لورنس L. Justice Lawrence.	القاضى البريطانى فى المحكمة
يهودى	Justice Birkett بيركت	نائب القاضى البريطانى فى المحكمة

الديانة	الاسم	الوظيفة
يهودى	كولونيل فولكوف Col. Volchkov	نائب القاضى الروسى فى المحكمة
»	F. Biddle فرانسيس بيدل	القاضى الأمريكى فى المحكمة
ماسونى	John Parker جونى باركر	نائب القاضى « « «
»	دونيدى دى فابرى Donnedieu de Vabrer	القاضى الفرنسى فى المحكمة
يهودى	R. Falko روبرت فالكو	نائب القاضى الفرنسى فى المحكمة
»	Lauterpacht لوترباخت	عضو لجنة الجرائم
»	A. Jacoubovitch جاكوبوفتش	مترجم الجلسة الأخيرة فى المحكمة
»	W. Frank فرانك	مترجم الأحكام للسجناء فى المحكمة
»	Karl Jacobi كارل جاكوبى	معد فيلم الوثائق التى استخدمت ضد المتهمين
»	الكولونيل أندروز Col. B. Andrus	المسئول عن سجن المتهمين طوال الحاكمة
»	S. Binder س . بندر	المسئول عن المحكومين بعد صدور الحكم
»	L. Goldenson ل. جولدسن	الطبيب النفسانى فى سجن نورمبرج
»	جون ودز . John Woods	منفذ الأحكام

وأثناء التنفيذ اتبعت طريقة وحشية لا تقضى على المحكوم عليهم بالإعدام
بالسرعة المعهودة فى عمليات الشنق التى لا ينبض فيها قلب المحكوم عليه
أكثر من بضع دقائق .

وقصد اليهود من وراء ذلك إلى تعذيب المحكوم عليهم العشرة ، فظل

بعضهم حيا لمدة ٢٤ دقيقة ، وأقلهم قضى نحبه في عشر دقائق . وكان انتقاما جباناً من اليهود نحو زعماء ألمانيا الذين كان ذنبهم الأول والأخير الوقوف في وجه الصهيونية وسيطرتها الرهيبة على مقدرات ألمانيا .

هذه هي الصهيونية في ماضيها وحاضرها ، وفي سيطرتها على هيئة الأمم المتحدة ، وسيظل العالم العربي بأسره والدول المحبة للسلام تؤمن بتبعية هيئة الأمم المتحدة للصهيونية العالمية إلى أن تتخلى عن تأييدها لعصابات إسرائيل .

وحيثما نجد أن الأغلبية من دولها الأعضاء قد عادت إلى الحق وسحبت اعترافها بإسرائيل ، عندها يقول العالم العربي بأسره والدول المحبة للسلام : إن هيئة الأمم المتحدة قد خرجت من قبضة الصهيونية العالمية ، وبأن كيائها ووجودها كهيئة تمثل دول العالم على مختلف الأديان السماوية والفاستات البشرية تهدف لإقرار السلام على الأرض .

وقائع قيام إسرائيل

استطاعت الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية بشقل ضفطها على إنجلترا وأمريكا وفي إبان الحرب العالمية الثانية أن ترغم إنجلترا على إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ وإزالة كل أثر من آثاره وفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضمان وجود أغلبية يهودية منظمة ومسلحة قبل الإقدام على اتخاذ الخطوة النهائية بإعلان دولة إسرائيل . فتألفت لجنة أنجلو أمريكية^(١) مشكلة من اثني عشر عضواً نصفهم من الإنجليز والنصف الآخر من الأمريكان لبحث مسألة يهود أوروبا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين ، وانتهت اللجنة بتوصياتها إلى معارضة قيام دولة عربية أو يهودية في فلسطين وضرورة بقاء الدولة المنتدبة في إدارة البلاد لحين وضعها تحت الوصاية الدولية .

(١) شكلت اللجنة الأنجلو أمريكية في ديسمبر ، كانون الأول ، ١٩٤٥ .

وانتقد العرب واليهود توصيات اللجنة كل من وجهة نظره ، وهاجوا السياسة البريطانية ، وأعلن كل منهما الكفاح حتى تتحقق أهدافه . فاصطنع اليهود حوادث ١٩٤٦ المعروفة ضد الضباط والجنود البريطانيين ، كما اتخذت الجامعة العربية^(١) قراراً بدعوة بريطانيا للمفاوضة مع العرب للوصول إلى حل عادل .

التهديد لمؤتمر لندن الثاني والتخطيط للقيادة البريطانية العربية للجيش السبعة :

ينبغي إمالة اللثام عن الظروف العربية التي دعمت مؤتمر لندن الثاني للعمل . فنذكرات الجنرال جلوب في كتابه « جندي مع العرب » صفحة ٦٢ ، ٦٣ يقول الجنرال جلوب : « في سنة ١٩٤٦ عقد الملك عبد الله معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية . وبعد مرور عامين على هذه المعاهدة ، رغب الأردن في تبديل بعض بنودها ، فأوفد لجنة لمفاوضة البريطانيين .

(١) جامعة الدول العربية والملك عبدالله : « من التجهيزات الرسمية للملك عبد الله أمير شرق الأردن وقتها على دخول الجامعة العربية والاشتراك في ميثاقها سنة ١٩٤٤ وهي موجودة في ملفات الجامعة العربية بخط أمينها عبد الرحمن عزام » شروط عبد الله لدخول الجامعة العربية :

١ - يجب أن تتجدد البلاد السورية قبل أن تدخل الجامعة . لأنه لا يقبل بجامعة عربية سورية فيها غير موحدة تحت عرشه .

٢ - يجب أن تتعهد بريطانيا بحماية فسكرة الجامعة وتأييدها ، إن كان للجامعة أن تنجح .

٣ - إن حقه بعرض سورية يقوم على وعود منحها له الإنجليز من قبل .

٤ - يجب تصفير لبنان وتحويله إلى وطن طائمه مستقل عن المجموعة العربية .

٥ - يجب إبقاء الاحتلال البريطاني للسودان .

٦ - لا ضرورة لإقامة كيان عربي موحد ومستقل في ليبيا .

٧ - يجب المل لمنع دخول السعودية واليمن الجامعة .

٨ - يجب قبول بتواصي اللجان البريطانية لفلسطين .

« وكانت اللجنة مؤلفة من رئيس مجلس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى ، وفوزى باشا الملقى . . . ومنى كمستشار عسكري .

«وسرعان ما أخذت بريطانيا بوجهة النظر الأردنية فعدلت المواد المقترحة تعديلها ، وبمد هذه المفاوضات أجرى توفيق باشا محادثات سرية مع وزير الخارجية أرنست بيغن ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الإنسكليزية فرافقته كترجمان - فبعد أن أوضح السبب لهذه الحادثة السرية ، ذكر توفيق باشا بأن الانتداب البريطاني على فلسطين سينتهي قريبا ، وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهيموا شيئا من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ، ومجاسم النيابة ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات «الهاجاناه» بينما العرب في فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة بإقامة جيش يحميهم - كما أوضح توفيق باشا أن النتائج حول نهاية هذا الموضوع ما زالت غامضة ، وقد قدر أن واحداً من أمرين سيقع :

«إما أن اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الأمم المتحدة فيحتلون فلسطين بأمرها حتى حدود نهر الأردن بالقوة ، أو أن مفتى فلسطين سيعلمن نفسه حاكما عاما على البلاد . وإن نتائج هذين الأمرين ليست في مصلحة الأردن وبريطانيا .

«فالمفتى يعتبر بريطانيا ألد أعدائه ، وقد قضى مدة الحرب مع هتلر ، كما أنه عدو للأردن ، ويعتبر نفسه المنازع الوحيد لجلالة الملك عبد الله - وقد ذكر أبو الهدى أن حكومة جلالة الملك كثيرا ما تلقى الرسائل والعرائض من زعماء الشعب الفلسطيني رغبة في تدخل الجيش العربي لحماية الفلسطينيين بعد خروج القوات البريطانية من هناك . وقد رأى الرئيس أبو الهدى أنه ليس ثمة

مانع من دخول الجيش العربي إلى البلاد بعد انسحاب البريطانيين .

« وإني أذكر حتى اليوم المستر بيغن ، وهو جالس في مكتبه بعد أن أنهيت ترجمه الحديث ، يرد على الرئيس الأردني قائلا : إن ذلك هو الحل الوحيد المعقول .

« ولم أر بدا من أن أوضح للرئيس الأردني بأن الجيش العربي ليس بمقدوره أن يحتل منطقتي غزة والجليل في الضفة الغربية . فأيد الرئيس الأردني فكرتي ، وقد قمت بدوري فذكرت هذا للمستر بيغن الذي قال : « إن هذا هو الحل الوحيد ، لكن يجب ألا تذهبوا إلى أبعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية » .

« قال الرئيس أبو الهدي : « ليس لدينا هذه الإمكانيات لوتأميننا ذلك » . وقد تابع كلامه مشيرا إلى المعاهدة البريطانية الأردنية ، بأن على الفريقين المتعاقدين أن يتشاورا في حال حدوث أزمة ما ، وأن الأردن لن يتخذ أية خطوة إيجابية إلا بعد مشاوره الحكومة البريطانية . عندئذ شكر المستر بيغن توفيق باشا لوضوح موقف حكومة الأردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته » .

مؤتمر لندن الثاني وتحلل بريطانيا من التزاماتها بمقتضى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ :

وجدت بريطانيا فرصتها الذهبية في هذه الدعوة للتحلل من التزاماتها السابقة ولتقرير سياستها المقبلة ، فدعت إلى عقد مؤتمر لندن الثاني بينها وبين العرب واليهود في سبتمبر ١٩٤٦ ، واشترك فيه مندوبون عن مصر والعراق وسوريا والأردن والمملكة السعودية واليمن وفلسطين ، كما حضره مندوبون عن الوكالة اليهودية .

وقدمت بريطانيا في هذا المؤتمر مشروعاً أطلق عليه اسم مشروع «موريسون» نسبة إلى مستر موريسون رئيس مجلس العموم العمالي ، وقد تضمن المشروع تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية تتمتع بنوع من الحكم الذاتي « منطقة عربية - منطقة يهودية - منطقة القدس - منطقة النقب » تحت إشراف حكومة مركزية .

وقد رفض العرب هذا المشروع لأنه يؤدي إلى تقسيم فلسطين كما أنه خالف الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذي كان أدنى حد لمطالب العرب اعترفت به بريطانيا ، وقد موأ مشروعاً عربياً على أساس قيام دولة واحدة واعتبار اليهود المهاجرين فلسطينيين لهم كافة الحقوق كمواطنين في الدولة الفلسطينية ، كما نص على مبدأ التحالف البريطاني - الفلسطيني . وقد طلبت بريطانيا مهلة لدراسة المشروع العربي حتى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

أما اليهود فقد رفضوا مشروع « موريسون » جملة وتفصيلاً ، وأعلنوا مقاومتهم لكل مشروع لا يستهدف إقامة دولة يهودية في فلسطين ، وابتدأوا في عمليات إرهابية ضد الإنجليز والعرب ، ولم يتقدموا إلى المؤتمر بأى مشروع مقابل .

وعندما استأنف مؤتمر لندن اجتماعاته في يناير سنة ١٩٤٧ رفض اليهود الاشتراك فيه إلا إذا كانت أبحاثه تتضمن قيام الدولة اليهودية . وفي الوقت نفسه رفضت بريطانيا المشروع العربي ، وقدم مستر بيغن وزير خارجية بريطانيا مشروعاً جديداً عرف باسم « مشروع بيغن » لا يختلف كثيراً عن مشروع « موريسون » ، وقد رفض العرب هذا المشروع الجديد ، وتمسكوا بضرورة إلقاء الانتداب وإعلان استقلال

فلسطين وإعطاء شعبها حق تقرير مصيره (١).

الأمم المتحدة وقضية فلسطين :

فشل مؤتمر لندن وانتهت مباحثاته وأعلنت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها في فبراير ١٩٤٧ أنها لا تستطيع أن تفرض حلاً نهائياً بالقوة لأنها دولة منتدبة، ولذلك أصبح من واجبها رفع الأمر إلى الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذي تراه .

إن تحلى بريطانيا عن مسؤولياتها تجاه قضية فلسطين ، ورفعها إلى الأمم المتحدة ، يرجع إلى أنها أرادت أن تسخر هذه الهيئة الوليدة لتنفيذ سياسة الاستعمار ، وإضفاء الصبغة الشرعية والقانونية على هذه السياسة بعد أن عجزت هي وحليفاتها أمريكا عن فرض الوطن القومي ومشاريع التقسيم إزاء المقاومة العنيفة التي أبداها العرب منذ انتداب بريطانيا على فلسطين ومما ساعد على ذلك أنه كان لبريطانيا وأمريكا نفوذ وتأثير كبيران على هيئة الأمم المتحدة بعد خروجها منتصرتين على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، هذا في الوقت الذي لم يكن فيه لدى الدول المنضمة للهيئة أية فكرة عن قضية فلسطين إلا من وجهة النظر الاستعمارية والصهيونية ، كما لم تكن حركة التحرر الإفريقي الآسيوي قد ظهرت في الوجود لافي الأمم المتحدة ولا على الصعيدين الدولي والشعبي .

وإزاء كل هذه العوامل أرسلت بريطانيا إلى الأمين العام للأمم المتحدة مذكرة في إبريل ١٩٤٧ تعلن فيها تخليها عن الانتداب وتطلب منه عرض القضية الفلسطينية في دورة خاصة .

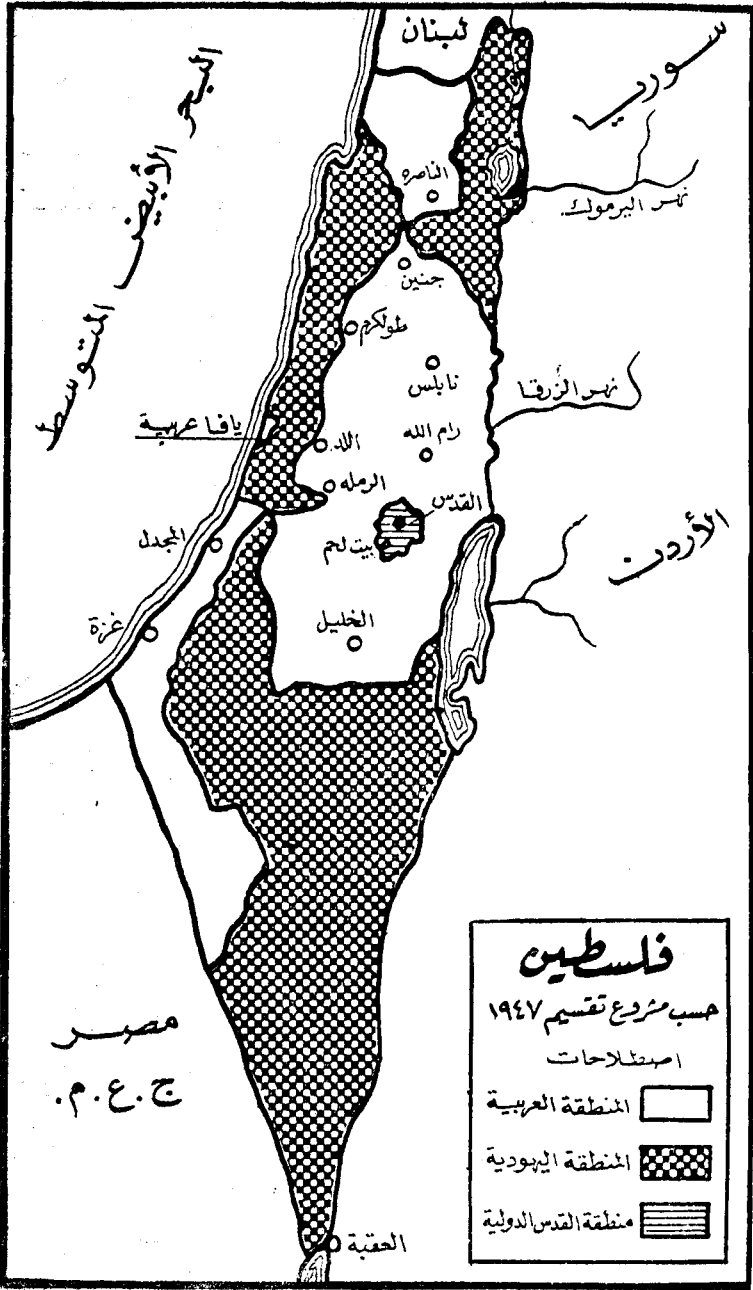
(١) مطالبهم مع ما فيها من حقوق شرعية لسكن عرب فلسطين لم يكونوا وقتئذ على مستوى الدفاع عن كياناتهم بالنسبة لموقف إسرائيل وتأهبهم لتثبيت كياناتهم بحرب مرمة . وكان أول الاستمساك بالكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ حتى يتمكنوا من السيطرة المطلقة .

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة خاصة في ٢٨ إبريل ١٩٤٧ للنظر في هذه القضية ، وقررت تأليف لجنة تحقيق دولية مكونة من ممثلي إحدى عشرة دولة للتقدم بتوصياتها في شأن القضية . وبعد أربعة أشهر قدمت اللجنة تقريرها الذي أوصى بضرورة إنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية . وقد اختلفت اللجنة فيما بينها بالنسبة للملاقة بين الدولتين المقترحتين فرأت أ كثرية اللجنة تقسيم فلسطين إلى منطقة عربية ومنطقة يهودية ومنطقة الأماكن المقدسة في القدس ، وقد عرف هذا المشروع بمشروع الأ كثرية ، أما الأقلية وهم ممثلو الهند ويوغوسلافيا وإيران فقد رأوا أن تكون الحكومتان العربية واليهودية مستقلتين استقلالاً ذاتياً وتتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين ، وقد عرف هذا المشروع بمشروع الأقلية .

وفي ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ عقدت الأمم المتحدة جلسة خاصة لدراسة ومناقشة تقرير اللجنة « مشروع الأ كثرية ومشروع الأقلية » . وقد تكلم في هذه الجلسة مندوب عن عرب فلسطين ورفض التقسيم والهجرة والدولة اليهودية وطالب بقيام دولة واحدة فلسطينية ديمقراطية مستقلة .

كما تكلم مندوب عن الوكالة اليهودية وأعلن موافقة اليهود على مشروع الأ كثرية وطالب بتوسيع رقعة الدولة اليهودية على حساب المنطقة العربية ، كما أعلن استعداد اليهود لملاء الفراغ الذي سيحدثه انسحاب الإنجليز من فلسطين .

وقد أيد كل من مندوبي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مشروع الأ كثرية أما مندوب بريطانيا فقد امتنع عن التصويت على أي قرار وأعلن عن عزم بريطانيا على إنهاء انتدابها في ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ وعلى إنهاء إجلاء قواتها في أغسطس سنة ١٩٤٨ على ألا تتولى الحكومة



البريطانية أية مسئولية إدارية أو عسكرية لا بموجب الانتداب ولا بمقتضى توصيات الأمم المتحدة خلال هذه الفترة... وكان موقف بريطانيا هذا مناورة بارعة لحث الدول للموافقة على مشروع التقسيم وقيام الدولة اليهودية التي تستطيع ملء الفراغ وحماية الأمن وحفظ الاستقرار .

وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ عرض مشروع التقسيم للتصويت على الجمعية العمومية فقبل بأغلبية ٣٣ صوتا وعارضه ١٢ صوتا وامتنعت ١٠ دول عن التصويت . وبذلك أقرت ٣٣ دولة فقط مشروع التقسيم « تقسيم فلسطين » وقيام الدولة اليهودية . وما كان ذلك ليحدث لولا ضغط أمريكا على معظم الدول المنضمة لهيئة الأمم المتحدة واضطرار بعضها إلى تغيير موقفها في آخر لحظة نتيجة هذا الضغط .

مقاومة العرب لمشروع التقسيم :

وما إن أعلن قرار التقسيم حتى عم العالم العربي ثورة عارمة ضد هذا القرار المشين في تاريخ الإنسانية ، واستعد العرب في كل مكان للدفاع عن الحق العربي والوجود العربي في أرض فلسطين . وكان عرب فلسطين أسبق من غيرهم في مقاومة الكارثة التي حلت ببلادهم وبالوطن العربي . . فاشتبكوا مع الإنجليز واليهود في معارك دامية يمدوهم الإيمان بعدالة قضيتهم وإن كان ينقصهم السلاح والعتاد الذي كان عبارة عن بعض الأسلحة الألمانية والعمانية القديمة ، في الوقت الذي كانت فيه قوات جيش الهاجاناه اليهودي تضم ٦٢ ألف مقاتل مسلحين بأحدث الأسلحة التي سامها لهم البريطانيون ، علاوة على عصابات الأزرغون وشترن اللتين كانتا تزمان أكثر من ستة آلاف شخص مدرب ومساح .

كما قامت المظاهرات في جميع أنحاء الوطن العربي التي طالبت الحكومات

العربية بالعمل على تحرير فلسطين من عصابات الصهيونية . ودعت الجامعة العربية إلى عقد اجتماع بالقاهرة في ديسمبر سنة ١٩٤٧ يحضره رؤساء وزارات الدول العربية ، وتمخض هذا الاجتماع عن نداء وجه إلى الأمة العربية والرأى العام العالمى جاء فيه : « إن الدول العربية تنفيذاً لإرادة شعوبها ستستخذ من التدابير الحاسمة ما هو كفييل بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب » .

ولم يشر هذا النداء إلى القرارات السابق اتخاذها في اجتماعات صوفر وعاليه وبلودان (١) ، وفيها تهديد لمصالح بريطانيا وأمريكا في المنطقة . إلا أن المجلس في اجتماعه قرر إمداد عرب فلسطين بالمال والسلاح والرجال . . واستطاعت الجامعة العربية أن تشكل « جيش الإنقاذ العربي » من ثلاثة آلاف مقاتل فقط مسلحين بأسلحة قديمة . وقد تمكن المناضلون الفلسطينيون وجيش الإنقاذ بالرغم من سوء تسليحهم وضعف تدريبهم وإمكانياتهم من توجيه ضربات قاصمة إلى القوات اليهودية وأن يجعلوا من قرارات الأمم المتحدة

(١) رفض العرب مشروع تقسيم لجنة بيل ، وعادت ثوراتهم من جديد ، وهى أكثر ما تكون صموداً وثباتاً ، وضع العالم العربي كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمراً لهم في بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

- ١ — رفض مشروع بيل رفضاً باتاً .
 - ٢ — اعتبار فلسطين دولة عربية وهى جزء من الوطن العربى .
 - ٣ — ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزى .
 - ٤ — وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .
 - ٥ — العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية .
- وكان لهذه القرارات صدى جعل بريطانيا تصدر كتابها الأبيض لعام ١٩٣٩ .

حبرا على ورق . وقد اشترك في هذه المعارك كثير من المتطوعين العرب من خارج فلسطين من مصر وسوريا والعراق وليبيا وغيرها واستشهد كثيرون منهم قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين في مايو سنة ١٩٤٨ .

وجدير بالذكر أن أول المصريين الذين استشهدوا في هذه الفترة هو الشهيد المهندس الزراعى كمال الدين حسنين فهمى الذى استشهد في معركة « وادى الصرار » يوم ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٨ .

تدخل مجلس الامن :

جاء في قرار التقسيم تشكيل لجنة خماسية لتنفيذ قرار التقسيم مكونة من مندوبين عن دول « بوليفيا - تشيكوسلوفاكيا - الفايبين - الدانمرك - بنما » ، وقد قاطع العرب اللجنة ولم يتصلوا بها وظلت تجتمع في أمريكا وبريطانيا لترسم لنفسها سياسة العمل لتنفيذ التقسيم . وأخيراً أدركت اللجنة أن مهمتها مستحيلة دون اللجوء إلى القوة ، فطابت من مجلس الأمن أن يقر إرسال قوة دولية إلى فلسطين لتساعد اللجنة في تنفيذ التقسيم . ولكن أمريكا عارضت هذا الطلب بشدة ، كما تقدم اليهود عن طريق أمريكا وبريطانيا بشكوى إلى مجلس الأمن يتهمون فيها الدول العربية بعدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ومقاومتها .

وقد اجتمع مجلس الأمن في ١٦ مارس سنة ١٩٤٨ ، واستمع المجلس إلى شهادة رئيس لجنة التقسيم الذى قرر استحالة التقسيم ، ورفض طلبه بإرسال قوات دولية كما ذكر آنفاً . إزاء هذا الموقف تراجعت كثير من الدول عن قرارها السابق بالموافقة على التقسيم ومنها أمريكا نفسها ، وقد قرر مجلس الأمن إعادة القضية للجمعية العامة لإعادة النظر فيها ، كما قرر دعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة في فلسطين وتمييز قنصل

أمريكا وبلجيكا وفرنسا في القدس مشرفين على تنفيذ اقتراح الهدنة ، مع استمرار بريطانيا للقيام بالتزاماتها كدولة منتدبة .

ومما لا شك فيه أن قرار مجلس الأمن كان نسفا كاملا لقرار الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين واعتبر نصرا كبيرا لوجهة النظر العربية .

التآمر البريطاني الصهيوني على احتلال فلسطين والتواطؤ العربي :

إلا أن بريطانيا كانت تسير وفقا لخطة بارعة خاصة بها ، وكانت واثقة من نجاح فكرتها « فكرة التقسيم » بالرغم من قرار مجلس الأمن . لذلك عملت بريطانيا على تمكين اليهود من السيطرة على أكبر عدد ممكن من المواقع والمسكرات البريطانية في فلسطين أثناء وجودها وبمعاونتها ، كما اتخذت كافة الوسائل لإجبار العرب على الجلاء عن المناطق التي رأت أنها ضرورية لقيام وسلامة الدولة اليهودية . وعملت في الوقت نفسه مع عملائها من حكام الدول العربية للقضاء على الكفاح الشعبي العربي وتآمرت على تدخل الجيوش العربية في المعركة على ألا تتجاوز في زحفها المناطق المخصصة للعرب حسب مشروع التقسيم . وقد جاء في مذكرات عبد الله التل قائد منطقة القدس صفحات ٨١ - ٨٢ - ٨٣ عن قيادات الجيش الأردني ليلة ١٤ مايو بدء حرب فلسطين التي كان الملك عبد الله فيها قائدا أعلى لجيوش الدول العربية كلها أن عدد قواد الجيش ٥١ قائدا يرأسهم جميعا جلوب باشا برتبة فريق قائد الجيش العربي وهو بريطاني الجنسية ، ومن بين هؤلاء الواحد والحسين خمسة قواد عرب منهم عبد الله التل وكيل قائد الكتيبة الخامسة .

ومن الأعمال التي لا يفترها التاريخ أمر رسمي صادر من فريق رئيس

أركان حرب الجيش العربي « جلوب » في ٢٨ / ٩ / ١٩٤٨ يطلب فيه :

١ - مصادرة أسلحة الجهاد المقدس في القدس ومنطقة الخليل .

٢ — كسب الشعب اعطف سيدنا فيتحولون تدريجيا عن علاقتهم بالقوات المصرية .

٣ — ترويج الشائعات بين الناس عن قرب رحيل القوات المصرية إلى بلادها .

كيف تم انسحاب بريطانيا :

منذ أن اتخذت بريطانيا قرارها بالانسحاب من فلسطين في فبراير سنة ١٩٤٧ بدأت بالانسحاب من المناطق اليهودية أولا وتسليم ما بها من معسكرات ومرافق ومطارات ومستودعات ذخيرة إلى العصابات اليهودية في الوقت الذي منعت فيه دخول الأسلحة والمتطوعين العرب داخل البلاد لمساعدة إخوانهم عرب فلسطين. وبذلك أتاحت الفرصة لليهود لتنظيم أدايتهم العسكرية والإدارية قبل ستة أشهر على الأقل من الانسحاب الكامل من فلسطين .

كما قامت القوات البريطانية في هذه الفترة بمطاردة المناضلين العرب والقيام بحملات تفتيشية في الأحياء العربية بحثا عن الأسلحة لمصادرتها . وقد اضطرت عشرات الألوف من المواطنين العرب إلى ترك المناطق اليهودية في حيفا ويافا والقدس ، نظرا لعدد هجوم العصابات الصهيونية عليهم بوحشية وهم عزل من السلاح ، في الوقت الذي كانت فيه السلطات البريطانية تغض الطرف عن مثل هذه الهجمات ، كما قام اليهود بعدة مجازر بشرية لإرهاب العرب أشهرها مجزرة قرية « دير ياسين » العربية القريبة من القدس التي حدثت في أوائل عام ١٩٤٨ أثناء وجود بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين . فقد دخلت العصابات الصهيونية القرية في وقت كان فيه رجالها وشبابها يقومون بأعمالهم في مدينة القدس ، وعملت في أهالي القرية من النساء والأطفال والشيوخ قتلا وتذبيحا دون أن تلقى أية مقاومة ، وكانت حصيلة هذه المذبحة

٢٥٠ قتيلا ذبحوا ذبح النعاج وشوهت جثثهم ثم أقيمت في بئر القرية .

إن ما حدث في قرية « دير ياسين » وغيرها من القرى العربية عام ١٩٤٨ هو صورة طبق الأصل لما حدث في المدن والقرى العربية عام ١١٨٦ قبل الميلاد وأشهرها مذبح « أريحا » (١).

وما إن جاء يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهو تاريخ انتهاء انتداب بريطانيا على فلسطين حتى كان اليهود قد استولوا على معظم مدن الساحل من حيفا في الشمال حتى أسدود في الجنوب ، كما استولوا على المناطق اليهودية في الداخل وعلى ما بها من معسكرات ومستودعات ومطارات ومرافق ، وتمكنوا من تشريد معظم المواطنين العرب العزل المقيمين في هذه المناطق تحت سمع بريطانيا وبصرها . وبذلك استطاع اليهود بمساعدة بريطانيا أن يفرضوا قرار التقسيم باحتلال جميع المناطق المحصنة لهم بموجب هذا القرار وطرد العرب منها في الوقت المحدد لانتهاء انتداب بريطانيا وهو ١٥ مايو ١٩٤٨ .

معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ :

كان الموقف الذي وجد فيه المجاهدون الفلسطينيون في الفترة السابقة أثره في الشعوب العربية التي طالبت حكوماتها بضرورة التدخل المسلح لمنع الجازر التي ترتكب على أرض فلسطين تحت سمع وبصر بريطانيا وأمريكا ، وارتفعت المتنافسات ضد الحكام العرب في كل قطر عربي ، وتحركت المظاهرات الشعبية مطالبة بإتخاذ عرب فلسطين .

فاجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأصدرت قرارا في

(١) « حرماكل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والنم والحمر
بحد السيف » يشوع ٦ : ٢١ .

١٢ إبريل سنة ١٩٤٨ بالتدخل بالجيوش العربية لإنقاذ فلسطين وحدثت يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ موعداً لحركة هذه الجيوش .

ومن هنا يظهر التساؤل : هل كانت بريطانيا موافقة على هذا القرار أو على الأقل على علم به ؟ وهل موافقتها على هذا القرار تتنافى مع وعودها لليهود وسياستها التي اتبعتها للعمل على قيام دولة إسرائيل ؟

لقد أثبتت الأحداث فعلاً أن بريطانيا كانت على علم بكل الإجراءات التي كانت الدول العربية تنوي اتخاذها ، واستطاعت أن توجه قرار اللجنة السياسية لخدمة خططها ولتنميتها واقع إسرائيل ، بل إنها كانت مؤيدة ومحرضة على تقرير اشتباك الجيوش العربية في معركة فلسطين .

فصر والعراق والأردن — وهي الدول التي لها جيوش يعتمد عليها في ذلك الوقت — كانت مرتبطة مع بريطانيا باتفاقيات ومعاهدات تحتم على الطرفين المتماقدين التشاور في الظروف التي يمكن أن تؤدي إلى قيام حرب أو التهديد بالحرب بين أحد الأطراف وطرف ثالث . هذا في الوقت الذي كان يرى فيه حكام هذه الدول أن بريطانيا هي الحليف الطبيعي والصديق التقليدي لهم ، علاوة على ما لبريطانيا من قواعد عسكرية وخبراء عسكريين في هذه البلاد ، بل إن قيادة الجيش الأردني وكثيراً من ضباطه من الضباط الإنجليز ، وعلى رأسهم « جلوب باشا » .

ومما لا شك فيه أن بريطانيا وجدت أنه من المناسب أن تسارع في تأييد عملية التدخل العسكري من قبل الجيوش العربية ؛ لأن ذلك يمتص النقمة الشعبية التي أخذت تواجه عملاءها من حكام البلاد العربية ، ويمكنها في الوقت نفسه من التحكم في عمليات هذه الجيوش والحد من حماس الشعوب العربية في هذا السبيل .

وقد ظهر ذلك واضحا في الإجراءات التي صاحبت قرار اللجنة السياسية والتي نصت على أن الجيوش العربية هي الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروبتهما ، وبذلك كفت الجامعة العربية يد المساعدة عن المجاهدين العرب الذين كانوا يقاتلون ببطولة وببساله منقطعة النظير . كما قررت الجامعة العربية حل جميع المنظمات الشعبية العسكرية في فلسطين وإيقاف نشاطها وإبعادها عن المعركة بحجة أن ذلك يعرقل عمليات الجيوش العربية ، وضرورة وضع خطة عسكرية مشتركة لتحركات الجيوش العربية ، وتكوين قيادة عامة واختيار القائد الأعلى للجيش الأردني رئيسا لهذه الهيئة ، وهذا يعني تعيين الجنرال جلوب البريطاني رئيس أركان حرب الجيش الأردني قائدا فعليا للعمليات العسكرية .

كما أعلنت الطوارئ والأحكام العرفية بحجة حماية المجهود الحربي ، ووضعت التشريعات لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام وجوايس الصهيونية .

لقد كانت كل هذه الإجراءات في الواقع لمصلحة السياسة البريطانية الجديدة التي أرادت أن تستغل حركة اندفاع الشعب العربي لإنقاذ فلسطين في سبيل تثبيت كيان إسرائيل .

العمليات العسكرية في فلسطين :

دخلت الجيوش العربية فلسطين ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، واستطاع الجيش المصري في أيام قليلة احتلال جنوب فلسطين بأكمله كما استطاع السيطرة على منطقة النقب الجنوبي وخليج العقبة .

واستطاعت القوات خفيفة الحركة بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز أن تسيطر على مدينة بيت لحم وضواحي القدس الجنوبية . وسيطر الجيش

السورى والجيش اللبنانى على منطقة الجليل بأكملها حتى جنوب بحيرة طبرية
ما عدا بعض المستعمرات فى الجليل الشرقى .

وسيطر الجيش العراقى على قلب فلسطين وأحرق بقل أيب و كانت
خطوطه الأمامية على بعد أميال من ساحل البحر الأبيض ، واحتل الجيش
الأردنى منطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله باللد والرملة ، والتقى
بالجيش العراقى فى الشمال وبالجيش المصرى فى الجنوب والغرب .

وكان من الممكن أن تواصل هذه الجيوش تقدمها وتحتل جميع المناطق
التي احتلها اليهود أثناء وجود القوات البريطانية لولا التآمر من قبل بريطانيا مع
بعض الحكام العرب ، ووقوف أمريكا بجانب الصهيونية فى المجال الدولى
والسياسى ، فمذ الأيام الأولى للقتال توقف الجيشان العراقى والأردنى فى الأماكن
المعينة لها عند حدود المنطقة المخصصة لليهود ولم يتخطياها ، واكتفى الجيش
الأردنى باحتلال القدس القديمة فى الوقت الذى كان اليهود يسيطرون فيه على منطقة
القدس كلها . وبدأت أمريكا تعلن للعالم أن الحالة فى فلسطين تهدد السلم العالمى ،
وطلبت من مجلس الأمن العمل على إيقاف القتال ولو اضطر الأمر إلى استخدام
القوة وفرض العقوبات على الدول العربية (١) .

اسرار التآمر البريطانى مع الرجعية :

١ - من تصريح صحفى للملك عبد الله نشرته وكالة رويتر فى ٤ يناير سنة
١٩٤٩ بعد الهجوم الإسرائيلى على منطقة النقب وتعاون الملك عبد الله لضرب
الجيش المصرى : « إننى أفضل أن يحتل « الإسرائيليون » النقب من أن يبقى
بيد المصريين لأن استرجاع النقب من اليهود أهون من استرجاعه من المصريين ،
وإنى أخاف على فلسطين من قريب حاسد أكثر من عدو حاقد » .

(١) الدول المجنى عليها إذا هبت لأخذ حقوقها بالقوة وقف العالم الإمبريالى يستنجد
بمجلس الأمن لوقف القتال وفرض عقوبات على الدول العربية . لأنه منطوق معكوس !!

التعرض للمنطقة بسوء ، وبذلك يتجنب اليهود الاحتكاك بالعراقيين وهم جيش هاشمي أمره يهـم سيدنا كثيرا . وحينما سمع جلالاته حديث ساسون قال :
« إن شاء الله يشرف عبد الإله في ٣٥ بهذين اليومين وسيكون ما ترغبون » .

وبعد أن وعد جلالاته ساسون بمقابلة عبد الإله في ٣٥ محطة ضخ البترول على الحدود العراقية الأردنية قال بكل جرأة أمام رئيس الحكومة الذي تحمس لحضور هذا الاجتماع ، قال جلالاته مخاطبا ساسون :
« كنت والله أريدكم أن تأخذوا لنا غزوة فهي منفذنا على البحر ، ولا بد لنا من ميناء ولتسكن مجدل عسقلان » .

وطرب ساسون وديان لسماع تصريحات كهذه وقال ساسون :
« الله يقدرنا على تنفيذ ما يرغب فيه سيدنا » (١) .

هذا قليل من كثير مما نتألم له وتسبب في نكسة الجيوش العربية السبعة .
الهدنة الأولى :

وفي ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قراراً بإيقاف القتال ، وقد رفض العرب هذا القرار بمذكرة أرسلت إلى مجلس الأمن . غير أن ضغط بريطانيا وأمريكا على المجلس وعلى الدول العربية المصحوب بالتهديد والوعيد أرغمها على إيقاف القتال صباح ٧ يونيو سنة ١٩٤٨ لمدة أربعة أسابيع على أن يتمكن الوسيط الدولي الكونت برنادوت الذي عينه المجلس في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ولجنة الهدنة التي عينها في ٢٢ إبريل ١٩٤٨ من إيجاد حل عادل للقضية ، وعلى أساس الوعد بعدم إرسال متطوعين أو أسلحة لفلسطين خلال هذه الفترة ، وإنذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده .

وبالرغم من ذلك فقد استغل اليهود هذه الفرصة بمساعدة بريطانيا وأمريكا وفرنسا في جلب المتطوعين والأسلحة الخفيفة والثقيلة والطائرات مستخدمين في ذلك ميناء حيفا الذي سلمته بريطانيا لليهود في يونيو سنة ١٩٤٨ على الرغم من تحديدها لشهر أغسطس من نفس العام موعداً للانسحاب منه ، هذا في الوقت الذي طبقت فيه هذه الدول قرار حظر إرسال الأسلحة إلى الدول العربية بكل دقة . وفي هذا الوقت قدم الكونت برنادوت مقترحاته لحل القضية وهي لا تخرج في مضمونها عن مشاريع التقسيم السابقة . فرفضها العرب كما رفضها اليهود لأنها تضع حداً لأطماعهم وخططهم التوسعية . وكنيجة لهذا استؤنف القتال يوم ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ . وبالرغم من الإمدادات التي حصل عليها اليهود في فترة الهدنة فقد استطاعت القوات العربية أن تشد فبضتها على القوات اليهودية ، وقام سلاح الطيران المصري بغارات عنيفة على تجمعات اليهود وطرق مواصلاتهم ، واستنجد اليهود مرة أخرى بحلفائهم ، وطار الكونت برنادوت إلى مجلس الأمن وطلب اتخاذ إجراءات عاجلة لوقف القتال ، واجتمع مجلس الأمن يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ وطلب وقف القتال في خلال ثلاثة أيام وفي الوقت نفسه بدأت بريطانيا تتآمر مع حلفائها من الحكام العرب حينما وجدت المعركة تسير في صالح الجيوش العربية ، فهددت بإيقاف معونتها المالية والعسكرية للأردن وبسحب الضباط البريطانيين من الجيش الأردني .

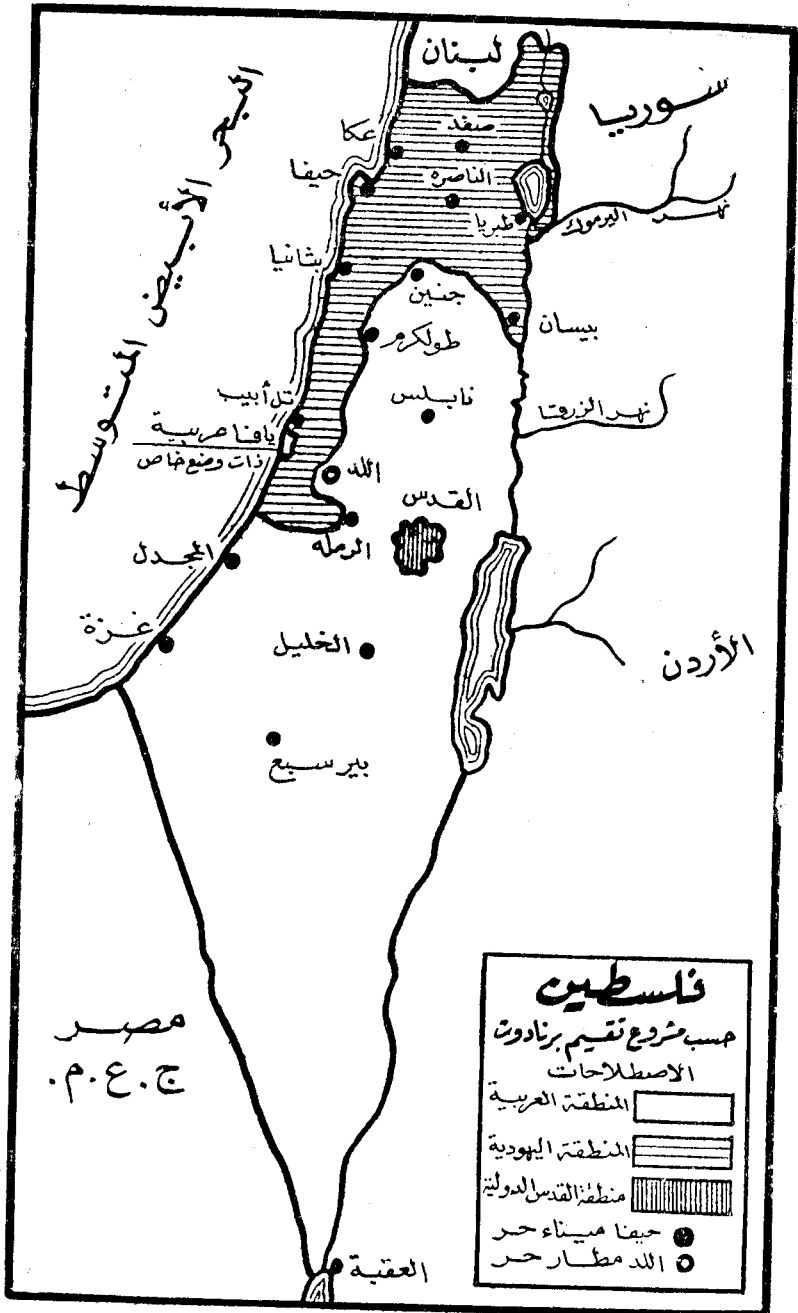
وتبع هذه التهديدات توقف القتال في جبهتي الجيش الأردني والجيش العراقي ، وانسحاب الجيش الأردني من منطقة « اللد والرملة » ، والجيش العراقي من منطقة « رأس العين » ، وجيش الإنقاذ العربي من منطقة « الجليل الغربي » دون قتال . فأنكشفت بذلك جناح الجيش المصري الذي كان متقدماً

حتى « أسدود » وأصبحت مؤخرته وخطوط مواصلاته معرضة لهجمات اليهود . وبذلك انقطع الاتصال بين الجيوش العربية وحدث ارتباك في جبهتها الواحدة المتماسكة .

الهدنة الثانية :

إزاء هذا الموقف المتدهور قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قبول قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال ، فأوقف القتال يوم ١٧ يوليو في منطقة القدس كما أوقف في كل الجبهات الأخرى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٨ وقدم الكونت برنادوت مقترحات جديدة ، لحل القضية يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ أرسلها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تقوم على أساس تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية وهي لا تختلف عن المقترحات السابقة مع إدخال بعض التعديلات على حدود الدولتين ووضع القدس تحت إشراف دولي وتدويل ميناء حيفا ومطار اللد وضم المناطق العربية إلى شرق الأردن . إلا أن « برنادوت » قتل على يد اليهود في مدينة القدس في نفس اليوم الذي أرسل فيه التقرير إلى الجمعية العامة بحجة محاباته للعرب .

وقد أيدت بريطانيا مقترحات « برنادوت » الجديدة ، أما أمريكا فقد استمرت في تأييد إسرائيل دون قيد أو شرط ، مما حدا باليهود إلى عدم الإذعان لقرار وقف القتال وبدأوا في شن هجماتهم على جبهة الجيش المصري وعلى مؤخرته في الوقت الذي لم يحاول فيه أى جيش عربي الاشتراك في القتال لتخفيف العبء عن الجبهة المصرية ، مما اضطر معه الجيش المصري إلى الانسحاب لتقصير خطوط مواصلاته متخذاً غزة قاعدة له ، واستطاع اليهود في هذا الوقت احتلال معظم أراضي النقب ، باستثناء قطاع غزة ، كما احتلوا



مصدر
 ج. ٢٠٠٤ م.

قطاع خليج العقبة وبعض ضواحي القدس في الجبهة الأردنية دون قتال .
هذا في الوقت الذي لم يحرك فيه مجلس الأمن ساكننا إزاء خرق اليهود لقرار
وقف إطلاق النار (١) .

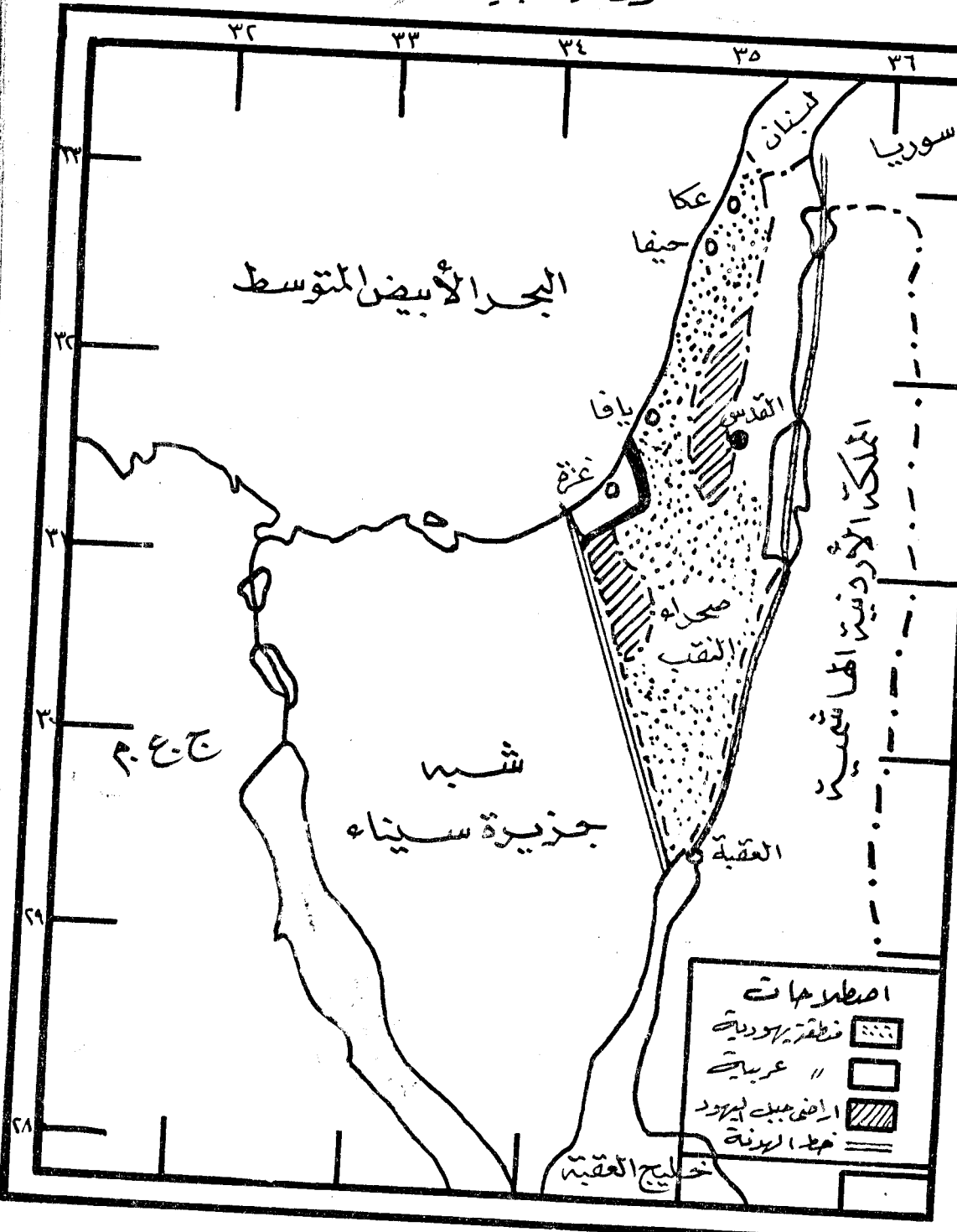
وكان الدكتور « رالف بانس » قد عين وسيطا دوليا خلفا للكونت
برناودت الذي قرر انسحاب كلا الطرفين المتقاتلين إلى الأماكن التي كانا
يحتلونها قبل يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، إلا أن اليهود لم يدعوا لهذا القرار
الذي أيده مجلس الأمن واستمروا في عملياتهم العسكرية ولم يتخذ مجلس الأمن
أى إجراء لوقف اليهود عند حد (٢) .

اتفاقيات رودس :

وأخيرا وافق مجلس الأمن على اقتراح الدكتور رالف بانس يوم ١٦
نوفمبر سنة ١٩٤٨ بدعوة العرب واليهود إلى عقد اتفاقية هدنة جديدة وإنشاء
مناطق مجردة من السلاح ، وتحقيص قواتهما المسلحة ، ولم تكف بريطانيا
وأمریکا بما حققه اليهود على أيديهما من انتصار على الحق والخرية ، فعملتا على
إكمال رقعة إسرائيل إلى الحد الذي تستطيع فيه تحقيق اكتمالها الزراعي
والاقتصادي ، وتأمين نفسها ضد العرب .

كانت الخطة الأنجلو أمريكية تقضى بتبني عقد هدنة بين مصر وإسرائيل
وبذلك تضمنان تأييد الدول العربية لهذه الخطوة حيث أن مصر هي أكبر
الدول العربية ودخولها في مفاوضات مع إسرائيل لعقد هدنة يشجع غيرها من

(١) شتان بين قرار مجلس الأمن في مايو سنة ١٩٤٨ وتهديد الدول العربية فيه وقرار مجلس
الأمن في ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ وتبني إسرائيل مناطق لاحتلالها دون حرب .
(٢) نفس الوضع بالنسبة لقرارات مجلس الأمن بانسحاب إسرائيل إلى المواقع
قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .



انقسام الاراضي العربية اثناء الحرب الفلسطينية
 بالإضافة إلى تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ م

الدول العربية على الدخول في مثل هذه المفاوضات . ونجحت المؤامرة الإنجلو أمريكية ، وتم لبريطانيا وأمريكا ما أرادتاها فاجتمع الجانبان المصري والإسرائيلي في جزيرة رودس وانتهت المباحثات « باتفاقية رودس » الشهيرة في ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وتم لإسرائيل بموجبها ما طالبت به أمريكا من قبل ورسمت حدود الهدنة مع مواقع القوات اليهودية الجديدة ، ونتيجة لذلك دخل النقب شماله وشرقه ضمن الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل .

وقد نجحت هذه الاتفاقية في جر الدول العربية الأخرى إلى رودس الواحدة تلو الأخرى على الرغم من استمرار قيام الهدنة الثانية التي فرضها مجلس الأمن على طول الجبهات الأردنية والعراقية واللبنانية من الناحية القانونية . فعقدت اتفاقية هدنة مع لبنان في ٢٣ مارس سنة ١٩٤٩ ، ومع سوريا بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٩ . أما العراق فقد رفضت توقيع اتفاقية هدنة على أساس عدم وجود حدود مشتركة بينها وبين إسرائيل . أما اتفاقية الهدنة مع الأردن التي عقدت في ٣ أبريل سنة ١٩٤٩ فكانت كارثة جديدة .

فقد تخلت الأردن عن مناطق شاسعة من الأراضي الفلسطينية لليهود بموجب هذه الاتفاقية دون أى قتال . هذا مع العلم بأن اتفاقيات الهدنة التي عقدت مع الدول العربية الأخرى كانت وفقاً للمناطق التي تحتلها جيوشها بعد توقف القتال . وبذلك تشرذم آلاف آخرون من المواطنين العرب الذين اضطروا إلى ترك قراهم وأملاكهم لتسكن نهباً لليهود ، ولينضموا إلى قوافل اللاجئين التي كانت تتجه صوب البلاد العربية لتعيش في الكهوف والخيام ، وبذلك قامت إسرائيل على أساس الاغتصاب والإرهاب وبتدعيم دول الاستعمار .

كيف ضاعت فلسطين

١ - الاستعمار هو عدونا الأول :

يرجع السبب الأول في ضياع فلسطين إلى الخطأ الجذرى في المفاهيم بأن عدونا إنما هو إسرائيل ، ولهذا انحصرت مقاومتنا في مقاومته لاستخلاص الوطن السليب منه وإعادته إلى أهله .

وقد كان هذا الخطأ ناجما عن حسن نية العرب ، وقد صرف الاهتمام عن العامل الحقيقي والأساسى في مأساة فلسطين . وقد أدى هذا الخطأ إلى امتصاص القوى الثورية طيلة عشرين سنة في حرب مع إسرائيل . إنما عدونا الأول والأخير هو الاستعمار الذى خلق إسرائيل وأقامها على أرضنا الطيبة لتكون قاعدته والمكان الذى يستقر فيه نفوذه وتتوحد دعائم عدوانه ومؤامراته ومناوراته على الشرق الأوسط . فالاستعمار القديم ممثلا في زعيمته السابقة بريطانيا هو الذى أصدر وعد بلفور لليهود ، وهو الذى ضمن صك الانتداب النص أن تكون فلسطين وطنا قوميا ، وهو الذى فرض التقسيم وأشرف على تنفيذه خطوة خطوة .

والاستعمار الجديد ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية التى تولت الزعامة بعد الحرب الكونية الثانية ، هو الذى خلق دولة إسرائيل وعزز كيانه المزيف بما أضفاه عليها من حماية سافرة ودعم يتمثل فى أنواع السلاح ومليارات الدولارات ، وكان الهدف منها الحيلولة دون مضى الركب العربى فى طريقه السريع نحو التحرر الكامل والتقدم الحضارى والوحدة الشاملة .

٢ - التجزئة العربية سر انتصار اسرائيل :

من هنا يتضح أن التجزئة العربية كانت سببا مباشراً بل لعلمها السبب

الأساسى فى قيام إسرائيل ، كما أن استمرارها كان عاملاً قوياً فى بقاء إسرائيل حتى اليوم . ومن هنا كانت مقاومة الاستعمار الكلى وحدة عربية حقيقية ، ولو أن المعارك الضخمة التى خاضها الشعب العربى ، وما زال يخوضها ضد الاستعمار ، فى وحدة أصيلة لا تتسرب إليها مؤامرات الاستعمار لا نتصرنا واستردنا أرض فلسطين . من ثم فإن موقف الاستعمار وموقف إسرائيل من أى وحدة عربية أنهما يريان فيها عملية تطويق تخنق إسرائيل ، والطوفان الذى يهددها بالانهيار والزوال . ولهذا فإن الإمبريالية الصهيونية أشد حرصاً على تجزئة العالم العربى ، ولعل هذا هو السبب فى نشوة الفرخ التى غمرت إسرائيل بعد حركة الانفصال بين سوريا ومصر ، فلولاً للتجزئة ما كانت إسرائيل وما ضاعت فلسطين .

٣ - فلسطين قد ضاعت على أرض فلسطين :

إن فلسطين ضاعت فى موقعها لا فى عصبية الأمم ، ولا فى هيئة الأمم المتحدة ولا فى المحافل الدولية ، وإنما ضاعت فى أرض فلسطين نفسها التى شهدت معارك زائفة ، وشهدت تيجاناً تصنع وعروشاً تمنح ورجالا يسرون فى فلك الاستعمار ، لهذا لم يأبهوا الفلسطينيون وعروبتهما . لكن هذه الحقيقة لا تنصرفنا عن الاهتمام بما يدور فى المحافل الدولية من مناقشات وقرارات حول قضية فلسطين ، ولا بما يمكن أن يتخذ فيها من مقررات تتعلق بأصول القضية أو فروعها ، وذلك لأن العمل على الصعيد الدولى يعتبر جزءاً متمازجاً لما يجب أن يقع على أرض فلسطين نفسها من جهود مخططة تخطيطاً واعياً كما انتهت إليه قرارات مؤتمر الخرطوم . ما أخذ بالقوة لا بد أن يسترد بالقوة . فالعمل السياسى والعسكرى ينبغى أن يسيرا بأيهما يتحقق استرداد أرض فلسطين غاية وأمل الأمة العربية كلها .

٤ - فلسطين قد ضاعت بسبب شلل الحكومات العربية :

إن الاستعمار كان متحكماً عن طريق معاهداته في الدول العربية كمصر والأردن والعراق ، وعن طريق عملائه في الجامعة العربية التي تولت في تلك الأيام زمام القيادة في عملية الكفاح الثوري في فلسطين على الصعيدين السياسي والعسكري .

ولقد كانت بريطانيا تسيطر في عام ١٩٤٨ على شئون أكثر من دولة من دول الجامعة العربية سيطرة سياسية وعسكرية ، عن طريق بعض الحكام الخونة الذين يشدهم إليها أكثر من رابطة ، أو عن طريق القواعد العسكرية والجوية البريطانية والأمريكية المنتشرة في أكثر من دولة من دول الجامعة العربية .

وكانت المعاهدات والمواثيق العسكرية تحتم على بعض هذه الدول التشاور مع بريطانيا في كل حالة يمكن أن تؤدي إلى حرب أو إلى التهديد بحرب ، والتعاون لحل أي خلاف قد يقع بين إحدى هذه الدول وبين طرف ثالث .

وكان حكام بعض هذه الدول يرون في بريطانيا حليفهم الطبيعية وصدقهم التقليدية ، وكانت بعثاتها العسكرية إلى جيوش هذه الدول تمارس أعمال التدريب والتسليح والمشاورة في الظاهر ، والسيطرة على هذه الجيوش في الواقع وعلى ما لديها من إمكانيات وأسلحة وعتاد .

وكان بعض هذه الدول ، وما زال ، مرتبطاً بدول الاستعمار ، بالإضافة إلى الارتباطات التقليدية ، بروابط سياسية وبتروولية واقتصادية . وقد أثبتت الوقائع أن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية هما اللتان تآمرتتا مع حليفتهما إسرائيل على قيامها ، وعلى استخلاص قرار التقسيم ، وعلى فرض تنفيذه .

ومن الطبيعي والحالة هذه أن تكون بريطانيا هي التي وجهت حرب

فلسطين سنة ١٩٤٨ الوجهة التي تريدتها ، وهي تنفيذ التقسيم ، وقيام إسرائيل ،
ومن هنا تنبع المسؤولية الكبرى في ضياع فلسطين ، ومن هنا تتجسد الأوضاع
التي أدت إلى هذا الضياع .

• - فلسطين قد ضاعت لاقتدار العرب الى الاسلوب العلمى فى الدعاية :

إن العاطفة التي تحرك الثوار العرب للدفاع عن بلادهم تحتاج إلى عقلية
على مستوى المعارك الدولية لتجريكها ، واسكن الارتجال الذي رافق المعركة
من أولها إلى آخرها كان من أسباب ضياع فلسطين . فقد قدرت اللجنة
العسكرية التي ألفتها للجامعة العربية ، تهيئة الدفاع عن عروبة فلسطين وتنظيمه ،
احتياجات هذا الدفاع بثلاثة آلاف متطوع من البلاد العربية ، مسلحين
بعشرة آلاف بندقية مع أن لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية كانت قد قدرت
قوات اليهود في تقريرها الذي أصدرته عام ١٩٤٦ على الوجه التالي :

جيش الهاجاناه ٦٢٠٠٠ مدرين ومسلحين بأحدث الأسلحة ومنها المدفعية .

عصابة الأرجون ٦٠٠٠

عصابة الاشرن ٣٠٠٠

بالإضافة إلى قوة الشرطة اليهودية المركزية الخاضعة للإدارة البريطانية

وبقدر عددها بحوالى ٢٠٠٠ فيصبح المجموع ٧٢٠٠٠ يواجهون ٣٠٠٠

جندي عربى بأسلحة عتيقة .

فلم تكن الجهات التي تولت إدارة دفعة المعركة على مستوى القضية .
إذ لا استعداد ، ولا تأهب ، ولا تقدير صحيحاً لقوة الخصم وطاقاته . ولو عبثت
القوى الوطنية تعبئة صحيحة وعلى أسس سليمة ، ووفق تقدير صحيح
المعطيات والإمكانات ، ولو تجسدت هذه التعبئة في التوعيات الكاملة
والمفاهيم السليمة لطبيعة المعركة واتجاهاتها ، وتبلورت في شكل تدريب وتسليح

كاملين ، لا تقف الحاجات المحلية حائلا دونهما ، سواء في داخل فلسطين أو خارجها ، لما كانت النكسة ، مهما كان موقف الاستعمار وأعدائه .
وتمضى عشرون سنة تقريبا على هذه المعركة الارتجالية ويتحدث الدكتور سيد نوفل في مارس سنة ١٩٦٥ ليفسر الفشل الذى منيت به الدعاية العربية بأسباب منها :

- ١ - قوة ونفوذ الدعاية الصهيونية وأثرها الكبير على المؤسسات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية في العالم وفي الغرب خاصة .
- ٢ - ضعف الموارد المادية الكافية للعمل الدعائى وبالتالى عدم توفر القدرات الكافية على ترويج آرائنا ومواقفنا والحقائق الأساسية لقضيتنا .
- ٣ - عدم التجاوب الكافى من قبل الدول العربية لإمداد الجامعة العربية بالمواد الإعلامية الكافية أو بالإمكانيات الفنية لتسهيل لها المهام المفوطة بها . هذه الأسباب الثلاثة تقدمها الجامعة العربية لتفسر العجز الإعلامى العام الذى ميّز ركودها في الأشهر الأخيرة الماضية ، والكثير من فشلها السابق في هذا المضمار . ورغم أن هذه التفسيرات تشكل أسبابا مخفضة للإخفاق الكامل إلا أنها لا تفسر كل شىء . هناك أسباب أخرى رئيسية ذاتية لتفسير إخفاق الجامعة وأجهزتها الإعلامية في الدعوة العربية ، هي :

- ١ - الاستثمار السيء للكفايات البشرية والموارد المالية المتوفرة لدى الجامعة .
- ٢ - تعطيل الفعاليات الموجودة في مناهات الروتين الإدارى الرث والتعايمات المالية المكبلة لأية مبادرة خلاقة في الحقل الدعائى .
- ٣ - عدم توفر جهاز مركزى للبحوث والدراسات يغذى باستمرار مراكز الدعوة في الخارج . ويتضح من ذلك أنه بدلا من أن تقوم الأمانة

العامة بهذا الدور الأساسي أصبحت تسعى إلى تغذية نفسها عن طريق ما يرد إليها من مكاتبتها الخارجية .

٤ - عدم وضوح الرؤية السليمة عن أهداف الدعوة العربية والافتقار إلى فلسفة إعلامية حديثة وعلمية وملتزمة .

٥ - انعدام التنسيق الضروري بين الإدارات التي تتداخل اختصاصات أكثرها وتعمل بمعزل عن الأخرى مما يؤدي إلى ارتباك العمل وتعطيله .

ويستنبط الدكتور كلوفيس مقصود أسباب الفشل الذي منيت به الدعاية العربية فيقول : « إن الأسباب الكامنة في جهاز الجامعة والخارجة عن نطاقها تفتح أمامنا مجالات واسعة لإعطاء الدلائل على المدى الذي أفعد الجامعة عن أداء مهامها في المجال الدعائي . ولكننا الآن لسنا في صدد التأريخ بقدر ما نحن في حاجة إلى محاولة لاستنباط الحلول الفورية لأزمة الدعاية العربية في الخارج حتى نتمكن من مقاومة تزايد النشاط الصهيوني في هذا الحقل والتغلب عليه ، وإيجاد الأجواء الملائمة دولياً لإعادة فتح القضية الفلسطينية جديداً على المستوى الوجداني والسياسي والواقعي .

« ولا بد لنا في هذا المجال أن نفرق بين الإعلام العربي والدعوة العربية ، ورغم أن المجالين لا يتعارضان بل يتمان بعضهما البعض إلا أن الدعوة « أو الدعاية » لقضية هي غير الإعلام عنها . وإذا كان هذا التفريق صحيحاً بشكل إجمالي فإن ضرورته تصبح أكثر إلحاحاً بالنسبة للظروف التي تكثف قضاياها وللمراحل التي تمر بها .

« لقد كان الخلط بين الإعلام والدعوة ، أو الدعاية ، مسبباً في كثير من المشاكل ومن سوء الفهم في تحديد مهام أجهزة الدعوة العربية في الخارج إذ أن السفارات العربية تصر على قصر مهام مكاتب الجامعة على الجانب

الإعلامي ، وكثيرا ما فقدت مكاتب الجامعة العربية قدراتها في العمل وفوتت على نفسها فرصاً ثمينة للحوار والحركة عندما رضخت لضرورات ومستلزمات المجاملة والمراعاة لحساسيات السفارات العربية الفاتحة عن منطق السيادة القطرية وضعف الالتزام القومي»^(١) .

٦ - **الفلسطينيون حرصوا على وطنهم وهل اراضيهم حتى الاستشهاد :**
وهنا لا بد من وقفة قصيرة عند مفهوم خاطيء لدى الكثيرين ، وهو أن شعب فلسطين هو الذي باع وطنه وأرضه .

أجل هناك كثيرون يعتقدون هذا القول الخاطيء ويتحدثون به ، بالرغم من بعده عن الحقيقة ، والواقع أن شعب فلسطين لم يبيع وطنه أو أرضه مطلقا ، وإنما احتفظ بها بالرغم من موجات الإرهاب الاستعماري لإرغامه على بيع أرضه ، وبالرغم من الإغراءات الكثيرة والأموال الضخمة التي عرضت على أفرادها ، والتي فاقت حدود التصور .

فقد ذكر آخر تقرير رسمي لحكومة الانتداب البريطاني أن اليهود كانوا يملكون من أراضي فلسطين في نهاية عام ١٩٤٧ ، أي عندما فرض التقسيم ، ٦٤ ٪ ليس إلا من مجموع أراضي البلاد ، فإذا عرفنا أن ٤ ٪ باعها العائلات الإقطاعية وبعضها في خارج فلسطين كسرسق ، وبسترس ، والقيان ، والقباني ، وسلام وغيرهم ، يتبين لنا أن شعب فلسطين وفلاحها المستوطنين والمستقرين في بلادهم وأراضيهم لم يبيعوا أراضيهم بالرغم من المضايقات العنيفة والإغراءات .
ويكفي أن تعرف أن الفلاح كان يؤثر الاحتفاظ بدونماته القليلة من الأرض التي تعطيه دخلا سنويا لا يكاد يسد متطلباته المعيشية ، على أن يبيعها بألوف الجنيهات ، التي كانت تمكنه من العيش حياة سعيدة لو ارتحل إلى المدن أو إلى خارج البلاد .

(١) الأهرام في ٢٩/٩/١٩٦٧ .

أضواء .. على الاعلام الاسرائيلى :

كم أرجو أيها القارىء العزيز أن تتدارس حقائق واقعية عملا بوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم : « خذوا العلم من أى إناء » ، وأن نمارس ما يتفق وطبيعتنا حتى نحقق تفوقا فى ميدان الإعلام . وأبرز لنا « أضواء .. على الإعلام الإسرائيلى » الدكتور منذر عنقباوى فى كتابه الذى أصدره مركز الأبحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية ببيروت ، حيث تناول الإعلام وأهداف السياسة الخارجية الإسرائيلىة ، الاستراتيجية العامة للإعلام الإسرائيلى ، والأدوات التنفيذية التى يستخدمها الإعلام الإسرائيلى .

ولنبداً من المدخل بحقائق أقرب إلى صوت الرصاص :

إن الإعلام الإسرائيلى والصهيونى ' يزحف على مساحة العالم كله . وإن الحركة الصهيونية العالمية اهتمت بسلاح الإعلام منذ ولدت فى أول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ .

وإن انحياز الرأى العام للصهيونية فى أوروبا الغربية ، وأمريكا الشمالية ، يرجع تاريخه إلى ما قبل إسرائيل ، وانحيازه اليوم ليس إلا استمراراً لانحيازه القديم للصهيونية .

وإن الإعلام الإسرائيلى يبذل قصارى جهده لضمان استمرار ذلك الانحياز ، فوق أنه دأب النشاط نحو كسب قطاعات هامة وحيوية من الرأى العام فى العالم الثالث .

الاعلام .. والمخطط الصهيونى :

المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ عقد من إنشاء أجل وطن قومى يهودى فى فلسطين . ويومها أسفر المؤتمر عن برنامج عمل يهدف لإنشاء هذا الوطن ، معتمداً على أربعة بنود أهمها البند الثالث والخاص بإنشاء إعلام

صهيوني، وهكذا وقف الإعلام الصهيوني في طليعة الحلم الصهيوني وجنبا إلى جنب مع البنود الثلاثة الأخرى وهي :

- ١ - تطوير الاستيطان اليهودي في فلسطين .
- ٢ - تنظيم يهود العالم في مؤسسات صهيونية .
- ٣ - انتزاع تأييد الحكومات المختلفة لإنشاء الوطن القومي .

ويتضح ارتباط الإعلام الصهيوني بالهدف الصهيوني الأول ، عندما أسفر المؤتمر الصهيوني الذي عقد في نيويورك عام ١٩٤٢ عن برنامجه المعروف ببرنامج « بلتيمور » حيث برزت الدعوة رسمياً لإنشاء « دولة يهودية في فلسطين كجزء لا يتجزأ من العالم الديمقراطي » .

الإعلام الصهيوني مشحون بإذن ببرنامجي عمل أقرهما مؤتمران .
والهدف : إنشاء وطن قومي لإسرائيل .
استراتيجية الاعلام الاسرائيلي :

طبقا لما تراه إسرائيل . . يتحقق هذا الهدف عن طريق خلق الإحساس لدى الرأي العام في كل مكان ، بأن سلام العالم وأمنه ورخاءه ، إنما يرتبط إلى حد كبير ببقاء إسرائيل والمحافظة عليها .

وسياسة كسب الأنصار . . تنشط في كل مكان من العالم . لا يهتم أن تكون الحكومة صديقة لإسرائيل ، أو صديقة للعرب . . أو محايدة . واستمساكا بهذه العالمية . . تقوم سياسة كسب الأنصار على أساس دراسة عامة وعلمية للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البلاد . . تتجه إليها ، وكذا المشكلات التي تعانها والأمور التي تهتم سكانها ، وخاصة أصحاب الرأي (م ١٣ - إسرائيل)

والمسكانة فيها ، ثم دراسة طبيعة العلاقات القائمة بين هذه البلاد وبين الدول العربية ، والخلافات الظاهرة والخفية بينهما .

وعلى ضوء هذه الدراسة . . يحدد الإعلام الإسرائيلي مدخلين إلى تلك البلاد : مدخلاً نظرياً . . ومدخلاً تطبيقياً .

ثم يبدأ العمل ، وقد أصبحت استراتيجيته : ضمان وجود إسرائيل في الخارج كضرورة عالمية .

الاهداف القومية لاسرائيل :

في مارس عام ١٩٦٨ بعد أن استكملت إسرائيل احتلال فلسطين وسينا ومرتفعات الجولان . . وقف أبا إيبان في ندوة صحفية عقدها في هولندا ، يقول : « إن أزمة الشرق الأوسط هي مشكلة بقاء إسرائيل ، وليست أزمة بقاء الدول العربية » . ومن قبل ذلك بسنوات خلت ، وفي ٢٨ نوفمبر عام ١٩٦٥ ، كتب البروفسور بنيامين أكرين أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري في الجامعة العبرية في صحيفة جيروزاليم بوست يقول : « إن نقطة الارتكاز في سياسة إسرائيل الخارجية يجب أن تكون ضمان وجود إسرائيل في العائلة الدولية . أما معاهدات الصلح فإنها لاتضمن سلماً دائماً » . والضمان : هو أن تكون إسرائيل موجودة في الخارج وعلى كافة المستويات وفي كل المجالات ليس فقط كضرورة يهودية . . و « غربية رأسمالية » ولكن أيضاً كضرورة « شرقية اشتراكية » و « أمريكية لانيقية » و « آسيوية إفريقية » وتحاول الصهيونية أن تقنن وجودها على أرض فلسطين بالمزاعم الآتية :

١ - ادعاؤهم أن لهم حقاً في فلسطين بناء على ما أسموه « أرض الميعاد » .

٢ - ادعاؤهم أن لهم حقاً في فلسطين باعتبارها الوطن الأول للدولة

اليهودية القديمة .

- ٣ - ادعاؤهم بأنهم اكتسبوا حقاً في فلسطين بناء على « وعد بلفور » .
- ٤ - ادعاؤهم بأن صك الانتداب البريطاني على فلسطين قد اعترف بحقوقهم في فلسطين .
- ٥ - ادعاؤهم بأنهم اشتروا الأرض وأنشأوا مستعمرات زراعية في فلسطين .
- ٦ - ادعاؤهم بأنهم أصحاب حق في فلسطين بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .
- ٧ - ادعاؤهم بأنهم استولوا على فلسطين ليرفعوا من شأنها وتقدمها .

الباب الثالث

وَرَأْسَةُ تَحْلِيلِيَّةٍ
وَعُدُّ بِلْفُورٍ.. الْإِنْدَابِ.. النِّقْسِيمِ

أولاً - دراسات تحليلية لوعد بلفور

١ - وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو : Sykes—Picoul

لاريب أن لورنس المستشرق البريطاني قد أكد لنا نحن العرب أنه كان يعمل لصالح بريطانيا ووفقاً لأهداف صهيونية لتحقيق وعد بلفور ، واستطاع أن ينتخب لبريطانيا العناصر المعتدلة للتعاون معها ومع زعماء الصهيونية فأعد لقاء بين وايزمن الزعيم الصهيوني وبين فيصل - المرشح ملكاً على العراق - في القاهرة لتحقيق معاهدة سايكس / بيكو ، ومن ثم يسهل على بريطانيا تحقيق وعد بلفور ، بعد أن نجح هجارت في الحصول على تأييد من الحسين في مطلع عام ١٩١٨ . وكان فيصل عند حسن ظن بريطانيا وموضع ثقة وايزمن ، إذ أكد بتصريحه لصديقه مسز أرسكين تأييد وعد بلفور ، وتمخض هذا التصريح عن اتفاقية بين فيصل ووايزمن في ١٩١٩/١/٣ جاء في المادة الثالثة منها : « تقوم الدولة الفلسطينية بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ في دستورها وإدارتها»^(١) . كانت هذه الاتفاقية هي السند القانوني الذي تقدم به وايزمن إلى لجنة التحقيق البريطانية عام ١٩٣٨ .

٢ - الانسجام التام بين فيصل وزعماء الصهيونية :

بلغ الانسجام ذروته في خطاب فيصل إلى المستر فرانكفورت - القاضي والأستاذ بجامعة هارفارد ، وعضو الوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح والمتحدث الرسمي باسم الصهيونية الأمريكية - في ٣ مارس ١٩١٩ جاء فيه : « إننا نعتبر العرب واليهود أبناء عمومة في الجنس وقد تعرضوا لاضطهادات على

(١) الهاشميون وقضية فلسطين للدكتور أنيس صايغ ص ٦٩ .

أبدي قوى أقوى منهم . واستطاعوا الحسن الحظ أن يحققوا الخطوة الأولى نحو أهدافهم القومية ... فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية ، وحركتنا قومية وليست استعمارية ، ولسكيننا مكان في سوريا . بل إنني لا أظن أن لأي منا إمكاناً من النجاح بدون الآخر» (١) .

٣ - فيصل يسمي لتتويجه ملكاً « يستجدي العرش من الامبريالية » (٢) :

كان فيصل يأمل تتويجه ملكاً على سوريا ، ولكن سوريا بحكم التقسيم المقرر في معاهدة سايكس - بيكو داخلية في نطاق النفوذ الفرنسي . وكان لورنس يطمع - فيما لو استطاع فيصل أن يبنى لنفسه قوة شعبية في سوريا - أن يفتزع سوريا من دائرة النفوذ الفرنسي ويحتفظ بها للنفوذ البريطاني . لكن كليمنصو رئيس وزراء فرنسا أصدر بيانه إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا باستمساك فرنسا بحقها في سوريا طبقاً لمعاهدة سايكس - بيكو ، ومن ثم ضرورة إبعاد فيصل عنها . وحاول فيصل محاولة أخيرة مع أمريكا أن توضع سوريا وأن يوضع عرشه معها تحت الوصاية والحماية الأمريكية ولكن وودرو ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتئذ لم يكن مهتماً بالمشروعات الاستعمارية فرفض العرض .

٤ - عبدالله يتحرك للناز العرب من الفرنسيين في سوريا :

وتفطن بريطانيا إلى خطورة زحف عبدالله لتحرير سوريا خصوصاً وأن فرنسا قد تظن أن بريطانيا هي المحرصة على ذلك ، فيصدر تشرشل قراره بأن يصبح الأمير عبد الله أميراً « حيث هو الآن » أميراً على عمان ، وهكذا قامت إمارة شرق الأردن .

(١) الأهرام في ٢٠/١/١٩٦٧ .

(٢) « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » المائدة : ٥١ .

كما تقرر في مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ تنويج فيصل ملكا على العراق ،
وتهدف من ذلك إلى :

- ١ - إرضاء الهاشميين الذين طردوا من سوريا .
- ٢ - الوفاء بمحادثات الحسين - مكماهون ، والتي عادت على الحلفاء
وخدمهم بالنفع .
- ٣ - إيجاد قوة عربية صديقة لبريطانيا بجانب فلسطين لتساعد على
تنفيذ وعد بلفور .
- ٤ - تقرير مبدأ التجزئة وتقسيم الوطن العربي حتى يمكنها السيطرة
على الشرق الأوسط .

٥ - التركيب السياسي للحركة النضالية :

إن التركيب السياسي للحركة النضالية في فلسطين يسلم مقاليدها لتكتل
من الساسة المحترفين ، يتوزعون بين أحزاب ومؤسسات تختلف في الأسماء
ولكنها تلتقي كلها في تزعيم أصحاب الوجاهات والأنساب ممن كانوا يمزجون
بين النضال الوطني والكسب الشخصي ، ولا يفرقون بين ولاء المواطنين
في الجهاد وعبودية العبيد في أرضهم ، حتى كادوا لا يعرفون إذا ما كانوا
يفاضلون من أجل زيادة مكاسبهم أم يتكسبون لتغذية النضال .

مع هذا سلم الشعب مصيره السياسي لتلك الطبقة لأن وعيه السياسي لم
يكن آنذاك قد تبلور تبلوراً يكفيه لأن يعرف كيف يفرض نفسه على السياسيين
المحترفين : « لم تعد أصوات الجماهير هي التي تقرر خط السير الوطني ، وإنما
أصبحت أصوات الجماهير تساق وفقاً لإرادة السلطات الحاكمة وأصدقائها» (١) .

(١) من الميثاق للجمهورية العربية المتحدة .

وكان معظم العاملين في الحركة السياسية من الطبقة ذاتها بحيث لم يكن للشعب أمل في العثور على سياسيين عقائديين غير محترفين ، ومناضلين غير متكسبين ، ولأن طبيعة النضال واحتدام المعركة مع الصهيونيين والاستعمار وعملاتها لم تكن تسمح للشعب بأن يثور على النظام السياسي ، وأن يخرق الذهنية التقليدية الموجودة منذ أجيال . ومضت عشرون سنة منذ اختيار المستشرق البريطاني لورنس فيصل زعيما للثورة خلال الحرب العالمية الأولى . والشعب لم يتمكن بعد من التحرر من الأفكار التقليدية حتى ظهر سير رونالد ستورز زميل الكولونيل والمستشرق البريطاني لورنس ، ورأى الحاجة ماسة لصنع تاج في فلسطين ، ولما لم تكن فرصة صنع تاج ميسرة صنع عمامة ، وكان أن اكتشف لها الحاج أمين الحسيني . فبفضل النسب الديني العريق لآل الحسيني وسيطرتهم على الوظائف الإدارية والمناصب الدينية والقضائية في عهد السلطان عبد الحميد ، كان الحاج أمين الحسيني يتمتع بنفس الهيئات التي رشحت فيصلا من قبل .

ومن منصب الإفتاء انطلق أمين الحسيني إلى الزعامة الشاملة في فلسطين ، وبالرغم مما بين فيصل والحسيني من اختلاف في الطباع والشخصية والعقيدة ، إلا أنهما يتفقان في أن ما أوصلهما إلى الزعامة أمران وهما :

١ - الوجاهة الدينية والاجتماعية :

فإن النسب الديني لأسرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يضيف على صاحبه مكانة فريدة وممتازة بين جمهرة المسلمين حتى في وقت قريب .

٢ - رضاء صانع التيجان :

وصانع التيجان هو بريطانيا وهي صاحبة الحول والطول في البلاد العربية وكان هذا الاختيار في لحظة اشتبك فيها عرب فلسطين في معركة حياة أو موت مع الصهيونيين والعملاء .

فلم تايث زعامة الحسيني أن اتخذت طابعا أوسع من فلسطين ، إذ أصبح رمزاً لنضال ديني وروحي بوصفه قيما على الأماكن المقدسة في فلسطين ، وبالتالي لم يلبث أن أصبح أشهر زعيم عربي خارج القطر الذي ينتمى إليه ، ومن ثم فإن مصالحة الزعماء الذين جاءتهم الزعامة لاعتبارات الوجاهة والحسب والنسب كانت تتطلب منهم أن يحافظوا على الأوضاع القديمة ليحافظوا بالتالي على مراكزهم وعلى مقاعد الزعامة وسطوتها وامتيازاتها ، ووضح حرصهم على مراكزهم في دعوة الملك عبد الله لأصدقائه الصهيونيين في بلدة الشونة القريبة من القدس في ١٩٤٩/٣/٣٠ ، وكلف رئيس حكومته بالتحدث إلى الوفد رسميا وباسم الحكومة الأردنية ، فيقول توفيق أبو الهدى موجها كلامه إلى إيبان والملك صامت لا يتكلم : « أكلكم باسم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ويحضر جلالة سيدنا ، وأرحب بقدمكم الذي نأمل منه كل خير لصالح البلدين .

» إذا ذكرنا الماضي نجد كيف تورط الأردن في الحرب ، والأسباب المباشرة كانت مدينة القدس القديمة ، ومحاولة قواتكم الاستيلاء عليها ، مما أدى إلى اشتباك الجيش العربي مع جنودكم اشتباكا فعليا . وما عدا ذلك لم تقع معارك من طرفنا .

» وتعلمون سعادتكم أن السياسة الأصلية التي سرنا عليها ، هي أن يقف الجيش العربي على حدود القسم العربي من فلسطين ولا يتعداه ولم يتعداه بالفعل ، ولو أن تلك السياسة لم تقل أو تنشر ، إلا أنها كانت بالفعل مرسومة .

» ولم يكن هنالك ميل للحرب بالمرّة ، ولا نية أكيدة ، ويمكنكم أن تقدروا صعوبة موقفنا في تنفيذ تلك السياسة المرسومة ، وفي الانحراف مع سياسة الدول العربية مجازاة لها وللتغطية فقط . . . والآن لن نتقيد بعد اليوم

بنصائح خارجية حتى ولا بالسياسة العربية ونزغب من كل قلوبنا أن نصل
معكم إلى تسوية وصلاح دائم . . . وإذا توافر لديكم حسن النية كما هو عندنا ،
فلا شك بأننا سنهني كل المشاكل بما تمليه المصالح المشتركة وحسن الجوار
بين بلدينا » (١) .

٦ — مولد وعد بلفور :

تحمس فريق من اليهود للدعوة إلى إيجاد وطن لليهود ، استهدانا إلى
تجديد كيان اليهود في فلسطين ، على ما في دعواهم من تناقض مع طبيعة الأمور
والحقائق . والواقع أن مادفعهم إلى حرصهم على تجديد الكيان الإسرائيلي
الروحي ، هو ما عاناه اليهود من حقد وضعفينة وتجهم في مختلف بلاد العالم ،
وأمة الأخرى .

ومن هؤلاء إسرائيل زانجويل الذي ادعى أن فلسطين وطن بلا
شعب ، وهو بهذا الأسلوب قد تغابي عن حقائق قائمة ، منها أن فلسطين ليست
بلاداً خالية من السكان أو هي منعزلة عن العالم أو متخلفة عن مثيلاتها من
البلاد العربية التي تساهم بنصيبها في بنيان نظام العالم وحضارته كما حاول
الصهيونيون تصويرها إفكاً وكذباً حتى استطاعوا أن يخذعوا العالم
الغربي فحسب .

ومن هؤلاء أيضاً ثيودور هرتزل الذي أراد أن يستند على حق قانوني
يفتزعه من سلطان تركيا لتكوين مستعمرات يهودية بفلسطين .

ولما انكشفت مؤامرة هرتزل وفشل في استمالة زعماء الأتراك المسلمين ،

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٥٣١ .

وفي استمالة زعماء الألمان المسيحيين ، وليَّ وجهه شطر إنجلترا في عام ١٩٠٢ ولم يكن لإنجلترا في ذلك الوقت علاقة بحكم فلسطين ولكنها كانت قد احتلت مصر قبل ذلك بعشرين عاماً ، وقد اقترح هرتزل على الحكومة البريطانية عدة اقتراحات لتكوين الدولة اليهودية منها :

١ — استعمار الأرض المجاورة لفلسطين .

٢ — أو استعمار الأرض المجاورة للعريش في الحدود المتاخمة لحدود

فلسطين .

فلم يسع وزير المستعمرات البريطانية مستر « جوزيف تشامبرلين » والمعتمد البريطاني في مصر « لورد كرومر » إلا الرفض لمقترحات « هرتزل » خوفاً من إثارة نائرة الشعب المصري لوسمحت إنجلترا لليهود بذلك الاستعمار الصهيوني لأرض مصرية ، فقد أبى الشعب المصري عام ١٨٥٠ م أن يسمح للصهيونيين أن يستعمروا أرض فلسطين حينما كانت تلك الأرض جزءاً من مصر .

وعلى الرغم من هذا الرفض فقد خطا المؤتمر الصهيوني المنعقد في لاهاي سنة ١٩٠٨ خطوة عملية : « إذ قرر تأسيس شركة للأراضي الفلسطينية ، وتخصيص قرض يقدمه البنك الوطني لبناء حي عسرى لليهود المهاجرين بالقرب من « يافا » نواة مدينة « تل أبيب » ، كما قرر اعتبار اللغة العبرية لغة التخاطب الرسمية للصهيونية » .

وفي ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٥ أثناء قيام الحرب العالمية الأولى كتب الدكتور حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني إلى المستر سكوت رئيس تحرير جريدة مانشستر جارديان رسالة جاء فيها : « إذا دخلت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني ووفقت الحكومة البريطانية على تشجيع إسكان اليهود فيها فإنه يمكن أن

يصير لنا في فلسطين خلال عشرين عاما أو ثلاثين عاما نحو مليون يهودى
أوربا أكثر من ذلك فيشكلون حراسة عمالية لقناة السويس .

وفي ١٤ من أكتوبر سنة ١٩١٧ وجه وايزمن رسالة إلى وزارة الحرب
البريطانية جاء فيها : « إننا نعلن لكم بصراحة واحترام أننا نترك مصيرنا
الوطني والصهيوني بين أيديكم آمليين أن تنظروا إلى قضيتنا على ضوء مصالح
الإمبراطورية » . وبعد أن نشرت هذه الرسالة أعلن ساسة الإمبراطورية
البريطانية أن من مصلحة الإمبراطورية البريطانية أن تكون فلسطين يهودية .
وهكذا يتضح أن مسألة خلق وطن قومي لليهود ليست إلا جزءاً من خطة
استعمارية للسيطرة على الشرق العربي ، وليست إلا إسفيناً أراد الاستعمار
أن يذقه في قلب العالم العربي للوصول إلى أهدافه .

وقد انتهى الاتفاق بين ساسة الإمبراطورية البريطانية وزعماء الحركة
الصهيونية على أن تعان الحكومة البريطانية عن وعد لليهود بإعطائهم فلسطين
وطنا لهم ، وأن تقدم لهم المساعدات والمعونات بإنشاء دولة يهودية ، وقد تحقق
ذلك بإعلان الحكومة البريطانية تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

٧ - الدول الاستعمارية تؤيد وعد بلفور :

ولقي تصريح بلفور موافقة كل الدول الاستعمارية الأخرى ، فوافق
الرئيس ولسن والحكومة الأمريكية على نص التصريح وعلى إصداره
باسم بريطانيا ، كما أيدت فرنسا وإيطاليا التصريح بعد ذلك .

واقدمت مسألة إنشاء دولة يهودية في فلسطين موافقة الدوائر
الاستعمارية الأمريكية منذ البداية ففي سنة ١٩١٩ أعلن الرئيس ولسن :

« أن الضرورة تقضى بأن تكون فلسطين أساساً لـكومنولث^(١) يهودى ». وقال الرئيس هوفر : « إن موضوع تأسيس دولة يهودية ليستحق العطف والتشجيع الأدبى من الجميع » .

وقبل وقد بلفور بمائة عام كتب القنصل الأمريكى السابق فى تونس عام ١٨١٨ يقول : « إن القضاء على السيطرة التركية فى سوريا سيعترب عليه تحررهم « أى اليهود » وسيكون فى استطاعتهم السير مرة أخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم حالات النصر » .

وهكذا توضح لنا حقائق التاريخ أن إنشاء وطن قومى لليهود كان يحظى بالتأييد الكامل من جانب الاستعمار العالمى ، وأنه رغم أن عملية إنشاء هذا الوطن القومى كانت تنفرد فيها بريطانيا بدور رئيسى فإن الاستعمار الأمريكى — الذى كانت الحركة الصهيونية وثيقة الاتصال به — احتضن الحركة الصهيونية بشكل ثابت حتى ولادة دولة إسرائيل ، وليس هذا فحسب بل إن إسرائيل فى نظر الولايات المتحدة الأمريكية الولاية الحادية والخمسون .

٨ — الأحداث السياسية التى لازمت صدور وعد بلفور :

فى سنة ١٩١٤ أعلنت الحرب العالمية الأولى بين قوتين متنازعتين : الأولى تزعمها ألمانيا وتركيا ، والثانية تزعمها إنجلترا وروسيا وفرنسا . وكانت الإمبراطورية العثمانية تحكم سوريا الكبرى « الشام » والعراق والحجاز بالإضافة إلى مصر التى تتبعها اسمياً رغم احتلال إنجلترا لها . وبمجرد إعلان الحرب فرضت بريطانيا حمايتها على مصر .

ولقد عانى العرب فى الشام والعراق والحجاز تعسف الحكام الأتراك

(١) دولة حكومة
Commonwealth .
a group of self — governing countries united under one
Central government, e. g. Australia .

أمثال القائد التركي جمال باشا الذي نصب المشائق وأعدم الكثير من أحرار الشعب وقادته في ٦ مايو ١٩١٦ الذي عُرف بيوم الشهداء . وكان هذا اليوم نقطة تحول في العلاقات بين تركيا والعرب ، جعلت الشعب العربي يثور للمطالبة بحريته واستقلاله . وكان من الطبيعي أن يعلن مسانسته للحلفاء ، وكان الإنجليز أرحب صدراً وأبعد نظراً من الأتراك ، وتبادلت الرسائل بين الشريف حسين والمندوب السامي البريطاني في مصر « السير هنري مكماهون » حيث تم الاتفاق على وضع خطة الانتقام من تركيا ، نظير اعتراف إنجلترا باستقلال العرب من جبال طوروس شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً .

وما كاد الحلفاء يدخلون أرض الشام بمساعدة العرب إثر ثورة عام ١٩١٦ حتى أخذ زعماء اليهود وأثرياًؤهم ينتهزون الفرصة ليصلوا إلى ما يستطيعون من مكاسب ، وقد كسبوا « وعد بلفور » الذي حقق لهم أملاً طالما رأوه بعيداً عن التحقيق .

٩ - منطوق وعد بلفور وتحليله :

« عزيزي روتشيلد . .

« يسرني أن أبعث إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالمطغ على الأمانى الصهيونية ، والذي عرض على الحكومة ووافقت عليه .

« تعترم الحكومة البريطانية إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل كل ما لديها من جهود لتحقيق هذه الغاية . . هذا مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئاً ينطوى على أى مساس بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود الذين يعيشون فى دولة أجنبية أو نظام أحوالهم الشخصية .

« وأكون شاكراً لو تسكرتمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحاد الهيئات

إمضاء

الصهيونية .»

« جيمس آرثر بلفور »

٢ نوفمبر سنة ١٩١٧

ولندع كل هذه الظروف التي لا بست ولادة وعد بلفور لنناقش

الوعد ذاته :

أولاً : كل وعد يقتضى أن يكون لدينا واعد وموعد وموعد به .

والواعد هنا هو بلفور أو إنجلترا ، والموعدون هم اليهود ، والموعد به هو فلسطين . هذا صحيح . ولكن الوعد يقتضى أيضاً أن يكون الواعد أهلاً لما يعد به ، وقادراً على تنفيذه ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الواعد يمتلك للموعد به ، فإذا ما طبقنا هذا الشرط على بلفور أو إنجلترا وجدنا أن كلا منهما لم يكن يمتلك فلسطين باعتبارها الشيء الموعد به ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة في رسالته إلى الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي ، وقد جاء بهذه الرسالة : « لقد أعطى من لا يملك من لا يستحق وعداً ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق أن يسلبا صاحب الحق حقه فيما يملكه وفيما يستحقه » . فالوعد إذن ينقصه عنصر هام وهو القدرة على تنفيذ ما وعد به ، ثم إن رسالة بلفور مجرد رسالة شخصية يعلن فيها رغبة إنجلترا ونيتها في إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين ، إنها مجرد رغبة وهذه الرغبة لا تعطى اليهود الحق ، ولا يمكن أن تكون لهم سنداً ، وعلى هذا نستطيع أن نقول إن وعد بلفور باطل وغير ملازم للتنفيذ .

قد يكون الصهاينة حاولوا أن يكسبوا هذا الوعد صفة دولية حين طالبوا روسيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأخرى بالاعتراف بما جاء في رسالة بلفور ، ولكن حتى هذا فإنه لم يحدث إلا بعد مدة من إصدار رسالة (١٤م - إسرائيل)

بلفور ، ولم يتضح موقف هذه الدول بصورة قاطعة . . وحتى لو وافقت أو عارضت الدول ما جاء في رسالة بلفور ، فإن هذا لا يغير من الواقع شيئاً .

ثم للعرب حجة ، فقد وعدت إنجلترا العرب ممثلين في شخصية الشريف حسين وابنه فيصل أن يساعدهم في الاستقلال بسوريا والحجاز ، وكان وعدها سابقاً ولاحقاً لوعده بلفور ، وجاء الوعد في الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون ، ولاشك — مها كانت الظروف — أن الشريف كان يمثل دولة لها كيانهاتها ولها معالمها بعكس روتشيلد الذي لا يمثل أى دولة . لقد وعد الإنجليز الشريف حسين باستقلال العرب عن الدولة العثمانية وكان ذلك سنة ١٩١٦ . وعلى أساس الوعد قام العرب بثورتهم ضد العثمانيين وكانت ثورتهم عاملاً كبيراً في انتصار الحلفاء ، وحينما أحس العرب بخيانة إنجلترا وسوء نوايا الحلفاء ، قدم زعمائهم في مصر في مارس سنة ١٩١٨ — وهو تاريخ متأخر عن وعد بلفور — مذكرة طالبوا فيها بأن تعلن إنجلترا حقيقة أغراضها في فلسطين ، وردت وزارة الخارجية الإنجليزية تؤكد عزم إنجلترا على تنفيذ تعهدها للشريف حسين والاعتراف بسيادة العرب ، وأن يكون الحكم في البلاد العربية وفقاً لرغبات الشعب العربي . وفي ١٧ فبراير ١٩١٨ أصدرت إنجلترا وفرنسا مذكرة تؤكدان فيها أن هدفها هو تحرير الشعوب التي كانت ترواح تحت نير الاستعمار التركي .

معنى ذلك أن اعتراف إنجلترا بسيادة العرب على أرضهم سبق اعترافها بإقامة وطن لليهود في فلسطين ، وإذا كان اليهود يقولون : إن وعد بلفور يلقي الأقدم أى يلغى ما جاء في رسائل الحسين مكماهون فإننا نقول لهم : إن إنجلترا أكدت مرة أخرى وعودها للعرب

وكان ذلك بعد وعد بلفور أى سنة ١٩١٨ ، وبذلك يمكن أن نعتبر في ذلك إلغاء لوعده بلفور .

ثانياً : نصت رسالة بلفور على « إقامة وطن للشعب اليهودى » :

فإذا يعنى بلفور وحكومته بتعبير « الشعب اليهودى » ؟ إن اليهودية كما ذكرنا من قبل دين سماوى شأنها فى ذلك شأن الدين الإسلامى أو الدين المسيحى ، وليس اليهود شعباً ، وإلا لكان فى العالم ثلاثة شعوب : شعب يهودى ، وشعب مسيحى ، وشعب إسلامى ... بالإضافة إلى الشعوب الأخرى التى تدين بالديانات الأخرى غير السماوية مثل البوذية والهندوكية والكنفوشيوسية .. ولكن الواقع غير ذلك ... إن العالم ينقسم إلى شعوب بناء على عوامل أخرى ومقاييس خلاف الدين .. كالأصل والجنس والنشأة والموطن والعادات والتقاليد . وقد تدخل مجموعة من الشعوب تحت دين واحد ، فالشعب الأمريكى والشعب الإنجليزى وكذا الشعب الفرنسى والألمانى كلها تدين بالديانة المسيحية ومع ذلك فهى شعوب مختلفة ، والشعب العربى والشعب الباكستانى والشعب الإندونيسى وكذا الشعب التركى كلها شعوب مختلفة ، ولكنها جميعاً تدين بدين واحد هو الإسلام .

فإذا يقصد بلفور بالشعب اليهودى ؟ هل يقصد كل من يدين بالديانة اليهودية ؟

أعتقد أن ذلك أمر مستحيل . فلا يعقل أن يجتمع بفلسطين أكثر من خمسة عشر مليوناً من اليهود لمجرد أنهم يدينون بالدين اليهودى !! وليس هناك جامعة من اللغة أو مصلحة تجمع بينهم كما هو الأمر فى الشعوب الأخرى . واللغة العبرانية ظلت لغة كتاب دينهم التى تجهلها أكثرية

اليهود الساحقة^(١)، وكل أمرها اليوم أنها تحاول إحياءها من جديد صناعياً وسياسياً إحياء لا يمت إلى سبب قوى وعنصرى واقعى، وفي فلسطين لحسب .
ومع ذلك فإنها مجهولة من كثرة كبيرة من يهود فلسطين، وحالة يهود فلسطين ليست في عمقها إلا حالة جماعات متغايرة في الدم والعنصر والجنسيات والميول والثقافة واللغة والحياة الاجتماعية حشدت حشداً، وليس بينها ذلك الانسجام الذى يقوم عادة بين أبناء الشعب « شعب واحد »، وكثير منهم يود أن يعود من حيث أتى لو تيسر له السبب والأمن من إزعاج المنظمة الصهيونية ووسائل إرهابها مما لمسه كثير من المدققين في حالتهم، وكما تبين ذلك جلياً أمام لجنة التحقيق الإنجليزية الأمر بركية .

ومن جهة أخرى فاليهود الأقدمون ليسوا سكان فلسطين الأصليين وإنما هم طارئون عليها، ولم يملكوا فيها إلا جزءاً، ولم يدم ملكهم لها إلا أمداً قصيراً، وأكثر إقامتهم فيها مرت بالفتن والقتال والاضطرابات والحروب مع سكان البلاد الأولين الذين ظلت فلسطين مكتظة بهم وظلوا محافظين على لغة أولئك السكان وعاداتهم ودياناتهم .

ونقد أثر سكان البلاد تأثيراً كبيراً فى اليهود فى مختلف أدوار إقامتهم فى فلسطين — قبل الميلاد — سياسياً واجتماعياً ودينياً كما يعترف تاريخ اليهود نفسه (٢) .

(١) « فى تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات وتصف كلام بنبيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل باللسان شعب وشعب » نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٦ .

(٢) « تقدم إلى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والسكينة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من السكتانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والنوآبيين والمصريين والأموريين . لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنبيهم واختلط الزرع المقدس شعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاية فى هذه الحيانة أولاً » عزرا ٩ : ٢٤١ .

وقد غادر اليهود فلسطين منذ ألفي سنة دون أن يتركوا فيها آثاراً ذات بال دينية أو عمرانية ، ثم أخذ العرب يقطنون أنحاء كثيرة منها ممتدين من بادية الشام والبلقاء وبلاد الفسافسة وتدمر والأنباط « البتراء » ثم كان الفتح العربي الإسلامي الأكبر في أوائل القرن السابع الميلادي وتوالت بعده الموجات العربية ، وامتزج السكان الأصليون بهم وصارت العروبة هي الطابع الوحيد لهذه البلاد .

والعرب ليسوا هم الذين طردوا اليهود من فلسطين وحلوا محلهم وامتلكوها منهم ، وإنما امتلكوها من البيزنطيين الذين أقروا الفتح بما عقده مع خلفاء العرب بعد ذلك من معاهدات وصلات سياسية وتجارية ، ولم يكن لليهود حين الفتح العربي أى كيان عدا عدد قليل منتشر في غير مدينة القدس ، التي اشترط بطريك النصارى لتسليمها للخليفة عمر بن الخطاب عدم السماح لليهود بسكنائها ، وظل الأمر كذلك طيلة الحكم العربي الإسلامي بحيث لم يسجل التاريخ فيه — ومدته أكثر من ثلاثة عشر قرناً — وجود أكثر من بضعة آلاف من اليهود كانوا مندمجين في الدولة ومتمتعين بحمايتها وتسامحها ، وهكذا انقطعت صلة اليهود بفلسطين كشعب انقطاعاً تاماً منذ هذه القرون العديدة الضاربة في أعماق التاريخ وقبل الفتح العربي .

ويتضح من هذا وهن دعوى اليهود بأن فلسطين وطنهم وبأن من حقهم العودة إليها والاستيلاء عليها ، فضلاً عن أن هذه الدعوى لا يمكن أن تستقيم أمام أى منطق بصورة عامة حتى ولو كانت الصلة التي تصل شعبا ببلاد غادرها أشد قرباً ولحمة ؛ لأن هذا يعنى انهيار نظام المجتمع الدولي انهياراً مستمراً لما طرأ أو يطرأ من تحولات وتطورات دائمة ونتيجة لأسباب متنوعة .

ومها يكن من أمر فإن عروبة فلسطين أصح وأصدق وأقدم لأنها

امتداد لسكانها الأصليين الكنعانيين واليبوسيين ، فضلا عن أن اليهودية ليس لها خصائص شعب أو قوم أو عنصر ، وأنها ليست أكثر من نخلة دينية يصطبغ أتباعها بصبغة البلاد التي هم فيها قوميا وسياسيا واجتماعيا ولغويا ودما أيضا .

ثالثا : ما لا شك فيه أن وعد بلفور لا يتفق مع المبادئ التي نادى بها الرئيس الأمريكي ولسن .

ومن أهم مبادئ الرئيس ولسن ما يلي :

١ - حق كل دولة في اختيار الحكم الذي يلائمها .

٢ - حق الشعب أن يختار بنفسه وبجارية نظام الحكم الذي يريده ويرتضيه .

٣ - حق كل أمة أن تختار الطريق الذي تريده دون أى تأثير من دولة أخرى . ولقد أكد ولسن آراءه أكثر من مرة ، وكان مما جاء في خطاب ألقاه يوم ٤ يوليو سنة ١٩١٨ : « إننا لا نريد إلا سيادة الحق القائم على رضا الحكومين أنفسهم » . ولقد كان العرب محكومين من العثمانيين ، وكان ما يرضى العرب هو استقلالهم . وقد أعلنوا ذلك أكثر من مرة ، أعلنوه حين عقدوا مؤتمراً لهم في دمشق سنة ١٩٢٠ وأعلنوا فيه استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ، ورفضوا أن يأخذ الصهاينة أى شبر منها ، كما رفضوا بقاء الجيوش الإنجليزية أو الفرنسية في الأراضي العربية ، ولم يوافقوا على الانتداب الإنجليزي أو الفرنسي على الدول العربية وهم بكل تأكيد وباجماع لم يرضوا عما جاء في رسالة بلفور ، إذ لا يتفق ما جاء بها مع حق تقرير المصير الذي أعلنه ولسن !!

رابعاً : مساعي الصهيونية العالمية لمولد وعد بلفور :

يوضح المستر لويد جورج Lloyd George الظروف والملايسات التي خرج فيها التصريح إلى الوجود ، فيقول في سياق شهادته التي أدلى بها أمام اللجنة الملكية لفلسطين — وكان لويد جورج رئيساً للوزارة البريطانية : « كان إعلان تصريح بلفور أمراً اقتضته موجبات الدعاية ». ويشرح الموقف الذي كان يحيق بدول الحلفاء فيقول : « كانت معنويات الجيش الروسي قد أخذت في الانحلال ، ولم يكن في وسع الجيش الفرنسي آتئذ أن يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الإيطاليون قد فشلوا فشلاً مروعاً في موقعة كابوريتو ، كما أن الغواصات الألمانية كانت قد أغرقت ما تباعج حولته ملايين الأطنان من السفن البريطانية ، ولم تسكن الفرق الأمريكية قد وصات بعد إلى الخفادق . وفي تلك الحالة الحرجة ساد الاعتقاد بأن اكتساب عطف اليهود أو مناوأتهم قد يكون له أثره الفعال في توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء أو ضدهم ، ثم إن عطف اليهود من شأنه على الأخص أن يضمن معاضدة اليهود في أمريكا ويجعل من الصعب على ألمانيا تخفيض قواها العسكرية وتحسين وضعها الاقتصادي في الميدان الشرقي » .

وأضاف لويد جورج : « إن الزعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً مآله أنه إذا أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين فإنهم — أي الزعماء — سيعملون كل ما في وسعهم لإيقاظ عاطفة اليهود في كافة أنحاء العالم وتأييدهم لمعاوضة قضية الحلفاء ... وقد بروا بوعدهم هذا ... » . ويؤيد لويد جورج في وجهة نظره البروفسور الدكتور أرنولد توينبي^(١) ، فقد علل صدور وعد بلفور بقوله^(٢) : « عامل سياسي آخر أظهرته

(١) هو المؤرخ البريطاني المشهور وأستاذ الدراسات الدولية في جامعة لندن ومدير المعهد العلمي الملكي البريطاني للأبحاث الدولية .

(٢) دراسة في التاريخ A Study of History

الحرب العالمية الأولى في الميدان هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فإن كسب التأييد اليهودي — بل — وأكثر من ذلك تجنب العداوة اليهودية كان أمراً على جانب عظيم من الأهمية للفريقين ؟ ومع أن تبحر اليهود النفسى في منقاهم في الغرب كان قد قطع شوطاً بعيداً في تقدير أصوات اليهود ومنحها وزناً هاماً بل وربما حاسماً في ميزان القوة الدولى المضطرب ، لقد أصبح اليهود الآن قوة يحسب حسابها في الحياة السياسية القومية لدى دول وسط أوروبا وغربها على السواء ، وفي الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى أوسع كثيراً ، وقد بلغ نفوذ يهود أمريكا مداه في أعين المحاربين في أوروبا الذين بدأوا يتحققون أن السكامة الأخيرة في النزاع تنطق بها أمريكا ، وأن هذه السكامة الأمريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بأراء المواطنين من يهود أمريكا .

ثم يصف السباق بين الطرفين المتحاربين وينتهى إلى القول بأن التصريح كان الورقة الراجحة في أيدي البريطانيين وحلفائهم .

لقد صدر التصريح نتيجة لجهود طويلة بذلها عدد كبير من زعماء اليهود ، ويأتى في مقدمة هؤلاء اثنان كان لهما دور خطير أدى إلى إصدار التصريح ثم إلى تحقيق الأمل الكبير لليهود . . والاثنان هما :

١ — هربرت صموئيل الذى عين أول مندوب سام في فلسطين .

٢ — حايم وايزمن .

فالأول أصدر كتابه المسمى « ذكرى Memoir » وكتب فيه فصلاً كاملاً تحت عنوان « مسألة فلسطين ١٩١٤ — ١٩٢٠ » .

والثانى أصدر كتابه المسمى « تجربة وخطأ Trial and Error » وتحدث فيه عن جهوده من أجل تحقيق إقامة الدولة اليهودية .

ومن معالم ما ذكره الأول « هربرت صموئيل » :

١ — « كانت الصهيونية تعمل على نشر الفكرة وإنجاح البداية العملية لعودة اليهود إلى فلسطين » .

٢ — « اتصلت بالدكتور وايزمن الذي أصبح أحد زعماء المنظمة الصهيونية البارزين وحصلت منه على مطبوعاته وقرأتها بعناية ، وكما ازدادت قراءتها ازدادت تأثراً بنفوذها الروحي الذي أنعش بجلاء الحركة الصهيونية » .

٣ — « تحدثت مع مستر إدوارد جرای في ٩ نوفمبر حول مستقبل فلسطين ، وقد ذكرت خلال الحديث أن موضوع مستقبل السيطرة على فلسطين قد يثار ، وأن اختلافات الدول الأوروبية الكبرى قد تجعل من الصعب تخصيص فلسطين لواحدة منها . ولعل الفرصة سنحت لتنفيذ آماني الشعب اليهودي القديمة وإعادة إنشاء دولة يهودية فيها . . إن تأسيس الدولة سيكون له تأثير على الملايين من الشعب اليهودي المشتتين في عديد من بلاد العالم . . وإن النفوذ الإنجليزي يجب عليه أن يقوم بدور هام في تأسيس مثل هذه الدولة لأن وضع فلسطين الجغرافي وقربها من مصر يجعل صداقتها لإنجلترا أمراً له أهميته للإمبراطورية البريطانية » .

٤ — « إن ضم فلسطين إلى الإمبراطورية البريطانية مع تشجيع الاستعمار اليهودي والتقدم الثقافي عملياً هو أحسن حل » .

ويقول الدكتور حايم وايزمن :

١ — « لولا المشورة التي كان يقدمها لنا رجال مثل سير سايكس Sykes ولورد روبرت سيسل في وقت لم تكن لنا فيه خبرة في المفاوضات الدبلوماسية الدقيقة لارتكبنا دون شك أخطاء كثيرة .. لقد كان السير «رونالد جراهام» راغباً في أن يرى شيئاً يعمل للشعب اليهودي . . أما «ليوبولد أمرى» فهو

الذى أكد أهمية فلسطين اليهودية في تنسيق شئون بريطانيا الاستعمارية . . . ولا أستطيع أن أفى خدمات سايكس حقها من القول فهو الذى أرشدنا في علمنا إلى مداخل ومخارج أبعد مدى في صبغتها الرسمية .

٢ — « في ربيع سنة ١٩١٦ زرت الصهيونى « تانشيستر » ثم ذهبت إلى لندن وتحدثت إلى رئيس الاتحاد الصهيونى الإنجليزى وقررنا أن ننشر كتابا صغيراً عن الصهيونية ، وكانت العقبة التى تقف في سبيل نشره هى المال . وقد أعطانا البارون إدموند المال « ٢٥٠ جنيهاً استرلينياً » فعهدنا بإخراج الكتاب إلى « ليون سيمون » ، وظهر الكتاب باسم « الصهيونية والمستقبل اليهودى » وكتبت أنا مقدمته ، ومما يدعو إلى الاستغراب أنه نفذ بسرعة . وكان علينا أن نعيد طبعه ، ولم يشتر الكتاب اليهود فحسب ، فقد كان الاهتمام عظيماً بالموضوع ، وخاصة بعد التقرير الذى وضعه اللورد كرومر في صحيفة اسبكتاتور « Spectator »

٣ — « تألفت أول لجنة لنا سنة ١٩١٦ في يناير « كانون الثانى » وعملت اللجنة بالتشاور التام مع روتشيلد ، وهربرت صموئيل ، ثم تأسست اللجنة الفلسطينية الإنجليزية التى قامت بدور هام في إيجاد رأى عام يعطف علينا » .

٤ — « إن الصهيونية كانت تم بسرعة من طور الدعاية الأولية والبحث النظرى إلى الحقائق العملية ، ومنذ سنة ١٩١٦ كان الموضوع بين أخذ ورد في حكومات أوروبا . وقد أعطى مستر « إدوارد جراى » تعليماته إلى سفير بريطانيا في روسيا لجلس النبض « نبض الحكومة الروسية » في مسألة الاستعمار اليهودى في فلسطين ، وحوالى شهر يناير سنة ١٩١٧ قدمت مذكرة للسير « ماركس سايكس » أعدتها لجنفتنا ، وعقدت معه عدة مؤتمرات ،

وسميت المذكورة « خلاصة برنامج لإعادة الاستعمار اليهودي لفلسطين يتفق وأمانى الحركة الصهيونية » .

٤ - « في شهر يناير ذهبت بصحبة سير رونالد ولورد روتشيلد لمقابلة بلفور ، وعرضنا عليه بوصفه وزيراً للخارجية أن الوقت قد حان لكي تصدر الحكومة تصريحاً نهائياً بالتأييد والتشجيع ، وقد وعد بلفور أن يفعل هذا ، وطلب إلى أن أقدم له تصريحاً نرضى عنه وسيحاول هو أن يقدمه لوزارة الحرب .

« وقد وضع سو كولوفا مسودة المشروع وقدمت إلى بلفور في ١٨/٧/١٩١٧ وفي ٢ نوفمبر ١٩١٧ وبعد إجراء مباحثات نهائية في وزارة الحرب أصدر بلفور كتابه الشهير ، وبينما كانت الوزارة مجتمعة لتصادق على النص النهائي كنت وقتئذ أنتظر خارج مكاتبها فحضر إلى سايكس قائلاً : « إنه غلام يادكتور وايزمن » .

أما مشتملات المذكورة التي قدمها وايزمن إلى سير سايكس فتحتوى على خمس مواد من أهم ما جاء فيها :

- ١ - يجب الاعتراف رسمياً بإسكان اليهود في فلسطين كأمة يهودية .
- ٢ - يجب أن يمنح يهود فلسطين كل تسهيل للحصول على الجنسية وشراء الأرض .
- ٣ - يجب أن تشكل شركة يهودية لاستعمار فلسطين تكون مهمتها :
 - (أ) تغذية الاستعمار اليهودي بكل وسيلة ممكنة .
 - (ب) تشجيع الهجرة وتنظيمها .
 - (ج) النهوض بفلسطين زراعياً وثقافياً وصناعياً وتجارياً .

(د) تسهيل حيازة أراضي الحكومة وحق بناء الطرق والسكك الحديدية والموانئ .

٤ - يجب أن يمنح يهود البلدان الأخرى كامل الحق في الهجرة إلى فلسطين .

٥ - يجب إبداء الرأي عند تعيين حاكم وهيئة موظفين لإدارة فلسطين .

* * *

كما سبق أن أعلن الزعيم الصهيوني « إسرائيل زانجيل »^(١) بعد مؤتمر بال لعام ١٨٩٧ بمدة قصيرة ادعاه « بأن فلسطين وطن بلا شعب ، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن ، وأن من واجب اليهود في المستقبل أن يضيّقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم إلى الخروج منها » .

١٠ - تحقيق الاهداف الصهيونية نتيجة تصريح بلنور :

كان التصريح نقطة تحول هامة في تاريخ الحركة الصهيونية ، وذلك لأنه جعل اليهود يشعرون بسهولة بتحقيق فكرة الوطن القومي ، كما أنه أزال الخلاف في وجهات النظر حول مكان الدولة اليهودية للمنتظرة .

ولقد أخذت المجهودات الصهيونية طابعا عمليا لإقامة الدولة في فلسطين

One of their leaders; Israel Zangwill, stated "Palistine (١) is a country without people . It must be given to people without country .

"It is up to the Zionists , henceforth to make life a burden on Arabs of Palestine and thus compel them to go away " .

وبهذا الأسلوب وغيره استطاعوا أن يصوروا فلسطين لكثير من الشعوب في إنجلترا وأمريكا وغيرها منذ السنين الأولى التي أعقبت الاحتلال البريطاني بل وقبله بكونها بلادا شبه خالية إلا من قبائل بدوية بدائية .

عقب هذا التصريح ، وساعدت بريطانيا اليهود ومهدت أمامهم الطريق وأمدتهم بكل المعاونات والتسهيلات لكي يحققوا أطمعهم المنشود وهدفهم الكبير .

وبالرغم من التبريرات المتعددة التي قيلت عقب صدور التصريح فإن التصريح يعتبر طعنة وجهتها بريطانيا إلى الوطن العربي الذي كان يأمل في الحصول على استقلاله كاملاً عقب انتصار الحلفاء في الحرب بمؤازرة العرب .

ونسجل تقريراً للورد اللنبي لوزير الحربية يقول فيه : « لا أملك نفسي عن توجيه عاطر الثناء إلى سمو الأمير فيصل على إخلاصه القلبي وماقدمه الجيش العربي من مساعدة كبيرة للحلفاء في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب » .

كان زعماء العرب لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة ومن ثم استطاع خبراء السياسة الإنجليزية أن يعبثوا بهم فأضلّوهم وأعطوهم الوعود ومنوهم بالأمال، وعندما أصبح الموقف في أيديهم غدروا بهم وسلبوهم حياتهم ، بل سلبوهم ما هو أعلى من حياتهم، سلبوهم أرض فلسطين، وسلبوهم استقلال الوطن العربي بأسره ووقفوا حائلاً بين الأمة العربية ونهضتها حتى تظل ضعيفة هزيلة خاضعة للسيطرة المفروضة عليها مقيدة بالسلاسل لا تستطيع الانطلاق ولا السير .

ثانياً — دراسات تحليلية للانتداب

١ — الانتداب البريطاني على فلسطين :

في ١٨ يونيو ١٩١٩ تم التوقيع في مؤتمر فرساي على ميثاق عصبة الأمم الذي ينص في المادة الثانية منه على ما عُرف بصك الانتداب الذي قام بصياغته ووضع نصوصه ومواده « بنيامين كوهين » اليهودي الأمريكي بمعاونة « كيرزون » سكرتير وزير الخارجية البريطاني . وجاء في مقدمة هذا الصك : « إن دول الحلفاء قد وافقت على وعد بلفور وعلى أن تكون الدولة المنتدبة

مسئولة عن تنفيذه ، اعترافا بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين . وفي ٢٠ من إبريل عام ١٩٢٠ أقر مؤتمر سان ريمو (١) San Remo وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني على أن تلتزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور ، وكان انتداب بريطانيا بناء على رغبة الصهيونيين . وأذاع ملك بريطانيا رسالة إلى شعب فلسطين في ٧ يوليو ١٩٢٠ جاء في مقدمتها : « إن الدول المختلفة التي نالت الفوز الباهر في هذه الحرب قد أودعت بلادى أمر الانتداب على فلسطين لكي تسهر على صوالحها وتكفل لبلادكم العمران السلمى الذى طالما كنتم تشددونه » ، وجاء فيها : « ولا يخفى عليكم أن الدول المتحالفة والمشاركة قد قررت أن تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومى لليهود في فلسطين بالتدريج ، وهذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الأهالى الدينية والمدنية ولن تنقص من الرقى لعموم طبقات الشعب الفلسطينى » . وعند عقد معاهدة سيفر Sevres فى ١٠/٨/١٩٢٠ أدخل وعد بلفور ضمن نصوص المعاهدة وعرض على تركيا لقبلة ، ولو أن حكومة الثورة فى تركيا رفضت الاعتراف بهذه المعاهدة بعد قيام الثورة وبعد توقيع معاهدة لوزان .

٢ - الانتفاضة العربية ضد خدعة بريطانيا :

ووقفت الأمة العربية كلها مع أحرار شعب فلسطين ، وتكونت لجان الدفاع عن فلسطين ، وانضم إلى الثوار أعداد ضخمة من

(١) عقدت « اتفاقية » سايكس - بيكو « سرا بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩١٦ وكانت تنص على أن :

(أ) تستولى فرنسا على سوريا وجنوب الأناضول والموصل .

(ب) تستولى إنجلترا على المناطق الواقعة من الخليج العربى إلى العريش تشمل : العراق ، وشرق الأردن ، وفلسطين .

(ج) تقام فى الأماكن المقدسة بفلسطين إدارة دولية خاصة .

(د) تستولى روسيا على القسطنطينية والمناطق المحيطة بالبوسفور .

العرب خارج حدود فلسطين . ولما فشلت السلطات في إيقاف الثورة طالب
عشرون نائباً بريطانيا بوجود المدول عن التجزئة والاستجابة الفورية
لطلبات العرب ، وعقد حزب الأغودات اليهودى مؤتمرا في لندن دعا فيه إلى
رفض إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وضرورة الاتفاق مع العرب . واجتمع
عدد من اليهود غير الصهيونيين في واشنطن ووصفوا التقسيم بأنه حل غير
عادل ، وصرحوا بأن فكرة الدولة اليهودية غير عملية ويجب العدول عنها .

وإزاء هذه المواقف كلها خضعت الحكومة البريطانية واستسلمت
وأصدرت في ٩ / ١١ / ١٩٣٩ بيانا أعلنت فيه عدولها عن التقسيم في ضوء
تقرير لجنة « وود هيد » الذى جاء فيه : « إن إعلان سياسة التقسيم قد حول
الاضطرابات في فلسطين إلى ثورة قومية مسلحة ساهم فيها العرب المقيمون في
بعض الأقطار العربية . . إن اقتراح تقسيم البلاد انقلاب خطير لا يجوز أن
يجريه الأوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذى هو ليس بالساذج المقتدر
إلى الوصى ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار سليم بهذا الشأن » .

ويهمنا في هذا المجال أن نشير إلى ما جاء عن فلسطين في تقرير اللجنة
الأمريكية التى أطلق عليها لجنة « كنج كرين » King-Craner : « لا ينبغي
لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية في فلسطين وسوريا بالغ
أشده ، وليس من السهل الاستخفاف به فإن جميع الموظفين الإنجليز الذين
حدثهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيونى لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة
المسلحة ، ويجب ألا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندى ، وهذا في ذاته برهان
واضح على ما فى البرنامج الصهيونى من الإجحاف بحقوق غير اليهود . لا بد
من الجيوش فى بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ولكن ليس من المعقول أن
تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة ، هذا فضلا عن أن مطالب الصهيونيين

الأساسية في حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوا منذ ألفي سنة وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام . . . وهناك أمر لا يجوز إغفاله إذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين هي الأرض المقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، يهم أمرها ملايين من المسيحيين والمسلمين في العالم ولا سيما ما يتعلق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق . فمسألة فلسطين وما يتفرع منها مسألة دقيقة حرجة ، ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصدهم .

« والسبب في ذلك هو أن الأماكن التي يقدسها المسلمون غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة ، ولا يستطيع المسيحيون والمسلمون في هذه الأحوال وضع تلك الأماكن تحت إشراف اليهود .

« ثم هناك أما كن أخرى لها في نفوس المسلمين مثل هذا الشعور ، ولما كانت هذه الأماكن مقدسة ومحترمة من المسلمين كانت وصاياهم عليها فيما مضى أمراً طبيعياً . فالذين يظلمون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حساسها ولا للشعور العدائي ضد الصهيونية في فلسطين وفي جميع أنحاء العالم التي تعتبر فلسطين أرضاً مقدسة .

« وبناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود أن الواجب يقضى عليها بأن تشير على المؤتمر بالألا يؤيد غير برنامج صهيوني معتدل يجب العمل فيه بالتدريج ، وبعبارة أخرى يجب تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والعدول بتاتا عن الخطة التي ترمى إلى جعل فلسطين دولة يهودية . »

هذا هو ماجاء في تقرير اللجنة التي بعث بها الرئيس ولسن بقصد « جمع المعلومات وإسداء النصح لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية وممثليها لكي يتمكنوا من الاطلاع اطلاقاً كافياً على القضايا التي يطلب البت فيها » .

ولكن مع الأسف^(١) لم يحدث هذا التقرير أقل تأثير في مجرى الحوادث حتى أن الرئيس ولسن نفسه والساسة الأمريكيين لم يأبهوا لما جاء فيه بل أخذوا برأى لجنة الشرق الأدنى في دائرة الاستخبارات الأمريكية^(٢) الذي رأى دعوة اليهود إلى فلسطين والاعتراف بها كدولة حاملة تشكل هذه الدولة .

٣ - المؤامرة الامبريالية الصهيونية في سطور :

- ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ وعد بلفور ، وموافقة الرئيس ولسن عليه .
- ١٤ فبراير عام ١٩١٨ موافقة فرنسا على وعد بلفور .
- ٩ مايو عام ١٩١٨ موافقة إيطاليا على وعد بلفور .
- ١٨ يونيو عام ١٩١٩ ميثاق عصبة الأمم ، والموافقة على وعد بلفور .
- ٢٠ أبريل عام ١٩٢٠ معاهدة سان ريمو ووضع فلسطين تحت الانتداب .

- ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ معاهدة سيفر وإدماج وعد بلفور بها .
- ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ موافقة عصبة الأمم على صك الانتداب .
- ٣ ديسمبر عام ١٩٢٤ موافقة أمريكا على صك الانتداب .

(١) قضية فلسطين — الدكتور نجيب صدقة — طبعة بيروت عام ١٩٤٦ .

(٢) Intelligence Section .

٤ — نضال الأحرار العرب كرد فعل للمؤامرة الأمبريالية الصهيونية :

١ — ٨ مارس عام ١٩٢٠ مؤتمر دمشق — تأكيد قرارات مؤتمر

بلودان للجنة كنج كرين سنة ١٩١٩

٢ — ٧ يوليو عام ١٩٣٧ مؤتمر بلودان — مواجهة لجنة « بيل »

بمطالب عربية .

٣ — ٨ سبتمبر عام ١٩٣٧ مؤتمر بلودان — إعلان قرارات المؤتمر

كاحتجاج على معاهدة سان ريمو .

٥ — الأحداث تصير في صالح الصهيونية العالمية :

قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ فتجمد نشاط العرب بينما ازداد

نشاط اليهود الذين استغلوا نفوذهم الكبير في بريطانيا وأمريكا ، ودفعوا

بالمسؤولين إلى تحقيق تهويد فلسطين .

ودخلت أمريكا ميدان المشكلة تحت تأثير النفوذ اليهودي الذي نجح في

إثارة الاهتمام بالقضية ، فصدر في مايو عام ١٩٤٣ بيان أمريكي يعلن موافقة

أمريكا على قيام دولة يهودية في فلسطين ، ورفضها للكتاب الأبيض الذي

صدر عام ١٩٣٩ ، وتصميمها على إطلاق الهجرة اليهودية بدون حدود ، وعلى

إنشاء جيش يهودي .

إن هذا البيان يعرف باسم « قرار بلتيمور » .

وفي ٣١ من أغسطس عام ١٩٤٥ بعث الرئيس ترومان رسالة إلى الوزير

البريطاني أتلي يؤيد فيها فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لليهود النازحين من

ألمانيا والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي .

وفي ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ طلب الوزير البريطاني بيغن إشراك الولايات

المتحدة في حل قضية فلسطين ، فشككت لجنة من الدولتين لدراسة القضية

وقررت هذه اللجنة السماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي في الحلال .

وغضب العرب لهذا القرار وعقدوا مؤتمرا في بلودان في ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ ، وطالبوا بالدخول في مفاوضات مع بريطانيا لإنهاء الوضع القائم على أساس ميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب في البلاد . وتحدد يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ موعداً لعقد مؤتمر لندن . . وقرر وزراء الخارجية العرب عدم الاجتماع مع مندوب إسرائيل على مائدة واحدة وعدم قبول أى مشروع يهدف إلى التقسيم وعدم قبول تدخل الولايات المتحدة .

وبالنسبة لأهمية المذكرة التي بعثت بها الحكومات العربية بناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٦ فإننا نلخص فيما يلي ما جاء بهذه المذكرة :

١ - لا مبرر على الإطلاق لتشكيل لجنة إنجليزية أمريكية لدرس قضية فلسطين وخاصة أن القضية درست دراسة وافية من قبل لجان متعددة .

٢ - الحكومات العربية ترى أن بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين هي المسئولة عما يقع من إهدار لحقوق العرب «عرب فلسطين» السياسية والمدنية ، وأنه ليس هناك مسوغ قانوني يبيح تدخل أمريكا للتأثير على الوضع القائم في فلسطين .

٣ - الانتداب على فلسطين باطل من أساسه ، فإن تصريح بلفور الذي تضمنه صك الانتداب وما نجم عنه من حرمان عرب فلسطين من التمتع بحقوقهم السياسية والمدنية جاء مناقضا للفقرة ٤ من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

٤ - إن الحكومة البريطانية قد فسرت معنى الوطن القومي في مناسبات مختلفة أهمها الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ والرجوع عن هذا التفسير يعتبر تحديا لحقوق العرب المشروعة .

٥ - واجب على الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة فوراً وأن تقصى كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ، وإلى أن يتم هذا فلا يجوز أن يتمتعوا بالحقوق السياسية التي للراعايا الفلسطينيين .

عقد مؤتمر لندن في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ واستمر حتى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٦ وقدمت بريطانيا مشروع موريسون الذي يرى إنشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت إشراف بريطانيا ، ورفض المندوبون العرب هذا المشروع ، وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة وتكوين حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامي تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ووقف الهجرة ، واحترام الأماكن المقدسة ، وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا . ورفضت بريطانيا المشروع العربي وأصررت على قبول مشروع موريسون ، ثم عادت وقدمت مشروع ييفن الذي يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها إلى أقسام إدارية تتمتع بالحكم الذاتي ، ورفض العرب هذا المشروع .

ولم يعد هناك مفر من عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة !!

* * *

هذه قصة الانتداب الإنجليزي على فلسطين ، والآن لنناقش معاً مشروعية هذا الانتداب وقانونيته .

وفند مشروعية الانتداب الأستاذ فتحي عبد المعطي (١) فيقول :

١ - إن قرار الانتداب هذا لم يكن وفقاً لرغبات الشعب العربي ، وهذا يتنافى مع مبادئ عصبة الأمم المتحدة من ناحية . . كما يتعارض مع المبادئ التي أعلنها ولسن . فقد جاء في الفقرة الثانية من المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم المتحدة ما يأتي : « إن بعض الشعوب التي كانت خاضعة

للإمبراطورية التركية . . وصلت إلى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول النصح والإرشاد والمساعدة من قبل الدولة المنتدبة عليها ، حتى ذلك الوقت الذى تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها بتبعات الحكم ، ويجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول فى اختيار الدولة المنتدبة عليها .

ومن ناحية أخرى . . فإن الرئيس الأمريكى ولسن أعلن فى خطاب له فى ٤ يوليو سنة ١٩١٩ : « ان حل كل مسألة تتعلق بالأرض أو المسائل الاقتصادية والسياسية . . يجب أن ينبى على قبول الناس الذين تتعلق بهم قبولاً حراً على المصالح المادية ، وليس لفائدة أية دولة أخرى ترغب فى حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها . »

وعلى ذلك . . . فقد كان من المفروض أن يؤخذ رأى العرب فى المصير الذى يرتضونه لأنفسهم ولأرضهم . . خصوصاً بعد أن زالت عنهم السيادة التركية . . ولكن . . هل حدث ذلك ؟

الحقيقة أن العرب فوجئوا بقرار التقسيم ، وحينما جاءت لجنة كنج كرين لتأخذ رأيهم — رغم معارضة إنجلترا وفرنسا — أبدى العرب رأيهم بصراحة ، وأعلنوا أنهم يرفضون كل صورة من صور السيطرة ، ويطالبون بالاستقلال التام ، وأكدوا ذلك مرة أخرى فى القرارات التى أجمع عليها مؤتمر دمشق فى ٨ مارس « آذار » سنة ١٩٢٠ .

وكان من المفروض أن يوضع رأى العرب موضع التنفيذ . . ولكن الذى حدث هو عكس ذلك . . استمرت إنجلترا فى تنفيذ خطة انتدابها .

معنى ذلك أن الانتداب مبنى على غير الأسس التى فرضت له ، وحكم

ما بنى على غير أساس . . الهدم والبطلان ، وما بنى على قرارات تخالف عهد
عصبة الأمم . . لا يعتبر ملزم النفاذ .

٢ - إن هذا الانتداب لم يأخذ صفته الرسمية من أول الأمر ، بمعنى أن
صكوك الانتداب لم تقم عصبة الأمم بوضعها ، ولكن جماعة من الصهاينة
هم الذين وضعوها ، وكان ذلك برئاسة القاضى الأمريكى الصهيونى فيليكس
فرانكفورتر ، مع أن هذا مخالف لميثاق عصبة الأمم المتحدة ، وما نصت عليه
الفقرة الثامنة من المادة ٢٢ ، وهذا الرضع لا يعطى لنصوص الانتداب
الصفة الرسمية .

قد يقول الصهاينة : إن العصبة وافقت عليه فى يوليو سنة ١٩٢٢
لكننا نرد عليهم لنقول لهم : إن هذا لم يحدث فى أول الأمر كما كان مفروضاً ،
وإن عصبة الأمم فى الحقيقة لم توافق على بنود الانتداب لأنها كانت مقتنعة
بها أو بمحض إرادتها ، وإنما مجرد أنها وجدت نفسها أمام الأمر الواقع ،
فكان ذلك تحصيل حاصل . . ومن الثابت كذلك أن كثيراً من الدول
عارضت هذا الانتداب ، وأن الولايات المتحدة نفسها لم تعترف بهذا الانتداب
إلا بعد إقرار عصبة الأمم المتحدة له بمدة طويلة . حدث ذلك حين تدخل
اليهود لدى الكونجرس الأمريكى للوفاق على الانتداب .

وقد ثبت أيضاً أن عصبة الأمم المتحدة حين عرضت عليها صكوك
الانتداب . . . لم يحاول أعضاؤها مناقشة هذه الصكوك بصورة جدية ، وهذا
ما يؤكد عدم اعتبارها صكوكاً رسمية ملزمة التنفيذ ، وبالتالي فنحن لا نعترف
بهذا الانتداب . حتى ولو كان قد حدث فعلاً . . فإننا نعتبره باطلاً وما بنى
على الباطل . . فهو باطل .

وحقيقة أخرى . . هي أن الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة اعترض على قرار مجلس الحلفاء بالانتداب ، وأنه ذات يوم قدم مذكرة بذلك إلى العصبة يستنكر فيها هذا التصرف ، وكان ذلك في أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ ، كما أن كثيراً من الدول مثل بلجيكا وأمريكا أعلنت ذات يوم أن ما اتخذه مجلس الحلفاء في اجتماعه لتوزيع الانتداب لا يتفق مع عهد عصبة الأمم المتحدة ، وهذه مخالفة صريحة لمبادئ الهيئة العالمية . فهل يبقى بعد ذلك شك في عدم شرعية الانتداب !!؟

هذا عن وضع الانتداب من الناحية القانونية . . ولكن هناك نقطة أخرى وهي : هل هذا الانتداب بالصورة التي تم بها والتي نص عليها يعتبر عادلاً !!؟

الحقيقة . . لا . . ونستطيع أن ندرك هذا إذا تتبعنا نصوص الانتداب والتي نورد هنا بعضاً منها :

١ - في المادة الثانية : « تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن اليهودي . . وترقية الحكم الذاتي ، وتكون مسؤولة أيضاً عن صيانة الحقوق الدينية والمدنية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين » .

٢ - وجاء في المادة الرابعة : « يعترف بوكالة يهودية كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين ، والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي تؤثر في إنشاء الوطن اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً لمراقبة الإدارة ، ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ، وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ التدابير بعد استشارة حكومة إنجلترا

للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبتغون المساعدة في إنشاء الوطن القومي لليهود .

٣ - والمادة الخامسة تنص على أن « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن عدم النزول عن أى جزء من أرض فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية ، وعدم تأجيرها أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة » .

٤ - وفي المادة السادسة : « على إدارة فلسطين مع عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى أن تسهل هجرة اليهود ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية . . حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي البور غير المطلوبة للأغراض العمومية » .

٥ - وتنص المادة السابعة على أن « تتولى إدارة فلسطين مسئولية سن قانون الجنسية ، ويجب أن يشمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً لهم دائماً » .

٦ - وجاء في المادة الحادية عشرة : « تتخذ إدارة فلسطين كل ما يلزم من تدابير تصون مصلحة الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ، ويكون لها السلطة التامة في وضع ما يلزم من الأحكام لتملك أى مورد من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية التي في البلاد أو التي ستؤسس فيما بعد ، والسيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها » .

٧ - أما المادة الثانية والعشرون فتعني على أن « تكون الإنجليزية والعربية والعبرية هي اللغات الرسمية لفلسطين ، وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل في فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية ، وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية » .

وإذا أمعنا النظر في هذه الصكوك أدركنا مدى المؤامرة التي قام بها واضعو الانتداب ، وكيف أنهم قصدوا مصالحة اليهود دون مصالحة العرب .. بل بالعكس .. حاولوا أن يضيعوا حقوق العرب .

ويمكن أن ندلل على ذلك بما يأتي :

١ — كل بنود الانتداب تشير إلى تحقيق المصالح اليهودية الصهيونية مثل : إقامة وطن لليهود ، والاعتراف بوكالة يهودية ، وتشجيع الهجرة اليهودية ، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية مثل العربية ، وغير ذلك من المكاسب التي تضمنها صك الانتداب وكلها من الأمور التي ترضى آمال اليهود وتمكنهم من السيطرة على فلسطين . وهذا يتنافى مع الغرض الذي قام من أجله الانتداب .

فقد حددت المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم وظيفة الدولة المنتدبة حيث نصت هذه المادة على أن الدولة المنتدبة مسئولة عن بذل المساعدة والإرشاد للدولة الخاضعة للانتداب حتى تصبح الأخيرة قادرة على النهوض وحدها بمسئوليات حكمها . فهل يعتقد العاقلون أن تلك الأسس التي رسمتها صكوك الانتداب تتفق مع ما نصت عليه المادة ٢٢ ؟

ولعل النتائج التي وضحت آثارها بعد ذلك تبين ما انطوت عليه صكوك الانتداب من أضرار ومشاكل . لقد ترتب على ذلك صراع طويل بين العرب واليهود ، وما صاحب ذلك من حروب ، وتلك الاعتداءات المتكررة على العرب ، وما يسود دول الشرق الأوسط الآن من علاقات سيئة قد تؤدي إلى حرب عالمية .

لقد كان الأجدر بمن وضعوا قوانين الانتداب أن يراعوا العدالة والحق ولكنهم لم يفعلوا .

٢ — الانتداب يحمل بين طيات نصوصه عناصر بطلانه ، فنصوصه مليئة بالتناقضات . . فقد جاء في ديباجة الصك ما يؤكد الاعتراف بالعلاقة التاريخية والدينية بين الشعب اليهودي وفلسطين ، والأسباب التي تبعت على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد .

وورد أيضاً في كثير من نصوص الانتداب ما يؤكد ذلك ، « كما جاء في المادة الثانية » ، ومع ذلك وجدنا أن نصوص الانتداب تقرر « كما جاء في المادة الخامسة » عدم التنازل عن أى جزء من أراضي فلسطين ، وكما جاء في المادة السادسة التي نصت على عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع ثقات الأهالي غير اليهود أى المسلمين والمسيحيين . . فكيف يتأتى ذلك ؟ كيف تنفذ هذه الصكوك ؟ كيف نحرم تملك فلسطين الأجانب ؟ وكيف لانفعل ما يضر بالشعب العربي ، ثم مع هذا وذاك نقيم وطناً لليهود في فلسطين ؟ !! أليس في ذلك تعارض وتناقض عجيب ؟ !! نفس ماجاء في كلام بلفور !!

٣ — نصت صكوك الانتداب « في المادة الرابعة » على الاعتراف بالوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية وبدورهما في حكم فلسطين ومساهمتهما في إدارة شؤون البلاد ، بل في إقامة الوطن اليهودي ، فكان ذلك بمثابة حكومة داخل حكومة . . حكومة صهيونية داخل حكومة إنجليزية . . بينما لم تهيب صكوك الانتداب للعرب مثل هذه الفرصة ، ولم تنص على إقامة هيئة عربية . . بل لعل ذلك كان أولى لأن العرب هم الأكثرية وهم أصحاب حق !!

٤ — حتى « المادة الحادية عشرة » التي نصت على ترقية البلاد وعمرانها لم تكن صريحة ، ولم تحدد بالضبط ما المقصود بذلك ؟ وما مدى هذه الترقية وهذا العمران !!

ومع ذلك .. فهل لنا أن نسأل إنجائرا : هل استطاعت حكومات الانتداب خلال الفترة من سنة ١٩٢٠ - ١٩٤٨ أن تفعل شيئا من أجل فلسطين أو من أجل عرب فلسطين ؟ لا .. ! لقد فعلت الكثير من أجل اليهود ، ولم تخرج من فلسطين إلا وقد مكنتهم منها . ولكنها بالنسبة لفلسطين آخرتها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وليس وجود إسرائيل في هذه المنطقة إلا دليلا على هذا التأخر .

ونستطيع أن ندلل على سوء الإدارة الإنجليزية في فلسطين خلال فترة الانتداب بما بذلته بريطانيا من جهود لطرد العرب من ديارهم وإعطائهم لليهود .

قد يزعم الصهاينة أنهم أصحاب حق في فلسطين ، لأنهم — على حد قولهم — اشتروا أرضها ، ودفعوا لها ثمننا من أموالهم الخاصة ، فهم بحكم قانون الملكية أصحاب حق فيها .. !!

وإذا نحن أمعنا النظر فيما يزعمه الصهاينة .. وجدنا أنه بعيد كل البعد عن الحقيقة ، فإن الإحصائيات الرسمية تبين أن اليهود .. رغم كثرة محاولاتهم تملك الأرض في فلسطين بشتى الطرق القانونية وغير القانونية .. إلا أنهم لم يستطيعوا حتى سنة ١٩٤٨ ، وهو تاريخ إعلان إسرائيل ، امتلاك أكثر من ٧٪ من مساحة فلسطين أى حوالى مليونى دونم . وهذه المساحة الضئيلة انتقلت ملكيتها بطرق مختلفة معظمها طرق غير مشروعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى :

١ — خلال الحكم العثماني لفلسطين تمكن اليهود من الاستيلاء على ٦٥٠.٠٠٠ دونم (١) .

(١) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع .

٢ — قامت حكومة الانتداب الإنجليزية خلال سيطرتها على فلسطين في الفترة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٤٨ ببيع كثير من الأراضي الأميرية للوكالة اليهودية بثمن بخس ، وفي الوقت نفسه حرمت الحكومة على العرب شراء الأراضي الفلسطينية ، وكان ذلك إحدى الخطط التي اختطتها حكومة الانتداب لتنفيذ الخطة الصهيونية ، وبلغ جملة ما استولى عليه اليهود بهذه الطريقة حوالي ٢٠٠٠٠٠٠٠ دونم .

٣ — أن حكومة الانتداب كانت تستولى على كثير من المناطق العربية بحجة أنها مناطق عسكرية محرمة ، وبذلك تصبح هذه المناطق ملكاً للدولة ، ثم تقوم الحكومة بعد ذلك بمنحها لليهود . . . ولم تجد حكومة الانتداب من يقف في وجهها ويمنعها من هذا التصرف . وقد بلغ جملة ما استطاع اليهود الحصول عليه بهذه الطريقة حوالي ٣٠٠٠٠٠٠٠ دونم .

٤ — بعض هذه الأراضي انتقلت ملكيتها إلى اليهود بطريق الشراء من ملاك ليسوا فلسطينيين من أمثال عائلات : سرسق والتويني وسلام . . . وهؤلاء ممن اضطروا لمغادرة فلسطين نتيجة لتلك الظروف السياسية والاقتصادية المتقلبة التي كانت تسيطر على فلسطين خلال فترة الانتداب . وتدل الإحصائيات على أن مساحة ما استولى عليه اليهود بهذه الطريقة ٦٥٠٠٠٠٠٠ دونم من الأراضي والتي توجد في أرض ابن عامر ٤٠٠٠٠٠٠ دونم ، وفي الحولة ١٦٥٠٠٠٠ دونم ، وفي وادي الحراث ٣٢٠٠٠٠ دونم ، والباقي في مناطق أخرى مثل الناصرة وعكا وبيسان وجنين وطولكرم .

٥ — نسبة ضئيلة جداً لا تتجاوز ٢٥٠٠٠٠٠٠ دونم تملكها اليهود عن طريق الشراء من العرب ، وهذه حقيقة تكمن وراءها مأساة مما دفع الفلسطيني إلى بيع أرضه ، فإن العربي الفلسطيني لم يكن يبيع أرضه لليهودي لجرد البيع

أو الرجح ، وإنما كانت هناك ظروف أخرى اضطرت به إلى هذا التصرف على كره منه منها :

١ - الضرائب الفادحة التي كانت تفرضها حكومة الانتداب على العرب ، وقد كانت من الفادحة بحيث يعجز العربي عن دفعها مما يعرضه للاستدانة أو رهن الأرض أو يضطره إلى ترك أرضه . فإذا ما أراد الاستدانة لم يجد أمامه سوى اليهودي ، ولم يكن الفلاح العربي يجد البنوك العربية التي تفرضه ما يريد ، وكانت البنوك الموجودة كلها بنوكا يهودية أو تخضع للسيطرة اليهودية . وهنا يخطط اليهود خططهم ويرسمونها بإحكام من أجل تحقيق مآربهم ، فتراهم يقرضون الفلاح العربي بالربا الفاحش وبشروط ليس من السهل تحقيقها حتى يوقعوا العرب في حبالهم ، وتمضى السنوات والعربي لا يستطيع تسديد ما عليه ، وتتضاعف الأرباح وتتراكم الديون ، وهنا يطارد اليهودي العربي ، ويعجز العربي عن السداد ويضرب اليهودي ضربه التي رسم لها من قبل فينتزع من العربي أرضه تسانده في ذلك حكومة الانتداب .

وحتى لا يدعى اليهود أننا نتجنى عليهم . . . نسوق هنا بعض ما كتبه الخبراء البريطانيون عن هذه الظروف . ففي تقرير للخبير الإنجليزي سمبسون (١) يقول فيه : « إن الفلاح العربي كان في حالة يأس شديد ، فقد كان مثقلا بالديون ، فضلا عن أنه كان مكلفا بدفع ضرائب فادحة » .

٢ - القوانين الاستثنائية التي أسرعت الحكومة بإصدارها لطرده العرب ، كما حدث في مناطق مثل الحوالة وغور بيسون وطبيعون وغيرها ، وكان من أعجب تلك القوانين ذلك القانون الذي أصدرته الوكالة

(١) كان سمبسون قد زار فلسطين في منتصف سنة ١٩٣٠ .

اليهودية (١) والذي نص على أن الأرض التي يشتريها اليهود من العرب تصبح ملكاً ثابتاً لليهود ، ولا يمكن إعادتها للعرب مرة أخرى . وهكذا استطاعت هذه الوكالة أن تساهم مساهمة فعالة في انتقال ملكية الأراضي من العرب إلى اليهود فخرمت على العربي استرداد أرضه ، وسهلت لليهود الاستيلاء على الأرض العربية ، وبهذه الطريقة استطاع اليهود الاستيلاء على حوالي ٣٠٠٠ ر ٣٠٠٠ دونم من أملاك العرب .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : لماذا وافقت حكومة الانتداب الإنجليزية على أن تنتقل ملكية الأرض الفلسطينية من العرب إلى اليهود ، بينما حرمت إنجلترا على السكان الأصليين في جنوب إفريقيا بيع أراضيهم للأجانب ؟

إن الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال توضح مدى التحيز الإنجليزي وتبين مدى دناءة الخطة التي رسمتها الصهيونية بإشراف الإنجليز ، أو رسمها الإنجليز بإشراف الصهاينة . فما لاشك فيه أن هذه التصرفات من أكبر العوامل لانتقال الأرض إلى اليهود ، والدلائل قائمة بأسانيد ثابتة . وفي تقرير الخبير الإنجليزي سمبسون يقول : « إن العرب الذين أكرهوا على بيع أراضيهم إنما كان ذلك بسبب السياسة الصهيونية التي سارت عليها حكومة الانتداب » .

وفي تقرير للخبير شو يقول : « ثبت لنا أن معظم الفلاحين العرب كانوا يتمسكون بأراضيهم ، وبالرغم من الظروف القاسية التي كانت تحيط بهم ، ومع ذلك فقد كانوا يرفضون التنازل عنها بأي ثمن لليهود » .

وفي الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ والذي عرف بـ«كتاب باسفيلد» (٢) ذكر صاحبه صوراً كثيرة من تلك الصور المخزية التي كانت تدور في فلسطين ،

(١) قد نص عليها قانون الانتداب في المادة الرابعة .

(٢) باسفيلد : هو وزير المستعمرات البريطانية في ذلك الوقت .

والتي ترمى إلى استيلاء اليهود على أملاك العرب ، وقد نادى باسفيلا في كتابه هذا بضرورة وقف انتقال أملاك العرب إلى أيدي اليهود وناشد حكومته العمل على بحث الظروف التي تسبب ذلك . . وهنا نجد اليهود يشورون ويرفعون أصواتهم بالاحتجاج ، ثم يتدخلون لدى الحكومة الإنجليزية التي تسارع بسحب الكتاب ، وتتضح معالم الفضيحة ولا يجد باسفيلا بداً من الاستقالة ، وتستمر السياسة الإنجليزية قائمة في فلسطين لتنفيذ ما رسمته الصهيونية ولينزع اليهود مزيداً من الأرض العربية لتضاف إلى الأملاك اليهودية !!

وهذا استطاع اليهود أن يستولوا من أرض فلسطين على مليوني دونم موزعة في خمسة عشر قضاء من أفضية فلسطين وتذكر الوكالة اليهودية وفي صفحة ٤٣٥ من إحصاءاتها المطبوعة عام ١٩٤٧ أن ما يملكه اليهود من أراضي فلسطين في نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٤٦ بلغ ١٨٠٧٠٠٠ دونم أي ما يعادل ٦٨٪ من جميع أراضي البلاد .

٦ - حق تقرير المصير ودفاع احمد الشقيري :

ومها طال الأمد فإن الحق لا بد أن يتكشف والضمائر لا بد أن تثوب إلى رشدها وتنهض من سباتها ، ويأخذ الحق مجاله في زهو وانتصار ، ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

ويتصدى السيد/ أحمد الشقيري في أكتوبر عام ١٩٥٩ للممثل الإسرائيلي أمام هيئة الأمم المتحدة ، وإزاء موقف إسرائيل المتعنّت من القضية الفلسطينية برمتها بقوله :

« لو أصبح حقاً لكل إنسان أن يتكلم عن حق تقرير المصير فإن على إسرائيل أن تلتزم الصمت ، إذ ليس لديها ما تقوله في هذا الشأن . فالكارثة

التي حلت بالقضية الفلسطينية برمتها هي ثمرة التنكر لحق تقرير المصير . وكان العرب يدافعون عن قضية فلسطين عام ١٩٤٧ على أنها قضية واحدة من قضايا تقرير المصير ، وفي وسع كل واحد منا أن يرجع إلى سجلات الأمم المتحدة ليرى بنفسه حقيقة ما أقوله . . وقد أعلننا أن ليس في وسعكم تقسيم فلسطين على الرغم من مشيئة أهلها ، إذ أن لهؤلاء الحق في ممارسة تقرير المصير . « كان هذا موقفنا . ولكن الصهيونية يؤيدها الاستعمار نجحت في تنحية حق تقرير المصير جانبا .

« بل إن وجود إسرائيل الآن مدين لعامل واحد ليس إلا ، وهو أن شعب فلسطين لم يتمكن من ممارسة حقه في تقرير مصيره . ولو طبق هذا الحق في حينه لما حلت الكارثة كلها ، ولما ظهرت مشكلة اللاجئين ، ولما وجدت إسرائيل .

« وإن وجود إسرائيل اليوم ليس ثمرة تنفيذ حق تقرير المصير ، وإنما هو ثمرة التنكر له ، بالنسبة إلى شعب عميق الجذور في وطنه ، ويرجع في تاريخه إلى أقدم ما تعيه الذاكرة .

« وتحتل إسرائيل اليوم مقعدها على حطام مبدأ تقرير المصير وعلى أشلائه وبقاياها ، بعد أن حطمتها ، وقذفت بها في مهب الرياح والأعاصير .

« ولو قدر لهذا الحق أن يحترم لما اقتعدت إسرائيل هنا مقعدها في الأمم المتحدة ، لتحدث بمثل هذه الصلابة والعجرفة عن مبادئ حق تقرير المصير ، ولما كان هؤلاء السادة الإسرائيليون يجلسون في مقاعد النظارة والزائرين لافي مقاعد الأعضاء الممثلين لبلادهم .

« ولما كان جديرا بأن يحتل هذا المقعد ممثل عن جميع فلسطين يتحدث باسم جميع أهلها الشرعيين من يهود ومسيحيين ومسلمين على السواء . هذه هي قضية

مبدأ تقرير المصير الذي حطمه إسرائيل، ثم جاءت اليوم تندبه وتبكيه بدموع هي دموع التماسيح .

«أما قصة الحرب الفلسطينية فأمرها طويل، وأوثر ألا أذكرها. فبالاختصار كانت القوات الصهيونية هي التي شنت حربا إجرامية من الغدر والدمار والحرائق، وكان تدخلنا وحده هو الذي أنقذ اللاجئين والأماكن المقدسة من مصير محتوم في فلسطين لا يعلم مداه إلا الله وحده .

«وقالت اللجنة التي أوفدها بريطانيا وأمريكا سنة ١٩٤٦ للتحقيق: «إن فلسطين ثكنة حربية». وقالت: «لقد انتعشت من جديد حركة الهجرة غير المشروعة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية». وقالت: «من الظواهر المشهورة في السنوات الأخيرة تطور قوات عسكرية غير مشروعة تؤلف القوة الرئيسية في الجيش الصهيوني في فلسطين تسمى بالمنظمة العامة بالهاجاناه، وهي قوة منظمة تمام التنظيم تحت إشراف مركزي موحد ولها قيادات إقليمية فرعية، وكانت تأتي بالسلح طيلة سنوات طويلة». ووصف جزء آخر من التقرير الهاجاناه: «بأنها منظمة عسكرية يربو عددها على الستين ألفا وهي حسنة التسلح وجيدة التنظيم، وتشرف على جهاز إذاعتها السري الخاص بها». «هذه هي الحقائق التي أعلنتها اللجنة بعد تحقيق واف على الطبيعة بأرض فلسطين .

«ويتحدث التقرير عن موضوع الأمن العام فيقول: «جاءت التهديدات المباشرة للأمن العام منذ سنة ١٩٤٦ احتجاجا منهم على سياسة الكتاب الأبيض» .

«وقد قال المستر ونستون تشرشل متحدثا عن الإرهاب الصهيوني مانصه: «يبدو أن جميع أحلامنا في الصهيونية ستبتدد مع دخان مسدسات القتلة، (١٦م - إسرائيل)

ومع هذا النتائج الجديد من القتلة ، الذي لا يليق إلا بألمانيا النازية ، ولذا فإن الكثيرين من أمثالي سيجبرون على إعادة النظر في المواقف التي حافظوا عليها طويلا في الماضي ومن الواجب تحطيم هؤلاء المسئولين أصلا وفرعا .

« وها هو ذا الناطق الإسرائيلي يدعو الإجراءات الدفاعية العربية عن وطنهم وأملاكهم وأراضيهم والتي اتخذت عام ١٩٤٨ بالنسبة إلى هذا الأصل وذلك الفرع من الإرهاب الصهيوني عدوانا عربيا ، وليس من العسير على إسرائيل أن تسمى الإجراءات الدفاعي بالعمل الهجومي ، وليست القضية بالنسبة إلى إسرائيل إلا تغييراً في بعض الحروف ليصبح الدفاع هجوما . وقد اختارت إسرائيل بنفس الأسلوب ولصالحها اعتبار هجومها الغادر على مصر عام ١٩٥٦ بالعمل الدفاعي البريء » .

إن إسرائيل في وضعها الراهن لا يصبح معها إلا حرب تنزعها من أرض فلسطين كما عبر عن ذلك السيد الرئيس جمال عبد الناصر : « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » .

ثالثا - دراسة تحليلية للتقسيم

١ - الملاحظات حول التقسيم :

قال المسيح : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وبيت منقسم على بيت يسقط »^(١) ، وتحضرني قصة القطتين اللتين تنازعتا قطعة جبن فذهبتا إلى القرد ليقسم لهما القطعة ، ففاز القرد بالجبن وتركهما في تنازعهما تنناحران .

والأحداث تؤكد صدق قول المسيح وصدق رواية تلك القصة . فإن تمرد الشريف حسين وأبنائه على سلطان تركيا أطمع الإمبريالية في السيطرة على الشرق الأوسط ، وإن التدخل الأجنبي في البلاد العربية أطمع الصهيونية لتحقيق آمالها في فلسطين .

وإن استجداء فيصل للعرش واستجداء الصهيونية لوطن قومي في فلسطين ممكن الإمبريالية الأنجلو أمريكية من السيطرة على الشرق الأوسط .

حتى قبض الله للأمة العربية محرراً لها من سيطرة الاستعمار وعملائه ، إنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، الذي قاد ويقود البلاد إلى الحرية والعزة والسيادة ، وسيتحقق النصر — بتطهير الأراضي العربية من أرجاس الإمبريالية والصهيونية العالمية — على يديه بإذن الله .

أما فلسطين فتشبهه تنازع امرأتين على وليد لإحداهما ، وتذهبان لتحتكما إلى سليمان عليه السلام ، فيأمر بشطر الطفل وإعطاء كل منها نصفه ، وترضى الأم المدعية بشطر الطفل أما الأم الحقيقية فحفت أحشاءها على وليدها ولم تجد بدا من الإبقاء على حياته إلا أن تنازل عنه . ومن هنا استطاع سليمان بحكمته أن يميز بين الأم الحقيقية والأم المدعية فأمر على الفور بتسليم الوليد حيا إلى أمه التي أشفت عليه (١) . لقد ادعى الصهاينة بحقهم في فلسطين ، وتحولت القضية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة . وتقرح الهيئة التقسيم ، فيرفض الفلسطينيون سكان البلاد التقسيم بينما يطالب بالتقسيم ويلح عليه الصهيو نيون ، ويتوضح النزاع بين سكان أصليين وهم العرب لا يريدون التقسيم ، وأشتات اليهود الذين ينشطون في كل الدوائر السياسية لإقرار التقسيم ، وأنى للعالم سليمان الحكيم لإقرار الحق وإقرار السلام ؟؟

٢ - مجلس الامن وقضية فلسطين :

يقول الدكتور يحيى عويس : « إننا نعلم أننا نعيش في مجتمع دولي طبقي تتميز فيه دول عن أخرى رغم المساواة النظرية بينها في السيادة والحقوق ، وفي هذا المجتمع الطبقي تستأثر الأقليات القوية بالنفوذ ، تماما كما تستأثر الأقلية الرأسمالية في المجتمعات اللاديمقراطية بنفوذ الحكم والسيطرة . . . إن هذا المجتمع هو الذي يسمى بالدول الكبرى - وهي الدول التي كانت مسئولة أولا وآخرأ عن مصير فلسطين - وهي الدول التي منها استخدم « حق الفيتو » لا ليقر الحق ، ولا ليقف محايداً ، بل استخدم هذا النفوذ للتماذي في التأثير على الدول الصغرى وإرغامها على تأييد قرار تشييت عرب فلسطين وتفتيت أراضيهم ونهب أموالهم » (١) .

٣ - المناورات السيماسية في نيويورك وواشنطن :

ويقول كرمت روزفلت (٢) : « لقد أرغمت « تلك الدول » على تأييد قرار التقسيم ، ولم يحفل الصهيونيون وأعوانهم في الحكومة الأمريكية بتلك الاعتبارات الأخلاقية ، والمثل المعادلة التي كان يجب مراعاتها كحق تقرير المصير ، ولم يهتمهم الظلم الذي يباحق ببلد نتيجة تقسيمه متجاهلين رغبة الغالبية العظمى من سكانه ، ولم يهتم هؤلاء أن تكون لتلك الدول « التي ساطت عليها الضغط » مصالح يجب مراعاتها . فبعض تلك الدول تضم جماعات وأقليات لكل منها أثر في الحياة السياسية في أمريكا .

« فيوجد في ليبيريا، والصين، والفلبين جماعات كبيرة من المسلمين، ولكل من الحبشة واليونان مصلحة حيوية في الإبقاء على حسن الجوار مع جيرانهما من الدول

(١) إسرائيل والدول الكبرى ص ٢١ - ٢٤ ، ص ١٢٦ - ١٣٢ .

(٢) Middle East Journal - January 1948 .

الإسلامية ، ولقد كانت كلها دولا صغيرة أو ضعيفة ، فلماذا أجبرت على أن تعطى أصواتها لتأييد قرار التقسيم . قرار يهم فئة خاصة تسيطر على السياسة الداخلية لدولة كبرى كالولايات المتحدة ؟ » .

لقد تدفقت على وفود تلك الدول « الصغيرة » وحكوماتها البرقيات والمكالمات التليفونية والخطابات والتهديدات ، ومعظمها كان من أعضاء الكونجرس ، والكثير منها يتحايل باسم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وباسم هيئتها . . لقد قام أحد الديمقراطيين المعروفين — وكان على صلة وثيقة بالبيت الأبيض — بمهمة مخاطبة حكومة هايتي تليفونيا ، وكان يتكلم بلهجة يفهم منها نفوذه وسلطته .

كما قام أحد الاقتصاديين المعروفين بصلته الوثيقة بالبيت الأبيض وعلاقاته كمحور اتصال مع الصهيونيين باستخدام نفوذه لإقناع وفد ليبريا . . وكانت النتيجة أن هذه الدولة وسابقتها « هايتي » أيدتا قرار التقسيم ، ولاشك أنه كان من الصعب على وفود الدول الصغرى الموجودة أن تقدر الأمور حق قدرها وتحكم بميزان العدل والحق والمصلحة العليا لبلادها ، وما حدث في هيئة الأمم كان تكراراً لما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية من استخدام الصهيونية نفس الأساليب التي نجحت بها ، ونفس التأييد أعطته الولايات المتحدة لمساعدة الصهيونيين في الوصول إلى هدفهم .

النقد اللاذع من روسيا وانجلترا :

وقد نشرت جريدة « نيويورك بوست »^(١) تعليقا على سياسة أمريكا :

(١) العدد الصادر في ٣٠/١١/١٩٤٧ .

« عمل الأمريكيون — من الرئيس ترومان إلى بقية المرؤسين — على الضغط في شتى النواحي لنجاح قرار التقسيم . وقد صدرت الأوامر إلى أوستن للقيام بحملة واسعة بمساعدة هرشل جونسون ، وجنرال هليدرنج ، وبالتدريج تحقق للأمريكيين ما أرادوا ، ولو أن « جروميكو » مندوب روسيا علق على ذلك تعليقا لاذعا بقوله : « إن الاتحاد السوفيتي كان مؤيدا للتقسيم من أول الأمر ، ولم يكن في حاجة إلى التلاعب للحصول على الأصوات المؤيدة » .

وحتى جريدة « المانشستر جارديان »^(١) التي عرفت بمولاتها الدائمة للصهيونية ونقدها التهجى للقضية العربية ، حتى تلك الجريدة لم يستطع معلقها أن يخفي الحقيقة إذ كتب : « . . . والجنرال رومولو مندوب الفلبين ، هو واحد فقط من فريق الساخطين ، فقد ألقى خطابا حماسيا معاديا لقرار التقسيم ، وسافر عائداً إلى بلاده مزهوا بانتصاره ، فإذا به يسمع وهو في عرض البحر أن حكومة بلاده قد أبرقت إلى مساعده في هيئة الأمم ليطرح المبادئ والمثل جانبا ويقترع مع الجانب الآخر » .

٤ - ترومان . . . الصهيونية . . . التقسيم :

بقرر الفريد ليلمينتال^(٢) : « ما إن تسلم ترومان الرئاسة بعد وفاة روزفلت ، حتى تبدلت الحالة بالنسبة للصهيونية ، فقد كان خليفة روزفلت الجديد حليفا عميلا للصهيونية بحكم علاقته السابقة بعدد من اليهود ، حتى أنه اصطدم ذات يوم بالمستر بيغن وزير خارجية بريطانيا من أجل الصهيونية ، كما أنه أرغم وزارة الخارجية الأمريكية على أن تماشيه في سياسته الودية للصهيونية .

« وقد اعتمدت المنظمات الصهيونية كثيرا على المكتب التنفيذي للبيت

(١) العدد الصادر في ١٢/٢/١٩٤٧ .

(٢) أمريكي الجنسية يهودي المتقد شغل وظيفة دبلوماسية كبيرة في الشرق الأوسط عدة سنين ثم عمل مستشارا للوفد الأمريكي في مؤتمر سان فرانسيسكو لهيئة الأمم « نحن لإسرائيل » .

الأبيض ، والذي يرجع إليه الفضل الأكبر في توجيه اهتمام ترومان الدائم نحو الصهيونية .

« وحدث حين انتهت مدة رئاسة ترومان عام ١٩٥٢ ، أن نشرت بعض الصحف الأمريكية تعليقا على الدور الذي لعبه دافيد نايلز ، أحد مستشاري الرئيس الأمريكي ، فوصفته بأنه كان العامل الأول في حمل ترومان على خلق دولة إسرائيل وإنعاشها ، أما الفضل في تعيين نايلز في البيت الأبيض فيرجع إلى هاري هوبكنز ، وقد أخذ نايلز يترقى بعد ذلك في منصبه ، حتى أصبح في عهد ترومان عضواً في الهيئة المختارة لمستشاري الرئيس السريين ، وأطلقتوا عليه عندئذ لقب « رجل ترومان الغامض » .

« أما الدور الحقيقي الذي لعبه نايلز في القضية الفلسطينية فقد ظل مجهولاً من الرأي العام الأمريكي حتى اليوم .

« ففي عهد الرئيس روزفلت كلف نايلز بمعالجة بعض القضايا المتعلقة بالأفليات ، وعندما أنقل كاهل الرئيس بالمسؤوليات الجسام ، أضيفت إلى عمل نايلز الرئيسي قضايا أخرى .

« وهكذا أخذ يتدرج حتى تولى أرفع المناصب في البيت الأبيض ، وسمى فيما بعد السفير اليهودي الأول في البيت الأبيض .

« وعندما تولى ترومان الرئاسة ، كانت قضية فلسطين قد احتلت مكان الصدارة ، وكان نايلز يوليها كل اهتمامه ، فتضافرت جهود آدى جاكيسون ، وترومان ، ونايلز من أجل إقامة دولة إسرائيل ، والثابت أن نايلز ، كان محور الحركة ، فقد كان قبل مجيء ترومان إلى البيت الأبيض يبذل المساعي لخلق الدولة اليهودية » .

ويستنبط الدكتور يحيى عويس (١) من هذه التيارات السياسية فيقول :
«وهكذا بفضل السياسة المادية للماكيافيلية التي تجلت في نيويورك بأجلى مظاهرها، وافقت الجمعية العامة في ١٩٤٧/١١/٢٩ على قرار تقسيم فلسطين بثلاثة وثلاثين صوتاً مقابل ثلاثة عشر صوتاً معارضاً، وبامتناع عشر دول عن التصويت . ولم يكن أمام الدول العربية بعد هذا الامتحان لكرامة دولة شقيقة إلا أن ينسحب ممثلوها من قاعة الاجتماع ناقلين على سياسة الضغط، وعلى انتهاج بعض الدول سياسة تبعد كل البعد عن المثل والقيم التي يجب أن تكون أساساً للعمليات الدولية . لقد كان مرقف ممثلي بعض الدول بعد تغيير سياسات حكوماتهم وتآلبهم ضد القضية العربية محرراً إلى درجة بلغت حدود الخجل والحزى ، وبلغ من شدة حرج مندوب هايتي أنه وزع خطابات على ممثلي الدول العربية يعتذر فيها عن تغيير موقفه، بعد أن كان متحمساً للقضية العربية ، ويقول إن حكومته قد أرغمت وفدها على الاقتراع في صالح الصهيونية . . ولكن هذا الاعتذار لم يفد العرب في شيء » .

وإذ ثبت لنا أن مصالح الأقلية الموالية للصهيونية في الولايات المتحدة كانت سبباً في كل تلك المناورات التي انتهت بفوز قرار التقسيم في هيئة الأمم، فإن المرء ليتساءل عن الدوافع أو المصالح القومية التي دفعت الدول الأخرى إلى تأييد ذلك القرار ؟

١ — لماذا اتخذت فرنسا مثلاً هذا المسلك المضاد لمصالح الأمة العربية وهي الدولة التي لها مصالح عديدة في أقاليم عربية ، ويهمها أن تساهم في تأييد أمانى العرب ومساندة قضيتهم ، إذا هي أرادت أن تبقى على العلاقات الطيبة معهم ؟

إن فرنسا كدولة كبرى مسؤولة إلى حد كبير عن مصير العلاقات السياسية في العالم ، لم تأبه بمصالح الأمة العربية ، وإنما كانت تنظر إلى مصالحها الذاتية ، فهي تدعى غضبتها من جامعة الدول العربية لتدخلها في شئون شمال إفريقيا العربي ، وتتخذ من ذلك ذريعة للتنكيل بالدول العربية .

ثم إن فرنسا كانت تأمل من السير في ركاب السياسة الأمريكية أن يأتي اليوم الذي فيه تخدم الولايات المتحدة الأمريكية مصالح فرنسا بتأييدها استثمار فرنسا لشمال إفريقيا .

وهذا هو ما حدث فعلاً خلال السنين الأخيرة في هيئة الأمم المتحدة . وإن صح ما يقال من جانب بعض الكتاب من أن فرنسا كانت تريد التنكيل ببريطانيا والانتقام منها لأنها كانت مسؤولة عن إنهاء الحكم الفرنسي في سوريا ولبنان ، فما ذنب الأمة العربية ؟ وما ذنب فلسطين العربية لسكى يهدر كيانها بسبب تفازع النفوذ بين دولتين كبيرين ؟

٢ — وما الذي حدا بالصين الوطنية — وهي أيضا دولة كبرى من الناحية النظرية وإن لم تكن كذلك من الناحية العملية — إلى أن تحذل القضية العربية وهي الدولة التي حاربت سنين متواصلة متوالية ضد العدوان الياباني وضد الاستعمار الغربي ؟ أيكون السبب ذلك القرض المالى الذى كان شيانج كاي شيك ينتظر استجداءه من الولايات المتحدة ؟ أم لأن مصير الصين الوطنية وكيانها مازال رهناً بإشارة الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ومن ثم كان على سياسة الصين الوطنية أن تخضع لإملاء البيت الأبيض .

٣ — وماذا كان وراء السياسة الروسية في تأييد قرار التقسيم ؟ كيف حدث هذا التوافق التام بين المصالح الروسية والمصالح الأمريكية ؟ إن روسيا

قد فشلت في سياسة الضغط الذي سلطه الكرملين على كل من تركيا واليونان في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وربما كان تأييد روسيا لتقسيم فلسطين يستهدف فتح باب آخر لتدخل الاتحاد السوفيتي في شؤون الشرق الأوسط . ولعل روسيا كانت تعلم أن تقسيم فلسطين سوف يؤدي إلى سلسلة من الاضطرابات وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط ، وبذا يوجد الجو الذي تستغله لخدمة مصالحها وإلحاق الضرر بمصالح الدول الغربية . وربما كانت سياسة روسيا في تأييد التقسيم مبنية على أملها في الاستفادة من الصهيونيين في المستقبل ، أو لاتخاذ الدولة الصهيونية نواة للتسلل الشيوعي في الشرق الأوسط ، وللتأكد من القضاء على النفوذ البريطاني في فلسطين . . . أو غير ذلك من المصالح الذاتية التي ليست إلا نتيجة للصراع بين الشيوعية الروسية والرأسمالية الغربية ، وهو صراع مهما تسكن حقيقته فليس لعرب فلسطين ذنب في أن يكونوا ضحيته .

وقد تكون هناك دوافع أخرى وراء تأييد الاتحاد السوفيتي لقرار التقسيم . لقد كان من الشائع في أوساط هيئة الأمم المتحدة أن تنفيذ ذلك القرار سيتطلب إرسال قوة عسكرية بموافقة الأمم المتحدة إلى فلسطين للإشراف على تنفيذ التقسيم وضمان التزام العرب بنصوصه ، أي للقضاء بالقوة الجبرية على كل مقاومة عربية للأهداف الصهيونية . كان هذا هو الشائع — وقد حققته الأحداث في الأشهر التالية في مجلس الأمن — وكانت روسيا تأمل في أن يكون لها نصيب في الإشراف على تنفيذ قرار التقسيم بإرسال قوات عسكرية أو بعثات مدنية روسية إلى فلسطين . . . وربما كان تأييد روسيا لقرار التقسيم محاولة منها لإقرار هذا المبدأ باعتبار أنه ضمان لحقوق الأقلية حتى يتاح لها تطبيقه في أقاليم تهمها مثل أذربيجان وكردستان .

وكل تلك الاحتمالات كما نرى لا تكشف إلا عن مصالح ذاتية لدولة من الدول الكبرى ، أو عن تضارب المصالح بين تلك الدول ، ولم يكن لفلسطين العربية ثمة ذنب في أن تذهب ضحية تلك الاتجاهات المادية والأناية في السياسة الدولية .

وما يقال عن الدول الكبرى من عدم ارتباط مصالحها العليا والقومية ارتباطا مباشرا بالأهداف الصهيونية ، يقال أيضا عن الدول الصغرى التي أيدت قرار التقسيم ، فتلك الدول لم تكن على دراية بحقيقة الموقف في فلسطين ، ولم يكن ثمة مصلحة في تأييد جانب الصهيونية ، وإنما كانت مخدوعة بالدعاية الصهيونية ، أو كانت حكوماتها خاضعة للضغط الصهيوني من الداخل أو الخارج ، أو كانت خاضعة للإملاء المباشر من البيت الأبيض ، وحتى إذا قلنا إن مثل هذا الضغط وهذا الإملاء لم يكن السبب الرئيسي في تأييد تلك الدول على الأمة العربية ، وإذا افترضنا انتفاء المصلحة الذاتية ، وقلنا إن تلك الدول أيدت قرار التقسيم بدافع المنطق والاقتناع بوجهة الأهداف الصهيونية ، فن العيب أن يقال إن الرأي العام الدولي كان يناصر فكرة تقسيم فلسطين ، فإن ثلاثة أرباع الجنس البشري كانوا إما خارج عضوية الأمم المتحدة ، أو مناهضين لقرار التقسيم ، والدول الثلاث والثلاثون التي أيدت ذلك القرار والتي لا تمثل في مجموع سكانها إلا ربع سكان العالم ، كانت دولا بعيدة من الناحية الجغرافية عن فلسطين ، ولا دراية لأغلبها بحقيقة القضية . . . ولكن السياسة المادية للدول الكبرى شاءت أن تجعل من تلك الدول الصغرى أمثال هايتي وليبيريا ولسمبرج وأيسلندة وبلجيكا وهولندة مجرد أعداد تتجمع في جانب واحد ، فيقال إن الغالبية من الأمم المتحدة اتخذت ذلك القرار - قرار إهدار كيان فلسطين العربية .

وفيا يلي نتيجة التقسيم :

١ - الدول التي وافقت على قرار التقسيم وهي :

الولايات المتحدة الأمريكية	روسيا البيضاء	روسيا	فرنسا
كندا	أستراليا	جنوب إفريقيا	نيوزيلندة
أيسلندة	تشيكوسلوفاكيا	البرازيل	بلجيكا
بوليفيا	الدومينكان	كوستاريكا	النرويج
الدانيمرك	أكوادور	السويد	لكسمبرج
هولندة	جواتيمالا	هايتي	نيكاراجوا
باراجواي	أراجواي	بناما	بيرو
بولندة	أوكرانيا	فنزويلا	الفلبين
ليبيريا			

٢ - الدول التي عارضت قرار التقسيم وهي :

مصر	سوريا	لبنان	اليمن
العراق	باكستان	أفغانستان	الهند
إيران	تركيا	اليونان	كوبا
المملكة العربية السعودية			

وكلها دول آسيوية ذات صلة وثيقة بفلسطين بالإضافة إلى مصر وهي في التقاء إفريقيا بآسيا شمال شرق إفريقيا وهذه الصلة الوثيقة تعزز قرار المعارضة .

٣ - الدول التي امتنعت عن التصويت :

إنجلترا	الأرجنتين	الصين	الحبشة
كولومبيا	سلفادور	هندوراس	المكسيك
بوغوسلافيا	شيلي		

٥ - دراسة تحليلية للموقف :

وإذا حللنا الموقف . . وجدنا أن الأعضاء الذين وافقوا على التقسيم من الدول الاستعمارية ، أو من التي تسير في فلكها طواعية أو كراهية ، وكلهم جميعاً يحاولون تحقيق آمال اليهود وبالتالي هدم السكيان العربي واغتصاب حقوقه . وتعرض البيت الأبيض وهيئة الأمم المتحدة للضغط الصهيوني حتى أن الرئيس الأمريكي ترومان صرح بقوله : « في الحقيقة أن الضغط الذي وقع على الأمم المتحدة في ذلك الوقت لم يكن له نظير أبداً . لقد تعرض البيت الأبيض في الوقت نفسه لضغط لم يتعرض له في أي وقت آخر . وكم ضايقتي كثيراً ، وأزعجتني حقاً كثرة إلحاح الزعماء الصهيونيين الذين كانت تحركاتهم دواع سياسية مصحوبة بالتهديدات حتى أن بعضهم كان يطالبنا بالضغط على دول أخرى ذات سيادة للحصول على الأصوات المطلوبة في الجمعية العامة للأمم المتحدة » .

ولقد استيقظ ضمير الولايات المتحدة الأمريكية فقدم مندوبها في ١٩ مارس عام ١٩٤٨ مذكرة أعلن فيها سحب حكومته لقرار التقسيم لاقتناعها بعدم إمكان تنفيذه ، وطالب المندوب الأمريكي بوضع فلسطين تحت الوصاية وإعادة النظر في القضية مرة أخرى .

وما لاشك فيه أن القرار الذي صدر تحت هذه الظروف وبتملك الصورة غير الطبيعية لا يمكن أن يعتبر صحيحاً . فمن الضروري للعدالة أن تجد المتعسف الذي تبدو فيه الحقائق .

فلكل قضية ظروفها وحقائقها ومعالمها ، ومن واجب القضاة أن يكتبوا حقيقة الأمور جلية واضحة ، وعملية التهديد ووسائل الضغط تبعد

الحق عن أعين القضاة ، وتغير الواقع إلى غير الواقع ، وبالتالي تكون النتيجة في جانب الباطل . وهذا أمر لا يمكن قبوله شكلا ولا موضوعا .

إن قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة .. لو قدر له أن يعاد بحثه مرة أخرى لكان مصيره الإلغاء .. يؤكد ذلك أن بلجيكا وكندا وهما من الدول التي وافقت على قرار التقسيم في جلسة ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ أحستا بخطئهما فاقترحتا إعادة النظر في مشروع قرار التقسيم .

فإذا حذفنا الدول الثلاث وهي : كندا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية من الدول التي وافقت على التقسيم ، وضح لنا مقدار الذبذبة التي كانت ستحدث بالنسبة للقرار ، ومما لا ريب فيه أن الدول الأخرى الباقية وعددها ٢٩ دولة لا بد أن بعضها أحس بالجريمة ، ولو أن الموضوع أعيد بحثه لكانت النتيجة عكس ما حدث .. نعم لكانت النتيجة رفض المشروع ، وبالتالي لما استطاع اليهود أن يتمكنوا من فلسطين .

إلا أن إنجلترا عز عليها أن تفلت الفرصة من يدها ، لذلك رأيناها تسرع بلا سابق إنذار وتعلن انسحابها من فلسطين ، ثم رأيناها تسلم لليهود المواقع الهامة ... لماذا ؟

ليصبح الخيال حقيقة ، ولتكون الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع ، وتؤكد لأعضائها أن ما لا يمكن تنفيذه قد نفذ فعلا ، وكأن إنجلترا تقول لهيئة الأمم المتحدة : إذا كنتم ترغبون في إعادة بحث الموضوع لأن قرار التقسيم لا يمكن تنفيذه فها نحن أولاء ننفذه ، وها هم اليهود يستولون على جزء من فلسطين ، فلا حاجة لكم فيما تعزمونه .

٦ - اساليب الضغط الصهيوني :

يقول الفريد ليلينثال: « في إبان الصراع الحاسم وعندما كانت النتيجة غير مضمونة لمشروع التقسيم ، وقف عضو الكونجرس الأمريكي عمانوئيل سياريهاجم بشدة وفد الولايات المتحدة الأمريكية الدائم في هيئة الأمم المتحدة لأن وزارة الخارجية تولت وحدها اختيار أعضاء الوفد .

« وكانت حجة سيار الصهيوني تنحصر في أن الوفد الأمريكي لم يسع كما لم تسع وزارة الخارجية للضغط أو التأثير على أى عضو من مندوبى هيئة الأمم المتحدة !

« وبينما كان الشيخ وارن أوستن رئيس وفد الولايات المتحدة لهيئة الأمم يعبر عن ارتياحه لأنه مكن اليهود الأمريكيين غير الصهيونيين من عرض وجهة نظرهم على أعضاء الوفود الأجنبية ، عن طريق حكومات تلك الوفود ، في هذه الأثناء كان دعاة الصهيونية يتقدمون بجرأة من مفوضيات عدة دول أجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الإغراء ! وكان في طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير القاضى جوزيف بروسكاوير رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية ، والاقتصادي روبرت ناثان ، ودافيد نايلز مستشار البيت الأبيض لشئون الأقليات .

« فقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الأجنبية وبممثلها بوصفهم « مجرد مواطنين أمريكيين » وكانوا رجالاً أذكياء يعرفون الوصول إلى أهدافهم . . . فقد استطاع روبرت ناثان بوسائله الخاصة أن يضعف مقاومة ليبريا ، ويجعلها توافق على قرار التقسيم بعد أن عارضه مندوبها في اجتماعات اللجنة الخاصة . كما أن هؤلاء اليهود الثلاثة وغيرهم من رجال البيت الأبيض المسئولين أخذوا

يلوحون لعدد من مندوبي جنوبي أمريكا بأن تأييدهم لقرار التقسيم سيساعد كثيراً على تحقيق مشروع الطريق الأمريكى بين الجمهوريات الشمالية والجنوبية . . . من الاعتمادات الأمريكية الضخمة .

« حتى اليانور روزفلت بذلت الجهود الجبارة ، واستعانت بأصدقائها ونفوذها للضغط على عدد من مندوبي الدول الأجنبية ، كما كانت تلح باستمرار على خليفة زوجها هارى ترومان لسكى يضغط على موظفى وزارة الخارجية الذين كانوا يحصرون نشاطهم فى مناقشات سامية مع ممثلى الدول الأخرى .

« وعندما كان مصير قرار التقسيم مازال سراً غامضاً قام برنارد باروخ بمساع خاصة مع فرنسا ، المستفيدة من مساعدات مشروع مارشال ، كما اتصلت عدة شخصيات أمريكية بمندوبين آخرين أمثال مندوبى هايتى والحبشة والفلبين والباراجواى واللوكسمبرج وضغطت عليهم لتأييد قرار التقسيم . وكانت جميع وسائل الضغط والإغراء التى استخدمت تعتمد على موارد الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها الواسع » .

وقد فضح الصحفي « درو بيرسون » وهو صديق قديم للصهيونية المخابرة الهاتفية التى جرت بين أدولف بيرل المستشار الرسمى لحكومة هايتى وبين رئيس جمهوريتها ، والتى أسفرت عن تأييد هايتى لقرار التقسيم .

وكذلك تحدث عن الاتصالات التى جرت بين هارفى فيرستون صاحب مزارع المطاط الشاسعة فى ليبريا وبين حكومة ليبريا ، والتى انتهت بأن وقفت ليبريا إلى جانب التقسيم .

وفى أثناء مأدبة غداء أقيمت فى اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٩٤٧ قال روبرت لوفيت سكرتير وزارة الخارجية بصراحة : « إننى ماتمرضت فى حياتى

لمثل الضغط والإغراء اللذين تعرضت لهما خلال الأيام الثلاثة التي سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية » .

وأضاف لوفيت بقول : « إن حميا النشاط اليهودى قد بلغت أقصاها حتى طغت على المطالب الإيجابية العادلة . . . » .

ولقد كان فى مقدمة الذين اتصلوا بلوفيت و ضغطوا عليه : هربرت بايارد سواب ، وروبرت ناثنان ، واستناداً لأقوال لوفيت نفسة ثبت أن شركة فايرستون للمطاط استغلت نفوذها فى لىبريا للضغط مباشرة على حكومتها لقبول التقسيم .

أما المهزلة الكبرى فهى التى مثلت لكسب الفلبينيين إلى جانب التقسيم ، فقد غادر الجنرال رومولو الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أن أعلن معارضته الشديدة لقرار التقسيم ، وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفلبينيين برئيس الجمهورية روكساس هاتفيا ، وأنبأه بالضغط الشديد الذى تعرض له رومولو وأعضاء الوفد ، ثم أبدى وجهة نظره ، وهى تقضى بضرورة تأييد قرار التقسيم ، لاسيما أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ووفدها فى هيئة الأمم مصممان على إقرار المشروع ، وأبلغ السفير الفلبينى رئيسه أن مصلحة الفلبينيين هى فى تأييد الولايات المتحدة الأمريكية فى موقفها . . . وكان أن وافق رئيس جمهورية الفلبينيين على وجهة نظر السفير .

وفى هذه الأثناء تلقى الرئيس روكساس أيضا برقية موقعة من سبع وعشرين شخصية أمريكية من أنصار الصهيونية فى مقدمتهم عضو الكونجرس الأمريكى روبرت واكز ، وفيها يطلبون بإلحاح تأييد مشروع التقسيم ، ويذكرون المسئولين فى الفلبينيين بالفوائد التى ستجنيها الجزيرة من جراء هذا الموقف .

وهذه البرقية نفسها كانت قد أرسلت إلى اثني عشر مندوباً من مندوبي الدول في هيئة الأمم المتحدة ، وكان من نتيجتها أن أربعة منهم انقلبوا إلى تأييد المشروع بعد أن كانوا معارضين له . كما تحول سبعة مندوبين من المعارضة إلى الامتناع عن التصويت .

وكانت اليونان الدولة الوحيدة التي احتفظت بموقفها المعارض على الرغم من الإغراء والضغط اللذين تعرض لهما وفدها في أورقة هيئة الأمم المتحدة .

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على النتيجة:

« لقد سعينا إلى إحقاق الحق الذي استوحيناه من الله . . . ونجحنا في إقناع عدد من مندوبي الدول ليروا الحق كما لمسناه .. ولكن مساعينا ضاعت في التيار الجارف . . . نحن لانحمد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت الضغط والإغراء الشديدين أن يبدلوا موقفهم ويقتنعوا على مشروع لاتقره العدالة ولا الإنصاف » .

وما إن مضت بضعة أشهر على تلك النتيجة حتى اعترف دين روسك رئيس مؤسسة روكفلر أمام جميع ممثلي المنظمات الوطنية الأمريكية بالفضيحة التالية :

« إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم بأي ضغط مباشر مع مندوبي هيئة الأمم ، ولكن عدداً من كبار الشخصيات الأمريكية المسؤولة أساء استخدام مراكزه الحكومية ونفوذه ، للضغط والتأثير على بعض مندوبي الدول . . . » .

وأضاف روسك : « إنه في سبيل إقرار التقسيم ذهب هذا الفريق من المسؤولين الأمريكيين يوم بعض مندوبي الدول بأن مشروع التقسيم إنما هو مشروع أمريكي !! » .

ولقد لعب العامل الديني دورا هاما في قرار التقسيم وإقراره وخاصة لدى الطائفة الإنجيلية المستمدة تعاليمها من التوراة، وكان هذا العامل من جملة العوامل التي حملت إيرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن يهودى فى الأراضى المقدسة . فقد كان للعبارة التالية الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين : « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » أثرها الكبير فى معركة التقسيم ونجاحها . فى الخطاب الذى ألقاه الحاخام سيلفر أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة : « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى .

٧ — لماذا ائتلف الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة الأمريكية على مشروع التقسيم :

كان مشروع تقسيم فلسطين القضية الأولى والوحيدة التى جمعت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى فى صف واحد وجعلت بينهما نوعا من الانسجام منذ أنشئت هيئة الأمم المتحدة .

وقد صرح مندوب فنزويلا السنيور زولو بكل بساطة : « إن هذا التفاهم فى السياسة الروسية الأمريكية على قضية فلسطين هو أعظم حدث تاريخى هام فى حياة هيئة الأمم ، ويجدر بنا الاعتراف أن الحكومة الأمريكية برهنت فى وقوفها مع روسيا فى صف واحد على جهلها بالأساليب السوفيتية » .

كانت العناصر المسيطرة على الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت ترى فى إسرائيل وسيلة للتخلص من يهود الكتلة الشرقية فيما اعتقد ، بالإضافة إلى تأثير الدعاية الصهيونية واستغلالها لموقف ألمانيا النازية من اليهودية .

ويصرح الكوماندور ا . ه . هتشيسون^(١) بقوله :

يعتبر الاتحاد السوفيتى من أشد الدول اهتماما بمراقبة ما يدور فى الشرق

الأوسط من أحداث ، وقد ظل السوفيت أعواما يسعون إلى مركز للنفوذ في العالم العربي دون نجاح كبير . . ثم وقع الاختيار أخيراً على المشكلة الفلسطينية كوسيلة لتحقيق هذا الغرض ، وكان السبب الأكبر هو معاملة «الطفل المدلل» التي يفر بها الغرب لإسرائيل ، وقد قام السوفيت بعرض شحنات من الأسلحة بأسعار مخفضة ، وقبلت مصر العرض ، مدفوعة إلى ذلك باستعراض العضلات الذي تقوم به إسرائيل على طول الحدود . . وارتفعت مكانة عبد الناصر إلى عنان السماء وحتى الدول العربية الموالية للغرب وافقت على أن هذه الخطوة كانت خير ما يتخذ في مثل هذه الظروف .

والواقع أن دخول الشيوعيين إلى العالم العربي لم يكن مهمة سهلة ، ذلك لأن الاتحاد السوفيتي لم يفرز منذ البداية بمركز طيب في الشرق الأوسط عندما أصبح الدولة الثانية التي اعترفت بدولة إسرائيل الجديدة ، وكان العرب يدركون أيضاً أن إسرائيل كسبت خربها في سنة ١٩٤٨ ليس فقط بتأييد الغرب ولكن كذلك بمساعدات قيمة من الأسلحة تلقتها في الوقت المناسب من الدول الواقعة وراء الستار الحديدي ، وفي مقدمتها تشيكوسلوفاكيا .

ولكن الشيوعيين لم يتهاونوا في بذل الجهود لكسب صداقة الشعوب العربية ، وتهيأت لهم الفرصة آخر الأمر نتيجة للكرهية المتبادلة بين الدول العربية وإسرائيل ، وهي الكراهية التي زادها حدة خوف العرب من نوايا إسرائيل العدوانية .

ومهما يكن من أمر التقدم الذي أحرزه الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، فإن الزعماء الدينيين يؤكدون أن المنهج الشيوعي السوفيتي لا يمكن أن يبدأ أن يتلاءم مع التعاليم الإسلامية ، وهم يتخذون موقفاً حازماً ضد انتشار الشيوعية .

ويشيرون إلى حقيقة واقعة هي إسرائيل، إذ هي الدولة الوحيدة بين الدول

المشتركة في المشكلة الفلسطينية التي تسمح بقيام حزب شيوعي بين أحزابها السياسية .

وجدير بالذكر أن حزبين إسرائيليين آخرين بالإضافة إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي يعترفان بأنهما مواليان لل سوفيت ، وقد أدت الانتخابات التي أجريت في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٥ إلى فوز الشيوعيين والموالين لل سوفيت بحمسة وعشرين مقعداً في الكنيست .

فاذا أضفنا إلى ذلك الأربعة عشر مقعداً التي فاز بها حزب ما باي الاشتراكي فإن المجموع يصبح خمسة وستين مقعداً يشغلها الأعضاء اليساريون ، أي أكثر من نصف مجموع أعضاء الكنيست الذين يبلغون ١٢٠ عضواً . وقد أسفرت الانتخابات عن التقسيم التالي :

مقعداً

٤٠	حزب ما باي « اشتراكي »
١٣	« الصهونيون العموميين « رجال الأعمال »
١٥	« حيروت « جناح يميني متطرف »
١١	« مزراحي « جماعة دينية متطرفة »
١٠	« آحدوت آفودا « يساري موال لل سوفيت »
٩	« ما يام « يساري متطرف وموال لل سوفيت »
٦	« أغودات إسرائيل « جماعة دينية معتدلة »
٦	« الشيوعيين »
٥	« التقدميين « غير اشتراكي »
٥	« ما باي العربي »

١٢٠

وقد ازداد حزب حيروت والأحزاب الثلاثة الموالية للسوفيت قوة نتيجة للانتخابات ، بينما قل نفوذ حزب الماباي والصهيونيين العموميين .

وكانت وزارة بن جوريون تضم أعضاء من أحزاب الماباي ، ومزراحي والتقدميين والمابام وأحدوت أفودا واثنين من الشيوعيين .

ويقرر الكوماندور ا . ه . هنتشيسون أنه استند في الخصائص والاتجاهات التي نسبها إلى الأحزاب السياسية سالفة الذكر إلى معرفته الشخصية بالموقف السياسي في إسرائيل ، وإلى المرجع الأول الذي استند إليه في المناهج السياسية التي أعلنتها الأحزاب نفسها في كتاب « دولة إسرائيل . . حقائق وأرقام » لعام ١٩٥٣ وقد سبق بيان عن هذه الأحزاب في الباب الثاني .

٨ - انضال العربي على المستوى الدولي ازاء التقسيم :

حاول ممثلو الدول العربية جهدهم لإقناع بقية الوفود بوجهة النظر العربية ، بيد أنه كان إقناعا يستند إلى الحق والعدل والأسس الأخلاقية ، وهي كلها دوافع لا مكان لها في سياسة القوة ، وإزاء سياسة الرئيس ترومان التي كانت إنجلترا تقف أمامها مكتوفة الأيدي .

« إني برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم » (١) . عبارة قالها بيلاطس الوالي الروماني لليهود ، لكن هذه العبارة لم تنفذ المسيح من إصرار اليهود على قتله ، وحسبا جاء بالأناجيل أنهم صلبوه وتحملوا وزر عملهم : « وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » (٢) .

وتسير بريطانيا على سياسة بيلاطس ، فيحاول مندوبها « كريستن جونز » أن يحذر اللجنة السياسية التي كانت تناقش موضوع التقسيم من عواقب الانحراف تجاه تأييد التقسيم ، فقال إن حكومته لن تتحمل مسؤولية

(٢) متى ٢٧ : ٢٥ .

(١) متى ٢٧ : ٢٤ .

إقرار التقسيم ضد رغبة العرب ، كما هاجم تواطؤ بعض الدول مع الصهيونية وتزويدها الإرهابيين بالسفن والمعدات الحربية والأسلحة الحديثة والذخيرة والأموال لتحريرهم على الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين .

وكان رد مندوب الولايات المتحدة هرشل جونسون Herschel Johnson يحمل معنى ظاهراً ، إذ أصر على أن تكون بريطانيا مسؤولة عن تهيئة الفرصة « قبل الميعاد المقرر لإنهاء الانتداب » لليهود ، حتى تكون المناطق المخصصة لهم معدة ومهيأة ومنظمة من الناحية الإدارية ، حتى يقسني لهم استلامها من بريطانيا دون إثارة اضطراب أو خلل إداري ، فكأن جونسون كان يتكلم عن التقسيم كقضية مسلم بها .

٩ — العوقات للانضال العربي هل للمستوى الدولي :

إن الأدلة كثيرة على أن الضغط الصهيوني لعب دورا هاما في التأثير على سياسة الولايات المتحدة في القضية الفلسطينية وجعلها تتخذ طريقا مضاداً لمصلحتها العليا ، وبالتالي جرت معها حكومات أخرى كانت إما مترددة أو معارضة للتقسيم .

ومن الكتاب والمؤرخين من يؤكد أن الرئيس ترومان نفسه قام بدور هام في تلك السياسة الموالية للصهيونية (١) ، ومن الثابت أيضا أن اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي أشارت على الرئيس ترومان في تلك الفترة بأن الاكتمابات المالية للحملة الانتخابية القادمة تتوقف على تأييده للصهيونيين (٢) .

وتم تأييد ترومان لاقتراح التقسيم رغم اعتراض المختصين من مستشاري وزارتي الخارجية والدفاع ، وبقي أمام الرئيس أن يتحدى هؤلاء المستشارين

Daniels ; The Man of Independence, P. 317. (١)

Mills; The Forrestal Dairies P. 304. (٢)

ويسعى للحصول على تأييد الدول الأخرى لأهداف الصهيونية ، فإن تلك الأخيرة كانت تعلق آمالاً كبيراً على نفوذ الولايات المتحدة وضغطها على الدول الصغيرة وبعض الدول الكبيرة . وفي وصف المستر سمنر ولز (١) لتلك الفترة من تاريخ السياسة الأمريكية ما يؤيد أن الصهيوينيين تكاتفوا مع بعض المسئولين في البيت الأبيض ، وبمساعدة فريق من أعضاء الكونجرس للقيام بحركة استغلت فيها كل وسائل الضغط للتأثير على الوفود الأخرى في هيئة الأمم وإرغامها على تأييد اقتراح التقسيم .

١٠ - الصهيونية . . برنادوت . . جونار يارنج :

نشرت جريدة ها آرتس الإسرائيلية مقالا بقلم كاتبين إسرائيليين يعرضان فيه لحقيقة مصرع برنادوت ، إذ رأت عصابة « ليمى » (٢) في وساطة برنادوت عقبة تهدد السكيان الإسرائيليين الجدد . فبالرغم من أن تقريره الذي انتهى إليه كان في إطار الاعتراف بالوجود الإسرائيلي ، فإنه كان يفترض تعديلات لهذا الوجود . كان يقترح ضم النقب إلى العرب ، وكان يرى ضرورة أن تظل القدس عربية ، وكان يرى تدويل مطار اللد وميناء حيفا ، وكان يرى ضرورة أن يعود ٣٠٠٠٠٠٠ لاجيء إلى فلسطين إلى أراضيهم المغتصبة . وثارَت نائرة العصابة الصهيونية وقررت إزاحة برنادوت من الطريق . على أن اعترفهم الصريح بهذه الجريمة إنما يقدم للعالم دليلاً مادياً جديداً على مدى احتقارهم للوساطة الدولية ، واستخفافهم بالرأى العام العالمى ، وإصرارهم على تنفيذ مخططاتهم بجد السلاح وبمختلف وسائل التآمر والإجرام ، وليس موقفهم الراهن المتلىء تعالياً وصلفاً من جونار يارنج مبعوث الأمم المتحدة الجديد ، إلا امتداداً لسلكهم الإجرامى القديم من سلفه الأسبق الكونت برنادوت .

Sumner wells ; We need not fail, P. 63. (١)

(٢) كانت تسمى نفسها بالمناضلين من أجل حرية إسرائيل :

١١ - الصهيونية والدعاية في هيئة الامم :

دأب الصيونيون على إثارة الحملات ضد مصلحة العرب داخل هيئة الأمم وخارجها . فالعراقيل توضع أمام الوفود ، ولا تقوم السكرتارية بنشر خطبهم على حقيقتها ، ولا تيسر لهم استخدام أدوات الدعاية بنفس القدر الذي تيسره للوفود المؤيدة للصهيونية . والصحافة الأمريكية زاخرة بالدعاية للصهيونية يوماً بعد يوم ، ومحطات الإذاعة والتلفزيون تحت تصرف دعاة الصهيونية . والصحف تضلل الرأي العام الأمريكي ، وتشوه له الحقائق ولا تشير مجرد إشارة إلى وجهة النظر العربية . ورغم تلك الدعايات المغرضة والمضللة فإن مندوبى العرب شرحوا قضيتهم من جميع نواحيها ، وأعطوا تاريخاً مفصلاً لفلسطين العربية ، وبينوا وجهة العدالة في مطالبة العرب بحقوقهم ، واستندوا إلى ميثاق الأمم المتحدة الذى يحتم إعطاء أهل فلسطين الشرعيين حقهم في تقرير مصيرهم ولسكن دون جدوى !!

١٢ - مندوبو العرب لم يكونوا على المستوى الدولى فى المفاوضات :

وفى ٩ من أكتوبر عام ١٩٤٧ أعلنت الحكومة البريطانية عزمها على تصفية الانتداب خلال الأشهر المقبلة ، فيسرى صدى ذلك فى «قرارات هامة» للجامعة العربية وتعلن أن «قرارات بلودان» السرية الخطيرة ستنفذ إذا ما أخل بحقوق العرب فى فلسطين ، وأنه يتحتم على الدول العربية أن تتخذ الاستعدادات الحربية والاحتياطات اللازمة على حدود فلسطين حتى تمتد يد المساعدة إلى سكانها العرب ، وتعلن توجيهات ونداءات الجامعة لم يد المساعدة المادية والمعنوية لعرب فلسطين . . إلى غير ذلك من القرارات التى وإن لم تكن جديده وإيجابية وعملية فى إمكان تنفيذها على أى الحالات فإنها كانت تلتزم الحكومات العربية قانونياً ومعنوياً ! كأنها أعطت لمؤيدى التقسيم فرصة

للتفكير في خطورة تأييدهم لمثل ذلك الاقتراح . ومن هنا يبدو الدهاء الصهيوني والانتهازية الصهيونية لتتخذ من التهديدات العربية خطة إيجابية لفرض الدولة بالقوة وهم يملكونها ، وخططوا لها منذ سنوات طويلة خلت ، فسارع الصهيوونيون إلى إرسال مذكرة إلى الأمين العام للهيئة — عن طريق عملائهم في نيويورك — يشيرون إلى أن الدول العربية « لن تستطيع خوض معركة مسلحة في فلسطين إلا إذا حصلت على الأسلحة من الدول الكبرى . . وأن لدى منظمة الهاجاناه وحدها قوة تعادل ٧٠ ألفاً ، كافية للوقوف في وجه أى اعتداء ولتدمير كل قوة مهاجمة ، والدفاع عن فلسطين لمدة عام كامل » . وكان الغرض من تلك المذكرة إقناع المترددين من أعضاء الأمم المتحدة بأن الصهيونية لن تخشى تهديدات الحكومات العربية ، وأن العصابات الصهيونية سوف تحقق تهويد فلسطين رغم أنف الدول العربية ودول العالم أجمع ، وأن قرار التقسيم إذا صدر من هيئة الأمم سيكون له أثره في إلزام العرب بتنفيذ نصوصه والاستسلام لمطالب اليهود .

ويبدو أن تلك المناورة كان لها أثرها على بعض الوفود ، فبدأ العرب يفقدون بعض المؤيدين لوجهة نظرهم ، وبدأت بوادر انهزام القضية العربية تلوح في الأفق ، خصوصاً أن الاتحاد السوفيتي — ومن ورائه الدول الضالعة معه — أعلن تأييده لاقتراح التقسيم .

ومرة أخرى حاول ممثلو الدول العربية إنقاذ الموقف ، فاقترحوا نظام وصاية مؤقت في فلسطين ، واقترحوا نظاماً فيدرالياً ، واقترحوا عرض المشكلة على محكمة العدل الدولية ، وتوسلوا بالمنطق واستشهدوا بأسس العدالة

والمثل الأخلاقية وحقوق الشعوب في تقرير المصير وكأن لم تكن هناك
أذن تسمع ! !

وبينما كانت وفود الدول العربية تستند إلى وعود حكومة الولايات
المتحدة الأمريكية باتخاذها موقفاً محايداً وعدم تأثيرها على وفود الدول
الأخرى (١) ، كانت المؤامرات تدبر سراً وعلانية للحصول على الأغلبية
الكافية لإقرار اقتراح التقسيم . فقام الرئيس ترومان - تحت ضغط بعض
مستشاري حزبه - ببذل الجهود لضمان تأييد قرار التقسيم من جانب الدول
التي تخضع لنفوذ الولايات المتحدة أو مشورتها ! وكلف الرئيس الأمريكي
قاضيين معروفين من قضاة المحكمة العليا لبذل الجهود لتحقيق ذلك الغرض (٢) .
ولم يكن هذا الضغط السياسي يخاف على الكثيرين ، وكان الرئيس ترومان
يقوم بتنظيمه ضد رغبة الإخصائين في وزارة الخارجية الأمريكية ، ورغم
نصيحتهم له بمخاطبة تلك السياسة ، كما شهد بذلك المستر سمنرولز ، وكما شهد
المسؤولون البريطانيون . وهكذا تحولت هيئة الأمم المتحدة بفعل الضغط الذي
سلطه ترومان على أعضائها ، تحولت من ذلك المنبر العالمي الحر الذي تسوى فيه
المشاكل الدولية ، إلى ميدان للسياسة المادية وسياسة الضغط وإقرار الباطل
وامتهان كرامة الدول وحقوق شعوبها . هكذا كان يسلط الضغط السياسي في
عاصمة الولايات المتحدة الزعيمة الكبرى للعالم الحر .

١٣ - مولد دولة :

ما إن أعلن قرار التقسيم يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حتى تحولت الأرض
المقدسة إلى ساحة حرب سفكت فيها الدماء ، وسادها الرعب والاضطرابات ،

(١) كما صرح بذلك نوري السعيد في ذلك الوقت اعتماداً على ما وصفه من اتصالات دارت
بين الوفود العربية والمسؤولين من الأمريكيين .

The Forrestal Dairies : P.P. 309-323, 344-358

(٢) مضابط مجلس العموم .

وقتل ١٧٠٠ نفس في المائة يوم الأولى التي تلت ذلك القرار المشؤوم .

وبينما كانت الفوضى تعم الأرض المقدسة ، والاضطرابات تزداد يوماً بعد يوم تنذر بهبوب العاصفة ظلت هيئة الأمم صامتة ساكنة وأخذ دعاة التقسيم ينادون بضرورة التدخل المسلح لوقف هذا الصراع العنيف ، إن لم يكن عن طريق هيئة الأمم فبواسطة الولايات المتحدة وحدها . وكان في طابعية المتحمسين لهذا التدخل المسلح السيدة اليانور روزفلات ، وسمنر ولز ، والسفاتور هربرت ليهمان ، وألبرت توماس ، والسفاتور تافت . وهذا الأخير اقترح إنشاء جيش خاص لفلسطين .

وعندما انعقد مجلس الأمن في ليك سكس لبحث القضية توجه مندوب أمريكا وارن أوستن إلى واشنطن ، حيث تداول الموضوع مع وزير الخارجية مارشال ، ثم عاد إلى ليك سكس وأبلغ أعضاء مجلس الأمن بوجهة نظر الحكومة الأمريكية ، التي تعترف بأن ليس من صلاحية المجلس فرض التقسيم بقوة السلاح وفقاً لميثاق الهيئة ، وأنه لا يمكنه التدخل إلا في حالة تهديد السلم العالمي .

وهكذا وقفت الولايات المتحدة في وجه التدخل المسلح لفرض التقسيم ، وأصررت وزارة الخارجية على تجنب سفك دماء الفريقين بفلسطين وتعريض القوات الأمريكية لمواقف حرجة .

ويبدو أن ترومان نفسه كان متردداً في إرسال قوات أمريكية إلى فلسطين وكان حريصاً كل الحرص على عدم تدخل هيئة الأمم المتحدة ، لأن تدخلها يعني إشراك قوات روسية في التدخل المسلح .. وهذا ما تعارضه أشد المعارضة وزارة الحرب الأمريكية ومجلس الدفاع الوطني ، حتى لا يفتح باب الشرق الأوسط أمام القوات الروسية ، فتدخله تحت ستار هيئة الأمم . وعلى ضوء هذه

الحقائق أخذت السياسة الأمريكية بأهون الشرين ، وراحت تجاهد في أن تجد تدابير مؤقتة لحل القضية الفلسطينية ضمن الحدود القانونية .

وهكذا انقسمت الكلمة بين الدول الخمس الكبرى .

بريطانيا التزمت جانب الحياد . .

وروسيا السوفيتية ارتاحت لما حدث في فلسطين لأنها كانت ترغب في تفاقم الحالة كيما يتسنى لها التدخل .

وفرنسا كانت تسعى لإيجاد نوع من المصالحة بين الفريقين المتنازعين .

أما الصين ، فقد طالبت بتدخل سريع ومعاملة اليهود والعرب معاملة متساوية .

وكانت الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية الدولتين الوحيدتين الراغبتين في التثبت من الحالة في فلسطين ، وفيما إذا كانت تهدد السلم العالمي .

وفي التاسع عشر من شهر مارس ١٩٤٨ ، دعا مندوب أمريكا وارن أوستن مجلس الأمن لوقف جميع التدابير المتخذة بشأن تنفيذ قرار التقسيم والسعى لإقرار هدنة في فلسطين ، ثم دعوة الجمعية العمومية لجلسة خاصة ، للموافقة على إقرار نظام جديد للوصاية على فلسطين بإشراف هيئة الأمم نفسها .

الباب الرابع

ظلال .. جواهر .. قرارات

ظلال

١ - الاضطهادات . . . الهجرات . . . لاوى :

حاول وليم توك - السكرتير الأول لمنظمة اللاجئين الدولية - أن يوضح للأمريكيين الهاجسين أن فلسطين لا يمكن اعتبارها ماجاً أميناً « للمشردين الذين لا مأوى لهم » كما أن صحيفة « نيويورك تايمز » ذكرت في عددها الصادر في ٥ مايو ، إحصائيات موثوقة تفيد أن غالبية يهود أوروبا المشردين ، كانت قد أعلنت في عام ١٩٤٧ عن رغبتها في الذهاب إلى فلسطين ، ولكن ثمانين في المائة من هؤلاء اليهود يريدون الاستيطان في الولايات المتحدة ، « وأنهم لا يرغبون مطلقاً في الذهاب إلى الأرض المقدسة . . . » ، ولكن هذه الأصوات الخلفية ضاعت أيضاً في ضجيج الدعاية الصهيونية .

وإسرائيل اليوم امتداد لإسرائيل الأمس حينما قال لهم بيلاطس : « ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب . فقال الوالى : وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً : إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا » (١) .

ويقرر لوقا طغيان الباطل على الحق وإرادة إسرائيل وإصرارها على صلب الحق في شخص المسيح ، فيقول في إنجيله : « فناداهم بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع ، فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . فقال لهم ثالثة : فأى شر عمل هذا ؟ إني لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه . فكانوا يلجئون بأصوات

(١) متى ٢٧ : ٢٢ - ٢٥ .

(م ١٨ - إسرائيل)

عظيمة طالبين أن يصلب ، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة ، فحكم
بيلاطس أن تكون طلبتهم « (١) » .

ففي القديم تأمروا على خاتم أنبيائهم ورسول السلام والمحبة وأصروا على
قتله وصلبه ، وتم لهم ما أرادوا .

واليوم تأمروا على شعب فلسطين وقويت أصواتهم على صوت الحق ،
وعندما عين الجنرال جون هيلدرنج ، مستشارا خاصا لشئون فلسطين في
وزارة الخارجية الأمريكية ساد الاعتقاد بأن الولايات المتحدة أدخلت تبديلا
جديدا على سياستها ، فإن الجنرال هيلدرنج كان قد صرح أمام المجلس اليهودي
الحيزي ، قبل يومين من تعيينه في منصبه الجديد « بأنه يؤيد التقسيم » .

بالإضافة إلى هذا التغيير فقد أعلن وايزمن قبل أيام معدودة من جلاء
القوات البريطانية وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين مانصه :

« لقد تمكنت من توطيد علاقاتنا بأصدقائنا في واشنطن وتأكدت أنه
سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن إنشائها .. » .

وفي ١٣ مايو كتب وايزمن رسالة خاصة إلى ترومان يطالب فيها : « أن
تعترف الولايات المتحدة حالا بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة .. » .

وحتى تلك الساعة كانت الجمعية العمومية لم تبطل بعد قرار التقسيم
الصادر في نوفمبر ١٩٤٧ ، كما أنها لم تسكر تأييدها له ، بل ظلت تتلمهى بمعالجة
القضية الطارئة ، وهي كيفية إنقاذ الأرواح في فلسطين .

وفي هذه الأثناء وتحت حافزين : حافز عربي أصيل في إنقاذ فلسطين وحافز
بريطاني خسيس في قيادة الجيوش العربية وتحركاتها بالقدر الذي يحقق
للاستعمار أهدافه في خلق إسرائيل - في هذه الأثناء كانت الجيوش العربية

تهدد بالزحف إلى الأرض المقدسة ، وكانت الخطة الإمبريالية الصهيونية تنهز هذا الزحف لتحقيق ضربة قاصمة تعطى لإسرائيل حقوق الغزاة الذين استولوا على البلاد بالانتصار في المعارك الحربية .

وكانت حكومة الولايات المتحدة ماتزال — ظاهريا — تعرض مشروع « هدنة وإقامة نظام للوصاية » ، وهي السياسة التي أملتها الهيئات العسكرية العليا .

وفي صباح ١٤ مايو ١٩٤٨ ، تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس الأمريكي الخالص — والذي كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطي وقادة الصهيونية — من إقناع رئيسه ترومان بوجوب القيام بعمل فوري لإنقاذ الحزب الديمقراطي من هزيمة محققة في الانتخابات المقبلة ، لاسيما أن قادة الحملات الانتخابية في الحزب أبلغوه أن « مشروع الوصاية » الذي عرضته حكومة واشنطن سوف يؤدي بترومان وحزبه إلى فشل ذريع ، وأن هناك ثورة داخلية في الحزب ضده .

وإزاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد أن من الضروري كسب الأصوات اليهودية مهما كلف الأمر .

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ مايو بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية ، كما اجتمع بفرانك جولدمان رئيس مؤسسة « بناي بريث »^(١) الصهيونية التي ينتمى إليها صديق ترومان الحميم وشريكه اليهودي القديم « ادى جا كبسون » كما أن عضو الكونجرس « سول بلوم » أبرق إلى ترومان يقول :

(١) راجع كتاب « إسرائيل والعمود » عن المنظمات الصهيونية ، للدولف .

« إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيت من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط » (١).

وطيلة ذلك اليوم ظل البيت الأبيض معتصما بالصمت المطبق ، وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الأبيض الياهو أبشتاين (وكان في ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية بواشنطن ، وهو الذى سعى فيما بعد الياهو إبيلات وأصبح السفير الأول لإسرائيل فى الولايات المتحدة) ، وأبلغه أن حكومة الولايات المتحدة قررت أن تعترف اعترافا واقعيا بدولة إسرائيل فور إعلانها ، شرط أن توجه الدولة الجديدة كتابا تطلب فيه الاعتراف بها . . .

وأجاب أبشتاين بأن الدولة الجديدة لايسعها إرسال مثل هذا الكتاب قبل مولدها (أى قبل الساعة السادسة مساء حسب توقيت واشنطن) ، ووعد بأن يتصل بتل أبيب ويبلغها رغبة الرئيس ترومان .

جرت كل هذه التطورات الخطيرة فى جو بالغ السكمان ، بل إن البيت الأبيض قرر إبقاء قرار الاعتراف فى طى السكمان وخاصة عن وزير الخارجية مارشال ، لتعاشى أى معارضة قد يثيرها وزير الخارجية ، ولأن نايلز وكليفورد كانا يمحشيان أن يعمد ترومان إلى تأجيل الاعتراف ، ولأن الرئيس ترومان لايريد إبلاغ الخبر قبل موعد إذاعته إلى وزارة الخارجية أو إلى الوفد الأمريكى بفيويورك حيث توالى هيئة الأمم اجتماعاتها لبحث مشروع الوصاية الذى تقدمت به أمريكا نفسها .

(١) حتى طلباتهم لا تخلو من ركيزة تتزع الموافقة ، فإثارة التغلغل السوفيتى ترهب المطامع الأمبريالية فى الشرق الأوسط وتورط أمريكا وتدفعها للاستجابة .

وفي الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين ، وفي الساعة السادسة والدقيقة الأولى ، أعلن قيام دولة إسرائيل الجديدة .

وفي الساعة السادسة وإحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالدولة الجديدة ، فقد دعا تشارلز روس الملحق الصحفي بالبيت الأبيض ، رجال الصحافة إلى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل اعترافاً واقعياً ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الأمريكي للدولة الجديدة ، لإقرار السلام في تلك الربوع .

وبينما كانت الإدارة الأمريكية في واشنطن تعترف بسيادة إسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الأمريكي في هيئة الأمم مازال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين !!

وفي هذه الأثناء تلقى دين روسك أوامر من البيت الأبيض بإبلاغ السفير أوستن قرار الرئيس ترومان ، فتولى نقل النبأ إلى أوستن في غرفته في فندق والدورف استوريا . . . ومن حسن حظ أوستن أنه لم يكن حاضراً آنذاك اجتماع الجمعية العمومية التي كانت تواصل بحث مشروع الوصاية الأمريكي !! وعلى إثر إذاعة النبأ . . . انتشرت الشائعات المتضاربة في فلاشينج ميدوز محاولة أن تفسر الدوافع التي أدت إلى إصدار هذا القرار . والطريف في الأمر أن الجمعية العمومية ظلت ، على الرغم من كل هذا ، تواصل عقد اجتماعها انخامس والثلاثين بعد المائة برئاسة المندوب الأرجنتيني لمناقشة مسألة تدويل القدس ، بعد أن تم التصويت على تعيين مفوض سام من قبل هيئة الأمم على المدينة المقدسة .

وقد حدث حوالي الساعة السادسة أن وقف مندوب كولومبيا السنيور جونزاليس فرنانديز يسأل مندوب الولايات المتحدة الأمريكية عما إذا كان في وضع يسمح له أن يؤكد الأنباء الواردة في الصحف عن قيام دولة إسرائيل واعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بها عقب إعلان مولدها . فأجابه فرنسيس سابر ، أحد أعضاء الوفد الأمريكي ، أنه لم يتناق حتى الآن معلومات رسمية عن الموضوع . ولم يتمالك مندوب كوبا عندها من أن يقف مبدئياً دهشته واستغرابه لجهل الوفد الأمريكي بهذا الموضوع وقال :

« يبدو لي أن مندوبى روسيا السوفياتية وبولونيا أكثر اطلاعا على العطورات الأخيرة التي جرت في واشنطن من أعضاء الوفد الأمريكى نفسه !! » .

وخلص المندوب الكوبى إلى القول :

« إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد اعترفت بالدولة اليهودية الجديدة فلا حاجة بنا بعد الآن لمناقشة المشروع المعروض على بساط البحث ... » .

ولم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى وقف البروفسور فيليب جيب ، نائب رئيس الوفد الأمريكى ، يعلن أن الوفد الأمريكى تلقى معلومات رسمية يمكن إطلاع الهيئة عليها وهذا نصها :

« لقد تلقت هذه الحكومة معلومات تفيد أن دولة يهودية قد قامت في فلسطين ، وهى تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة ، وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالحكومة المؤقتة اعترافا واقعيا كسلطة مسئولة عن دولة إسرائيل . »

على هذه الصورة . . . تلقى الوفد الأمريكي في هيئة الأمم قرار الرئيس
ترومان التاريخي !

ولقد كانت العبارة الواردة في قرار ترومان والقائلة : « . . . وهي
تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة » غير قانونية ، لأن الرئيس الأمريكي
لم يتلقى سوى رساله مؤرخة في ١٤ مايو - ١٩٥٨ من الوكالة اليهودية ،
وموقعة من الياهو ابشتاين ، وتقول : « لقد تقرر أن إيذاع نبأ إعلان
إسرائيل في منتصف ليل ١٤ مايو . . . »

وقد كانت السلطة الرسمية في فلسطين في الوقت الذي كتبت فيه هذه
الرسالة وتلقتها الدوائر المسؤولة في البيت الأبيض ، هي السلطة البريطانية
المنتدبة دون غيرها .

ولكن الذي حدث . . . أنه بعد ٢٤ ساعة من عزم الرئيس على اتخاذ
هذا القرار ، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية من الحكومة المؤقتة
لدولة إسرائيل ، تطلب فيها الاعتراف بها .

وهكذا ارتفع في سماء فلسطين عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة
الواحدة حسب توقيت القاهرة ، أول علم لدولة إسرائيل كما ارتفع في نفس
اللحظة علم مماثل في واشنطن على بناية الوكالة اليهودية « سابقا » .

وبينما كان المندوب السامي البريطاني ، السير آلن كوننجهام ، يغادر
مرفأ حيفا ، طاويا آخر عهد للانتداب البريطاني على فلسطين الذي استمر
أكثر من ربع قرن ، في تلك اللحظة بالذات ، كان زعماء الصهيونية يعلنون
قيام دولة إسرائيل بهذه الكلمات :

« إن هذا العمل هو اعتراف من قبل هيئة الأمم المتحدة ، بحق الشعب اليهودى فى إعادة بناء دولته المستقلة . . .
« وهذا العمل لا يمكن بطلانه . . .

« وزيادة على ذلك ، فهو حق صريح للشعب اليهودى ، ليكون أمة كسائر الأمم ، ضمن دولة مستقلة . . .

« وبناء عليه ، فنحن أعضاء المجلس الوطنى للممثل للشعب اليهودى بفلسطين ، والحركة الصهيونية فى العالم ، قد عقدنا هذا الاجتماع الرهيب ، واستناداً إلى الحق التاريخى والوطنى للشعب اليهودى ، وقرار الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، نعلن فى هذه الساعة قيام الدولة اليهودية فى فلسطين باسم دولة إسرائيل . . .

« ونتوجه بالدعوة إلى الشعب اليهودى بأسره فى العالم ، ليوقف إلى جانبنا فى تسهيل الهجرة وإنعاش دولتنا ، ومساعدتنا فى صراعنا الكبير ، لتحقيق حلم الأجيال فى استرداد أرض إسرائيل . . . » .

٢ - أمريكا جنت على نفسها بهذا القرار :

لم تكن فلسطين وحدها هى التى قسمت ، بل شمل التقسيم يهود أمريكا أنفسهم وشطرهم شطرين بسبب تلك السياسة الخاطئة .

وقد أثارَت الوكالة اليهودية قضية لم يجرؤ أحد من اليهود على إثارتها بمثل هذه الصراحة والتحدى ، وهى قضية المواطنين الأمريكيين اليهود ، وازدواج إخلاصهم للدولتين معاً « إسرائيل أولاً وأمريكا ثانياً » ، فإن الوكالة اعترفت فى أحد تقاريرها الرسمية بوجود مثل هذا الازدواج منذ أن قامت

إسرائيل ، وقالت إن هناك عقبات جمة تعترض تطبيقه لمصلحة إسرائيل ، خاصة عندما تتعارض مصالح إسرائيل وسياسة الدولة التي يعيش فيها المواطنون اليهود .

وبما قاله بن جوريون بهذا الصدد ، في اجتماع الجمعية التنفيذية الصهيونية بالقدس مانصه : « من واجب الصهيونيين المنتشرين في أنحاء العالم ، أن يجحدوا في نفوسهم الجرأة الكافية ، لكي يقفوا بجانب إسرائيل ، حتى ولو كانت حكوماتهم ضدها ! » .

وقد تصدى لهذا الازدواج البرت أينشتاين فصرح بقوله : « إننا نتوجه إلى اليهود في أمريكا وفلسطين بالألا يتركوا أنفسهم تتردى في يأس قاتل أو في بطولة زائفة قد تودي بهم في مهاوى الدمار والانتحار » . ولم يجرؤ يهودى واحد على كتابة ما كتبه الدكتور يهودا ماغنز ، رئيس الجامعة العبرية بالقدس عندما قال :

« إنه من السهل جداً رفع الصوت بالإعلان أن اليهود الإرهابيين هم وحدهم المسئولون عن الجرائم الوحشية التي حدثت في الأرض المقدسة، ولكن من هو المسئول عن الإرهابيين ؟ .. إن كل واحد منا - أى اليهود - يحمل شيئاً من المسئولية ، ولكن الوزر الأكبر يقع على عاتق الأمريكيين الذين ساندوا هؤلاء الإرهابيين ... ومن بينهم فريق من الشيوخ وأعضاء الكونجرس ورجال الصحافة ودور النشر والكتاب وعدد من كبار الأغنياء اليهود ، الذين ساندوا الحركة مادياً ومعنوياً . . . » .

إن من حق كل مواطن أمريكي أن يعطف على إسرائيل ، ويمد لها يد المساعدة إذا شاء ذلك ، دون أن يلومه أحد .

ولكن زعماء الصهيونية لم يكتفوا بهذه المساعدة أو ذلك العطف ، بل

أخذوا ينشرون دعايتهم الواسعة والعلنية بين يهود أمريكا ، يحضونهم على بذل المساعدات المادية والمعنوية لإسرائيل ، والتوجه بالولاء والإخلاص لها أولاً وأخيراً ، «لأنهم يهود إسرائيليون قبل أن يكونوا مواطنين أمريكيين» .

وهذه الدعايات تفاقض ما أعلنه الرئيس الأمريكي وودرو ولسن منذ أربعين سنة عندما قال : « لا يمكنك أن تصبح أمريكياً صحيحاً ومخلصاً ، إذا كنت تعتبر نفسك تنتمي إلى طائفة معينة ، لأن أمريكا لاتضم طوائف وجماعات متفرقة . فالرجل الذى ما زال يعتبر نفسه ينتمى إلى جماعة معينة ، لم يصبح أمريكياً صحيحاً بعد ، وإن الذى يأتى إليك ليتاجر بوطنيته عن هذا الطريق لا يستحق أن يظله العلم الأمريكى ويحميه . . . » .

وعلى الرغم من هذا القول الصريح ، يطلقه أحد رؤساء الجمهورية الأمريكية ، فما زال فى الولايات المتحدة فريق من الصهيونيين واليهود المتحوسين ، يملك الجرأة الكافية ليعلم صراحة وفى أمريكا ما نصه : «لاشك أن العلم الإسرائيلى هو علم دولة أجنبية وأن اللغة العبرية هى لغة أجنبية أيضاً ، ومع ذلك فهذه الأشياء تخصصنا وتمسك بها ، لأن مستقبل اليهود مرتبط ارتباطاً وثيقاً بإسرائيل » .

وبالفعل أبدى الصهيونيون الأمريكيون ولاءهم وتمسكهم بإسرائيل ، على الرغم من أن هذا التمسك وذاك الولاء كانا يضران بمصالح الولايات المتحدة .

وهذا ما حدث من تدخل الصهيونية فى شئون أمريكا السياسية . . !

فقد حدث عندما أثبتت قضية إعادة تنظيم ألمانيا الغربية من الوجهتين العسكرية والسياسية ، لتسكون حاجزاً منيعاً فى وجه التيار الشيوعى الرابض فى الطرف الآخر من برلين ، أن قامت قيامة اليهود الأمريكيين ، وبالتالي

دولة إسرائيل الناشئة وأخذت الصهيونية تدخل في أذهان ساسة واشنطن أن تسليح ألمانيا سوف يؤلف خطراً يهدد اليهود عامة وإسرائيل خاصة .

وعندما وقعت معاهدة الصلح بين الحلفاء وألمانيا الغربية أرسلت إسرائيل إلى واشنطن مذكرة شديدة اللهجة تحتج فيها على توقيع مثل هذه المعاهدة .

وهناك حادثة أخرى أيضاً حدثت في نهاية عام ١٩٤٩ . . . كانت قضية تدويل القدس آنذاك ما تزال موضوعة في جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ، وكان وزير خارجية إسرائيل موسى شاريت قد حضر إلى الولايات المتحدة بنفسه ، لمناشدة « اليهود » كي يمدوا يد المساعدة لإنقاذ وضع إسرائيل وبذل النفوذ والجهود لعرقلة تدويل القدس . وبالفعل نشطت المنظمات الصهيونية واليهودية للعمل ، وأخذت تطوق البيت الأبيض وتطرق أبواب أعضاء وزارة الخارجية ، ومندوبى الولايات المتحدة في هيئة الأمم ، لإقناعهم بالوقوف ضد تدويل المدينة المقدسة .

وفي أثناء مناقشة القضية في هيئة الأمم ، وقبل طرحها للتصويت ، وقفت الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل ، ضاربة بحرمة الأماكن المقدسة عرض الحائط ، ولما إن طرح قرار التدويل للتصويت عليه في الجمعية العامة ، ونال الأكرية المطلوبة ، حتى تراجعت الولايات المتحدة عن قرارها وأعلنت تمسكها بقرارات الأغلبية . وإمعاناً في احتقار قرارات هيئة الأمم المتحدة أخذ بن جوريون يعلن في تل أبيب أن دوائر حكومته ستنتقل إلى القدس لتتخذ منها عاصمة لدولة إسرائيل .

كما قامت في أمريكا المنظمات الصهيونية تؤيد سياسة بن جوريون ، وتصرح علناً بأن اليهود الأمريكيين يناصرون إسرائيل في كل الخطوات التي تتخذها للدفاع عن المدينة المقدسة .

والدهش حقاً أن زعماء الصهيونية نجحوا في إقناع الأمريكيين المسيحيين ، وفريق كبير من ساسة أمريكا ، ورجال الصحافة فيها ، بأن لليهود معتقدات خاصة تختلف كل الاختلاف عن المعتقدات الأمريكية ، وهذه المعتقدات تفرض عليهم العزلة والتكتم كطائفة منفردة ضمن البيئة التي يعيشون فيها .

وبالرغم من كلمة الرئيس ولسن المأثورة (١) : « إن أمريكا لا تتألف من طوائف وجماعات بل من أمة واحدة » ، فإزالت الصهيونية الأمريكية مقتنعة بأن لها مصيراً خاصاً يفضل على مصلحة أمريكانفسها . وهذا الاعتقاد متأصل في تاريخ اليهودية الأمريكية ويصعب إزالته ، وقد نشأت عنه تجربة جديدة ، مزجت بعنصرين متنافرين هما : جوهر الدين وظلال الوطنية .

فإن الدين في نظر الرجل اللاهوتي معتقد مستمد مما وراء الطبيعة ، يتصل بأصل الكون ، ومعنى الحياة البشرية . وبمعنى أوضح إنه يتناول اعتقاد الإنسان بقوة جبارة ، غير منظورة ، تسير الكون ، وعليه احترامها وتقديم فروض العبادة لها .

وعلى هذا فإن اليهودية هي معتقد ديني ، ولكن قليلين هم الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً ينطبق عليهم هذا التعبير .

ولا جدال في أن الصهيونية عرضت الديانة اليهودية لأخطار جسيمة عندما لجأت إلى تحويل اتجاهاتها الدينية المتأصلة في قلوب يهود العالم إلى فكرة سياسية ، ولا يمكننا الآن أن نعرف نتائج هذا التحويل وأخطاره على هذه

(١) الفريد ليلينثال « نحن لإسرائيل » ص ١٩٠ ، ١٩١ .

الديانة ، وما إذا كانت ستتمكن من أن تعيش ، كقوة دينية ، أم أنها ستزول من الوجود بعد أن حقق دعاة الصهيونية أغراضهم بواسطتها .

إن في كلمات النبي ميخا عبرة لأولئك الذين يريدون دفن اليهودية ثم ذرف دموع التماسيح عليها ، وجمع الدولارات على جثتها ، لإنعاش وطنيتهم اليهودية الزائفة .

لقد قال النبي ميخا : « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلب منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك » (١) .

وكذلك في كلمات النبي أشعيا إذ يقول : « هكذا قال الرب : احفظوا الحق وأجروا العدل . طوبى للإنسان الذى يعمل بهذا وطوبى لابن الإنسان الذى يتمسك به » (٢) .

وكذلك في كلمات النبي إرميا إذ يقول : « هكذا قال الرب : أجروا حقا وعدلا وأنقذوا المنصوب من يد الظالم . والغريب واليتيم والأرملة لا تضطهدوا ولا تظلموا ولا تسفكوا دما زكيا » (٣) .

ثم يقول : « اطلبوا سلام المدينة التى سببتمكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام » (٤) .

والحق يقال ، إن هذه التعاليم هى الأهداف التى لم تحققها اليهودية كدين ، ولهذا فالحاجة ملحة لإنعاش اليهودية روحيا خاصة فى هذا الزمن . فإذا ما انتعشت اليهودية روحيا ظهر بينها أمثال حزب أغودات إسرائيل الذى ينادى بعقيديتهم : « بأن أية محاولة للقيام بمجهود إنسانى بغية محاولة العودة

(٢) أشعيا ٥٦ : ١ ، ٢ .

(٤) إرميا ٢٩ : ٧ .

(١) ميخا ٦ : ٨ .

(٣) إرميا ٢٢ : ٣ .

لن تكون أكثر من تبحر واغتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب .

ويرى الفريد ليلينثال حيث أن إسرائيل محاطة بملايين العرب من كل جهة فمن واجبها أن تأخذ درساً لم يتعلمه يهود فلسطين من قبلها ، وهو أن وضعها الجغرافي يحتم عليها أن تعيش بوئام مع جيرانها العرب لتتمكن من الاستمرار في الحياة وذلك :

أولاً : بالإقلاع عن مطالبة يهود العالم ، وخاصة يهود أمريكا بالإخلاء لدولة إسرائيل ، لأن الدولة التي لا تقف سيطرتها عند حدودها الطبيعية ليست دولة طبيعية ، ولا يمكنها أن تعيش بوئام وسلام مع جيرانها .

ثانياً : على إسرائيل قبل كل شيء أن تنفذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ، وأهم هذه القرارات إنشاء نظام دولي للإشراف على القدس ، وتسوية قضية اللاجئين العرب ، وتعويضهم ، لأن على إسرائيل وحدها تقع مسؤولية تشريد اللاجئين العرب ، ومن واجبها الإنساني أن تخفف من ويلات هؤلاء التمساء المشردين . وبهذا يمكن لليهود أن يعيشوا في سلام وصدقة مع العرب .

أما أنا فأرى غير ذلك ، إذ أن مصير الأمة العربية رهن بقوتها ونضوجها السياسي واعتدادها بنفسها ، وعليها مضاعفة الجهد لتخطيط وحدة عربية من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي ، والتصميم على استعادة أرض فلسطين ، وردها إلى أهلها وعودة الفلسطينيين إلى بلادهم .

ومن الظلم أن تفتصب إسرائيل الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط وعليه يقع كثير من الموانئ الهامة مثل عكا وحيفا ويافا وتل أبيب وكلها من الموانئ ذات الأهمية الاستراتيجية ، كما أخذت

جنوب فلسطين ، فكان لها بذلك واجهة بحرية على البحر الأحمر ،
ولقد خدمت هذه المنطقة إسرائيل كثيرا خصوصا أن سفنها متنوعة
من المرور في قناة السويس .

حتى صحراء النقب دخلت هي الأخرى في أملاك اليهود ، وهذه المنطقة لها
أهمية كبيرة ، لكونها مصدرا عظيما للإنتاج الحيواني ، وبعض الإنتاج الزراعي
حيث تتوفر الآبار والعيون في الواحات ، بل إن اليهود يحاولون تنفيذ مشروع
نهر الأردن لجر المياه إلى هذه المنطقة واستصلاح مساحات كبيرة لاستغلالها في
الزراعة ، كما تمثل منطقة النقب صمام أمن لإسرائيل .

وهكذا يبدو جليا أن اليهود قد استحوذوا بناء على قرار التقسيم على
الأجزاء الهامة والجيدة من فلسطين بالإضافة إلى ما اغتصبوه في عدوانهم على
الدول العربية بهدف التوسع الإسرائيلي .

٣ - دول الاستعمار تدهم كيان إسرائيل :

لم تكثف دول الاستعمار بما ارتكبته من جريمة بشعة في حق الإنسانية
وفي حق شعب تألمت كل قوى الشر للقضاء عليه وتشريده من أرض أجداده
التي عاش فيها منذ آلاف السنين ، بل سعت أيضا إلى محو اسم فلسطين عن الجزء
المتبقى من أرض فلسطين . ففي ٤ إبريل سنة ١٩٥٠ أعلن مجلس الأمة الأردني
الذي ضم ممثلين عن الأجزاء الفلسطينية التي يسيطر عليها الجيش الأردني
توحيد هذه الأجزاء مع «شرق الأردن» في دولة واحدة أطلق عليها «المملكة
الأردنية الهاشمية» .

ولم تعترف الدول العربية بهذا التوحيد وإنما اعتبرت أن هذه الأجزاء
الفلسطينية «الصفة الغربية للأردن» ودبعة لدى الأردن لحين التسوية النهائية

للأرضية ، فيما عدا العراق التي اعترفت بوحدة الأجزاء الفلسطينية مع الأردن .
وهكذا وبعد أن أطلق اليهود اسم « إسرائيل » على الأجزاء المحتلة من
فلسطين زال كيان فلسطين ورفع اسمها من خريطة العالم لأول مرة في التاريخ .

لقد كان لهذه الكارثة والمأساة التي حلت بالشعب العربي كله أثر كبير
في نفسيته ، فعمت جميع الأوساط روح النقمة والسخط على الدول الاستعمارية
وعملاتها ، وانتشرت روح العداء لهذه الدول ، وبدأت الأوساط الشعبية العربية
تتحدث عن ضرورة استعادة الوطن السليب وعودة اللاجئين والاستعداد
لجولة ثانية مع إسرائيل . واتضح أمام الشعب العربي حقيقة الدور القذر الذي
قامت به كل من بريطانيا وأمريكا لخلق هذا الكيان الجديد المصطنع تنفيذاً
لسياسة الاستعمار العالمي من العمل على فصل الجزء الإفريقي من المنطقة العربية
عن جزئها الآسيوي وإقامة حاجز بشري قوى وغريب في منطقة الجسر البري
الذي يربط آسيا وإفريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط ، بحيث يشكل في هذه
المنطقة على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدواً لسكان المنطقة .

واتضح لدول الاستعمار أن الخطر بدأ يحدق بمخلوقهم الجديد ، ففي ٢٥ مايو
سنة ١٩٥٠ صدر « التصريح الثلاثي المشهور » من بريطانيا وأمريكا وفرنسا
الذي أكدت فيه الدول الثلاث تدخلها باسم الأمم المتحدة إذا تبين أن إحدى
دول منطقة الشرق الأوسط تستعد لانتهاك حرمة الحدود التي رسمتها اتفاقيات
الهدنة ومعارضتها لأي استخدام للقوة أو التهديد بالانتحاء إليها . كما أكدت
الدول الثلاث اتفاقها على مقاومة إرسال الأسلحة إلى هذه الدول ، وسباق
التسلح بينها إلا في الحالات المحددة المتفق عليها .

ولم تقنع دول الاستعمار بذلك بل أخذت تدعم إسرائيل سياسياً واقتصادياً

وعسكريا، وصرح كثير من الساسة الأمريكيان « أن إسرائيل وجدت لتبقى ، وأن أمريكا هنا لتؤمن حياتها » .

كما انتهت المعونات المالية على إسرائيل ، فقد بلغت قيمة المعونات الأمريكية في الفترة ما بين عامي ١٩٤٨ ، ١٩٥٣ (١) حوالي مليار دولار ، علاوة على ما تقدمه من معونات عينية بما يوازي ٣٠٠ مليون دولار سنويا ، كما أجبرت أمريكا (٢) ألمانيا الغربية على دفع ٨٧٥ مليون دولار تعويضا لإسرائيل عن الخسائر التي حدثت لليهود أثناء الحكم النازي في أوروبا .

وتناسى العالم أن إسرائيل إنما قامت على الاغتصاب والعدوان ، وأن مليون عربي لا يزالون حتى اليوم يعيشون في الكهوف والخيام بعد ما طردوا من ديارهم ونهبت أملاكهم . وبالرغم من الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في حق العرب الذين لا يزالون يقيمون بها ، وبالرغم من إصرارها على عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بعودة اللاجئين وتعويضهم ، فلا تزال دول الاستعمار حتى يومنا هذا تدعم إسرائيل ، وترتفع الأصوات في كل من بريطانيا وأمريكا للتستر عليها والدفاع عن جرائمها واعتبارها حقوقاً شرعية للدفاع عن النفس وعن كياناتهم بحجة تأمين إمكانيات الحياة لهذا الجيش الكبير من المهاجرين .

(١) يقول المعلق السياسي وسترفيلد في كتابه عن « السياسة الخارجية والحزبية في أمريكا » : « لقد كان المالب على الحزبان العامة للولايات المتحدة نتيجة مساعدتها لدولة إسرائيل يقدر بعشرات الملايين من الدولارات . . وهذا لا يعتبر ثمنا كبيرا . أما الخسارة التي خسرتها أمريكا فهي فقدتها ثقة العرب وصدقتهم وهذه خسارة لا تعوض ولم يقدرها المسئولون » .

(٢) وهل أجبرت أمريكا إسرائيل على تنفيذ القرار رقم ١٩٤ ؟ !
(م ١٩ — إسرائيل)

جوهـر

٤ — المشكلة اليهودية ومسئولية الخلفاء تجاهها :

قال تشرشل في عام ١٩٢٢ في كتابه الأبيض : « إن إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين لا يعني أبداً إقامة حكومة يهودية للتسلط على السكان العرب هناك فنحن لن نسمح للفريق أن يفتزع قسراً حقوق الفريق الآخر » .

إلا أن ظروف الحرب العالمية الثانية دفعت بالخلفاء إلى خلق مشكلة في الشرق الأوسط لا يمكن حلها إلا باستئصالها من جذورها . فلقد انتهت الحرب العالمية الثانية وخلفت وراءها مشكلة إنسانية قاسية هي مشكلة الأشخاص الذين نزحوا عن أوطانهم هرباً من الموت الذي كان يلاحقهم به أعوان هتلر ، وقد كانوا خليطاً من سكان النمسا وهولندا وهنغاريا ورومانيا ، وهم ينتمون إلى عدة دول وأديان ومذاهب ، منهم حوالي نصف مليون كاثوليكي ومائة ألف بروتستانت ، وحوالي ٢٢٠ ألف يهودي ، وكان مائة ألف من هؤلاء اليهود محتشدين في معسكرات الاعتقال بألمانيا والنمسا وإيطاليا ، بينما توزع حوالي ٥٠ ألفاً في بريطانيا ، و١٢ ألفاً في السويد ، وعشرة آلاف في سويسرا .

كانت مشكلة . . . وكان على الخلفاء المنتصرين أن يجدوا لها الحل . . . ولو أن تلك الدول فتحت صدرها لهجرة مشردي أوروبا إلى بلادها ومستعمراتها ، ولو أنها كانت جادة ومخلصة في ترحيبها وعادلة في سياستها ، لو أن جزءاً من هذا حدث ، فهل كنا نسمع بمشكلة فلسطين ؟ وهل كنا نسمع أدعياء أوروبا من اليهود المشردين يدعون كذباً بأن بلدهم هو فلسطين ؟

أى يهودي يفضل الهجرة إلى فلسطين حيث الضيق الاقتصادي على أن يهاجر إلى كندا أو أمريكا حيث العيش الرغد والجمال المتسع للمشروعات والأعمال ، وحيث لا تعصب نازياً ضدهم ؟ !

وقد كتب الرئيس ترومان في ٣١ يوليو سنة ١٩٤٥ رسالة إلى رئيس الحكومة البريطانية كليمنت أتلي يقول فيها: « إن إصدار مائة ألف بطاقة هجرة إلى الولايات المتحدة قد يساعد على حل قضية مشردى أوروبا ». وقد نشر نص هذا الكتاب السناتور جى جيليت بعد مضي ثلاثة أشهر من إرساله .

أما الحكومة البريطانية فقد أعلنت موقفها من هذه القضية في تصريح رسمي صدر في أكتوبر سنة ١٩٤٥ قالت فيه إنه لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من أوروبا أو الحيلولة دون استيطانهم في البلدان الأوربية ، دون تمييز في العنصر ؛ لأن وجودهم في تلك البلدان يساعد في إعادة بناء أوروبا وازدهارها .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهداً ضخماً واهتماماً خاصاً لمساعدة مشردى أوروبا وإنقاذهم من الشقاء الذي يعانونه ، فاقترح أن تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتوافق على إسكان عدد من أولئك المشردين في بلادها ، دون تمييز بين عنصر وعنصر أو بين دين ودين .

واعتقد الرئيس الأمريكي أن بالإمكان إنقاذ نصف مليون مشرد على الأقل ، إذا تضافرت جهود العالم الحر ، وضمنت لهؤلاء المشردين ما جأ أميناً .

وتمشيا مع هذه السياسة الإنسانية ، قصد موريس أرنست اليهودى وأحد المقربين إلى الرئيس الأمريكي — قصد لندن لمفاوضة المسؤولين البريطانيين فيما إذا كانوا يوافقون على احتضان مائة أو مائتي ألف من أولئك المشردين ، وكان الرئيس الأمريكي واثقاً كل الثقة أن أستراليا وكندا وبعض بلدان أمريكا الجنوبية لا تعارض مطلقاً في فتح حدودها أمام عدد كبير منهم .

وكان مفتاح حل المشكلة في لندن . . . !!

فهل كتب النجاح لموريس أرنست في مهمته في لندن ؟ ؟

عاد أرنست إلى بلاده أخيراً ينقل إلى رئيسه نتيجة مساعيه في عاصمة الإنجليز ، وخلاصتها أن بريطانيا ساعية لتطبيق برنامج جديد للهجرة في العالم ، وهي مستعدة لإيواء ١٥٠ ألف مشرد على أن تساهم أمريكا بإيواء مثل هذا العدد في أراضيها ، وقد أبدى الرئيس روزفلت للوهلة الأولى ارتياحه لهذه الخطوات .

٢ — الضغط الصهيوني يصيب مشروع ارنست بالفشل :

ولكن بعد مضي أسبوع واحد على هذا التصريح ، زاره صديقه موريس أرنست مرة ثانية وتداول معه في مشكلة مشردى اليهود في أوروبا ، وإذا بروزفلت يعلن عندها : « أنه اقتنع تمام الاقتناع أن ذلك البرنامج لن يحل المشكلة ، ولا سيما أن قادة الصهيونية في أمريكا رفضوا هذه الحلول . . » . واستطرد يقول : « وإنهم على حق في معارضتهم ، لأنهم يدركون أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلاً أو آجلاً الملجأ الأمين لمجتمعهم » .

وقد صمق موريس أرنست لهذه الأقوال يجاهر بها رئيسه وصديقه في وقت كان هو يسعى فيه إلى تحقيق ذلك البرنامج القاضى بإغاثة جميع مشردى أوروبا وفي مقدمتهم اليهود .

وكنتيجة حتمية لمعارضة الصهيونية للمشروع توقفت جهود روزفلت من أجل تحقيقه .

وفي ديسمبر سنة ١٩٤٥ أصدر الرئيس ترومان تعليمات صريحة إلى وزارتي الخارجية والحربية لتقديم كل التسهيلات الممكنة لهجرة اليهود إلى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا .

ولكن هذه التسهيلات لم تجد نفعا لتخفيف وطأة مشكلة المشردين ، وقد تنبه إلى حالة هؤلاء السناتور الأمريكي ولیم ستراتون فأثار هذه القضية في الكونجرس عام ١٩٤٧ ، إذ طالب بفتح أبواب الهجرة أمام المضطهدين الذين لاوطن لهم ، على أن يكون عدد الداخلين إلى الولايات المتحدة مساويا لكمية الكوتاجير المستعملة خلال سنى الحرب الأخيرة . وبموجب مشروع ستراتون تقرر السماح لحوالى ٤٠٠ ألف مشرد من مختلف الأديان والأجناس بدخول الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد استمرت اللجنة التي تألفت لدرس هذه القضية ، مدة أحد عشر يوما فى اجتماعات متتالية ، وضعت فى نهايتها تقريرا يقع فى ٦٩٣ صفحة كان منها إحدى عشرة صفحة فقط تضمنت آراء المنظمات اليهودية ومطالبها . وكانت كلها تبدى عدم اهتمامها وحاسها لهذا المشروع . . . ولكن عندما بحثت اللجنة الخارجية اقتراح « رايت كومبتون » الذى يوصى بإنشاء دولة يهودية على غرار دول « الكومنولث » ، أبدت كافة المنظمات الصهيونية وحلفاؤها التأييد المطلق للاقتراح ، كما بعثت آلاف البرقيات والرسائل وكلها تشيد به وتؤيده . هذا مع أننا رأينا هذه المنظمات نفسها تقابل مشروع ستراتون بالفتور التام والصمت المطبق ، ولم ترتفع حينذاك سوى أصوات قليلة من المنظمات اليهودية الأمريكية التي أيدت المشروع ومن بينها صوت السناتور هربرت ليهمان .

وصرح رئيس المنظمة الصهيونية فى أمريكا بأهداف المنظمة بقوله : « إن الصهيونية ليست حركة من أجل قضية المشردين ، ولم تكن أبداً وليدة الحرب العالمية الأولى أو الثانية كما يظن البعض . . . وهى ، وإن لم يوجد يهود مشردون فى أوروبا أو فى غيرها من العالم ، ستظل قضية حية . . . وإنما هى حركة من أجل إنشاء دولة يهودية » . وبمناسبة الذكرى الثامنة لمؤتمر

« ميزناح » اليهودى كتب الصهيونى سولتز برجر صاحب جريدة نيويورك تايمز يقول :

« ليس من واجبتنا أن نحصر اليهود فى إدخال اليهود إلى فلسطين فحسب ، بل من واجبتنا أيضا أن نسعى لتوطين أولئك المشردين من اليهود وغيرهم فى بلاد تستوعبهم » .

وقد كانت كلمة برجر هذه موجهة إلى أولئك الصهيونيين الذين يضعون نصب أعينهم هدفا واحداً فقط . . هو إقامة دولة يهودية فى فلسطين .

٣ - اقتراح تدويل فلسطين :

ولقد دعا رئيس الحكومة البريطانية فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ بعد أن صرح أن بريطانيا لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من أوروبا أو الحيلولة دون استيطانهم فى البلدان الأوربية دون تمييز فى المنصر ، دعا إلى إجراء تحقيق مشترك فى هذه القضايا من قبل لجنة أمريكية بريطانية .

فرحب الرئيس ترومان بهذه الدعوة ، بينما ثار لها زعماء الصهيونية وقابلوها بالاحتجاج ووصفوها بأنها خيانة جديدة لقتضيتهم ان يخضعوا لنتائجها .

وعلى الرغم من ذلك ، تألفت بعثة التحقيق الأمريكية - البريطانية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ وكانت مكونة من ستة أعضاء أمريكيين بريطانيين ، وكانت مهمتها درس الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى فلسطين دراسة دقيقة ، على أن تولى عناية خاصة قضية هجرة اليهود إلى أرض الميعاد ، وإمكانية إقامتهم فيها .

وكان من مهمتها أيضا درس وضع اليهود الأوربيين ، لتحديد العدد الذى يرغب الهجرة إلى فلسطين أو إلى غيرها من البلدان خارج أوروبا .

وكان من بين أعضاء البعثة القاضى الأمريكى جوزيف هوتشيسون

والدكتور فرانك أيديلوت مدير الدراسات العليا في جامعة برنستون ، وسفير أمريكا السابق وليم فيلبس ، وجيمس ماكدونالد الذي أصبح فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة الأمريكية في إسرائيل ، والنائب البريطاني كروسمان .

وعقدت البعثة أول اجتماعاتها في واشنطن في مطلع شهر يناير سنة ١٩٤٦ ، واستمعت إلى وجهات نظر ممثلين عن المنظمات اليهودية وعن المسيحيين وعن المسلمين ، ثم تابعت اجتماعاتها في لندن ، بعد أن انبثق عنها عدة لجان فرعية كلفت بالطواف في أنحاء أوروبا لدرس حالة اللاجئين بها .

ثم عقدت البعثة عدة اجتماعات بعد ذلك في مصر بكامل أعضائها استمعت خلالها إلى ممثلي الوكالة اليهودية — وهي المنظمة الرسمية التي كان لها حق التكلم باسم يهود فلسطين — كما استمعت إلى المنظمات والهيئات العربية .

وقبل أن تنهى البعثة تحقيقاتها في بلاد الشرق الأوسط زارت لجنة فرعية من أعضائها عواصم : سوريا ولبنان والعراق والسعودية العربية والأردن ، واستمعت إلى آراء المسئولين هناك في القضية الفلسطينية ، ومن بعدها انتقلت إلى سويسرا فوضعت تقريرها النهائي الذي أذيع في واشنطن ولندن في وقت واحد يوم ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٦ . وأهم ما جاء في التقرير : « أن البعثة أوصت بمنح مائة ألف من يهود أوروبا المشردين الذين قاسوا الاضطهاد والتعذيب في المهدين النازي والفاشستي حق الدخول إلى فلسطين » .

ويضيف التقرير : « بأن اليهود لن يسيطروا على العرب ، وأن العرب لن يسوءوا اليهود في فلسطين ، لأن هذه الأرض المقدسة لن تكون يوماً دولة يهودية وعربية ، ولأن فلسطين ستبقى أرضاً مقدسة في نظر المسيحي واليهودي والمسلم ؛ ولهذا فلا يمكن أن تكون أرضاً يدعى ملكيتها شعب معين أو ديانة معينة » .

٤ — الصهيونية وموقفها من التقرير:

ولقد لاقى البند الأول من توصية البعثة ترحيباً حاراً في أوساط المنظمات اليهودية ، وهو البند الخاص بإدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين ، بينما شنت هذه المنظمات حملات عنيفة على بقية ما تضمنته التوصية من بنود .

كما كانت البعثة نفسها هدفاً لبعض هذه الحملات لأنها لم توص بإنشاء وطن قومى لليهود في فلسطين .

٥ — الامبريالية الانجلو امريكية تعمل لتوطين مشردى اوربا من اليهود :

وفي مطلع عام ١٩٤٧ قامت بريطانيا بأخر محاولة لتقريب وجهات النظر بين العرب واليهود ، وحمل الفريقين على التفاهم ، فوضعت اقتراحاً عرضته على الفريقين كأساس للتفاهم ، وهو ينص على إدخال أربعة آلاف يهودى إلى فلسطين شهرياً لمدة سنتين أى ٩٦٠٠٠ يهودى ، وبانتهاء المدة تنظم الهجرة وفقاً لقدرة البلاد على الاستيعاب ، ولكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح ، بحجة أنه يقيد حرية اليهود في الهجرة والإقامة في فلسطين ، وبالتالي في إنشاء دولة لهم في أرض الميعاد .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهداً ضخماً واهتماماً خاصاً لمساعدة مشردى أوروبا ، وإنقاذهم من الشقاء الذى يعانون منه ، فاقترح أن تقوم كل دولة من دول العالم الحربى بعض واجباتها ، وتوافق على إسكان عدد من أولئك المشردى في بلادها ، دون تمييز بين عنصر وعنصر ، أو بين دين ودين .

٦ — الدعاية العربية والتحول الأمريكى لصالح الصهيونية :

واقترب ميعاد إنهاء الانتداب البريطانى ، فأخذ الصهيونيون يستعدون لإعلان دولتهم ، بينما كانت حكومات الجامعة العربية تبالغ في تصريحاتها عن هزمها لإنقاذ فلسطين ، وبينما كانت الصحافة العربية تتسابق في نشر الأرقام الخيالية عن الجيوش العربية الجاررة التى أحاطت بأراضى فلسطين

استعداداً لإيقاظها ، كانت الصهيونية تحقق أكبر فائدة من هذه المبالغات ، إذ كانت تعرضها بحرفيتها على الرأي العام الدولي فستنجد وتقول : « انظروا كيف أن اليهود البائسين الذين قاسوا الأمرين على أيدي الفاشية النازية يستهدفون اليوم لعدوان الجيوش النظامية لسبع دول عربية !! » .

وهكذا كسب الصيونيون عطفاً جديداً على قضيتهم ، وخسر العرب كثيرين ممن كانوا يؤيدون حقوقهم بسبب المبالغات العاطفية والأكاذيب الخيالية التي كانت تكتب في الصحف .

٧ - المساعي الصهيونية والتواكل العربي :

بينما كان مندوب بريطانيا يعلن في هيئة الأمم أن حكومته لا تريد إقرار وضع في فلسطين يتنافى مع ضميرها ، وأنها تريد تشكيل لجنة خاصة لدراسة الموقف هناك وتقديم تقرير عنه للجمعية العامة في دورتها المقبلة ، وبينما كانت الصهيونية تعد عدها لحبك المناورات في نيويورك ، كانت الجامعة العربية تفكر — مجرد تفكير — في الخطوة التالية التي تتبعها .

واستغرق تفكيرها ثلاثة أسابيع انتهت بقرار إرسال مذكرة «عن طريق مندوبي الدول العربية الخمس الممثلة في هيئة الأمم» إلى أمانتها العامة طالبة إدراج البند التالي في جدول أعمالها : «إنهاء الانتداب في فلسطين وإعلان استقلالها» .

وكان الفضل الأكبر لعملاء الصهيونية في سكرتارية الأمم المتحدة وغالبيتهم من اليهود المعروفين بميولهم الصهيونية ، في تسويق البت في طلب الدول العربية ثم رفضه في اللجنة العامة « التي تقرر جدول الأعمال » «بثمانية أصوات مقابل صوت واحد» (١) .

(١) يجدر بالذكر هنا أن الاتحاد السوفيتي كان يؤيد الاقتراح العربي ، إذ رأى فيه فرصة للعمل على إنهاء نفوذ بريطانيا في فلسطين .

وصدر قرار الجمعية العامة بهيئة الأمم المتحدة بتشكيل لجنة خاصة لدراسة الموقف في فلسطين ، وتقديم تقرير عنه لبحثه ، واتخاذ قرار بشأن مشكلة فلسطين على ضوءه . ولقد كان تشكيل تلك اللجنة صدمة أخرى للدول العربية ولقضية عرب فلسطين ، إذ كانت الغالبية من الدول الممثلة فيها « باستثناء إيران والهند » معروفة بميلها للصهيونية أو خضوعها للضغط الأمريكي .

أما المندوب اليوغوسلافي فقد كان تصرفه يتم في أول الأمر على أن حكومته قد بيّنت النية على تأييد كل ما هو ضد بريطانيا . وقد كان وجود صهيونيين بارزين ضمن أعضاء تلك اللجنة دليلاً كافياً لإدانتها بالتحيز ومؤازرة الصهيونية مؤازرة واضحة .

كان أحدهما هو « جورج جارسيا جرانادوس » - وكان معروفاً باتصالاته بالبيت الأبيض ومعظم المسؤولين فيه - مندوب جواتيمالا الذي عرف بصهيونيته المتطرفة ومساعدته المتواصلة للتأثير على اللجنة ، والآخر هو مندوب أوروغواي ، وهي دولة تتحكم في سياستها المنظمات اليهودية ذات النفوذ المتمركز في عاصمتها ومدنها الرئيسية .

ومرة أخرى كان رد الجامعة العربية رداً يتم على قصر النظر السياسي والتمسك الجامد بالمثل والمطالبة بالحق رغم أن الدلائل كانت كلها تشير إلى سياسة الضغط والتناورات التي كانت متبعة في أمريكا والغرب في ذلك الوقت . ردت الجامعة برفضها التعاون مع اللجنة الخاصة (١) لأنها لم تعلن ضمن مهامها : « إنهاء الانتداب ، وإعلان استقلال فلسطين » ، ولأن هذا البند لم يدرج ضمن جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم ، ولأن هيئة الأمم لم تفرق بين مشكلة

(١) لجنة هيئة الأمم الخاصة بفلسطين ، للسكونية من مندوبين إحدى عشرة دولة .

مشردي أوروبا وقضية فلسطين . . . ولأن . . . ولأن التعاون مع تلك اللجنة معناه الإضرار بمصالح العرب ، والاشترك في مؤامرة استعمارية يدبرها الغرب . . ومن ثم وجهت الجامعة العربية نداءها إلى عرب فلسطين بعدم التعاون مع اللجنة واتباع سياسة المقاطعة . . وهذا بالفعل ما كانت تريده الصهيونية . . ألا يتصل بأعضاء اللجنة من يكون لديه من قوة الإقناع والبرهان ما يثبت على الأقل لبعض أعضائها عدالة القضية العربية من نواحيها العمالية الواقعية .

قاطعت الدول العربية اللجنة الخاصة ولم تزودها بالمعلومات والحقائق ، ووجهت اهتمامها إلى الدعاية في الصحافة ضد مطامع اليهود ومطامع الاستعمار . . الصحافة العربية التي لا يقرؤها الغرب ولن يقرأها أعضاء اللجنة الخاصة . . ولن يقرأها سوى الشعب العربي وهو أدري بعدالة قضيته .

٨ - مقارنة بين النمط الصهيوني والنمط العربي في علاج قضية فلسطين :

إن العرب إذ قاطعوا اللجنة الخاصة في تلك اللحظة الفاصلة وبعد وضوح سياسة أمريكا ونياتها ، كان ذلك بمثابة توقيع صك إعدام الحقوق العربية ، لا في نظر هيئة الأمم فحسب ، وإنما من الناحية العملية أيضا .

أما الصهيونيون فقد أغرقوها بالكتب والنشرات والإحصائيات والبيانات — وإن كان أغلبها مشوها — زود الصهيونيون اللجنة بتسعة عشر كتابا تفصيليا منها مرجع صهيوني أسامى يقع في ٦٨٦ صفحة باسم القضية اليهودية أمام لجنة التحقيق الأنجلو — أمريكية ، ستمائة وست وثمانون صفحة من الدعاية الصهيونية المنتقاة التي أمدت أعضاء اللجنة الخاصة بالبراهين والحجج ووسائل الإقناع ! كما أرسلت المنظمات الصهيونية في أوروبا وأمريكا تسعة وتسعين مستنداً — وهي كلها باطلة — تحتوي على مئات الصفحات من الدعاية الصهيونية التي تنكفي لهدم القضية العربية مهما يكن حياذ الجهة التي احتكم إليها .

ومن الناحية القانونية درست اللجنة تقريراً مقديماً من الحكومة البريطانية^(١) عن فلسطين في ظل الانتداب ، وكان هذا التقرير تبريراً لأعمال الإدارة البريطانية خلال ثلاثين عاماً من حكمها ، ولم يذكر فيه أن العرب كانوا قد رفضوا الانتداب من أساسه وحاربوه منذ أولى خطواته كأسلوب استعماري ، هذا بينما ذكر التقرير البريطاني ما يفهم منه أن منشأ الانتداب هو وعد بلفور ، دون أن ينص على مبلغ مقاومة العرب ومناهضتهم لوعد بلفور هذا .

وباختصار كان تقرير الحكومة البريطانية هذا مطابقاً للحجة التي يستند إليها اليهود ولتبرير مطالبهم .

وبعد فهل كسب العرب شيئاً من مقاطعتهم للجنة أو خسروا جولة أخرى ؟ وهل كسب الصهيونيون ؟

إن نظرة واحدة إلى خططهم وأسلوبهم الإرهابي أثناء زيارة اللجنة الخاصة لفلسطين لا تترك أدنى شك في تقرير مكاسبهم المادية والمعنوية والسياسية لتحقيق أهدافهم .

وهناك دليل يشهد على الأعمال الإرهابية وما يتبعها من السلب والنهب إذ صرح بن جوربون بقوله : « إن المستوى الذي نزل إليه اليهود من مختلف الطبقات بارتكابهم أعمال النهب والسلب في المدن العربية ليعتبر من المشاهد الخبزية المؤلمة »^(٢) .

The Political History of Palestine under the British (١)
Mandate , Memorandum . presented by H. M. Government .
London July 1947 .

Israel Government Handbook 5712 London 1951 . (٢)

لقد كانت « الاستراتيجية » الصهيونية — إن صح هذا التعبير — محكمة متقنة من جميع نواحيها ، فالدعاية الصهيونية العالمية مستمرة لكسب عطف الرأي العام الدولي بما أسمته مأساة مشردى أوروبا !! ولا أدل على ذلك مما ذكره الفريد ليلينثال بقوله : « في ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٧ عقدت الجمعية العامة جلسة خاصة في نيويورك لبحث قضية فلسطين ، واقتصرت أبحاثها على عرض مختصر للقضية من مختلف وجوها . وتقرر تأليف لجنة التحقيق من إحدى عشرة دولة صغيرة هي : أستراليا ، كندا ، تشيكوسلوفاكيا ، الهند ، جواتيمالا ، إيران ، هولندا ، بيرو ، السويد ، أوروغواي ، يوغوسلافيا — وعين القاضي السويدي إميل ساندستروم رئيسا لها » (١) .

ومنذ الساعة الأولى التي أعلنت فيها أسماء أعضاء اللجنة بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الأعضاء . . كما أخذت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهود والمساعدات خلال اجتماعات الجمعية العامة لكسب التأييد والمساعدة للقضية الصهيونية .

ووجه رئيس حاخامى فلسطين بيانا إلى هيئة الأمم المتحدة ، ناشدها فيه أن يأتى قرارها عن فلسطين منسجما ومصالحة اليهود ، كما تضافرت جهود المؤسسات والهيئات اليهودية في الولايات المتحدة : كالمؤتمر اليهودى الأمريكى ، واللجنة اليهودية لفلسطين ، واليانور روزفلت عقيلة الرئيس السابق روزفلت ، والمجلس الوطنى اليهودى ، واللجنة المسيحية الأمريكية لفلسطين — تضافرت جهودها كلها لمساندة المطالب الصهيونية ، وإصدار كل منها بيانات صريحة في هذا المعنى .

حتى المؤسسات الاقتصادية اليهودية اشتركت في هذا الصراع المحموم ،

(١) ثمن إسرائيل ص ٤٠ .

فأذاعت الشركة اليهودية الاقتصادية ، وهي شركة يهودية خاصة ، نشرة قالت فيها : « إن صحراء النقب يمكن الاستفادة منها واستيطانها بعد تزويدها بمياه الري في فترة لا تزيد عن السنة الواحدة » .

وقالت صحيفة « الشعب » التي يشرف عليها ممولون يهود إن العرب كانوا من أنصار المحور خلال الحرب الأخيرة ، وطالبت هيئة الأمم المتحدة باتخاذ قرار يقضى بإقامة دولتين مستقلتين بفلسطين .

وفي أمريكا تستمر الدعاية الصهيونية وجهاز « تنظيم الضغط السياسي » لضمان تنفيذ حكومة الولايات المتحدة أهداف الصهيونية بحرفيتها وكامل أطاعها ! وفي هيئة الأمم المتحدة يقوم فريق الصهيونيين بالاتصال بالوفود واستمالتهم ، بينما بعد عملاء الصهيونية من أعضاء السكرتارية عدتهم لدحض كل مجهود من قبل الدول العربية حتى يخفت أثر دعايتها ، وتشوه قضيتها بما توافر لتلك الأداة من الإمكانيات ! كل هذا والعصابات الإرهابية تنزل بالسلطات البريطانية الضربة تلو الأخرى ، بينما تتلقى المكاتب الصهيونية في لندن ومدن إنجلترا الكبرى التعليمات المنتظمة من الوكالة اليهودية للرد على كل ما يكتب في الصحف البريطانية عن فظائع الإرهاب الصهيوني في فلسطين ، حتى لا يثور الرأي العام ويطالب حكومته بتدابير صارمة ضد الصهيونية . وبالإضافة إلى كل هذا وغيره من التدابير ، كان للمكتب السياسي للوكالة اليهودية يعد التقارير والاقتراحات لكي يساعد بها اللجنة الخاصة على الانتهاء إلى سبيل لحل قضية فلسطين !

كما قام مكتب خاص بإعداد الإحصائيات المشوهة عن المناطق المختلفة وعدد اليهود القاطنين بها ، حتى إذا ما جاء وقت التقسيم على أساس توزيع

الأغلبية من السكان « عرباً أو يهوداً » في أنحاء فلسطين ، وجدت اللجنة أمامها خريطة يكاد لا يخلو جزء فيها من « أغلبية يهودية » وتحايط المناطق « العربية » فيها « بمستعمرات » قيل إن بها آلاف اليهود .

هذا كان استعداد الصهيونية خلال زيارة اللجنة الخاصة لفلسطين ، ولم يخل هذا الإعداد المحكم بالنواحي الأخرى من التنظيم الصهيوني ، فالوكالة اليهودية تعد العدة ، وتدبر الخطط الحربية والإرهابية للاستيلاء على فلسطين بالقوة ، وتدرب عصاباتهما على ذلك ، بينما تتولى القروع الأخرى من الوكالة تدريب اليهود على القيام بالوظائف الإدارية المختلفة حتى لا تفاجأ بالفوضى التي قد تترتب على تحيى السلطات البريطانية عن مهامها الإدارية التي يقوم بها موظفون بريطانيون طيلة وجود الانتداب .

ولقد استغلت الصهيونية اللجنة الخاصة بطريقة انتهازية تتفجر دهاة وخذاعا ، فعندما طلبت السلطات البريطانية في فلسطين إبداء وجهة نظرها أمام اللجنة الخاصة في اجتماع سرى بدافع مقتضيات الأمن ، احتج الصهيونيون على هذا الإجراء ، وأيدهم جارسيا جرانادوس « مندوب جواتيمالا » والعضو البارز في اللجنة في احتجاجهم ، وأقر حق الوكالة اليهودية في أن تعامل أمام اللجنة أسوة بالسلطة البريطانية « الحكومية » ، حتى يثبت بذلك حق الوكالة في اتخاذها صبغة رسمية كالأداة أو السلطة التي تمثل حكومة فلسطين المستقلة بعد انتهاء الانتداب .

عدالة قضية فلسطين

- ١ - إدوين مونتاجو .
- ٢ - جيمس ماكدونالد .
- ٣ - الكونت برنادوت .
- ٤ - جيمس فورستال .
- ٥ - ظفر الله خان .

١ — ادوين مونتاجو :

صرح إدوين مونتاجو وزير شؤون الهند في الفترة من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٢ يقول : « إن بريطانيا قد خضعت لرغبات الصهيونيين المليونير اليهودي روتشيلد ، فوعدت بإقامة وطن قومي لليهود ، مع أنه لا توجد قومية لليهود ». وجاء في الوثيقة التي كتبها بخط يده : « إنني يهودي ولكنني أعترف بأنه لا توجد قومية يهودية ، وأن فلسطين ليس لها علاقة باليهود .

« فالوصايا العشر أعطيت لليهود في شبه جزيرة سيناء ، وإذا كان اليهود يتعلقون بفلسطين لأنها المكان الذي شيد فيه معبدهم ، فإن فلسطين تكون أهم بالنسبة للمسيحيين لأنها أرض موعظة الجبل ، وكل المقدسات الخاصة بالمسيحية » .

وقد قدم هذه الوثيقة إلى الحكومة البريطانية في ٢٣/٨/١٩١٧ قبل ولادة وعد بلفور الذي ولد في ٢/١١/١٩١٧ محذراً من إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومضى مونتاجو يقول : « إن هؤلاء الذين نادوا بعبقيدة الصهيونية يغاب عليهم أن يكونوا من اليهود في روسيا الذين اندفعوا إلى هذه العبقة تحت ضغط القيود التي فرضت عليهم . وحتى هذا الموضوع تغير في روسيا ». وأوضح مونتاجو التناقض البين في الفكرة الصهيونية وأبرز الخطوط التالية :

١ — لا توجد قومية يهودية .

٢ — إن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ستؤدي إلى :

(١) أن الدول الأوروبية والأمريكية ستتخلص من مواطنيها اليهود .

(ب) ستصبح فلسطين برج بابل إذ تجمع أشتاتا من المهاجرين مختلفي اللغة والتقاليد والثقافات ، ولا يخاطب بعضهم بعضا إلا عن طريق المترجمين .

٣ — وقد فهمت وأنا من اليهود ، وقبل أن تنشأ الصهيونية أن تجميع اليهود لا يتم إلا بإرادة إلهية ، ولكنني الآن أرى أن كلا من مستر بلفور ولورد روتشيلد يود أن يبرهن على أنه المسيح المنتظر .

واستطرد مونتاجو قائلاً : « إنني لا أنكر أن لليهود حقوقاً للتعويض في فلسطين مثلهم مثل باقي الأديان . ولكنني أعتبر إقامة دولة على اعتبار ديني نوعاً من التحيز وضيق الأفق ، وأن إعطاء مركز لليهود ليس لهم حق شرعي فيه إنما يؤكد هدفاً استعماريًا لإيجاد قلعة استعمارية في قلب الوطن العربي » .

ثم يقول « إنني أشعر أن الحكومة البريطانية قد طلبت منها أن تصبح أداة منفذة لرغبات المنظمات الصهيونية ، وإن هذه الرغبة يدعو لها أفراد ينتمون بأصلهم إلى دول الأعداء ، وإنهم بهم — هذه الوسيلة يطعمون الحرية وفرض الاستقرار السائجة للمواطنين البريطانيين جنسية اليهود ديانة في هذا الوطن » .

٢ — جيمس ماكدونالد :

حدث قبل صدور مرسوم تعيينه سفيراً لأمريكا في إسرائيل ، أن عقد اجتماع في البيت الأبيض حضره كل من دافيد نايلز ، وكلاارك كليفوردي ، والجنرال هيلدرنج ووزير الخارجية مارشال ، وأبدى مارشال خلال الاجتماع سخطة على هذا التعيين ، كما انتقد بمنف قرار الاعتراف بإسرائيل ، الذي تم دون استشارة المسؤولين في الحكومة .

والحقيقة أن تعيين ماكدونالد سفيراً للولايات المتحدة في إسرائيل كان عملاً فريداً في نوعه ، فإن ماكدونالد ، بالإضافة إلى كونه ممثلاً لبلاد له لدى إسرائيل ، كان في نظر اليهود يمثل الحزب الديمقراطي الحاكم ، ومهمته تزويد (٢٠٢ — إسرائيل) .

الرئيس الأمريكى ، وزعماء الحزب بالمعلومات والإرشادات التى من شأنها الاحتفاظ بالسيطرة على « الأصوات اليهودية » ويبرز ذلك واضحا فى الرسالة التى وجهها ترومان إلى سفيره ماكدونالد بتاريخ ١٣ يوليو عام ١٩٤٨ إذ قال له فيها بعد أن تمنى له التوفيق فى منصبه الجديد :

« . . . وأرجو منك أن تزودنى باستمرار بالمعلومات المتعلقة بمنع شحن الأسلحة ، والوقت المناسب للاعتراف الكامل بإسرائيل وأنواع المساعدات المطلوبة للنهوض بالدولة الجديدة . . . » .

وفى الطريق إلى إسرائيل عرج جيمس ماكدونالد على لندن ، حيث قابل وزير خارجيتها أرنست بيغن ، وبحث معه الأسباب التى جعلت حكومة بريطانيا تتأخر فى الاعتراف بإسرائيل ، ثم أشار بلباقة إلى أن المصلحة المشتركة للحكومتين تقضى بأن يوجد ممثل بريطانى إلى جانبه فى تل أبيب لمراقبة الوضع عن كثب .

وقد انتفض بيغن لهذه الغمزة الخفية ، واحمر وجهه غضبا ثم أجابه :
« لا أريد الآن مناقشة هذه القضية » .

فأبدى ماكدونالد اعتذاره عندها ، وقال إنه لا يوجه سؤالاً وإنما يريد تسجيل حقيقة واقعة .

ومن هنا يبدو جلياً أن ماكدونالد كان سفيراً لإسرائيل أكثر منه سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل .

وعندما وصل ماكدونالد إلى جنيف ، قابل الدكتور حاييم وايزمن ، رئيس دولة إسرائيل المؤقتة وكان يستشفى هناك ، وبحث معه بعض قضايا الدولة الجديدة ، وقد توسل وايزمن إلى ماكدونالد أن يذكر زملاءه فى إسرائيل

بأن يوافقهم بأخبارهم وتطورات القضية في مستشفى بعد أن قطعوا عنه هذه الأخبار .

وفي تل أبيب تابع ماكدونالد انتهاج خطته السابقة في الدعاية لإسرائيل ، فواصل اتصالاته بالبيت الأبيض ، بدلا من الاتصال بوزارة الخارجية بوصفه تابعا لها مباشرة . وفي ٢٤ يوليو كتب ماكدونالد إلى واشنطن يقول :

« . . . وفي رأيي ، وبما أن الرئيس ووزارة الخارجية متفقان على إقرار السلم في ربوع فلسطين ، فإنه يجب حصر الجهود في السعي للتمهيد لمباحثات الصلح .

« ومن أجل ذلك أرى أن على الولايات المتحدة ألا تتأثر بوجهات نظر الوسيط ، أو الحكومة البريطانية نفسها ، لاسيما أن الأخيرة قد بدأت تفقد ثقة اليهود والعرب معا » .

وهكذا يبدو أن السفير الأمريكي قد حكم على الكونت برنادوت الوسيط الدولي بالموت ، قبل أن يصرعه الإرهابيون الصهيونيون .

٣ - الكونت برنادوت :

كان الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري يتنافسان على استجداء أصوات اليهود بشتى الوسائل ، في الوقت الذي عرض فيه الوسيط الدولي الكونت برنادوت مقترحاته على هيئة الأمم المتحدة لحل الخلاف بين العرب واليهود .

فانتهاز الحاكم ديوى فرصة موافقة وزير الخارجية مارشال على مقترحات برنادوت ، وأخذ يذيع في الأوساط اليهودية أن الحزب الديمقراطي الحاكم قبل مقترحات الوسيط الدولي ، التي توصى بضم منطقة صحراء النقب الجنوبية إلى العرب .

كما أصدر بياناً مشتركاً مع فوستر دالاس أعلننا فيه عدم تقيدهما بتلك المقترحات التي وافق عليها وزير الخارجية مارشال !!

وعندما بدأت الحملة الانتخابية في عام ١٩٥٢ ، وخلال اجتماعات مؤتمر الحزب الجمهوري ، نصح ممثل المجلس الوطني الأمريكي اليهودي قادة الحزب بالألا يضمنوا برنامجهم الانتخابي وعوداً صريحة لإسرائيل ، ولكن عضو الكونجرس جازيت — الذي كان يدافع عن وجهة نظر المجلس الصهيوني في الحزب — أصر على وجوب معاملة إسرائيل معاملة خاصة، وكان له ما أراد ، وهذا هو نص الفقرة الخاصة بإسرائيل الواردة في برنامج الحزب السياسي :

« إن الحزب الجمهوري قد أبدى منذ البدء تأييده التام لفكرة إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي ، لإنقاذ الآلاف من اليهود من التعذيب والاضطهاد اللذين تكبدوهما خلال سني الحرب الأخيرة ، وإن قيام إسرائيل يتفق مع أعرق أهدافنا الإنسانية .

« وستناير على إتمام تأييدنا ومهمتنا في تدعيم هذه الدولة ، وكذلك سنستخدم نفوذنا لإقرار السلام بينها وبين الدول العربية ، وسنبذل ما في وسعنا لإحلال الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في تلك المنطقة .»

بينما تجنب الحاكم أدلاي ستيفنسون خلال حملته الانتخابية التلميح بأي وعد خاص من أجل كسب الأصوات اليهودية ، بل أعلن تحرره التام من ضغط الأقليات على اختلاف طوائفها ، ولعل كونه عضواً في الوفد الأمريكي لهيئة الأمم جعله يشاهد كيف كانت تتخذ القرارات كلما عرضت قضية خاصة بإسرائيل والدول العربية ، كما أنه طالما سمع بيرنز يشكو ويتذمر من تقلص سلطة وزارة الخارجية فيما يتعلق بفلسطين ، حتى أن مارشال لم يستشر

في موضوع قرار ترومان القاضي بضم النقب إلى إسرائيل ، وكادت تحدث اصطدامات وخلافات بين وزير الخارجية مارشال ، وويرنز ، وبين الرئيس ترومان حول هذه القضية بالذات .

ومع ذلك ، فلو أن الفوز كتب لستيفنسون فلم يكن من المستبعد أن يبدل موقفه تحت ضغط العوامل السياسية ، تلك العوامل التي حملت ترومان أن يضحي بمصالح الأمة الأمريكية استرضاء لخاطر قادة الصهيونية .

وكان موقف الكونت برنادوت المعتدل هو الذي جعل الصهيونيين الإرهابيين يفتالونه في وحشية كطريقتهم في التخلص من مناصري الحق أينما وجدوا ، ليبقى الباطل ونجيم الظلمة ، وتحت أستار الظلام والظلم ينفذون وينفذون أعمالهم .

٤ - جيمس ماكدونالد وفورستال :

كتب «أرنست لندلي» في صحيفة «واشنطن بوست» أن سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين قد تأثرت كثيرا بلا شك بنفوذ الصهيونيين الأمريكيين . ولقد كان للسياسة المحلية العامل المسيطر والأول في توجيه الوضع بفلسطين لمصلحة الصهيونية .

وفي ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧ اقترح الجنرال هانيفان على الرئيس ترومان إصدار بيان يؤيد فيه إدخال ١٥٠ ألف يهودي إلى فلسطين وقال هانيفان إن إصدار مثل هذا البيان سيكون له الأثر الكبير في زيادة القروض للجنة الوطنية الديمقراطية لتعزيز هذه اللجنة الديمقراطية .

وعلق الجنرال فورستال فيما بعد ، على هذا الحديث بقوله : « إن النتيجة جاءت مخيبة لآمال ترومان والحزب الديمقراطي معاً ، لأنها لم تسفر عن النتائج

المنتظرة في حملة الانتخابات بنيويورك ، حيث يملك اليهود عدداً كبيراً من الأصوات . . . » .

وقد بذل الجنرال فورستال ، إبان حملة الانتخابات ، ما في وسعه لكي يقنع كلا من الحزبين المتنافسين «الديمقراطي والجمهوري» بإبعاد قضية فلسطين عن المعترك السياسي ، حتى لا يستغلها أحد الحزبين في الدعاية لحملة الانتخابية .

ولكن هذه الفكرة لم ترق أبداً لرئيس اللجنة الديمقراطية هوارد ماكغراث الذي قال إن قسماً كبيراً من المبالغ المتبرع بها للجنة الديمقراطية إنما جاءت من شعب يريد أن يثبت أن بإمكانه التعبير عن وجهات نظره في قضايا معينة ، كقضية فلسطين بالذات ، وأنه — أي ماكغراث — لا يمكنه أن يفهم رأى فورستال القائل : « بأنه يفضل أن يخسر أصوات تلك الولايات على أن يعرض البلاد بأجمعها لأخطار جسيمة قد تنشأ عن الاندفاع وراء قضية فلسطين ، وأنه لا يجب السماح لأي فئة من المواطنين في هذه البلاد أن تؤثر في سياستنا ، أو أن تعرض سلامتنا الوطنية لأخطار لا تعرف نتائجها » .

وقد كتب فورستال عن محادثاته مع وزير الخارجية السابق جيمس بيرنز يقول بأن بيرنز لم يوافق على قرار الرئيس ترومان في تحوير « تقرير كريددي » الذي أوصى بإقامة دولة فيدرالية بفلسطين ، أو إنشاء دولة عربية واحدة هناك . ثم ذكر بيرنز كيف أن الرئيس ترومان وجه انتقادات مرة إلى البريطانيين لموقفهم من قضية فلسطين ، مما أخرج موقف رئيس الحكومة البريطانية « أتلي » ووزير خارجيتها « بيفن » .

وأضاف بيرنز أن المسؤولية الكبرى لهذه السياسة الحمقاء تقع على عاتق

داقيدنايلز ، وسام روزنمان المقربين من الرئيس الأمريكي ، كما أكد وزير الخارجية السابق فورستال ، أن زعماء الحزب الجمهوري لن يوافقوا أيضا على إبعاد قضية فلسطين عن النضال السياسي المحلي ، لأن الحاخام سيلشر هو من مؤيدي الجمهوريين ومن الأصدقاء المقربين للسنااتور الجمهوري تافت .

وعلى الرغم من كل تلك الصدمات ، واصل فورستال مساعيه في هذا المضمار ، فطلب من قادة الحزبين المتنافسين : ديوى وستاسن وتافت وماكفراث والجنرال برادلى أن يحدوا اهتمامهم في أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية وإبعاد خطر تسرب السوفيت إليه ، دون التدخل في أوضاعه الداخلية . وظل يعمل بضعة شهور ، دون أن يتمكن من الوصول إلى نتيجة ، بل إنه لم يتمكن من إقناع المعتدلين من الحزب الجمهوري أمثال وتروب والدريتش ، وجون فوستر دالاس ، والسنااتور آرثر فاندنبرج .

وقال جيمس ماكدونالد في كتابه «مهمتي إلى إسرائيل» عن فورستال : « لم يكن فورستال عدوا للسامية ، أو لإسرائيل ، كما أنه لم يكن متأثرا بمناخ البترول . ولكنه اقتنع أن قرار التقسيم لا يتفق ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية كل الاتفاق ، فعارضه . . . ومن المؤكد أنه لا يستحق أن نشن عليه مثل هذه الحملات الخبيثة ، التي ساعدت على تحطيم جسده وعقله ، ولأن هذه الحملات المفرضة تقف كأشبح مثال على رغبة الساسة وأبطال الدعايات في استخدام أحقر الوسائل — باسم الوطنية — للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا » .

هذا إقرار من أول سفير للولايات المتحدة الأمريكية في إسرائيل وأحد أنصار الصهيونية ، وهو إنما ينصف الحقيقة ولو كره الصهيونيون ، ويقف

إلى جانب فورستال لتخفيف حملات الاضطهاد ضده والتي دعاها « بالحملات الخبيثة » للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا .

• - جيمس فورستال والأسرار السياسية :

اتبهج الصهيونيون وأعدائهم بصدور قرار التقسيم ، وأخذوا يعدون العدة لنقله إلى حيز التنفيذ .

وبينما كانت الحكومات العربية تواصل احتجاجاتها - وهي لم تكن قد أفاقت بعد من ذهولها إثر الصدمة التي نزلت بها من جراء تصرفات الدول الغربية - كان بعض ذوى الرأى فى الولايات المتحدة ممن يزنون الأمور بميزان العقل ويقدرّون المصلحة العليا الحقيقية لوطنهم يواصلون الجهود لإظهار مدى خطأ السياسة التي اتبعتها الإدارة « الترومانية » ومدى خطورة خضوع السياسة الخارجية الأمريكية لأهواء الصهيونية وضغطها ، وبخاصة بعد أن زادت مشكلة فلسطين تعقداً بقرار التقسيم .

وكان المستر جيمس فورستال فى مقدمة المخلصين الذين عملوا على تصحيح الأوضاع وإخراج قضية فلسطين من الصراع الحزبى الداخلى فى الولايات المتحدة ، حتى تستطيع حكومتها أن تضع أساسا سليمة لسياستها الخارجية فى الشرق الأوسط يكون من شأنها تجنب انهيار العلاقات بين أمريكا والدول الإسلامية .

وشجع فورستال على محاولاته وجهوده المخلصة وجود فريق من المختصين بشئون الشرق فى وزارتى الخارجية والدفاع ممن كانوا يشاركونه بعد النظر وتقدير خطورة الاندفاع فى تيار الضغط الصهيونى^(١) ، ولم تقتصر جهوده

على محيط الديمقراطيين ، بل إنه استأذن ترومان في الاتصال بالمسؤولين في الحزب الجمهوري لإقناعهم بالعدول عن الجرى وراء النفوذ الصهيوني . وكان رد عضو الشيوخ فاندنبرج عندما فاتحه فورستال في هذا الشأن أن الديمقراطيين قد استغلوا مسألة فلسطين بما فيه الكفاية ، وأنه من حق الحزب الجمهوري أن يستغلها بنفس القدر . . فيجب أن تتاح الفرصة للجمهوريين للمشاركة في معانم السياسة الخارجية الأمريكية كما يرغمون على المشاركة في محنها .

ولم يتطرق اليأس إلى فورستال وهو المخلص في إيمانه بمصالح بلاده ، فحاول محاولة أخرى مع الزعيم الجمهوري ديوي ، فكان رد هذا الأخير^(١) على وساطة فورستال أنه مامن شك في أن الحزب الديمقراطي لن يتنازل عن استغلال الأصوات اليهودية في الانتخابات ، فلماذا ينتظر من الجمهوريين أن يفعلوا ذلك .

ورأى فورستال أن يقدم تقريراً رسمياً إلى وكيل الخارجية لفت بضمه رأيه صراحة لعله يثير الطريق أمام الرئيس ترومان .

وقد جاء في هذا التقرير : « إن الديمقراطيين يعترفون بخطورة المشكلة الفلسطينية ، ولكنهم يعيرون اهتماماً أكثر للحصول على الاكتمالات المالية من الصهيونيين الذين يحاولون الحصول على « أمر الأداء » والوفاء بالدين على حساب سياستنا القومية »^(٢) .

وفي تلك الأثناء كانت الحال تتفاقم في فلسطين ، وبدأت الاشتباكات

Walter Millis (ed) : The Forestall Diaries P. 348. (١)

Walter Millis (ed) : The Forestall Diaries P. 15. (٢)

تزداد بين الإرهابيين والمجاهدين العرب ، والإدارة البريطانية منهمة في تصفية شئونها توطئة لإنهاء الانتداب .

وكان المجاهدون العرب يقاومون الإرهاب الصهيوني بكل ما أوتوا من قوة وإيمان رغم افتقارهم إلى المعدات والتنظيم والإمكانات .

وخشى الصهيوينيون أن تفوت عليهم الفرصة للاستعداد الكامل قبل جلاء السلطات البريطانية عن فلسطين ! فسعوا مرة أخرى لدى أمريكا كي تضغط على الحكومة البريطانية وتجبرها على تسليم اليهود ميناء بحريا كامل المعدات قبل المدة المحددة للجلاء ، وذلك لكي يقسنى لليهود تيسير هجرة الآلاف من الصهيوينيين الأوربيين الذين أعدوا للانخراط في صفوف عصابات الإرهاب . ولما لم تفلح تلك المناورة أخذ عملاء الصهيونية في أمريكا يشكون ويولولون زاعمين أن بريطانيا تزود الدول العربية بالمعدات الحربية « طبقا للمعاهدات بينها وبينهم » ، بينما اليهود محرومون منها بعد أن صدر قرار أمريكا بحظر تصدير الأسلحة إلى الشرق الأوسط وعدم السماح للأمركيين بالخدمة في صفوف قوات مسلحة أجنبية .

وفي الوقت نفسه كانت حملات الدعاية تشن ضد بريطانيا بدعوى أن السلطات البريطانية في فلسطين تسوى في المعاملة بين المعتدين والمدافعين !! بين المعتدين « العرب » وبين المدافعين « اليهود » !! وبين العرب الذين يهدمون هيبة الأمم المتحدة بمعارضتهم قرار التقسيم ، واليهود الذين يحترمون قرارات تلك الهيئة !!

كانت تلك الأكاذيب والتضليلات تنقشر في الأوساط الرسمية والصحافة الأمريكية ، بينما كانت آلاف الأطنان من المواد المتفجرة والمعدات والأسلحة تشتري بواسطة عملاء الصهيونية في نيويورك ، وتشحن سراً على السفن المتجهة صوب فلسطين .

وغالبا ما كان يحدث هذا بعلم السلطات الأمريكية ورضائها^(١) ، وكان عملاء الصهيونية يشكون ويتظاهرون بافتقارهم لوسائل الدفاع عن أنفسهم ، في الوقت الذي كانت شحنات الأسلحة التشكوسلوفاكية تنهال فيه على يهود فلسطين ويدفع ثمنها بالدولارات التي اكتتب بها يهود أمريكا^(٢) . « ولم تكن تشيكوسلوفاكيا قد استهدفت بعد للانقلاب المعروف » . وبدأت تلوح في الأفق العربي آثار تهور الحكومة الأمريكية في سياستها في الشرق الأوسط ، كما أصبح واضحا أن قرار التقسيم لا بد أن ينفذ بالقوة العسكرية ، وأن للولايات المتحدة مصالح اقتصادية وبتروولية واستراتيجية سوف تضار من جراء تدمير الدول العربية وسخطها ، إلى غير ذلك من الاعتبارات التي حاول الإخصائيون إلقاء الضوء عليها^(٣) . وإزاء ذلك أعدت مذكرة بمعرفة وزارتي الخارجية والدفاع في ٢٠ يناير سنة ١٩٤٨ مؤداها أن قرار التقسيم الصادر من هيئة الأمم لن يقيس تنفيذها ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست ملزمة بتنفيذه إذا لم يكن هناك سبيل إلى ذلك دون اللجوء إلى القوة المسلحة ، وأنها « أي الولايات المتحدة » سوف تتخذ الإجراءات المناسبة لسحب القرار^(٤) .

وجدير بالذكر هنا أن الدافع الأساسي الذي حدا بإخصائيي وزارتي الدفاع والخارجية إلى التراجع عن فكرة التقسيم بقوة عسكرية لم يكن تخوفهم من سخط الأمة العربية بقدر ما كان تخوفهم من اشتراك الاتحاد السوفيتي وإصراره

(١) انظر تفاصيل ذلك في جريدة التايمز اللندنية في أعدادها الصادرة في ١٢، ١٠، ٥، ١٩٤٨/٢/١٨ .

(٢) من الأمثلة العديدة لاعتراف الصهيونية بهرب الأسلحة من أمريكا وغيرها من الدول ما جاء تفصيله في الكتابين الصهيونيين : Sacher, Israel pp. 263—272 . Kimche, Seven fallen Pillars, P. 214 .

(٣) Council of Foreign Relations, U.S. in World Affairs .

1947 | 8 P. 339.

Walter Millis (ed): The Forrestal Diaries pp. 360,411.(٤)

على إرسال جنوده ومراقبيه ضمن أية هيئة ترسلها الأمم المتحدة للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم .

واشتم الصهيونيون أن الحكومة الأمريكية قد ثوب إلى رشدتها ، وأن بعض المسؤولين بدءوا يتشككون في نتيجة السياسة التي اتبعها الرئيس ترومان ومستشاروه ، وخاف الصهيونيون أن يؤدي هذا التشكك والتردد إلى تغيير في سياسة الولايات المتحدة والحيولة دون تنفيذ أهدافهم .

وهناك رأى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة — تريغفي لي — أن يستغل نفوذه ومركزه في المساهمة لصالح الأهداف الصهيونية التي أخذ على عاتقه أن يسخر إمكانيات وظيفته لخدمتها ، فأعلن — وقد خيل له أن ينذر العرب بسوء المصير — أن الجمعية العامة سبق لها أن قررت تشكيل لجنة من الدول الصغرى للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم ، وأن تلك اللجنة سوف تحصل على المساعدة المسلحة اللازمة لتنفيذ هذا القرار ^(١) . نعم لقد أراد عملاء الصهيونية أن تتخذ هيئة الأمم المتحدة أداة للضغط المسلح على عرب فلسطين حتى يرضخوا للأهداف التي يريد الصهيونيون تحقيقها ، بيد أنه عندما طلبت اللجنة « التي كان مقدراً لها أن تشرف على تنفيذ قرار التقسيم » إلى مجلس الأمن بناء على إيعاز الأمين العام ، أن يوصى بإعداد قوة مسلحة لتنفيذ التقسيم ، ظهرت أمام المجلس الصعوبة القانونية التي لا تريد سياسة القوى ولا حكومات الدول الكبرى أن تعبرها أى اعتبار رغم ماتدعيه من احترام القانون الدولي .

قرار التقسيم أقرته الجمعية العامة لا مجلس الأمن ، وهو طبقاً لنصوص الميثاق وروحه لم يكن إلا توصية لا تعتبر نافذة قانوناً على أى دولة

من الدول إلا إذا أقرت تلك الدولة قبوله^(١)، وليس من سلطة مجلس الأمن أن يتخذ تدابير عسكرية إلا في حالات الاعتداء التي يقرها المجلس وفي حدود ما نص عليه الفصل السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

اسرار التراجع الامريكى :

وفي ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ فاجأ وارن أوستن — مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن — دول العالم باقتراحه وضع فلسطين تحت نظام الوصاية^(٢)، أى أنه رجع إلى الاقتراح الذى سبق أن قبله الجانب العربى في الأشهر السابقة . ويقال إن اقتراح أوستن هذا جاء مفاجأة للرئيس ترومان نفسه ، وهو الذى كان قد أعطى وايزمن « وعدا قاطعا بأن التقسيم سيتم وينفذ بمعرفة أمريكا وقواتها العسكرية »^(٣) .

على أن الأسباب التى دفعت وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين إلى هذا الاقتراح كانت أقوى من مجرد الوعود التى قطعها ترومان للصهيونية . فالانقلاب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا ، وفوز الحزب الشيوعى فى إيطاليا ، وتدهور الحالة عموما فى الشرق الأوسط ، وتخوف أمريكا من تدخل روسيا عسكريا فى فلسطين ، كانت كلها أسبابا دفعت الإخصائين الأمريكيين إلى التراجع الاستراتيجى تجاه الجانب العربى .

ومن الثابت أيضا أن القيادة الأمريكية كانت قد اعترضت على اقتراح ترومان بانتدخلك العسكرى من قبل الأمم المتحدة فى فلسطين ، إذ أنهم قدروا القوة العسكرية اللازمة لتنفيذ قرار التقسيم بالإكراه بحوالى ١٠٤.٠٠٠

(١) راجع التحليل القانونى لقرار التقسيم فى المجلة الأمريكية للقانون الدولى عدد لابريل

سنة ١٩٤٨ .

(٢) وثائق مجلس الأمن الرسمية عام ١٩٤٨ (٣٦ - ٥١) .

Daniels , A man of Independence P. 318 ,

(٣)

جندى ولم تكن الولايات المتحدة آنذاك في موقف يمكنها من الاستغناء عن فرقة عسكرية أمريكية واحدة (١) .

وكان من المنتظر أن يقابل ترومان هذا الاقتراح بالاعتراض الشديد ، وقد برر اعتراضه بأنه تلقى آلاف البرقيات التي شهد سكرتاريو ترومان أن ٩٩ ٪ منها كانت تحمل أسماء يهودية .

ولا يخفى أن حملة الضغط على البيت الأبيض في تلك الأثناء اقترنت بحملات من الإرهاب الوحشي في فلسطين ، ومجاهرة الصهيونيين بأنهم سيقاومون كل محاولة لإقرار نظام الوصاية على فلسطين حتى ولو كانت الوصاية لفترة قصيرة .

ومرة أخرى نجحت الصهيونية ، ففاتح ترومان المسؤولين بتدمره إزاء تصرفات وزارة الخارجية ، وطرد هندرسون المستشار المسئول عن شئون فلسطين، وعين مكانه الجنرال هيلدرنج المعروف بتحمسه لإنشاء دولة يهودية ، وبديهي أن يتشجع الصهيونيون أمام هذا التصرف ، ويبلغ بهم استمراء نجاح سياسة الضغط الصهيوني على ترومان أن يقف ممثلهم موسى شرتوك «شاريت» في مجلس الأمن في ١/٤/١٩٤٨ ليقول : « إن اليهود قد اجتازوا باب السكيمان الدولي ، وإنهم لن يتراجعوا بعد اليوم » ، بل قد تمادى شرتوك في تمجيديه واستناده إلى مظاهرة ترومان له ، فوقف يعلن اتهامه للسلطات البريطانية بأنها تتواطأ مع العرب وتسمح لهم بالتسلل عبر حدود فلسطين (٢) .

كانت تلك المناورات تدور في نيويورك وواشنطن بينما يتماذى الإرهابيون في ارتكاب أبشع المجازر وأفظعها ضد العرب في فلسطين ، وظل

H.B. Westerfield, Foreign Policy and Party Politics P.233(١)

(٢) المحاضر الرسمية لمجلس الأمن (١٩٤٨ - ١٩٥٢) .

جيمس فورستال يناضل من أجل فلسطين ومن أجل حقوق العرب حماية لهيئة الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط الصهيوني حتى وقع فريسة المرض والانهيار النفسى ، ومن سيئات القدر أن الذى أشرف على علاجه طبيب يهودى صهيونى اسمه Menninger .

تواطؤ الولايات المتحدة مع الأعمال الإرهابية للعصابات الصهيونية :

قامت حملة مسلحة من عصابتي الاشترايين والأرجون وأكرهت السكان الأمنيين فى قرية « دير ياسين » على إخلاء القرية ، فأذعن فريق منهم وبقي آخر ، فما كان من الإرهابيين إلا أن هاجموا القرية بالمدافع والقنابل وأبادوا سكانها ، وقد شهد مندوبو الصليب الأحمر فى فلسطين — رغم تهديدات الصيونييين ومنعهم لهم من مشاهدة آثار تلك الجريمة الشنعاء — بأن مذبحه دير ياسين كانت مجزرة بشعة تنم على وحشية متعمدة لا مبرر لها على الإطلاق سوى الزهو بالقتل والتنكيل بالعرب الأمنيين (١) .

وفى الوقت نفسه كانت أمريكا ترحب بمناحيم بيغن قائد منظمة أرجون زفاى ليومى ، والمؤيد لأعمال الإبادة والتخريب فى فلسطين من نسف فندق الملك داود بما فيه من النزلاء الأبرياء ، إلى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، إلى شفق عدد من الجنود البريطانيين ، إلى ذبح النساء والأطفال والشيب من عرب فلسطين ، حتى أن صحيفة نيويورك تايمز جعلته فى مصاف الغزاة الفاتحين فكتبت مقالا عنه تحت عنوان : « الرجل الذى هزم إمبراطورية وكسب المجد لإسرائيل » ، والمعروف أن سياسة مناخيم بيغن تنادى بضم الأردن والبلدان المجاورة إلى إسرائيل حتى تتكون الدولة الجديدة من الحدود الأصلية لأرض كنعان .

Reynier; A Jérusalem un drapeau pp. 69 — 70 . (١)

النار العربي ورد الفعل الاسرائيل :

لم تشأ كرامة المجاهدين العرب إلا أن يثاروا لإخوانهم شهداء مذبحه دير ياسين ، فردوا على الإرهاب الصهيوني بمعركة « الهداسا » ، ولكن ما أعظم الفرق بين هذه وتلك !! فالخقائق التي أقرها مراقبو هيئة الصليب الأحمر (١) تشهد أن الإرهابيين اليهود كانوا يسترون وراء علامة الصليب الأحمر « أو ما يقابلها » فينقلون المؤن والذخائر والمعدات الحربية خفية على أنها شحنات طبية إلى مستشفى الهداسا والجامعة العبرية التي اتخذ الإرهابيون منها موقعا استراتيجيا محصنا ، وذلك لوجودها على ربوة عالية تكشف القدس العربية .

وتحت ستار راية الصليب الأحمر كانت القوافل المسلحة تمر تباعا لتموين العصابات الإرهابية وتجديد القوات وإمدادها بالعدد والذخائر . فما كان من المجاهدين العرب إلا أن هاجموا إحدى القوافل بعد حادثة دير ياسين ، وأجهزوا على رجالها ، وكشف مراقبو الصليب الأحمر عن خداع الإرهابيين وانها كهم لانفاقيات جنيف الخاصة بجرمة المستشفيات وقوافل الجرحى ، إذ كانوا ينقلون معدات حربية في قوافل مسلحة تحت ستار علامة الصليب الأحمر .

وقد علق رينيه Reynier على هذا المسلك الشائن بقوله : « كان على اليهود أن يختاروا إما علامة الصليب بمعناها المتفق عليه فينقلوا مرضاهم وجرحاهم في قوافل عزل من السلاح ، وإما أن يتنقلوا في قوافل مسلحة لأغراض حربية غير مستترة وراء قناع الصليب الأحمر .

« ولكن الصهيونيين أرادوا أن يستغلوا الطريقين إلى أبعد حدود الاستغلال فكان عليهم تحمل العواقب » .

(١) شهد بذلك رئيس الصليب الأحمر في فلسطين في كتابه :

(٢) Reynier, A Jérusalem un drapeau, pp. 69 - 70 .

وسارت الحال من سيء إلى أسوأ ، والإرهابيون يمدون عدتهم كاملة
ويقرنون هذا الاستعداد بالضغط السياسى والمراوغة والتحايل واستغلال نفوذ
الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى نيويورك وواشنطن بصفة خاصة .

٦ — ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان :

قال موجها حديثه إلى الدول الغربية : « لا تنسوا أنكم ستحتاجون فى
المستقبل إلى حلفاء وأصدقاء فى الشرق الأوسط ، ولهذا فأرجو ألا تخسروا
ما لكم من رأسمال فى تلك البلاد » .

ثم أضاف يسأل الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية :
« ما الغاية من إنشاء دولة يهودية ؟ أهو من باب الدافع الإنسانى . . . ؟ إذا
كان الأمر كذلك فلماذا أقفلتم أبواب حدودكم فى وجه اليهودى الذى لا ملجأ
له . . ؟ ولماذا تصرون إذن على إسكانهم فلسطين ، بل ومساعدتهم على إقامة
دولة . . حتى يصبح ذلك اليهودى الذى كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربى
الفلسطينى . . ؟ » .

وأخيراً أنهى خطابه بالتهكم على الحجج والأسباب التى بررت بها الدول
الكبرى إقرار مشروع التقسيم .

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على
النتيجة بقوله :

« لقد سعينا لإحقاق الحق الذى استوحيناه من الله . . ونجحنا فى إقناع
عدد من مندوبى الدول ليروا الحق كما لمسناه . . ولكن مساعينا ضاعت فى
التيار الجارف . . نحن لا نحمد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت
الضغط والإغراء الشديدين أن يبدلوا موقفهم ويقترعوا على مشروع لا تقره
العدالة ولا الإنصاف » .

(٢١ م — اسرائيل)

القرارات

١ - مؤتمر بلودان ١٩٣٧/٩/٨ :

رفض العرب توصيات لجنة بيل ١٩٣٧/٧/٧ التي تنص في الباب الثالث منها على مشروع بتقسيم فلسطين ، وعادت ثوراتهم من جديد وهي أكثر مما تكون صمودا وثباتا . وضج العالم العربي كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمراً لهم في بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

١ - رفض مشروع بيل رفضاً باتاً .

٢ - اعتبار فلسطين دولة عربية وهي جزء من الوطن العربي .

٣ - ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزي .

٤ - وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٥ - العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضي العربية الفلسطينية .

وأحست إنجلترا بالخطر يحدق بها ، ويبدو أنها كانت تتوقع الحرب العالمية الثانية فرأت أن تسترضي العرب ليقفوا مع الحلفاء في حربهم مع الألمان ، وحتى لا يقوموا بثورة ضد الإنجليز كما فعلوا في الحرب الأولى مع الأتراك . لذلك أسرعت إنجلترا بإصدار ما أسمته بالكتاب الأبيض ، وفيه أعلنت عدوها عن فكرة التقسيم ، وأنها تنوى إقامة دولة في فلسطين يحكمها ثمانية منهم ستة من العرب واثنتان من اليهود ، ويرأس هذه الدولة حاكم بريطاني وذلك لمدة عشر سنوات تصبح فلسطين بعدها قادرة على حكم نفسها بنفسها . ونص على الهجرة حتى يصبح عدد اليهود نصف عدد السكان في فلسطين أي مساويا لعدد العرب .

كان الكتاب الأبيض بهذه الصورة يبدو في ظاهره لمصلحة العرب ، ولكنه في الحقيقة لم يكن إلا مرحلة من مراحل التآمر الصهيوني على فلسطين .

٢ — مطالب العرب امام لجنة كنج كرين King Crane ، ومؤتمر دمشق في ٨ مارس ١٩٢٠ لتأكيد هذه المطالب :

تكونت لجنة كنج كرين سنة ١٩٢٠ وسافرت إلى سوريا ، واتصلت بزعماء العرب ، وعرفت آراءهم ومطالبهم ، وكانت هذه المطالب تلخص في :

١ — ضرورة استقلال سوريا الكبرى « لبنان والأردن ، وفلسطين ، وسوريا الحالية » على أن يصبح الشريف حسين ملكا عليها .

٢ — استقلال العراق على أن يصبح الأمير فيصل ملكا عليه .

٣ — يرفض العرب كل ما جاء في اتفاقية سايبكس / بيكو لأنه يتعارض مع رغباتهم .

٤ — يعلن العرب في عزم أكيد رفضهم لما جاء في تصريح بلفور ، ويصرون على أن فلسطين دولة عربية .

٥ — يصر العرب على الاستقلال ، ويرفضون كل صورة من صور التدخل والسيطرة . . . حتى لو كانت في صورة الانتداب .

إلا أن إنجلترا وفرنسا كانتا واثقتين من نفسيهما ، ومن إهمال مقترحات لجنة كنج كرين . . . لذلك عادتتا تؤكدان مرة أخرى عزمهما على تنفيذ ما جاء في قرارات مؤتمر الصلح ، ولم توافقا على قرارات مؤتمر دمشق ، ولم تؤكد تمضي أيام قليلة حتى اجتمع مجلس الحلفاء في سان ريمو في إبريل عام ١٩٢٠ ، وأعلن أعضاؤه وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وفلسطين والعراق وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزي .

٣ — مؤتمر بلودان في ١٢ يوتية ١٩٤٦ :

في ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ طلب بيفن إشراك الولايات المتحدة في حل قضية فلسطين فشككت لجنة من البلدين لدراسة القضية ، وقررت هذه اللجنة السماح

بهجرة ١٠٠ ألف يهودى فى الحال ، وغضب العرب لهذا القرار ، وعقدوا مؤتمرآ فى بلودان فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ ، وطالبوا بالدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لإنهاء الوضع القائم على أساس ميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب فى البلاد، وتحدد يوم ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٦ موعداً لعقد مؤتمر لندن للمفاوضة . وقرر وزراء الخارجية العرب عدم الاجتماع مع مندوب إسرائيل على مائدة واحدة ، وعدم قبول أى مشروع يهدف إلى التقسيم ، وعدم قبول تدخل الولايات المتحدة الأمريكية .

وبالنسبة لأهمية المذكرة التى بعثت بها الحكومات العربية بناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى بلودان فى ١٢ يونيو ١٩٤٦ ، فإننا نلخص فيما يلى ما جاء بهذه المذكرة :

١ — لا مبرر على الإطلاق لتشكيل لجنة إنجليزية أمريكية لدرس قضية فلسطين وخاصة أن القضية درست دراسة وافية من قبل لجان متعددة .

٢ — الحكومات العربية ترى أن بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين هى المسئولة عما يقع من إهدار لحقوق العرب السياسية والمدنية فى فلسطين ، وأنه ليس هناك مسوغ قانونى يبيح تدخل الولايات المتحدة الأمريكية للتأثير على الوضع القائم فى فلسطين .

٣ — الانتداب على فلسطين باطل من أساسه فإن تصريح بلفور الذى تضمنه صك الانتداب ، وما نجم عنه من حرمان لعرب فلسطين من التمتع بحقوقهم السياسية والمدنية ، جاء مناقضا للفقرة ٤ من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

٤ — أن الحكومة البريطانية قد فسرت معنى الوطن القومى فى مناسبات

مختلفة أهمها الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ والرجوع عن هذا التفسير يعتبر تحدياً لحقوق العرب المشروعة .

٥ - واجب على الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة فوراً ، وأن تقمى كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ، وإلى أن يتم هذا فلا يجوز أن يتمتعوا بالحقوق السياسية التي للرعايا الفلسطينيين .

عقد مؤتمر لندن في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ واستمر حتى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٦ وقدمت بريطانيا مشروع موريسون الذي يرى إنشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت إشراف بريطانيا . ورفض المندوبون العرب هذا المشروع وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة ، وتكوين حكومة انتقالية - برئاسة المندوب السامي - تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ووقف الهجرة واحترام الأماكن المقدسة وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا . . ورفضت بريطانيا المشروع العربي وأصرّت على قبول مشروع موريسون . ثم عادت وقدمت مشروع ييفن الذي يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها إلى أقسام إدارية تتمتع بالحكم الذاتي ، ورفض العرب هذا المشروع .

ولم يعد هناك مفر من عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة .

٤ - دور الاستعمار في تدعيم كيان إسرائيل :

في ٤ إبريل سنة ١٩٥٠ أعلن مجلس الأمة الأردني الذي ضم ممثلين عن الأجزاء الفلسطينية التي يسيطر عليها الجيش الأردني توحيد هذه الأجزاء مع « شرق الأردن » في دولة واحدة أطلق عليها « المملكة الأردنية الهاشمية » .

ولم تعترف الدول العربية بهذا التوحيد إنما اعتبرت أن هذه الأجزاء

الفلسطينية « الضفة الغربية للأردن » ودبحة لدى الأردن لحين التسوية النهائية للقضية ، فيما عدا العراق التي اعترفت بوحدة الأجزاء الفلسطينية مع الأردن .

وهكذا وبعد أن أطلق اليهود اسم « إسرائيل » على الأجزاء المحتلة من فلسطين زال كيان فلسطين ورفع اسمها من خريطة العالم لأول مرة في التاريخ .

٥ - عرض عام للتآمر الامبريالي الصهيوني :

انتقلت قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة ولم يسبق لها مثيل في بواعثها وظروفها ومسارها وتناخص فيما يلي :

١ - أن فلسطين بلد عربي منذ ثلاثة عشر قرنا .

٢ - ثورة العرب على الأتراك بزعامه الشريف حسين بهدف الاستقلال ، وانضمامهم إلى الحلفاء محاربين في صفوفهم على أمل نيل استقلالهم ، ووعدهم بإنجلترا بتحقيق أمانهم .

٣ - تأكيد بريطانيا لتحقيق آمال العرب في الاستقلال باسم الحلفاء في رسائل حسين / مكماهون .

٤ - أن هدف العرب حق طبيعي أيده المبادئ التي نادى بها الحلفاء وأكدها الرئيس ولسن ، وضمنها ميثاق عصبة الأمم «حق تقرير المصير» .

٥ - أن الحلفاء غدروا بالعرب فلم يفوا بوعودهم وفرضوا على بلادهم نظام الانتداب بمقتضى اتفاقية سايكس / بيكو ، وقرارات مؤتمر سان ريمو في ذات الوقت الذي اعترفوا فيه بحق العرب في الاستقلال وحق العرب في تقرير مصيرهم بأنفسهم .

٦ - انتهى الانتداب على سورية ولبنان والعراق وتمتعت بالاستقلال والسيادة مع ارتباطها بمعاهدات مع إنجلترا وفرنسا قبل التحرر

الكامل ومولد الجمهورية العربية المتحدة ، إلا فلسطين ، وهي داخلة في نطاق المادة ٢٢ من ميثاق الأمم المتحدة ولكنها حُرمت مما تمتعت به مثيلاتها .

٧ - أن سبب الحرمان هو تصريح آرثر بنفورا الذي صدر باسم حكومة بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وكان أهم باعث عليه مطامعها الاستعمارية في فلسطين كمنطقة استراتيجية لمصالحها في الشرق .

٨ - بالرغم من أنه لاحق لبريطانيا فيما وعدت به ، ونكثها بعهدتها مع العرب ، فقد استطاعت التآمر مع اليهود في إقحام التصريح في صك الانتداب على فلسطين .

٩ - أن صك الانتداب حمل بريطانيا مهمة تسهيل تهويد فلسطين وإنشاء الوطن القومي لليهود .

١٠ - أن صك الانتداب وتصريح بلفورا اشتراطاً ألا يكون حيف على أهل فلسطين ومركزهم من جراء إنشاء ذلك الوطن اليهودي .

١١ - لقد كان الصك والتصريح يحتويان على التزامين متعارضين ، ولكن الحقيقة أن الحكومة البريطانية اندفعت في قيامها بالتزامها لليهود فألحقت بحقوق العرب ومركزهم أكبر الأضرار .

١٢ - أن اليهود غنوا وما زالوا يفقدون حركتهم بدعايات مضللة بما يملكونه من وسائل بارعة وقوية في مختلف أنحاء العالم .

١٣ - أن اليهود بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين وخذعوا بها الأمم مع أن هذه الصلة قد انتفت نهائياً منذ تجريب الإمبراطور تيطس للهيكل سنة ٧٠م وتشتيتهم في أنحاء الإمبراطورية الرومانية سنة ١٣٥م في عهد الإمبراطور هادريان .

١٤ — أنهم ادعوا أن فلسطين مهجورة مقفرة مع أنها مكتظة بالعرب وهم أصحابها ، وفي درجة من الرقي الاجتماعي والثقافي والعمرائي لا تقل عن أحسن البلاد في الشرق الأدنى والشرق الأوسط .

١٥ — أن الباعث على حركتهم هو ما لقيه اليهود في أوروبا الشرقية خاصة من اضطهاد لا يد للعرب فيه ، فليس من الحق أن يحملوا تبعته .

١٦ — أن فلسطين لا يمكن أن تحمل ما يسمى بمشكلة اليهود « المشردين والمذلين » .

١٧ — لقد أنهدم الباعث على اضطهاد اليهود بعد انتصارات الديمقراطيات وصار في مقدور دولها أن تضمن لليهود أمناً وطمأنينة في بلادها لو أن تلك الدول فتحت صدرها لهجرة مشردى أوروبا إلى بلادها ، ولو أنها كانت جادة مخلصة في توجيهها ، وعادلة في سياستها ما كنا نسمع بمشكلة فلسطين ، وما كنا نسمع أذعياء أوروبا من اليهود المشردين يدعون كذبا أن بلدهم هو فلسطين !! بل أى يهودى أمثال ألبرت أينشتاين ، وفارستون يفضل الهجرة إلى فلسطين حيث الضيق الاقتصادي ، على أن يهاجر إلى كندا أو أمريكا حيث العيش الرغد والمجال المتسع للمشروعات والأعمال ، وحيث لا تعصب نازياً ضدهم ؟ !

١٨ — أن في أمريكا ، وأستراليا ، وإفريقيا ، وجزر الباسفيك الواسعة الغنية والمقفرة من السكان وغيرها متسعاً لليهود إذا ما أرادوا أن ينشئوا لهم كيانا .

١٩ — ليس اليهود اليوم شعباً ولا قوماً ، وإنما هم نحلة دينية ومحاولتهم إنشاء وطن لهم محاولة شاذة ، لأنها ترمى إلى جمع مختلف الجنسيات والأهواء في وطن واحد على أساس الدين .

٢٠ — أن اليهود في موقفهم في فلسطين يماثلون النازية وبالتالي يناوئون للديمقراطية مع اختلاف الدوافع ، إذ أن النازية اضطرت إلى استئصال اليهود وإبادتهم لأنهم كانوا السبب المباشر في هزيمة ألمانيا في الحرب السكونية الأولى وإذلالها وامتصاص دماء الشعب الألماني ، أما العرب فهم قوم مسالمون متسامحون لا ذنب لهم فيما وقع على اليهود من العذاب والتنكيل والقشريد :

إن اليهود يمارسون أعمال النازية مع اختلاف الدوافع إليها ليفرضوا كيانهم وأقليتهم على الأكرية العربية ، وإرغام العرب على التخلي عن وطنهم لهم وقبول هجرتهم إلى فلسطين .

٢١ — لقد استطاع اليهود بنفوذهم وإغراءاتهم ومنظاتهم وتغلغلهم في نيويورك وفي واشنطن وفي لندن وفي باريس وفي موسكو أن يحصلوا على تأييد أوساط مهمة في أمريكا وبريطانيا لمطالبهم وتأييد أساليبهم ومواقفهم الشاذة رغم مخالفتها لمبادئ الديمقراطية .

٢٢ — لن يكتب للهدف اليهودي في فلسطين أي نجاح سياسيا واقتصاديا لاعتبارات وجيهة سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية .

٢٣ — إن العرب والمسلمين في الشرق الأدنى والأوسط لن ييئسوا من النضال ضد ذلك الهدف وضد مؤيديه مهما طال الزمن ، وسيتطور هذا النضال تطوراً خطيراً .

٢٤ — أن هذه الحركة حركة استيطان اليهود على حساب طرد العرب من أراضيهم هي بذرة شر وفتنة وقلقل ودسائس مستمرة في الشرقيين الأوسط والأدنى .

٢٥ — أن هذه الحركة نقلت جرمومة اللاسامية إلى هذين الشرقيين .

٢٦ - لقد استنكر العرب في فلسطين وغيرها هذه الخطة منذ الأصل ، وكانت الحكومة البريطانية تكابر وتستمر في محاباتها لليهود والتنقص من حقوق العرب بالقوة ، فكان هذا مما دعا إلى تكرار الاضطرابات العربية .

٢٧ - أرسلت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة منها :

(أ) لجنة الاستفتاء الأمريكية في يونيو عام ١٩١٩ .

(ب) لجنة شو في ٢٤ أكتوبر عام ١٩٢٩ .

(ج) تقرير الخبير جون سمبسون عام ١٩٣٠ .

(د) لجنة التحقيق للملكية في نوفمبر عام ١٩٣٦ .

(هـ) اللجنة الأمريكية الإنجليزية في ديسمبر عام ١٩٤٥ .

وأذاعت كتباً بيضاء لتصحيح الأوضاع وانتهاج سياسة الحق والعدل ، ومن هذه الكتب البيضاء :

(أ) الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ أصدره ونستون تشرشل وزير المستعمرات .

(ب) الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ أصدره باسفيد وزير المستعمرات .

(ج) الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . وقد قابل عرب فلسطين والدول العربية هذا الكتاب بتحفظ شديد لسابق خبرتهم بالأعيب بريطانيا ، أما اليهود فقد سارعوا إلى رفض هذا المشروع الجديد لأنه يخالف جميع اتفاقيات بريطانيا السرية والعلنية معهم .

ومع هذا لم تنفذ بريطانيا ما كان في صالح العرب من توصيات وعهود .

٢٨ - في سنة ١٩٣٩ اعترفت بريطانيا بأخطائها وتناقض التزاماتها وقيامها بواجبها نحو اليهود على حساب العرب المواطنين ، وقررت تصحيحاً للأوضاع

أنها تتمنح فلسطين استقلالها وتلغى عنها انتدابها وتوقف الهجرة اليهودية إليها ، ولكنها لم تتقدم خطوة ما لتنفيذ ذلك .

٢٩ — في سبتمبر سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر لندن الثاني واشترك فيه مندوبون عن مصر والعراق وسوريا والأردن والمملكة السعودية واليمن وفلسطين كما حضره مندوبون عن الوكالة اليهودية .

وكان هذا المؤتمر فرصة ذهبية لبريطانيا للتحلل من التزاماتها الواردة في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . وفي هذا المؤتمر قدم العرب مشروعاً على أساس ما أعلنته بريطانيا في سنة ١٩٣٩ فرفضته هذه المرة ، كما رفض اليهود مشروع موريسون الذي يقضى بتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية تتمتع بنوع من الحكم الذاتي . وأصدرت بريطانيا مشروع يقف نسبة إلى مستر بيغن وزير الخارجية وهو لا يختلف كثيراً عن مشروع موريسون ، وقد رفض العرب هذا المشروع الجديد أيضاً وتمسكوا بضرورة إلغاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين وإعطاء شعبها حق تقرير المصير .

٣٠ — لقد كان الإرهاب الصهيوني على أشده نتيجة لتساهل الحكومة البريطانية ، وإن العرب — والحق بناصرهم والعدالة تؤيدهم — يابون النظر في قضية فلسطين على أساس تسوية خلاف بينهم وبين اليهود الدخلاء ، ويرفضون أشد الرفض أى تسوية للقضية على أى شكل من أشكال التقسيم وإنشاء كيان قومي خالص لليهود ، فإن فلسطين عربية وستظل عربية .

٦ — جريمة الصهيونية في القرن العشرين :

إن جريمة الصهيونية ومن ساندوها لا تعادها جريمة في التاريخ ، والجريمة لا تزال مستمرة ، وأسنادها القدماء لا يزالون هم أسنادها الجدد المحدثين . . إن ما يجري في القدس الآن هو ما جرى طوال العشرين سنة الماضية :

« طرد العرب من ديارهم ، وإحلال اليهود محلهم » ، وقد آن الأوان لكي تتوقف الجريمة ، ويلاقي من أعدوها ونفذوها وساندوها جزاءهم الأوفى والعاقل ، ولن يكون ذلك إلا بإزالة إسرائيل من الوجود ، وانتزاع فلسطين منهم وردها إلى أهلها العرب .

إن أكثر من مليون ومائتي ألف عربي من سكان فلسطين تحولوا منذ عام ١٩٤٨ إلى لاجئين مشردين في الخيام والأكوخ يعيشون حياة الفقر والمرض على فترات مساعدات الأمم المتحدة .

ولم يبق في فلسطين حتى ٥/٦/١٩٦٧ من سكانها العرب الشرعيين إلا حوالي ٢٧ ألفا يعيشون تحت وطأة الاحتلال الصهيوني حياة معسكرات اعتقال جماعية في ظل عملية اضطهاد عنصرية دأمة .

٧ - القرار رقم ١٩٤ « ٣ » :

قدمت لجنة الاستقصاء الاقتصادي المنبثقة عن الأمم المتحدة والتي عرفت تحت اسم « لجنة كلاب » في ديسمبر عام ١٩٥٠ تقريراً إلى الجمعية العامة بعد أن عهد إليها بدراسة وسائل إعادة كيان اللاجئين الاقتصادي جاء فيه :

« يعتقد اللاجئون أن من مقتضيات الحق والعدالة أن يسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم ومزارعهم وقراهم ، وإلى المدن الساحلية كحيفا ويافا ، التي جاء الكثيرون منها . . . إنهم يحنون إلى ديارهم ويريدون العودة إليها حتى ولو قيل لهم إن الأوضاع تبدلت في غيابهم ، وإنهم لن يكونوا سعداء إذا ما عادوا . وحتى لو قيل لهم إن منازلهم وبيوتهم قد دمرت ، أجبوا : لا بأس بالأرض باقية . . . » .

وقدم مدير الوكالة في عام ١٩٥١ تقريراً جاء فيه : « من الغريب أن معنويات اللاجئين العامة أرفع مما كان متوقعا ، لا سيما وقد قضوا أكثر من

عامين في حياة النفي والتشريد ، وفي ظل أفسى الأوضاع وأشقها ، فاللاجئ يريد قبل كل شيء أن يعود إلى بيته السابق . . . وهو يعتبر الأمم المتحدة مسئولة عن الأوضاع التي تردى فيها .

ثم رفع المدير العام تقريراً في سنة ١٩٥٣ ثم آخر في سنة ١٩٥٤ ثم آخر في سنة ١٩٥٥ تضمن ما يلي : « ستظل رغبة اللاجئين العارمة في العودة إلى وطنهم ، العامل البارز في تكيف مواقفهم ، وفي التأثير على سياسات حكومات الشرق الأدنى تجاه هذه القضية ، ولم يضعف هذا الشعور خلال هذا العام ، وعلاينا ألا نقلل من قيمة ما فيه من قوة ، فنداء العودة ينبع بصورة رئيسية من حنين الشعب الحنين الطبيعي إلى دياره القديمة » .

ورفع المدير العام تقريراً في سنة ١٩٥٦ ثم آخر في سنة ١٩٥٧ جاء فيه :

« تعتقد جماهير اللاجئين الفقيرة حتى الآن أن إجحافاً عظيماً ألحق بهم ، وهم يواصلون الإعراب عن رغبتهم في العودة إلى وطنهم ، وهم يطلبون بصورة خاصة تنفيذ الفقرة الثانية من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ « ٣ » الصادر في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » .

ووجه المدير العام الإنذار بما فيه من معان وأغراض إلى الجمعية العامة في عام ١٩٥٧ أي بعد ثمانى سنوات من قيام الوكالة ونصه : « ما لم يعط اللاجئين حق الاختيار بين العودة والتعويض ، فسيكون مما يجافي الواقعية أن تعتقد الجمعية العامة بإمكانية إنجاز أى تقدم حاسم . . . في طريق إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأدنى الاقتصادية سواء بطريق العودة أو بطريق الإسكان » .

ويشير المدير العام إلى أنها ليست جزيرة اللاجئين ، ولا جزيرة الدول العربية ، وإنما هي جزيرة إسرائيل ، فهي برفضها عودة اللاجئين قد عرضت

مهمة الوكالة للفشل ، وهو الفشل الذى لا تحتاج الوكالة فى تجنبه إلى سحر أو معجزة ، إنما هو ثمرة حتمية لتحدى إسرائيل وغلاؤها .

وأشار المدير العام فى تقريره إلى الدورة الثالثة عشرة للجمعية العامة من جديد إلى فشل الإدماج ، فقال : « وستظل العراقيل قائمة فى طريق الجهود التى تبذلها وكالة الأمم المتحدة لتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وإغاثتهم فى تنفيذ المهمة الموكولة إليها فى تحقيق إدماج اللاجئين فى حياة الشرق الأدنى الاقتصادية عن طريق العودة أو الإسكان وذلك بسبب الافتقار إلى حل لهذه المشكلة السياسية » .

ثم رفع تقريراً فى سنة ١٩٥٨ ثم آخر فى عام ١٩٥٩ جاء فيه :

« ما زال الأمل الذى يساور نفوس اللاجئين بالاختيار بين العودة إلى ديارهم السابقة وبين التعويض وفقاً للفقرة الثانية من القرار رقم ١٩٤ «٣» غير منفذ على الرغم من مضى أحد عشر عاماً من المأسى وتثبيط الهمم والعزائم » .

ويرى المدير أن تنفيذ هذه الفقرة سيظل فى رأى اللاجئين الحل الجوهري المقبول الطويل الأمد .

وقد توالى قرارات تضاف إلى القرار الأصلى ١٩٤ «٣» الصادر فى عام ١٩٤٨ ، وجميع هذه القرارات المتعلقة بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ذكرت الصورة فى أشكال متعددة ومختلفة إما بالتذكير بالقرارات السابقة ، أو بتأكيد العودة ، أو بملاحظة عدم تنفيذها ، أو باستخدام عبارة : « دون المساس بحقوق اللاجئين » ، أو بذكرها بصورة خاصة عند ترديد الفقرة الثانية من قرار عام ١٩٤٨ ، وقد أدرجت مثل هذه العبارات فى كل قرار من القرارات التى أصدرتها الجمعية العامة حتى يومنا هذا منها :

« ٦ » ٥١٣	« ٦ » ٥١٢	« ٥ » ٣٩٤	« ٥ » ٣٩٣	« ٤ » ٣٠٢	« ٣ » ٢١٣
« ١٢ » ١٣١٥	« ١٢ » ١١٩١	« ١٥ » ٩١٦	« ٩ » ٨١٨	« ٨ » ٧٢٠	« ٧ » ٦١٤
					« ١١ » ١٠١٨

لقد أصدرت الجمعية العامة قرارها المعروف رقم ١٩٤ « ٣ » الذي يعرف بقرار العودة، وقد نص في فقرته الثانية على وجوب عودة اللاجئين الذين يرغبون في العودة إلى بيوتهم في أسرع وقت ممكن، وتعويض أولئك الذين يؤثر عليهم عدم العودة، ولم تكثف الجمعية العامة بإعلان هذا الحق، بل أقامت وكالة لها دعماً بلجنة التوفيق تتولى تذييل العقوبات في طريق العودة، وأقامت الجمعية في الدورة نفسها وإلى أن تتم العودة وكالة منفصلة عن الأمم المتحدة بموجب قرارها رقم ٢١٢ « ٣ » تتولى تزويد اللاجئين بالإغاثة لفترة مدتها تسعة أشهر. وهكذا تكون الجمعية العامة في دورتها الثالثة قد اتخذت قراراتها بصدد ثلاث قضايا وهي :

- ١ - عودة اللاجئين .
 - ٢ - تشكيل لجنة لتنفيذ العودة .
 - ٣ - وضع برنامج للإغاثة يطبق انتظاراً للعودة .
- وفي الدورة الرابعة تقرر أن تخلف وكالة الفوث هيئة أخرى تسمى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم ، وهي الوكالة عينها التي ظلت تصطارع مع مشكلاتهم حتى يومنا هذا .
- ٨ - تحقير اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة :

في أحد اجتماعات الجمعية العامة لهيئة الأمم عام ١٩٥٢ اقترح ثمانية من مندوبي الدول الصغرى على الهيئة ، مشروعاً يقضى بدعوة الدول العربية

وإسرائيل لتسوية خلافاتها ، ولكن مندوبى الدول العربية رفضوا المشروع ، مشرطين قبل البحث فيه إرغام إسرائيل على تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى ، بشأن تدويل القدس ، وحق العرب الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم .

وهذا المشروع كانت اللجنة السياسية الخاصة قد أقرته بأكثرية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وتغيب الكتلة السوفيتية . وعندما أحيل إلى الجمعية العامة لإقراره بصفة نهائية ، انضم إلى الدول العربية والآسيوية المعارضة للمشروع سبع دول من جمهوريات أمريكا اللاتينية وبذلك رفض المشروع . والسبب الذى دفع هذه الدول إلى الوقوف إلى جانب الكتلة العربية والآسيوية هو تصريح نشرته جريدة « نيويورك تايمز » لدافيد بن غوربون قال فيه : « إن قضية القدس أمر واقعى ، فلا يجب البحث فيه » ؛ والمعنى الواضح لهذا القول : هو تحقير لقرارات هيئة الأمم المتحدة وتحذافر لها ، هذه الهيئة التى اتخذت ثلاثة قرارات متتالية بوجوب تدويل القدس ، ومنحت كافة الصلاحيات للجنة التوفيق الدولية ، لاتخاذ الخطوات اللازمة للتدويل .

والجدبر بالذكر ، أنه فى الدورة النهائية للاقتراع على إجراء مباحثات بين العرب وإسرائيل ، وقفت الكتلة السوفيتية إلى جانب العرب ، كما أيدت شكوى شمالى إفريقيا ضد فرنسا وإنجلترا وأمريكا .

وهكذا اتسعت الهوة بين الدول العربية وأمريكا ، وأصبح إيمان العرب بالنظام الديمقراطى ضعيفا ، بينما ازداد اقتناعهم بأن الروس هم حماة الحرية والمدافعون عن الشعوب الصغيرة المستضعفة .

وبينما كانت ألمانيا الشرقية تتوحد إلى العرب أخذت ألمانيا الغربية ، بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ، تحاول استرضاء إسرائيل ، فوافقت على دفع

مبلغ ٧١٥ مليون دولار كتعويضات لليهود عن الخسائر التي أنزلها بهم الحكم النازي ، كما وافقت على دفع ١٠٧ مليون دولار إلى ٢٢ مؤسسة يهودية في أمريكا ، مقابل الأملاك اليهودية في ألمانيا .

والطريف في الأمر أنه لكي تتمكن ألمانيا الغربية من تسديد هذه التعويضات وافقت أمريكا على منحها القروض اللازمة ، ولما كانت الدول العربية تعتبر نفسها في حالة حرب مع إسرائيل ، فقد اعترضت على هذه التعويضات واعتبرت موافقة ألمانيا الغربية خرقاً للحياد ، مستشهدة بموقف ألمانيا الشرقية التي رفضت دفع مبلغ ٥٠٠ مليون دولار طالبت بها إسرائيل كتعويضات .

٩ - النضال العربي الفلسطيني :

تصدى للنضال من أجل فلسطين جامعة الدول العربية ، وظل الشعب الفلسطيني غائباً عن مجال قضيته أو على الأصح معزولاً - رسمياً على الأقل - عن حقه في تقرير مصيره ، وحقه في توجيه قضيته حسبما يرى ، وحسبما يريد ، مما ترك آثاراً سلبية على القضية وعلى الشعب على حد سواء .

ولعل أصالة الوعي الثوري وقوته سيطرت على اتجاهات الشعب الفلسطيني ، ومنحته إدراكاً لدوره في توجيه النضال الوطني مما يحتم وحدة النضال قيادة وتنظيماً تحت راية منظمة التحرير الفلسطينية ، هذه المنظمة التي ثبتت شرعيتها مؤتمر القمة للرؤساء والملوك الذي عقد بمدينة الإسكندرية في سبتمبر عام ١٩٦٤ .

وهذه المنظمة هي امتداد للشخصية الفلسطينية التي ظلت قائمة على مدى ثلاثين عاماً متجسدة في الثوار الأحرار تناضل منذ عام ١٩١٩ ضد قوى

(٢٢ م - إسرائيل)

الاستعمار البريطاني . إن شعب فلسطين العريق في أصوله كبقية الشعوب العربية ، أصيل في أرضه ووطنه كبقية الأراضى والأوطان العربية .

وفي عهد الانتداب برزت هذه الشخصية الفلسطينية قائمة بكفاحها ونضالها وقائمة بالإضراب العام لفترة مداها ستة أشهر لعام ١٩٣٦ ، وقائمة بأعمالها البطولية الفدائية وبقوأم شهدائها الذين قدمتهم خلال ثلاثين عاما ، والشعب الفلسطيني يناضل ويجهاد الاستعمار البريطانى ومؤامراته مع الصهيونية على انتزاع أرض فلسطين وطرد أهلها واغتصاب أملاك العرب .

واليوم تبرز الشخصية الفلسطينية بكفاحها ونضالها بالحروب الفدائية لاسترداد الأرض بالقوة .

إن كل القضايا التحررية فى الأمم المتحدة كان شعبها وراءها منظمًا فى المحافل الدولية ومكافحًا فى أرض الوطن ، قضايا إفريقيا ، القضايا العربية ، القضايا الآسيوية كلها كانت موجودة فى الأمم المتحدة وشعبها وراءها منظمة ومكافحة ومناضلة .

أما قضية فلسطين فكانت تدافع عنها الوفود العربية ، والجميع يسألون :
أين الشعب الفلسطينى ؟ أين وفد فلسطين ؟

إن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ تستحق الدراسة الطويلة ، فإن الأسباب التى أدت إلى وقوعها هى الأسباب نفسها التى حركت الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر القمة للملوك والرؤساء لإبراز السكيان الفلسطينى ، فولدت منظمة التحرير الفلسطينية عملاقًا جباراً متأهباً لاسترداد أرضه ووطنه .

بل إن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ كان نقطة يقظة للأمة العربية تولدت عنها انتفاضات قومية من معارك مستعرة ومستمرة لتصفية الرجعية العميلة في الأقطار العربية ، ومناوأة الاستعمار ، وتطهير الوطن العربي منه ، مما أدى إلى المواقف البطولية لشعب الجزائر ، والانتصارات الرائعة التي أحرزها المناضلون الجزائريون من أجل الحرية والاستقلال . وإن هذه الانتصارات وإن كانت ذات صبغة قومية واسعة إلا أنها تحمل بين جنباتها انتصارات تمهيدية تعبد الطريق لمعركة التحرير المرتقبة فوق ربوع فلسطين .

إن إسرائيل لا تزال الخطر الرئيسي على الأمن في منطقة الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٨ إلى الآن ، وبالتبعية فهي خطر على السلم العالمي . إن منطقة الشرق الأوسط مهددة بانفجار كل لحظة وتندربعد كل اعتداء أو استفزاز بحرب جديدة في المنطقة ، وأصبح الاعتماد على هيئة الأمم غير مجد نظراً لتسلط دول الاستعمار والنفوذ الصهيوني عليها .

كما أن الاعتماد على « التصريح الثلاثي » الذي صدر عام ١٩٥٠ أصبح غير مجد بعد ما اشتركت دولتان من الدول الثلاث الموقعة على هذا التصريح مع إسرائيل في العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، وبعد ما تأمرت الدولة الثالثة مع إسرائيل في العدوان على الجمهورية العربية المتحدة في مايو ويونيو سنة ١٩٦٧ .

وأصبحت جميع التسويات والقرارات والحلول التي وضعت لحل القضية غير مجدية للوصول إلى حل نهائي . إن الحل العملي الوحيد هو القضاء على إسرائيل خدمة لمستقبل أمتنا العربية وتأكيداً لحق شعب فلسطين في العودة إلى أراضيها المنتصبة وصيانة للأمن والسلام العالمي .

القضية الفلسطينية في المؤتمرات الدولية

القضية الفلسطينية في ثلاثة وثلاثين مؤتمراً دولياً من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٦ :
أعدت الأستاذة ليلي سليم القاضي سجلاً عن هذه المؤتمرات تقتطف منه نماذج
للاستشهاد بها على عدالة القضية الفلسطينية :

١ - مؤتمر كولومبو الاول :

الذي انعقد في كولومبو وكاندي ، سيلان ، في الفترة من ٢٨ إبريل إلى
٢ مايو ١٩٥٤ ، واشترك فيه خمس دول .
جاء في متن القرار : « أبدى رؤساء الوزراء عند بحث الوضع في الشرق
الأوسط قلقاً بالغاً على ما يعانيه اللاجئون الفلسطينيون ، وحثوا الأمم المتحدة على
إعادة جميع حقوق هؤلاء اللاجئين في فلسطين ، وقد عبر رؤساء الوزراء عن
تفهمهم لوضع اللاجئين وأكدوا أمنيتهم في أن يروا حلاً معجلاً وعادلاً للقضية
الفلسطينية » .

٢ - المؤتمر الآسيوي الأفريقي :

الذي انعقد في باندونج ، أندونيسيا ، في الفترة من ١٨ إلى ٢٤ إبريل
١٩٥٥ واشترك فيه تسع وعشرون دولة .
جاء في الفقرة ٥ ، رقم ٣ : « نظراً للتوتر السائد في الشرق الأوسط
بسبب الوضع القائم في فلسطين ، ونظراً للخطر الذي يشكله هذا التوتر على
السلام العالمي أعلن المؤتمر الإفريقي الآسيوي تأييده لحقوق شعب فلسطين
العربي ودعا إلى تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين وإلى إيجاد
حل سلمي للقضية الفلسطينية » .

٣ - المؤتمر الاول للدول الإفريقية المستقلة :

الذي انعقد في أكرا ، غانا ، في الفترة من ١٥ إلى ٢٢ إبريل ١٩٥٨
واشترك فيه ثمانى دول .

جاء في الفقرة ٩ من القرار رقم ١٠ : « يعبر المؤتمر عن قلقه البالغ حول القضية الفلسطينية باعتبارها عاملاً مهدداً للأمن والسلام العالميين، ويحث المؤتمر على إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية » .

٤ - مؤتمر بريوني :

الذي انعقد في بريوني ، يوغوسلافيا ، في الفترة من ١٨ إلى ١٩ يوليو ١٩٥٩ ، واشترك فيه ثلاث دول .

جاء في القرار رقم ٩ : « ... ضرورة حل مشكلات الشرق الأوسط في ضوء مصالح شعوب المنطقة وحريتها وإرادتها كما يعتبر الموقف في فلسطين بصفة خاصة خطراً على السلام . لذلك يؤكد الرؤساء المجتمعون قرار مؤتمر باندونج الخاص بها » .

٥ - مؤتمر الدار البيضاء :

الذي انعقد في الدار البيضاء - المغرب - في الفترة من ٣ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦١ ، واشترك فيه ثمانى دول .

جاء في القرار رقم ١ : « ... إن مؤتمر الدار البيضاء بعد أن درس قضية فلسطين الهامة ، وأمام القلق العميق الذي يشعر به المؤتمر من جراء الوضعية الناشئة في فلسطين على أثر حرمان عرب فلسطين من حقوقهم المشروعة ، قد اتخذ القرارات التالية منها :

١ - يلح على ضرورة حل هذه المشكلة حلاً عادلاً طبقاً لما نصت عليه مقررات الأمم المتحدة وقرار المؤتمر الإفريقي الآسيوى فى باندونج، كما يلح على أن تعاد إلى عرب فلسطين حقوقهم المشروعة .

٢ - يلاحظ باستنكار أن إسرائيل قد انحازت دائماً إلى جانب الاستعماريين كلما كان الأمر يتعلق باتخاذ موقف حيال المشاكل الحيوية التي تواجه إفريقيا ، وخاصة منها قضايا الجزائر والكونغو والتجارب الذرية

في صحراء إفريقيا ، ولذلك فإن المؤتمر ليندد بإسرائيل بصفها أداة طيعة في أيدي الاستعمار القديم منه والجديد ، لا في الشرق الأوسط فحسب بل وفي إفريقيا وآسيا أيضاً .

٦ - المؤتمر الأول لرؤساء الدول او الحكومات للبلدان غير النحازة :

الذي انعقد في بلغراد ، يوغوسلافيا، في الفترة من ١-٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ واشترك فيه ثمان وعشرون دولة .

القرار رقم ١٠ من الجزء الثالث من البيان الختامي :

« يندد المشتركون في المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التي تنهج في الشرق الأوسط ، ويعلمون تأييدهم لإعادة حقوق الشعب العربي في فلسطين كاملة طبقاً لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها » .

٧ - المؤتمر الثاني لرؤساء الدول او الحكومات للبلدان غير النحازة :

الذي انعقد في القاهرة - الجمهورية العربية المتحدة - في الفترة من ٥-١٠ أكتوبر ١٩٦٤ واشترك فيه سبع وأربعون دولة ، ومرقبون من عشر دول... جاء في الفقرة ٥ رقم ١ :

« إن المؤتمر إذ يندد بالسياسة الاستعمارية، يقرر وفقاً لميثاق الأمم المتحدة :

١ - تأييد استعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه استعادة كاملة وكذلك حقه الطبيعي في تقرير المصير .

٢ - إعلان تأييده التام للشعب العربي في فلسطين في كفاحه لتحرير من الاستعمار والصهيونية » .

٨ - المؤتمر الثالث لتضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية :

الذي انعقد في موسى ، تنجانيقا ، في الفترة من ٤-١١ فبراير سنة ١٩٦٣ ، واشترك فيه وفود من أربع وخمسين دولة .

جاء في الفقرة ب القسم ١٣ :

١ — يؤكد المؤتمر جميع القرارات السابقة التي أصدرتها مؤتمرات تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية حول قضية فلسطين بتأييد حق الشعب العربي الفلسطيني بالعودة إلى بلاده وعودة بلاده إليه .

٢ — يؤيد المؤتمر حقوق شعب فلسطين في إقامة كيان موحد مستقل في أرضه وفي وطنه فلسطين .

٣ — يشجب المؤتمر المؤامرة الصهيونية الجديدة والتي دبرتها السياسة الاستعمارية الأمريكية ومن خلفها المسماة بمشروع الصلح بين الدول العربية وإسرائيل التي تستهدف تصفية قضية فلسطين وإبعاد الشعب الفلسطيني عن تقرير مصيره والحيلولة دون استرداده لبلاده .

٤ — يستنكر المؤتمر ويعلمن مقاومته للهجرة الجماعية التي يحشدتها الاستعمار والصهيونية لتقوية الاحتلال العدواني العسكري الجاثم على فلسطين العربية ، ويطالب المؤتمر جميع الدول الآسيوية والإفريقية بوقف هذه الهجرة المسخرة لصالح الاستعمار الجديد والصهيونية .

٩ — الدورة الثانية للمؤتمر الاسلامي العام :

الذي انعقد في مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، في الفترة من ١٧-٢٤ إبريل سنة ١٩٦٥ واشتركت في المؤتمر وفود ستين دولة .

جاء في متن القرار :

« أما بصدد قضية فلسطين فقد اعتبرها المؤتمر قضية إسلامية ودعا الدول الإسلامية إلى الإسهام في تحرير أراضي فلسطين المقدسة التي احتلها الصهيونيون ، كما اعتبر الصهيونية حركة عدوانية وقرر أنها باغتصابها جزءاً

عزيزاً من أرض فلسطين ، إما أعلنت حرباً عدوانية على المسلمين وعلى المبادئ الإنسانية وحرية الشعوب .

وقرر المؤتمر أيضاً رفض الاعتراف بالأمر الواقع القائم على الظلم والعدوان في فلسطين ، كما أعلن رفض مقررات التقسيم الدولية .. ودعا الدول الإسلامية إلى تدريس تاريخ فلسطين وقضيتها وجعلها مادة إلزامية في جميع معاهد التعليم في كافة الدول الإسلامية .

١٠ — اجتماع الامانة العامة لجمعية الصحفيين الافرو اسيوية :

الذي انعقد في بكين ، الصين الشعبية ، في الفترة من ٢٠ — ٢٤ إبريل سنة ١٩٦٦ واشتركت فيه وفود من تسع عشرة دولة .

جاء في متن القرار :

« إن الاجتماع الكامل الرابع « الموسع » للأمانة العامة لمنظمة الصحفيين الإفريقيين الآسيويين بعد ...

— الاستماع إلى تقرير الوفد الصحفي الفلسطيني للاجتماع ...

— ودراسة الظروف التي خلقت فيها إسرائيل وتحليل دورها في خدمة الاستعمار الجديد ...

— وملاحظة التزييف المستمر للتاريخ والحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني والدور الحقيقي لإسرائيل والصهيونية ... ذلك التزييف الذي يقوم به الإمبرياليون بزعامة الولايات المتحدة وصحافتهم في العالم أجمع ..

— واعتقاداً بحق الشعوب في الحرية والاستقلال وتقرير المصير ،

يقرر ما يلي :

- ١ — يعتبر الصهيونية حركة استعمارية من حيث طبيعتها بالذات ، وعدوانية وتوسعية في أهدافها، وعنصرية في بنيانها، وفاشية في وسائلها وأساليبها.
- ٢ — يعتبر إسرائيل قاعدة وأداة طيعة للإمبرياليين بزعماء الولايات المتحدة لاستخدامها من أجل العدوان والتفغل والتسلل الاستعماري الاقتصادي والسياسي والثقافي في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .
- ٣ — يشجب الحركة الصهيونية ووجود إسرائيل في الجزء المحتل من فلسطين .

٤ — يطلب من الصحفيين التقدميين الإفريقيين الآسيويين الكفاح في سبيل قطع كافة العلاقات السياسية والدبلوماسية مع إسرائيل ومقاطعتها اقتصاديا وثقافيا وطردها من المنظمات الدولية .. ويطلب على وجه الخصوص من كافة الأحزاب التقدمية والحركات الثورية مضاعفة جهودها لمكافحة التسلل الصهيوني في بلدانها .

- ٥ — يهيب بكافة الصحفيين التقدميين الإفريقيين الآسيويين لتقديم تأييدهم يوميا للشعب الفلسطيني في كفاحه ضد الصهيونيين .
- ٦ — يؤيد تمام التأييد منظمة التحرير الفلسطينية في كفاحها لتحرير فلسطين .

٧ — يعتبر يوم ١٥ مايو من كل عام يوماً لفلسطين في الصحافة الإفريقية الآسيوية ، ومناسبة لزيادة تفهم القضية الفلسطينية لشعوبنا ولكشف قناع المخططات الإمبريالية الاستعمارية التي يتطلبها وجود إسرائيل .

١١ — مؤتمر علماء المسلمين من ١٣ - ١٦ مايو سنة ١٩٦٦ :

جاء في متن القرار :

« مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني المنعقد في رحاب الأزهر الشريف والذي يمثل خمسا وثلاثين دولة من دول آسيا وأفريقيا وأوربا يعلن — باسم المسلمين جميعا — استنكاره الشديد لموقف حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية من قضية فلسطين، واعترافها بحكومة إسرائيل، ويعرب عن تأييده الكامل للدول العربية في قطعها للعلاقات مع حكومة ألمانيا الاتحادية، ويدعو سائر الدول الإسلامية إلى أن تقف من قضية فلسطين الموقف الذي يحتتمه الدين عليها، وأن تؤيد الدول العربية في قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية» .

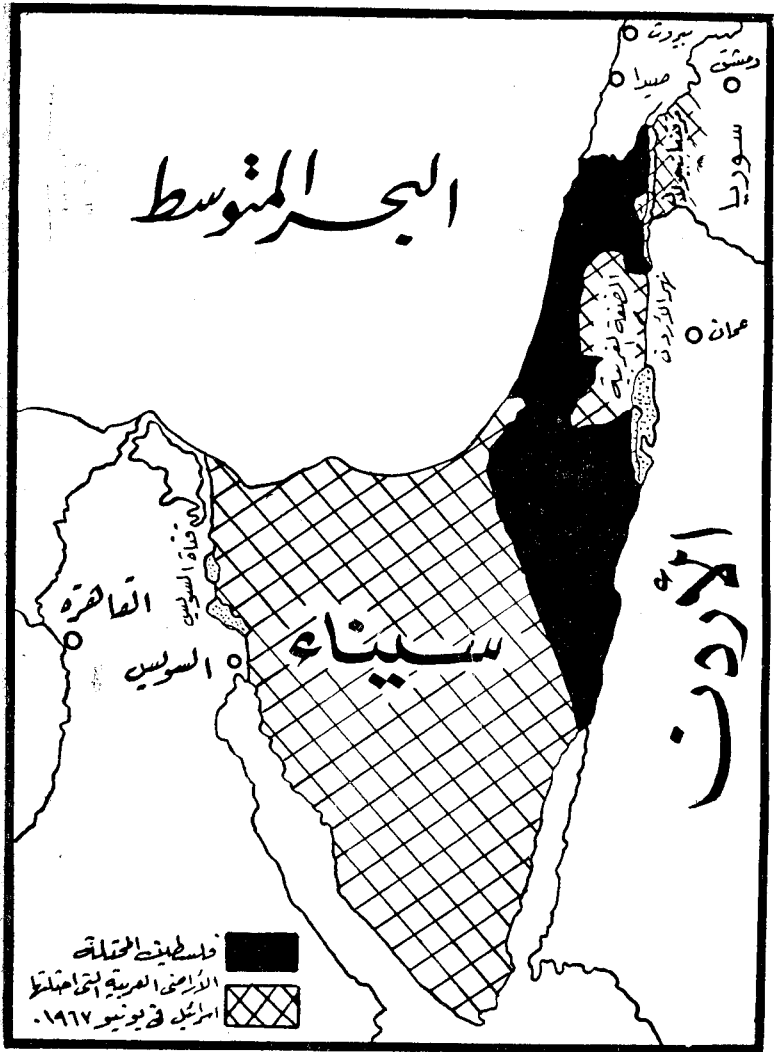
١٢ — مؤتمر علماء المسلمين من ٢٧ سبتمبر — ٦ من أكتوبر عام ١٩٦٨ :

(أ) يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل، وتأييدها لعدوانها، ويعتبر هذه المساندة وذلك التأييد تحديا وعداء للأمة الإسلامية واستهانة بمشاعر المسلمين .

(ب) يعلن المؤتمر أن المسلمين في مختلف بلادهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الأطماع الصهيونية العنصرية في العالم العربي الإسلامي ولن يتوانوا عن بذل النفوس والأرواح في سبيل الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم واسترداد أرضهم السليبية .

١٣ — مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ :

على أثر عدوان إسرائيل على الدول العربية في يونيو عام ١٩٦٧ واستيلائها على مساحات شاسعة من الأراضي العربية انعقد مؤتمر قمة عربي بالخرطوم واتخذ القرارات الآتية :
١ — لا اعتراف بإسرائيل .
٢ — ولا صلح مع إسرائيل .
٣ — ولا مفاوضة مع إسرائيل .
٤ — ولا تصرف بالقضية الفلسطينية لأنها ملك لشعب فلسطين .



١٤ — تحذيرات منظمة التحرير الفلسطينية لبعوث الأمم المتحدة :

أعلنت المنظمة أهدافها فيما اتخذته من قرارات في ديسمبر ١٩٦٧ مضمنة البلاغ العسكري لمجلس قيادة الثورة لتحرير فلسطين وينص على مايلي :

١ — القدس بشطريها القديم والجديد هي عاصمة وطننا ، ولن نتخلى عنها مهما تكبدنا من تضرعات .

٢ — وحدة الضفتين الشرقية والغربية حتمية كحتمية القدر .

٣ — سيواصل مجلس قيادة الثورة كفاحه المسلح وراء منظمة التحرير الفلسطينية في نضالها القومي وقيادتها لشعب فلسطين لتحرير وطنه وإزالة العدوان اللاحق والسابق .

وتحقيقا لهذه الأهداف المقدسة سيواصل الشعب العربي الفلسطيني كفاحه المسلح لتحرير وطنه ، مدعما بالأمة العربية ، مؤيدا بجميع الشعوب المحبة للحرية والسلام .

* * *

ويعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه في ٢٣/١١/١٩٦٧ بأنه ليس هناك تعارض بين تجربة الحل السياسي وبين الاستعداد للحل العسكري ، وأن المشروع البريطاني بصياغته وبالتفسيرات التي أعطيت له ليس كافيا لحل المشكلة ، فإن نسمح لإسرائيل مها كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر في قناة السويس لأن المرور في قناة السويس جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين وليس جزءاً من قضية إزالة آثار العدوان .

وأعلن الرئيس أن الوقت في صالحنا ، وإسرائيل ليست ذلك العدو الرهيب الذي لا يقهر . وأعلن أن خسائرننا في السويس لم تكن بالقدر الذي صورته الدعاية المعادية ولقد نجحنا في الرد بالمدافع على مدافع العدو . ودعا سيادته إلى :

- ١ — عقد مؤتمر قمة عربي لتدارس الموقف .
- ٢ — تطوير الجامعة العربية لتتحمل مسئولياتها كاملة .
- ٣ — زيادة فاعلية العمل السياسي .

النصر معقود لواقه للعرب

ما هي ارض فلسطين ؟

إنها أرض الإسرائ والمعراج ، ومهد الأنبياء بل هي أرض المعارك التاريخية الكبرى الفاصلة . . . ففيها وقعت معركة اليرموك سنة ٦٣٦ م والتي فتح فيها المسلمون فلسطين وقوضوا الحكم الروماني في ربوع الشرق .

ومعركة حطين عام ١١٨٧ م التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي لا بأبناء فلسطين وحدهم ولا بأبناء مصر فحسب بل بالجحافل الإسلامية العربية من مصر والشام والعراق ومن كل الديار الإسلامية حيث رد الصليبيين إلى الأبد عن فلسطين .

واستطاعت مصر أن تجرد حملاتها لمناهضة الصليبيين فانتصرت عليهم عام ١٢١٩، ١٢٢١ وتم أسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا في مدينة المنصورة وبهذا استرد العرب كل أراضي الشام .

وفي فلسطين دارت معركة «عين جالوت» عام ١٢٦٠م حيث انتصر السلطان قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس بجيوشها الإسلامية وبطلائع جيش مصر إذ ردا المغول « التتار » عن ديار العروبة ، وحفظا الإسلام من كيد الكائدين .
لقد حرر المسلمون فلسطين بعد أن أزالوا ما بينهم من فتن وخلافات ووجدوا صفوفهم وقياداتهم .

وإن تحرير فلسطين واسترداد الأراضى العربية موقوف بوحدة العرب
بوحدة الأهداف فى وحدة النضال الفكرى والنضال العسكرى، والاستمسك
بقوله تعالى: « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .



كلمة ثناء وتقدير

إننى بكل اعتزاز أقدم لك أيها القارئ هذا الكتاب ، ومن راء هذا
الكتاب قلب مؤمن تناوله بالدراسة والمراجعة الدقيقة حتى اكتملت لهذا
الكتاب كل عناصر التحقيق العلمى والتاريخى . ولا يسعنى إزاء هذا الجهد
إلا أن أقدم تحياتى فى احترام وتبجيل وتقدير للسيد الأستاذ حامد محمد سليمان
ويسعدنى أن يذكر اسمه مقروناً باسمى كمتحقق للكتاب فإن تحقيق الكتاب
لا يقل عن الجهد فى تصنيفه . والله أسأله أن يوفقنى أن أكون موضع ثقة
قرائى وكل من يعملون من أجل تحرير الوطن العربى والله المستعان .

أشهر المراجع

- ١ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
هنرى بريستيد . تعريب حسن كمال
- ٢ - فلسطين ... جريمة ... ودفاع
الدكتور أرنولد توينبي
- ٣ - حرب السويس
بول جونسون
- ٤ - مشكلة اليهود في العالم الجديد
جيمس باركنز طبعة ١٩٤٦
- ٥ - ثمن إسرائيل
الفريد ليليفنتال
- ٦ - كيف ضاع الشرق الأوسط
الفريد ليليفنتال
- ٧ - أزيلوا إسرائيل
إيلين بيتي الكاتبة الأمريكية
- ٨ - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية
اللواء عبد الله التل
- ٩ - كارثة فلسطين
اللواء عبد الله التل
- ١٠ - التطورات الأخيرة في قضية فلسطين
خيري حماد
- ١١ - الطريق إلى السويس
أرسكين تشيلدرز .. تعريب الأستاذ خيري حماد
- ١٢ - إسرائيل والدول الكبرى
الدكتور يحيى عويس
- ١٣ - المزاем الصهيونية في فلسطين
فتحي فوزي عبد المعطى
- ١٤ - فلسطين عربية
العقيد محمد فرج

REFERENCES

The Story of Civilization, Will Durant .

A. Caesar and Christ.

B. The Age of Faith , New York 1950 .

محتويات الكتاب

صفحة

٥	مقدمة
٩	الباب الأول - الوجهة السياسية والاقتصادية لاسرائيل
١٧	نظام الجيتو
١٧	الثورة الفرنسية وتأثيرها على الصهيونية
٢٠	الجيتو . . الليبرالية . . الصهيونية
٢٢	اليهود سبب الكوارث
٢٢	أولا - عداوتهم للإسلام
٢٥	ثانيا - عداوتهم للشعوب الأوربية
٢٥	موقف الشعوب الأوربية من اليهود
٣١	تسرب اسرائيل الى الدول التي اضطهدتهم وتصلبهم اليها
٣٥	الحركة القومية
٣٨	الحركة الصهيونية
٤٧	الكتاب الصهيونيون
٦٤	دراسة تحليلية
٦٤	١ - المنطقة التي يريدونها وطنا
٦٧	٢ - بطلان نظرية المحافظة على نقاوة سلالاتهم
٧٢	٣ - اتفاق المصالح الامبريالية والصهيونية
٧٧	٤ - التحديات التي تواجهها الدول العربية
٧٩	٥ - الحملة الفرنسية على مصر رائدة الاستعمار للمنطقة
٨٠	٦ - حقائق تاريخية عربية

صفحة	
٨٢	عرض موجز
٩٦	الانتداب البريطاني على فلسطين
١٠٠	تواطؤ بريطانيا سبب الاضطرابات بفلسطين
١٠٧	الخلاصة
١٠٩	المقاومة العربية والارهاب الصهيوني
١١٩	تغيير ميزان القوى
١٢٥	الباب الثاني - المخطط الصهيوني لاغتصاب فلسطين
١٢٧	المخطط الصهيوني لامتلاك اراضي فلسطين
١٣٤	برنامج بلتيمور
١٣٨	اسلوب العمل الموحد بين الصهيونية والوكالة اليهودية
١٤٣	التغافل الصهيوني في الغرب
١٦٤	وقائع قيام اسرائيل
	التهميد لمؤتمر لندن الثاني والتخطيط للقيادة البريطانية العربية
١٦٥	للجيوش السبعة
١٦٧	مؤتمر لندن الثاني وتحلل بريطانيا من التزامها
١٦٩	الأمم المتحدة وقضية فلسطين
١٧٢	مقاومة العرب لمشروع التقسيم
١٧٤	تدخل مجلس الأمن
١٧٥	التآمر البريطاني الصهيوني على احتلال فلسطين والتواطؤ العربي
١٧٦	كيف تم انسحاب بريطانيا
١٧٧	معركة فلسطين سنة ١٩٤٨
١٧٩	العمليات العسكرية في فلسطين

صفحة	
١٨٠	أسرار التآمر البريطاني مع الرجعية
١٨١	الملك عبد الله يحرص إسرائيل على احتلال غزة
١٨٢	الهدنة الأولى
١٨٤	الهدنة الثانية
١٨٦	اتفاقيات ردوس
١٨٩	كيف ضاعت فلسطين
١٨٩	١ - الاستعمار هو عدونا الأول
١٨٩	٢ - التجزئة العربية سر انتصار إسرائيل
١٩٠	٣ - فلسطين قد ضاعت على أرض فلسطين
١٩١	٤ - فلسطين قد ضاعت بسبب شلل الحكومات العربية
	٥ - فلسطين قد ضاعت لافتقار العرب إلى الأسلوب العلمي
١٩٢	في الدعاية
	٦ - الفلسطينيون حرصوا على وطنهم وعلى أراضيهم حتى
١٩٥	الاستشهاد
٢٠١	الباب الثالث - دراسة تحليلية : وعد بلفور .. الانتداب .. التقسيم
٢٠٣	أولاً - دراسات تحليلية لوعد بلفور
٢٠٣	١ - وعد بلفور ومعاودة سايكس بيكو
٢٠٣	٢ - الانسجام التام بين فيصل وزعماء الصهيونية
٢٠٤	٣ - فيصل يسعى لتتويجه ملكاً
٢٠٤	٤ - عبد الله يتحرك للثأر العربي من الفرنسيين في سوريا

صفحة

- ٢٠٥ ٥ - التركيب السياسي للحركة النضالية
- ٢٠٨ ٦ - مولد وعد بلفور
- ٢١٠ ٧ - الدول الاستعمارية تؤيد وعد بلفور
- ٢١١ ٨ - الأحداث السياسية التي لازمت صدور وعد بلفور
- ٢١٢ ٩ - منظوق وعد بلفور وتحليله
- ٢٢٤ ١٠ - تحقيق الأهداف الصهيونية نتيجة تصريح بلفور

ثانيا - دراسات تحليلية للانتداب

- ٢٢٥ ١ - الانتداب البريطاني على فلسطين
- ٢٢٦ ٢ - الانتفاضة العربية ضد خدعة بريطانيا
- ٢٢٩ ٣ - المؤامرة الامبريالية الصهيونية في سطور
- ٢٣٠ ٤ - نضال الأحرار العرب كرد فعل للمؤامرة الامبريالية
الصهيونية

- ٢٣٠ ٥ - الأحداث تسير في صالح الصهيونية العالمية
- ٢٤٣ ٦ - حق تقرير المصير ودفاع أحمد الشقيري

ثالثا - دراسة تحليلية للتقسيم

- ٢٧٥ **الباب الرابع - ظلال . . جوهر . . قرارات**
- ٢٧٧ **ظلال**
- ٢٩٤ **جوهـر**

- ٢٩٤ ١ - المشكلة اليهودية ومسئولية الحلفاء تجاهها
- ٢٩٦ ٢ - الضغط الصهيوني يصيب مشروع أر نست بالفشل

صفحة	
٢٩٨	٣ - اقتراح تدويل فلسطين
٣٠٠	٤ - الصهيونية وموقفها من التقرير
٣٠٠	٥ - الامبريالية الأنجلو أمريكية تعمل لتوطين مشردي أوروبا من اليهود
٣٠٠	٦ - الدعاية العربية والتحول الأمريكي لصالح الصهيونية
٣٠١	٧ - المساعي الصهيونية والتواكل العربي
٣٠٣	٨ - مقارنة بين النمط الصهيوني والنمط العربي في علاج قضية فلسطين
٣٠٧	عدالة قضية فلسطين
٣٢٦	القرارات
٣٢٦	١ - مؤتمر بلودان ١٩٣٧/٩/٨
٣٢٧	٢ - مطالب العرب أمام لجنة كنج كرين
٣٢٧	٣ - مؤتمر بلودان ١٩٤٦/٦/١٢
٣٢٩	٤ - دور الاستعمار في تدعيم كيان إسرائيل
٣٣٠	٥ - عرض عام للتآمر الامبريالي الصهيوني
٣٣٥	٦ - جريمة الصهيونية في القرن العشرين
٣٣٦	٧ - القرار رقم ١٩٤ « ٣ »
٣٣٩	٨ - تحقيق إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة
٣٤١	٩ - النضال العربي الفلسطيني
٣٤٤	القضية الفلسطينية في المؤتمرات الدولية
٣٥٥	اشهر المراجع